جامعـــــــة الجزائـــــــــــــر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الاستشراق الفرنسي بالجزائر وعلاقته بالاستعمار

(1830- 1900م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

فتحية بن حميمد

إشراف الأستاذة الدكتورة:

نفيسة دويدة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.دعبد الرحمن ولد سيدي الشيخ .... رئيسا..... ...جامعة الجزائر2.

أ.د نفيسة دويدة..... مقررا..... المدرسة العليا للاساتذة- بوزريعة

د صليحة علامة.....عضوا..... جامعة الجزائر2

د. محمد بلقاسم.....عضوا..... جامعة الجزائر2

أ.د صادق دهاش ....عضوا..... جامعة لونيسي –االبليدة

د. أمحمد دراوي..... عضوا..... جامعة خميس مليانة.

السنة الجامعية:2019ـــ- 2020م

شكر وعرفان

أخيرا بعد أن رأى هذا العمل النور لا يسعني إلا أن أحمد الله على توفيقه لي في إتمامه.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساعدني لاسيما الأستاذة المشرفة الأستاذة الدكتورة نفيسة دويدة التي أنارت دربي طيلة مشواري في الدراسات العليا.فكانت نعم الموجه ونعم المشرف.

إهداء

إلى والدتي سندي وقرة عيني.

إلى ابنتي التي أدعو الله أن ينبتها نباتا حسنا.

وإلى كل دعمني وصبر وتحمل كل تقصير بدر مني.

أهدي هذه الدراسة

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
RA	Revue Africain
J A	Journal Asiatique

مقدمة

شكل الاستشراق الأوروبي حلقة هامة من حلقات الاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب،إذ اهتم المستشرقون بدراسة الحضارات الشرقية بغية التعرف على تراثها الإنساني،وقاموا بالبحث في ذلك التراث، وتحقيقه، وشرحه، وترجمته، وتأويل نصوصه، ثم عملوا على نشر وطبع هذه الأبحاث وفق ما يتناسب وأهدافهم وتوجهاتهم الإيديولوجية.

وقد ركز الاستشراق بشكل أساسي على دراسة الإسلام، وما اتصل به من جوانب حضارية لاسيما بعد الحروب الصليبية، وما صاحبها من آثار خلال القرنين11 و13م، حيث أثرت تداعيات تلك الحروب على مستوى المنهج العام للاستشراق، وعلى المضمون والاهتمامات بل حتى على المستشرقين وأساليبهم.

واستفاد الاستشراق أيضًا من الحركة الاستعمارية الأوروبية الحديثة التي هيمنت بمختلف الأساليب والوسائل على إفريقيا وآسيا وغيرها من المناطق، والاستشراق الفرنسي باعتباره جزءا من الاستشراق الغربي كانت له خصوصيته المميزة، لاسيما في ارتباطه بالمصالح السياسية والإيديولوجية الواضحة، وبروحه الصليبية المتعصبة، ووصايته الحضارية،وهيمنته الثقافية، بل إنه سخر أصلاً لخدمة الأغراض الاستعمارية.

وقد رافق الحملة الفرنسية على الجزائر سنة1830م أعدادًا من المستشرقين بمختلف تخصصاتهم، مثلوا الطلائع الأولى للاستشراق بالجزائر، حيث بادروا بالبحث والتقصي بعد تيقن الإدارة الاستعمارية أن فرض هيمنتها على الجزائر ومستعمراتها الاخرى مرهون بدراسة مجتمعاتها وفهم طبيعة شعوبها الواقعة تحت حكمها فهما جيدا، وأن ذلك لا يتأتى إلا بدراسة إنتاجها الحضاري والتاريخي، وبتفكيك قيمها ونظمها الاجتماعية والثقافية، وكذا بالتأثير على تراثها الفكري والعقائدي.

ويكتسي موضوع "**الاستشراق الفرنسي وعلاقته بالاستعمار في الجزائر**" أهمية مطلقة في أنه يكشف العلاقة الوطيدة بين الاستشراق والاستعمار عموما والفرنسي خصوصا، وفي

تأكيد تكريس الاستعمار للدراسات الاستشراقية لإرساء دعائمه، وكشف علاقة التنصير بالاستعمار والاستشراق ودور الاستشراق والاستعمار في تعبيد الطريق أمام المنصرين ثم تحليل الدراسات الاستشراقية الأنثروبولوجية بإيضاح أهميتها وخفاياها وكشف حقيقتها.

وعليه جاء اختيارنا لدراسة هذا الموضوع بغية استكمال البحث الذي أنجزناه في مرحلة الماجستير عن الامتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية وأثارها في المشرق والمغرب، وذلك بالتركيز على دور الاستشراق الفرنسي كرافد استفاد من تلك الامتيازات في تكريس الهيمنة الاستعمارية بالمنطقة، ودعم التوجه الاستعماري بها من جهة أخرى.

والواقع أن الاستشراق بحر منفرد بذاته يستحق الغوص في أغواره لنكتشف نظرة الآخر "**الخصم**"لحضارتنا، ثقافتنا وعاداتنا ومبادئنا، كما أن هذا الموضوع متجدد ومتشعب ولا تزال بعض الجوانب فيه محل جدل ونقاش وبالتالي تحتاج إلى الاهتمام والبحث في ظل نقص الدراسات الوافية للعلاقة بين الاستشراق والاستعمار باستثناء بعض المقالات التي ضمتها مختلف المجلات العلمية والأكاديمية.

وعليه تسعى دراستنا إلى البحث في مختلف الجوانب المرتبطة بعلاقة الاستشراق والاستعمار الفرنسي بالجزائر في الفترة الممتدة ما بين سنوات1830و1900م من خلال التركيز على نماذج تكشف تكريس الاستشراق لخدمة الأغراض الاستعمارية ومدى العناية والاهتمام التي حظي بها المستشرقون في كنف الاستعمار من جهة وفضح مغالطاتهم،وكشف الحقائق الزائفة المروج لها من لدن المستشرقين عن الجزائر دينيا وتاريخيا.

وقد حدد الإطار الزماني للدراسة من سنة1830م التي تمثل بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى غاية سنة1900م التي عرفت الاستقلال المالي للجزائر، وانفراد اللوبي الكولونيالي بمقاليد السلطة نسبيا. وحاولنا الإلمام بالدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر في كنف

الحكم العسكري الممتد حتى سنة1870م ثم في ظل الحكم المدني الذي دعم نشاط المستشرقين الأكاديميين، كما أجرينا مقارنة بين هذه الدراسات.

ويمكن تحديد الإشكالية العامة للموضوع في دراسة العلاقة بين الاستشراق الفرنسي والاستعمار بالجزائر، ورصد محددات تلك العلاقة وتأثيراتها المتبادلة، وتقاطعات المجالات المشتركة بينهما، ومدى انعكاس ذلك على الواقع الاجتماعي الجزائري.

ولبحث هذه الإشكالية قسمنا الدراسة منهجيا إلى بابين في كل باب ثلاثة فصول أعقبتها بمجموعة من الملاحق التوضيحية ذات العلاقة المباشرة بالموضوع. عنون الباب الأول "**الاستشراق والاستعمار: المفهوم والتوصيف والتطور**"، فحرصنا على الالمام بكل من الاستشراق والاستعمار كون لا تزال الدراسات حولهما مادة خام بحاجة للدراسة والتحليل، حيث تطرقنا في الفصل الأول منه لكل من الاستشراق والاستعمار كمفهوم جملة وتفصيلا من حيث تعريفهما ونشأتهما وتطورهما مع تسليط الضوء على نظرة كل من المستعمر والمستعمر لهما. أما الفصل الثاني فعنون "**المدارس والاتجاهات في تصنيف الاستشراق والاستعمار**" متناولين أهدافهما وخصائصهما. وخصص الفصل الثالث لتسليط الضوء على الوسائل المستخدمة من طرف كل من المستشرقون والمستعمرون للمساهمة في تكريس وجودهما وتثبيت عقائدهما.

أما الباب الثاني فعنوانه " **الاستشراق الفرنسي وعلاقته بالاستعمار في الجزائر**"، وانتقلنا فيه من المفهوم العام إلى الإسقاط الخاص، ونعتبره الجزء الأهم في دراستنا؛ لأنه يركز على الدراسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر، ويدرس علاقتها بالاستعمار والتنصير. إذ عنونا الفصل الأول "**اهتمامات الاستشراق الفرنسي بالجزائر**"، وذلك على مختلف المستويات والميادين الدينية والأدبية والتاريخية وحتى الفنية، مع تسليط الضوء على الأهداف الاستعمارية من هذه الدراسات، ومدى التشجيع والدعم المقدم للمستشرقين. أما الفصل الثاني فعنون "**أهم المستشرقين الفرنسيين وإسهاماتهم**" حاولنا فيه التعريف ببعض تلك الشخصيات

العسكرية والأكاديمية، وحتى الآباء المنصرين، سواءً كانوا متطرفين مغرضين أو معتدلين موضوعيين،باستنطاق أعمالهم وإحصائها، ثم تقديم نظرة نقدية عنهم مع الابتعاد قدر الإمكان عن الأحكام الذاتية والارتجالية غير المؤسسة على سند علمي. وفي الفصل الأخير" **وظيفية العلاقة بين الاستشراق الفرنسي والاستعمار بالجزائر**" حاولنا دراسة تأثيرات الارتباط الوثيق بين الأطراف الثلاثة(الاستشراق والاستعمار والتنصير)، تلك العلاقة التي اعترف بها منظروهم ومفكروهم بل وساستهم أيضا، مما يعني حتمًا وجود التكامل والتعاون التام بينهم بدافع المصلحة الوطنية الفرنسية أولاً، كما تم التطرق إلى العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار والانثروبولوجيا باعتبارها لا تنفصل عن المخططات العامة للرؤية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر.

وفيما يتعلق بالمادة التاريخية المعتمد عليها في إعداد هذه الأطروحة، فقد سعينا لجمع أكبر قدر ممكن منها، وخاصة ذات الصلة الوثيقة والمباشرة بالموضوع، والتي يأتي على رأسها كتابات المستشرقين الفرنسيين أنفسهم، وعلى رأسهم مثلاً الجنرال دوماس (Dumas.E)، الذي أنجز مجموعة معتبرة من الكتب الهامة عن الجزائر، وقام بدراسة معمقة عن الإسلام فيها،وشملت كتاباته مختلف ربوع الوطن من قبائل وعرب وحتى منطقة الصحراء منها،نذكر منها: **la Kabylie,و la grande Kabylie** ومع الجنرال(Fabar) وكتابه الهام بعنوان: **Mœurs et coutumes de l'Algérie, tell, Kabylie, Sahara** لاعتبارات وأهداف استعمارية، إلا أننا نجد كتاباته يغلب عليه طابع العنصرية والإذلال للجزائريين العرب ومدح وتبجيل للقبائل واستهتار بالدين الإسلامي بصفة خاصة.

وكذلك المصدر الهام للجنرال بليسييه دو رينو(**E.Pellissier de Reynaud**) والمعنون تحت اسم **Annales Algériennes** في ثلاثة أجزاء، والذي سجل فيها أهم الأحداث التي شهدتها الجزائر ما بين سنوات1848و1854م، ويعد الكتاب مصدرا هاما للتأريخ للفترة المذكورة، وتميز إلى

حد ما بالنزاهة والموضوعية وكشف الحقيقة في عدة مواقع، والتي لم تكن في صالح بلاده،ككشف المغالطات وحالات الغش التي تعرض لها الجزائريون.

ونجد كذلك تقارير المغامرين والجغرافيين الذين جابوا أرجاء الجزائر خلال النصف الثاني من القرن19م، إضافة إلى الاعتماد على أعداد معتبرة من المجلة الإفريقية والمجلة الأسيوية، والتي كتب فيهما مستشرقون بارزون وفي مختلف المجالات؛ كبيير بروجر وشاربونو وشارل فيرو ولويس رين وغيرهم.

وحاولنا جاهدين تنويع المراجع بهدف تفادي الاقتصار على المراجع الجزائرية أو العربية فقط،ونذكر منها خصوصًا: كتاب "**الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر**" للأستاذ الطيب بن إبراهيم، الذي يعتبر مرجعا هاما في دراسة الاستشراق الفرنسي بالجزائر في مختلف مراحله، وفي علاقته الوثيقة بالتنصير والاستعمار، وكتاب أميرة قاسم أبو هاشم بعنوان "**الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية**"، أين ألمت الباحثة في التطرق للاستشراق الفرنسي لاسيما في أهدافها وتطوره، فالكتاب أنار طريقي أثناء البحث سواء من حيث الاستفادة من المادة العلمية التي يحتويها أو من حيث إرشادي إلى مجموعة من المصادر والمراجع.

كما استندنا إلى مراجع أجنبية(مترجمة أو غير مترجمة) تفاديا للنظرة الذاتية وسعيا في نفس الوقت لنقد الكتابات المغرضة التي كان يغلب على بعضها التجريح أو التشويه، منها كتاب "رجل الاستشراق" لدانيال ريغ وغيره.

كما تطلب الأمر منا تتبع الإصدارات الجديدة عن الموضوع، فحالفنا الحظ في إيجاد كم معتبر من أطروحات الدكتوراه والماجستير وحتى الملتقيات الوطنية والدولية، فمن الأطروحات التي راجعناها نذكر:أطروحة الدكتوراه في الفنون الشعبية لقجال نادية الموسومة" **الفنون الشعبية في لوحات الرسام ناصر الدين دينيه**"(سنة**2011**م)، وألمت

الباحثة تقريبا بكل ما يخص ناصر الدين دينييه بحياته وأهم لوحاته عن الجزائر معتمدة على مصادر قيمة.

وأطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر لشاعو كمال بعنوان" **أثر فن الاستشراق في تكريس الفكر الاستعماري الفرنسي بالجزائر ما بين1830-1930م**(سنة2012م) تطرق فيها الباحث لأهم المحطات في الفن الاستشراقي الفرنسي بالجزائر، وأهم الرسامين الذين جابوا أرجاء الجزائر، ودرس أهم أعمالهم دراسة تحليلية، ودورها في تثبيت الاستعمار واستمراره.

أما عن الملتقيات فأهمها الملتقى الدولي بعنوان:" **محمد بن شنب والاستشراق**" المنظم بولاية المدية من07 إلى 10 ديسمبر2014م، غطى الملتقى جزءًا هامًا عن الاستشراق الفرنسي بالجزائر خاصة والبلاد الإسلامية عامة لاسيما أنه أعطى مكانة في ثناياه للدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية بالجزائر، والتي لم تحظ في رأينا بعد بالقدر المطلوب من الاهتمام.

ولا يقل الملتقى الوطني الموسوم ب"**التنصير في الجزائر سياقه التاريخي وأبعاده وأساليب مواجهته الحضارية**"**بالمدرسة العليا للأساتذة ماي2016**، أهمية عن سابقه إذ تضمن مقالات قيمة عن التنصر الفرنسي في الجزائر وطرق مجابهته وعلاقته بالإدارة الاستعمارية.

هذا وتعج مجموعة من المجلات بالمقالات ذات الصلة بالموضوع أهمها **مجلة الاستشراق ومجلة الدراسات الاستشراقية ومجلة الاجتهاد**، والتي انتقينا منها بعض المقالات منها ذات العلاقة بالموضوع.

والواقع أن الحيز هنا لا يكفي لعرض المادة التاريخية المعتمدة لتشكيل القواعد الأساسية لهذه الدراسة، ولا يسمح كذلك بإعطائها مجالا كافيا لنقدها وتقيمها بشكل مستفيض، كون هذا

يتطلب في حقيقة الأمر دراسة قائمة بذاتها، إلا أني حاولت أن استدراك الأمر في ثنايا الفصول والمباحث، وذلك باعتبارها ستكون العمود الفقري لتحليل المضمون.

وبالنسبة للرؤية المنهجية المعتمدة، ونظرًا لتعدد الجوانب التي سنتطرق إليها في الموضوع،حاولنا التوفيق بين عدة مناهج تتكامل مع بعضها، فمن المؤكد أن تغليب منهج الوصف والسرد على التحليل والنقد يكرس للرواية والوصف فقط، وفي نفس الوقت اختيار مصادر ومراجع وتهميش، وتجاهل أخرى يتعارض مع الحياد والموضوعية، ويوقع صاحبه في الذاتية والأحكام المسبقة، ومن هنا يبقى الحرص الشديد على تفادي الأفكار المسبقة والذاتية والانحياز لاتجاه معين يشكل تحديا دائما وصعبا بالنسبة لكل طالب باحث يسعى إلى التجرد من الذاتية والموضوعية، فالأمر يتطلب التدقيق في المصادر والمراجع، وعدم الانحياز لمؤلفات وتوجهات معينة، والتأني في إطلاق الأحكام قبل جمع الدلائل الوافية.

لقد اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي والنقدي ومنهج تحليل المضمون في هذه الدراسة،لأنها الأنسب في دراسة تراث المستشرقين عسكريين أو رحالة أو أكاديميين، وفي تتبع منحنيات تبادل الأدوار مع الحكام والساسة الفرنسيين. كما أن تقاطعات عدة مجالات بحثية من علم الاجتماع والآثار والسياسة والاقتصاد وغيرها جعل الإحاطة بكل التفاصيل مهمة عسيرة،وأوجد تعقيدات على مستوى الحفاظ على الإطار العام للموضوع.

ويبقى موضوع الاستشراق الفرنسي بالجزائر وعلاقته بالاستعمار موضوعا واسعا بل بحر يحتاج دقة الغوص فيه، والى المثابرة والجدية والصبر في العمل، ويحتاج إلى مصادر ووثائق متنوعة بحكم تشعبه لنتمكن من المقارنة بينها، وفي الأخير فقد وهبت لإنجاز هذه الأطروحة ما أمكنني من جهد وعطاء على أمل أن تلقى تأثيرا طيبا في نفس قارئها سواء كان أكاديميا متخصصا أو هاويا، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والله ولي التوفيق.

الباب الأول

الاستشراق والاستعمار: دراسة في المفهوم والتوصيف والتطور

الفصل الأول : الاستشراق والاستعمار دراسة اصطلاحية

الفصل الثاني : المدارس والاتجاهات في تصنيف الاستشراق والاستعمار

الفصل الثالث : أبرز وسائل الاستشراق والاستعمار

أولا ــ مفهوم الاستشراق:

يعد مصطلح الاستشراق من المصطلحات التي اختلف الباحثون والمختصون في تعريفها.

1ــ مصطلح الاستشراق: يختلف مفهوم الاستشراق بين التعريف اللغوي والاصطلاحي.

- **التعريف اللغوي:**

لكل لفظ دلالته من ذاته أو من السياق الموجود فيه فلفظ الاستشراق من استشرق على وزن استفعال[1]، وهو مشتق من كلمة شرق فيقال شرقت الشمس شرقا إذ طلعت، وأشرقت أي جهة شروق الشمس،[1] ثم أضيف إليها3 حروف هي الألف والسين والتاء أي طلب الشرق،ومعناه طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه هذا في اللغة العربية أما في اللغات الأوروبية فهناك تعريف آخر لا يقصد بالشرق المقترن بمعنى الشرق والضياء والنور والهداية[1].

إن محاولة فهم الأصل اللغوي لهذا المصطلح العلمي المستخدم في الأوساط العلمية لا يتطلب البحث في أصله، إذ في اللغة الانجليزية ونكتفي عند التعرض إليه بأنه مترجم لكلمة(ORENTALISM)وعند ذكره نكتفي بأنه مترجم لكلمة(ORIENTALISME) في اللغة الانجليزية والمشتقة من كلمة(ORIENT) إلى الشرق، وتعني دراسة ثقافة الشرق أما في دائرة المعرفة الشعبية الأمريكية فكلمةORIENT هي المنطقة المتضمنة بلدان آسيا حصرا وهي مشتقة من كلمةORIENT اللاتينية التي تعني(SUN RSIN)طلوع الشمس، وشاعت الكلمة خلال العهد الإمبراطورية الرومانية فكانت تعني مناطق شرق وجنوب شرق البحر المتوسط

---

[1] عبد الحليم ريوقي: **ماهية الاستشراق (النشأة،المناهج والأهداف،الأصناف والوسائل)**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2،ديسمبر 2011، ص 6.

[1]جابر قميحة: **أعداء الإسلام ووسائل التضليل** ، ط1، دار **التوزيع والنشر الإسلامية**،مصر،2001، ص512.

[1] السيد محمد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، **مجلة الاجتهاد**، العدد 22،السنة 6،1994م،لبنان،ص 196.

كافة[1]،علما أنه في العصور القديمة كان البحر المتوسط يقع في وسط العالم وتحدد باقي الاتجاهات والمواقع على أساسه وبالنسبة إليه، ومع انتقال مركز العالم إلى الشمال بقي مصطلح الشرق برغم ذلك على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط،فلفظة الشرق اتسعت في أعقاب الفتوحات الإسلامية في نطاق مدلولها فالمسلمون انطلقوا في فتوحاتهم إلى جميع الاتجاهات، فزحفوا نحو مصر وشمال إفريقيا وبهذا اعتبرت هذه المناطق ضمن الشرق[2]،وبنفس المعنى في اللغة الفرنسية و**ORIENTLISTIK** في اللغة الألمانية مستندين إلى أن الكلمة هوORIENT التي تعني الشرق[3].

إن التأمل في معنى كلمة" **الشرق**"التي ترجمت إليها كلمةORIENT مقابلة لكلمة الغرب (**OCCIDENT**) نجد أن هذه الكلمات في اللغة العربية ذات دلالة جغرافية وفلكية، ففي الجغرافيا تعني ما يقع في جهة الشرق من المتحدث، والفلكية تعني ما يقع في الأراضي التي تشرق منها الشمس[4]، إذا كان أصل المصطلح أوروبيا فلابد الإشارة إلى دراسة علوم البلاد الواقعة شرق أوروبا جغرافيا أو فلكيا أو هما معا فهل تقع البلاد التي تتناولها الدراسات الشرقية في أوروبا بالفعل في الجهة الشرقية من أوروبا[5].

ومن المؤكد أن الدراسات الاستشراقية أو ما يسمى بالعلوم الشرقية في أوروبا تتناول تاريخ وثقافة المنطقة الواقعة بجنوب شرق أوروبا، وعليه لا تنطبق عليها صفة الشرق من حيث المفهوم الجغرافي الذي يعبر عنه في اللغات الرئيسية الثلاث بكلمة **East** في الانجليزية و**Est**

---

[1] أميرة قاسم أبو هاشم: **الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية**، ط1،دار الجندي للنشر والتوزيع،القدس، 2016،ص ص19،20

[2] أحمد سمايلوفتش: **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، دط ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص ص22 ،23.

[3] الشاهد، المرجع السابق، ص196.

[4] سمايلوفتش، المرجع السابق،ص23.

[5] الشاهد، المرجع السابق، ص196.

بالألمانية ويجمع معنى هذه الكلمة في لغاتها كلا من المعنى الجغرافي والفلكي كما هو معروف[1].

وإذا بحثنا عن دلالة أخرى لمصطلح الشرق في الدلالات الجغرافية والفلكية لهذه الكلمة فنجد في اللغة الألمانية مثلا يشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة آخري تتميز بطابع معنوي وهو(**Morgemland**) ومعناه بلاد الصباح مكان شروق الشمس،وتدل هذه الكلمة من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة وفي المقابل نجد في نفس اللغة كلمة(**Abendland**) أي بلاد المساء لتدل على الظلام وهذه الكلمات الألمانية هي الترجمة الحرفية لكلمةOrient الشرق وكلمة**occident** أي الغرب اللاتينيين[2].

إن البحث عن المدلول اللغوي الأصلي لكلمةOrient في اللغات الأوروبية الثلاث المستمدة من الأصل اللاتيني نجد معناه في اللغة اللاتينيةOrient ومعناها حرفيا يتعلم أو يبحث عن شيء ما وبالفرنسيةOrienter تعني وجه أو هدى أو أرشد وبالانجليزيةorientation أوoriente وتعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب أو توجيه الفكر نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي، أما في اللغة الألمانية**orientieren sich** تعني يجمع معلومات(معرفة) عن شيء ما[3].

تشترك كل الترجمات لكلمةOrient(أي الشرق) في اللغات الأوروبية في أن معناه يتمحور حول طلب العلم والمعرفة والتوجيه، فاستخدام كلمة بهذه الدلالة اسما لعلوم تبحث في منطقة

---

[1] Cahier Jussieu: **le mal voire(ethnologie et orientalisme, politique et épistémologie , critique et autocritique)**, N2, université de Paris7,1974, pp 244,245.

[2] الشاهد، المرجع السابق، ص ص196، 197.

[3] المرجع نفسه.

معينة تعني اعترافا بأن العلم(المعرفة والإرشاد) كان يطلب من هذه المنطقة إذا بالشرق يعني في المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة وليست الشمس بمعناها الحسي المعروف[1].

ويفسر هذا الفهم اختيار المستشرقة زيجريد هونكه هذه العبارة كعنوان لأهم مؤلفاتها" **شمس الله تشرق على الغرب**" وليس"**شمس العرب تسطع على الغرب**" الواردة في الترجمة الخاطئة لهذا العنوان عن قصد أو غير قصد علما أن العديد من النخبة المثقفة تردد هذه الترجمة الخاطئة دون التحقق من صحتها والذي يتطلب دراية وتمكن باللغة الألمانية فمحتوى الكتاب مبني على المعرفة الإسلامية(الإسلام وعلماؤه وعلومه) وليس المعرفة العربية وآداب لغة العرب وربط الشمس(بمعنى العلم والمعرفة) بلفظ جلالة يعني بالضرورة العلوم الإسلامية وكونها تشرق دليل أنها مصدر المعرفة للغرب[2].

وبناء على هذا فان كلمة الشرق هنا مدلولها معنوي لا مادي وارتباط الشرق والشروق بالعلم لم تخترعه زيجريد هونكه فضلا عن كاتب هذه السطور بل نجده في مصطلحاتنا العلمية القديمة متمثلا فيما عرف عند المتصوفة بالأشراف[3].

- **التعريف الاصطلاحي(المفهوم العلمي)**

إن إعطاء تعريف دقيق ووافي للاستشراق هو ضرب من المحال وكل تعريف نقدمه لا يكون شاملا كاملا وبناء على هذا تعددت التعريفات العلمية للاستشراق والمستشرقين في الكتب المتخصصة تبعا للهدف الذي وجه أصحابه وتبعا لثقافة وتكوين أصحابها فاختلفت بين علماء الغرب والشرق ومن هذه التعريفات والمعاني للاستشراق:

---

[1] Cahier Jussieu ,op, cite, p245.

[2] محمد الشاهد، المرجع السابق، ص ص197 ،198.

[3] المرجع نفسه.

ـ عند علماء الغرب :

الاستشراق أو الدراسات الاستشراقية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني دراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة[1].

وأكد الباحث جويدي أن الاستشراق لا يختص بدراسة لغات الشرق ولهجاته وتقلبات تاريخه،والمستشرق لا تقتصر دراسته على معرفة لغات شعوب الشرق ووصف عاداته بل إنه مبني على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والشرقي وجمع بين الانقطاع إلى درس أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوى الروحية والأدبية الكبيرة والمؤثرة على الثقافة الإنسانية...وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح[2]، وأكد المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون أن مصلح الاستشراق ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع المعرفة لدراسة الشرق[3].

-عند علماء الشرق:

أما علماء العرب والشرق فقد تعددت مفاهيمهم للاستشراق والمستشرقين واختلفت وأهمها:

الاستشراق معرفة ينتجها غير الشرقي عن الشرق و يقدمه محمد البهي من منطلق" **أعرف عدوك**" كونه بحوث ودراسات في قضايا التراث الإسلامي في العقيدة والفقه والفلسفة والاجتماع،قام بها لاهوتيون مكلفين من الكنيسة أو من وزارات الخارجية للدول الغربية[4].

---

[1] عدنان محمد وزان: **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، مطبعة العالم الإسلامي**، دط ، مكة المكرمة، د ت ، ص15.

[2] سمايلوفتيش، المرجع السابق، ص24.

[3] إدريس بن زكريا، عبد الرحمن بن محمود: أساليب الاستشراق وغاياته من دراسة الفكر الإسلامي من وجهة نظر محمد البهي ومحمد ياسين عربي ويوسف علي عبد الله، مجلة **بحوث إسلامية متقدمة**، العدد1، 2011، ص135.

[4] محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، ص30.

أما الباحث أحمد الزيات يقصد بالاستشراق دراسة علماء الغرب لتاريخ الشرق بشعبه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته علما أنه قصد به في العصور الوسطى دراسة اللغة العبرية لارتباطها بالدين ودراسة اللغة العربية لعلاقتها بالعلم حيث كان الشرق من أدناه إلى أقصاه يشع بمختلف العلوم وأضواء المدنية وعاش الغرب من بحره إلى محيطه في عصور من الجهل والظلام والبربرية والجموح"[1].

في حين يرى الدكتور حسين الهراوي أن الاستشراق مهنة، شأنه شأن الطب والهندسة والمحاماة وأنه أقرب إلى مهنة التبشير، ويقف نفس الموقف الباحث حسن الميداني موقف الخصومة من المستشرقين عندما يرى أنهم يقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير وللدوائر الاستعمارية خدمة للأهداف الاستعمارية[2].

لقد عنى الاستشراق بدراسة الحضارات الأسيوية والتعرف على النصوص الأساسية في هذه الحضارات وتحقيقها وشرحها وتأويلها كما كان معنيا لنشر هذا التقليد البحثي ونقله من جيل إلى جيل عبر سلسلة ثابتة من الأساتذة والطلبة، مركزا أساسا على الإسلام وقد أصبحت الدراسات الإسلامية فرعا أساسيا منه، ومن هنا درس الاستشراق الإسلام وحضارات أخرى بأفكار ومبادئ أوروبية عن الله والإنسان والطبيعة والمجتمع والعلم التاريخ ووجد بصورة متسقة أن الثقافات والحضارات غير الغربية متخلفة وأدنى من الثقافة والحضارة الأوروبيتين[3].

---

[1] أحمد حسن الزيات: **تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا**، دط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ت،ص513.

[2] خرشي، المرجع السابق، ص ص20 ،21.

[3] ضياء الدين ساردار: **الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية**، تر: فخري صالح، ط 1،هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2012، ص26.

وحكم الباحث عدنان وزان على الاستشراق والدراسات الاستشراقية ببعده عن العلم والموضوعية، مؤكدا أنه كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد وجمهرة المستشرقين، مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه،فمعظم المستشرقين يعتنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله فالمستشرقون إما رجال دين يهود أو نصارى مهمته تحريف الكلم عن مواضعه أو من رجال الاستعمار والملحدين الذين يهتمون بزعزعة الاستقرار والسلام والطمأنينة وإثارة القلاقل لإحكام سيطرتهم فيسومون الناس العذاب[1].

ويوافق الباحث إدوارد سعيد الباحث وزان في سلبية الاستشراق والدراسات الاستشراقية على الإسلام والعالم الإسلامي بل يجزم الأول بكونه(الاستشراق) رمز للهيمنة السياسية والحضارية للغرب لاسيما أن بداية علم الاستشراق ظهرت وازدهرت في فترة الضعف السياسي والحضاري للشرق[2].

في حين أن عدة باحثين آخرين يؤكدون أن الاستشراق تقليد وليس علم وبمعنى أدق الاستشراق يقوم على مجموعة تقاليد رافقت فترات الاستكشافات العلمية والجغرافية وقيام المستعمرات وهذه التقاليد عززت الطابع العنصري والعداء الديني للأقوام[3].

والاستشراق بالمعنى العام هو معرفة الشرق وشعوبه وعاداته وتقاليده وأديانه ولغاته وتراثه وتاريخه وبناء على هذا ارتبط واختلط مع تخصصات وبحوث أخرى كاللاهوت وعلم الآثار والحفريات و الفيلولوجيا والفلسفة والفنون، الأمر الذي يستوقف النظر في كون الاستشراق ظاهرة فكرية أو أنه علم كبقية العلوم الإنسانية والاجتماعية[4].

---

[1] وزان، المرجع السابق، ص ص19 ،20.

[2] ساجدة عمر فوزي: حول طبيعة الاستشراق، مجلة المؤرخ العربي، العدد14، السنة 1980، ص357.

[3] المرجع نفسه.

[4] خرشي، المرجع السابق، ص21.

ويدلي الباحث الجزائري الطيب بن إبراهيم موقفه من الاستشراق ويؤكد أنه حركة فكرية ثقافية تستخدم للدلالة على ثلاث أشياء:

- ✓ الكتابات البحثية في مختلف أنواع العلوم والمعرفة التي أنتجها المتخصصون لدراسة الشرق وكل من كانت لهم صلة به من دبلوماسيين وعسكريين ورحالة وموظفين.
- ✓ نزعة فن الرسم الأوروبي المستلهمة من الشرق واتخاذه موضوعا فنيا رائعا وثريا لأعمالهم.
- ✓ اتخاذ الشرق موضوعا لمؤلفاتهم الأدبية أو الهجرة إلى الشرق على الورق والذي نجده عند الأديب والشاعر الألماني غوته في ديوانه المشهور" **الديوان الشرقي للمؤلف الغربي**" والمترجم إلى العربية من طرف الباحث عبد الرحمن بدوي[1].

- **تعريف المستشرق:**

المستشرق جمع مستشرقون وهو كل كاتب أو عالم غير شرقي اهتم بدراسة الشرق وتراثه وشعوبه وحضاراته، وغير الشرقي تطلق على الغربي الأوروبي والأمريكي الموجود في الضفة الغربية المقابلة للشرق ولا تطلق على الشرقي الدارس للشرق كدراسة الصيني للهند أو الياباني للجزيرة العربية،فالشرقي لا يكون مستشرقا كما أن الغربي لا يكون مستغربا،هذا في حالة تحديد المستشرق على أساس مقياس الهوية الجغرافية[2]، في حين نجد الباحث إسحاق موسى الحسيني يفضل استعمال"**علماء المشرقيات**" بدلا من المستشرقين حيث أن لفظة مستشرق قد شاعت في الأوساط العلمية شيوعا كبيرا ولا بأس من استعمالها[3].

---

[1] الطيب بن إبراهيم: **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه(خاصة في الجزائر)**، د ط، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر، 2009، ص48.

[2] المرجع نفسه، ص26.

[3] سمايلوفتش، المرجع السابق، ص29

ويعرف أحمد الاسكندري وأحمد أمين المستشرق كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية وتقصي آدابها طلبا لمعرفة شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها، أو علومها و آدابها أو غير ذلك من مقومات الأمم[1].

إلا أن هناك بعض الباحثين لا يأخذون هذا المقياس بل يتخذون مقياس الهوية الدينية فكل من درس الإسلام وكتب عن حضارته وثقافته وهو غير المسلم سواء كان شرقيا أو غربيا يعد مستشرقا وان كان الكاتب مسلما سواء شرقيا أو غربيا فلا يعد مستشرقا[2].

يحدد قاموس أكسفورد الجديد المستشرق بأنه"**من تبحر في لغات الشرق وآدابه**" وبالنسبة للغربي الشرق عالم غامض سلبي حزين في مقابل غربي عقلاني منفتح متحضر إذ ليس لفظ الشرق تحديدا جغرافيا فحسب بل أنه ذو أبعاد ثقافية وحضارية عميقة[3].

ورد أول استخدام لكلمة مستشرق سنة1630م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفي سنة1691م وصف الباحث أنتوني وود صموئيل كلارك بأنه "استشراقي نابه" بمعنى أنه عرف بعض اللغات الشرقية وبيرون في تعليقاته على**childe harold's pilgrimage** يتحدث عن المستر ثورنتون ومعارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق[4].

وإذا كان المستشرقون هم الذين تعاملوا مع الشرق عالميا وثقافيا فإن المعاملة الثقافية مع الشرق قديمة وليست حديثة وإنما الحديث فيها هو الإصلاح اللغوي والقاموسي للفظ استشراق ومستشرق ومدلولهما فأول ما ظهر مفهوم مستشرق**orientaliste** كان في أوروبا ليطلق كوصف ثقافي وعلمي حديث مختصين أوربيين في ثقافة الشرق ولغاته وتراثه

---

[1] نقلا عن خرشي، المرجع السابق، ص27.

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص26 ،27 .

[3] خرشي، المرجع السابق، ص20.

[4] بوسليم صالح: حركة الاستشراق المفهوم والنشأة،الدوافع والأهداف، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد11، مارس 2016،ص229.

وحضاراته وأول ما ظهر كان بانجلترا قبل غيرهما سنة1799م ثم بعد ذلك ظهر المصطلح في فرنسا سنة1799م ليعم فيما بعد بقية الدول الأوروبية[1].

- **الاستشراق الجديد:**

بدأ التغيير على مفهوم الاستشراق منذ أوساط القرن20م، إذ شهد دخول باحثين من حقول معرفية أخرى كالمختصين في العلوم الاجتماعية وهي علوم الاقتصاد وعلم الاجتماع والعلوم السياسية وحتى المختصين في الأدب والفنون الذين اشتغلوا بدراسة المجتمعات والثقافات الإسلامية[2].

وإذا ارتبط الاستشراق الأكاديمي في القرن19م بتوسع القوى الاستعمارية الأوروبية في مختلف الأراضي الإسلامية، فإن الاستشراق الجديد ارتبط بشدة بظهور قوة جديدة على الساحة الدولية هي الولايات المتحدة الأمريكية، والتي أخذت تركز مؤسساتها وأبحاثها على الشرق الأوسط وتزامن كذلك مع ظهور دراسات المناطق ونموها السريع في العالم الأكاديمي،وتورطها بشكل عميق في الهيمنة على الشرق الأوسط[3].

وبرز الاستشراق الجديد بوضوح بعد سلسلة الهجمات على سفارات الولايات المتحدة الأمريكية وجيشها في إفريقيا والشرق الأوسط، إذ وصلت ذروتها في هجمات 11سبتمبر2001م على برجي التجارة العالمي والبنتاغون، والتي اتهم فيه متشددون إسلاميون فطبيعي أن تهديد الإرهاب الذي ارتكبته جماعات إسلامية جذرية أصبح يخيم

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص29.

[2] عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي: **حول الاستشراق الجديد. مقدمات أولية**، ،ط1 ،مجلة البيان،الرياض ، 1435هـ، ص42.

[3] زكاري لوكمان: **تاريخ الاستشراق وسياساته.الصراع على تفسير الشرق الأوسط**، ط1، دار الشروق،مصر،2007،ص 190.

بشكل متزايد على صناع السياسة والباحثين ومن ثم ظلت مسألة كيف نفهم"**الإرهاب الإسلامي**" والإرهاب عموما وكيف نرد عليه موضوعا لجدل شديد ومرير أحيانا[1].

وبفعل هذه التأثيرات السياسة والأحداث نمت الكتابات على الإسلام باللغات الغربية نموا هائلا،وازدادت معها المقاربات السلبية للعرب والإسلام وتزايد الطرح الاستشراقي التقليدي الانثربولوجي الجديد وتجددت ثلاث أمور أساسية أولها استخدام السياسيين والخبراء لنتائج الاستشراق الجديد ومقارباته وثانيها شيوع الأفكار الاستشراقية المتطرفة عن الإسلام بالتركيز على فكر وأصول بن لادن في وسائل الإعلام وأخيرا تبني الإدارة الأمريكية بعض النخب الأوروبية لهذه الأفكار المتطرفة[2].

2ـ بداية الاستشراق:

أرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق إلى القرون الميلادية الأولى[3]بل قبل ذلك حيث نجد الاهتمام بالعرب عند المؤرخين القدامى فقد تحدث المؤرخ **هيرودوت**(القرن5ق م) في كتابه"**تاريخ النبات**"عن خيرات بلاد العرب وطيباتها، وكذلك الجغرافي اليوناني **سترابون** في مطلع القرن الأول للميلاد والمؤرخ الروماني جليني(القرن2م) وضع لوائح بأسماء القبائل والمدن والقرى الموجودة في شبه الجزيرة العربية[4].

ومما لاشك فيه أن انتشار الإسلام في المشرق والمغرب العربي لفت أنظار رجال اللاهوت المسيحيين إلى هذا الدين الجديد ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته ومن بين المسيحيين

---

[1] الوهيبي، المرجع السابق، ص63.

[2] رضوان السيد: **الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية**، ط1، دار الكتاب العربي،لبنان،2004،ص ص41 ،42.

[3] فاروق عمر فوزي: **الاستشراق والتاريخ الإسلامي**، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ط 1، ص30.

[4] عبد القهار دواود عبد الله العاني: **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع،الأردن،2001،ص 7.

الأوائل المنكبين على دراسة الإسلام لا من أجل اعتناقه وإنما لأجل حماية إخوانهم في الدين منه العالم المسيحي **يوحنا الدمشقي**[1]، غير أننا لا نعد هذه المحاولة ومثيلاتها بداية للاستشراق فيوحنا الدمشقي رجل شرقي عاش في ظل الخلافة الأموية وخدم في قصرها ولذلك نصرف النظر عن هذه المحاولات ونركز على العلماء الغربيين[2].

في حين أن العديد من الباحثين يرجع بداية الاستشراق إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس[3] فما إن ظهر الإسلام وثبت حضارته فيها خاف الغرب على أهله من رؤية واستيعاب نور الإسلام على صفته وربانيته فعمدوا إلى عزل أهلهم عنه[4] كما أن الرغبة في معرفة العلوم التي ازدهرت عند المسلمين دعت الأوروبيين للانتهال منها والاستفادة من حقائقها وتجاربها،فنجد جرير سنة999م قصد الأندلس أيام ازدهارها الحضاري وتلقى العلوم والمعارف في مدارسها وأن طلابا من الرهبان وغيرهم قصدوا قرطبة وأخذوا المعارف من علمائها ومدارسها واقتبسوا من علومها وساعد فريدريك الثاني وألفونس ملك قشتالة على نشر علوم العرب وشجع الترجمة،فازدهرت حركة الترجمة لاسيما في كتب الفلسفة والطب والفلك والسياسة[5].

ويرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق إلى اصطدام المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة وغزة تبوك ورأى طرف آخر أن البداية الحقيقية للاستشراق بدأت مع الحروب الصليبية

---

[1] 676 م-742م ومن مؤلفاته كتاب" **ينبوع المعرفة**" و"محاور مع مسلم" وكتاب" إرشادات النصارى في جدل المسلمين"،ويعده الباحثين الغربيين المؤسس الجدي والرائد الأول للحوار المسيحي الإسلامي، فقد دخل في حوار مباشر مع أشهر العلماء المسلمين مثل حسن البصري ومالك بن أنس.(أنظر علي بن محمد عودة الغامدي: **يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام**"، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2010، ص ص16 ،17.

[2] محمود حمدي زقزوق: **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د ط ، دار المعارف،مصر، 1997 ، ص19.

[3] النعيمي، المرجع السابق، ص17.

[4] عبد العالي العاني، المرجع السابق، ص9.

[5] محمد عبد الله الشرقاوي: **الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي**، د ط، دار الهداية،القاهرة، د ت، ص7.

حيث بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والصليبية الغربية الغازية حيث استفحل العداء بينهما أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي إثر الهزائم المتكررة التي ألحقوها بالصليبين ما دفعهم للسعي للانتقام بكل الوسائل والطرق[1].

ويؤكد الباحثين قولهم هذا بما أورده المؤرخ المعروف"**ابن الأثير**" في كتابه"**الكامل**" ومفاده أن"**بطريك بيت المقدس خرج مع كثير من مشهوري الصليبيين وفرسانهم حين فتح صلاح الدين بيت المقدس ولبسوا السواد وأظهروا الحزن على ذهاب بيت المقدس من أيديهم ودخلوا بلاد الإفرنج يستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم على الأخذ بالثأر ثأر بيت المقدس وصوروا المسيح وجعلوا صورة رجل عربي أمامه والعربي يضرب المسيح وقد جعلوا الدماء تسيل على صورة المسيح وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله**"[2].

ويذهب في نفس الاتجاه المستشرق الألماني المعاصر رودي بارت مترجم القرآن الكريم إلى الألمانية إذ يرجع بداية الدراسات العربية والإسلامية في الغرب إلى القرن12م ففي سنة1143م تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجه الراهب بطرس المحترم[3]

---

[1] السامرائي، المرجع السابق، ص20.

[2] الشرقاوي، المرجع السابق، ص8.

[3] **Pierre Le Venerable** راهب فرنسي(1094ـ 1156م) زار اسبانيا حين كان رئيسا لدير كلوني للاطلاع على أحوال رعيته وللاستفادة من العلوم العربية في الأندلس وخلال زيارته علم بالمجادلات القائمة بين المسلمين والمسيحيين فتولدت لديه قناعة بأن الرد على هرطقة محمد(حسب قوله وزعمه) لن تتم إلا بالحجة الدامغة القائمة على المنطق والمعرفة العميقة بالدين الإسلامي،ومن أهم مؤلفاته كتاب ضد اليهود وكتابان ضد الإسلام طبعت في لايبسيج سنة 1896م(أنظر يوسف جيرا: **تاريخ دراسات اللغة العربية بأوروبا**، دط، مؤسسة هنداوي، الإمارات، 2017، ص8).

رئيس دير كلوني وكان ذلك على أرض اسبانية[1] وفي نفس القرن ظهر أول قاموس عربي لاتيني[2].

ويؤيد هذا الموقف الباحث عدنان وزان ويستدل على ذلك بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية سنة1143م وفي هذا تأكيد لأن بداية القرن13م ونهاية القرن12م كانت البداية المنتظمة لظهور الدراسات الاستشراقية فالحروب الصليبية أهم الأسباب التي أدت إلى توجيه الاهتمام نحو الدراسات الاستشراقية فدعوة الكنيسة إلى رجال الفكر من النصارى للاهتمام بالشرق الإسلامي ودراسته ومعرفة أحوال المسلمين للعمل على حربهم بكل الوسائل وهي الأساس الأول الذي قامت عليه الحرب العقائدية والفكرية والسياسية وما أعقب ذلك من استعمار وغزو واحتلال عسكري وفكري[3].

وذهب بعض الباحثين إلى تزامن بداية الاستشراق مع بداية الصراع والحرب الدموية بين المسلمين والمسحيين والنصارى في الأندلس بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة 1065م[4].

والجدير بالذكر أنه صعب على الباحثين التحديد الدقيق لبداية الاتصال بين فرنسا والعالم العربي الإسلامي، غير أنها اتفقت كلمة بعض الدارسين على أن هذه الصلات تعود إلى تاريخ وصول جيوش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي[5] إلى جنوب فرنسا في جبال البرانس إذ تصدى شارل مارتل الجيوش التي حشدها في وقعة بواتييه(بلاط

---

[1] الشرقاوي، المرجع السابق، ص6.

[2] زقزوق، المرجع السابق، ص18.

[3] وزان، المرجع السابق، ص28.

[4] عمر فوزي، المرجع السابق، ص30

[5] عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكي اليمني،عرف بورعه وشجاعته،أشهر ولاة الأندلس وكان حاكما قديرا بارعا في شؤون الحكم والإدارة ومصلحا كبيرا،قاد معركة بلاط الشهداء ضد ملك فرنسا شارل مارتل واستشهد فيها.(أنظر محمد علي قطب: **عبد الرحمن الغافقي شهيد بلاط الشهداء**، المكتب الإسلامي، لبنان،1981، ط1، ص- ص 9-13).

الشهداء)[1]،وكانت هذه الحرب بداية التعرف الفرنسي على العرب المسلمين[2]، واستطاع المسلمون بعدها استرداد مواقعهم والإقامة في مقاطعة البروفانس والأورال وسان ترويز الفرنسية[3]، ففي رأينا طول إقامة العرب في الأراضي الفرنسية سمح للفرنسيين التعرف على العرب وحضارتهم والتواصل معهم والتأثر بهم.

كان النموذج الشرقي العربي يتجسد داخل فرنسا بواسطة الفتوحات الجزئية التي لم تتوقف بعد موقعة بلاط الشهداء وفي هذا الصدد يؤكد جوستاف لوبون:" **إن العرب أخذوا يستردون مراكزهم السابقة وقد أقاموا بفرنسا بعد ذلك وقد سلم حاكم مرسيليا مقاطعة بروفانس إليهم سنة737م واستولوا على الاورال ودخلوا مقاطعة سان ترونير سنة889م ودامت إقامتهم في مقاطعة البروفانس حتى نهاية القرن10م وأوغلوا في مقاطعة الغالة وسويسرا سنة935م وروى بعض المؤرخين أنهم بلغوا مدينة نيس...ولم يكن شارل مارتل قد استطاع أن يطرد العرب من أية مدينة احتلوها عسكريا بل أنه اضطر إلى التقهقر أمامهم تاركا لهم ما استولوا عليه من البلدان وكانت النتيجة المهمة الوحيدة التي أسفر عنها انتصاره هي أنه جعل العرب أقل جرأة على غزو شمال إفريقيا**"[4].

جاءت الحروب الصليبية الممتدة ما بين1096 و1254م وما تخللها من معارك واتفاقات وحرب وسلم حالة تفاعل عنيفة بين العرب المسلمين وبين المجموعات البشرية الوافدة من

---

[1] معركة وقعت في10أكتوبر732م بين القوات الإسلامية بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الفرنجة بقيادة شارل مارتل،انتهت بانهزام المسلمين واستشهاد قائدهم وأوقفت هذه المعركة التوغل والفتوحات الإسلامية في قلب أوروبا(أنظر عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي**، ط1،عالم الكتب للنشر والتوزيع،مصر،1996، ص ص5،6).

[2] أحمد نصري:**أراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دراسة نقدية**، ط1،دار القلم للطباعة والنشر،الرباط،2009،ص18.

[3] غوستاف لوبون: **حضارة العرب**، تر:عادل زعيتر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر،2013،د ط،ص ص327، 328.

[4] نقلا عن درويش، المصدر السابق، ص9.

أوروبا فأوجدت حاجة ملحة وضرورية للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لإيديولوجية الخصوم المسلمين[1].

ازداد اهتمام فرنسا بالشرق العربي أكثر مع هذه الحروب، ودون أن ننسى أو نتغافل دور فرنسا الفعال في شن هذه الحملات والحروب على البلاد الإسلامية وتحمسها الشديد لها والدليل على هذا عقد أول مؤتمر للصليبين بمدينة كليرمون(Clément) في نوفمبر1095م والذي أكد فيه بابا ايطاليا أروبانس الثاني على دور فرنسا البطولي وعلى كفاءتها وقدرتها الفعالة في تخليص بيت المقدس من المسلمين وحماية الحجاج المسيحيين من غارة المسلمين عليهم، ويفسر هذا الأمر بخاطبه إلى الشعب الفرنسي في المؤتمر قائلا:" **أيتها الطائفة الفرنساوية العزيزة لدى الله إن كنيسة المسيحيين قد وضعت رجالها مسندا على شجاعتكم فأنا الذي أعرف جيدا تقواكم وكفاءتكم بالشجاعة والغيرة**".

ابتغى البابا من خطابه ومدحه للشعب الفرنسي صاحب الدور البارز في وقف الزحف الإسلامي على أوروبا هو تنبيهه إلى المسؤولية العظمى الملقاة على عاتقه والمتجسدة في الهروع لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين وما كان على فرنسا إلا الاستجابة لهذا النداء والواجب واسترخصت في سبيله كل غال ونفيس وقد أشاد المؤرخ الفرنسي جروسيه بالدور الريادي لفرنسا في جميع الحروب الصليبية حتى عد حملة لويس التاسع[2] حملة

---

[1] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص51.

[2] Saint Louis (1214-1270)، ابن الملك لويس الثامن وبلانكا من قشتالة، قاد الحملة الصليبية السابعة على بيت المقدس إلا أنه هزم وأستقر بمدينة المنصورة المصرية سنة1250 ثم أفتدي واستقر ببلاد الشام لمدة أربع سنوات وعاد بعدها إلى فرنسا لتنظيم مملكته وتوطيد أركان سلطته كما نظم البرلمان.. (للمزيد أنظر

le Colon el ch. Maumeme et le comte Louis d'Harcourt : **iconographie des roi de France**, premier partie, de Louis IX- Louis XIII, librairie Armand Colin, Paris ,1928, pp 17-22.

فرنسية خالصة،حيث قال" **إن حملة الملك القديس لويس اصطبغت بصبغة فرنسية خالصة وهي الصبغة التي تميز هذه الحملة عن سائر الحملات الصليبية السابقة**"[1].

دب الفتور في أوصال الحركة الصليبية بانتهاء حملة لويس التاسع وخابت مساعيهم في احتلال بيت المقدس ومصر، الأمر الذي زاد من حدة الخسارة اعتقال قائد الحملة لويس التاسع بمدينة المنصورة بمصر[2].

حينها اقتنعت أوروبا عامة وفرنسا خاصة بضرورة إيجاد بديل عن الحرب والقوة، بديل أشد نفعا قادرة من وجهة النظر الأوروبية على تحطيم أسباب القوة والمنعة لدى العرب المسلمين إذ أن المواجهة العسكرية أثبتت فشلها مع المسلمين، وعليه استلزمت المعرفة المتعمقة بالعرب والإسلام وحضارتهم ودينهم وتاريخهم ولغتهم فتعالت الدعوات لذلك ،التي توجت بقرار مجمع فيينا الكنسي بين سنوات1311م و1318م القاضي بتأسيس كراسي تدرس اللغة العربية في بعض الجامعات الأوروبية ومنها جامعة باريس[3].

فقد تفطن لويس التاسع إلى الموضوع بجدية أثناء تواجده في معتقله بالمنصورة فتوصل تدبره إلى وضع خطة مبدئية للسياسة التي تمكن أوروبا المسيحية من مواجهة الإسلام والمسلمين،[4]وتقوم هذه الخطة على:

- ✓ تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف نفس الغرض، إذ يقوم سلاح الحملات الجديد على الدس بين العرب وإثارة الخلافات والنزاعات بين الأوساط الإسلامية والعمل على إبقاء نارها مستعرة بين المسلمين.

---

[1] نصري، المرجع السابق، ص ص19،20.

[2] lean sir de loinville :**histoire de S.Lovys IX du non Roy de France** ; Sébastien Mabre Gramoisy imprimeur, Paris, LXIII, p97.

[3] قاسم أميرة، المرجع السابق، ص54.

[4]DE loinville ,op,cite, p98.

- ✓ استخدام سلاح التنصير للدخول في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف زحفه ثم القضاء عليه معنويا.
- ✓ العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي تتخذ كمركز لقواته الحربية ودعواته السياسية والدينية ومنها يمكن حصار الإسلام والوثوب عليه متى سمحت الفرصة[1].

مثلت الحملة الفرنسية على مصر سنة1798م بقيادة نابليون بونابرت[2] حلقة هامة من حلقات الاتصال بين الشرق والغرب إذ عدت البداية الحقيقية للاستشراق الفرنسي لما انطوت عليه من أهداف سياسية واقتصادية وعلمية وثقافية حيث أبرز ما تميزت به هو اصطحابها لجيش من المستشرقين العلماء في ميادين العلم المختلفة[3].

عززت الصورة التي رسمها السفراء والقناصل الفرنسيين في القسطنطينية ومصر ومؤلفات الشعراء والأدباء الفرنسيين المتجولين في أرجاء الشرق كمذكرات البارون دي فوت (DEFOT) سنة1784م التي رسمت صورة واضحة عن مصر أشعلت الحماس لرجال السياسة لغزوها واحتلالها، مؤكدا فيها على الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية لمصر

---

[1] نصري، المرجع السابق، ص21.

[2] (1769-1821) قائد عسكري وسياسي ايطالي الأصل، برز اسمه خلال الثورة الفرنسية سنة1789م، حكم فرنسا بصفته قنصلا ثم إمبراطورا، خاض حروبا توسعية عرفت باسمه(الحروب النابليونية) في ايطاليا وألمانيا كما قاد الحملة الفرنسية عل مصر سنة1798م ونتيجة لطموحاته التوسعية تحالفت القوى الأوروبية ضدها وهزمته في معركة واترلو في18جوان1815م ونفي بعدها إلى جزيرة سانت هيلانة حتى وفاته، يعد أحد أهم القادة العسكريين الذين عرفهم التاريخ(للمزيد أنظر:

Bulletin des rois de la République française France

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k4861135.pleinepage.f57.langFR اطلع عليه يوم2019/6/16

[3] قاسم أميرة، المرجع السابق، ص58.

للاستئثار بتجارة المتوسط مع الشرق ثم السيطرة على تجارة الهند[1]، ونجد في نفس المضمار المستشرق سافاري(SAVARY)[2]وكتابات فولني(VOLNEY) [3]

إن ما يلفت النظر في هذه الحملة هو تعداد البعثة العلمية القادمة مع الحملة والتي بلغت175عضوا في مختلف الاختصاصات في ميادين العلم والمعرفة الإنسانية من علماء الرياضيات والفلك والهندسة المدنية وعلماء الطبيعة والاقتصاد والفنون الجميلة والآثار إلى علماء المطابع والمترجمين[4].

أنشأ نابليون بونابرت المجمع العلمي في22أوت1798م وجعل عالم الرياضيات **مونج** (MONJE) رئيسا عليه ونصب نفسه نائبا للرئيس وأسس مطبعة عربية لطبع بياناته إلى الشعب المصري وإنتاج العلماء الباحثين من دراساتهم لطبيعة البلاد وأحوالها وأوضاع أهلها وتاريخها ونظمها وأثارها،[5] كللت أبحاثهم وجهودهم بكتاب"**وصف مصر**" مطبوع في 23مجلدا يبلغ حجم الصفحة الواحدة متر مربع، ويتعرض الكتاب لتاريخ مصر منذ القدم حتى الحملة الفرنسية ووصف تاريخ مصر الطبيعي ودراسة ثرواتها ومحاصيلها النباتية والحيوانية وتقاليدها[6].

---

[1] قاسم أميرة، المرجع السابق، ص ص58، 59.

[2] عرف برسائله المشهورة سنة1786م عن مصر والمتضمنة وصفا شاملا لمصر وشعبها وأرضها.(للمزيد أنظر :

De Breves : **relation des voyages de Breves, trant en Grèce, terre, saincte Egypt , Qvavx, royaumes de Tunis et Alger**, chez Nicolas Gasse au mont fainet Hilaire, Paris.

[3] حول رحلته إلى سوريا ومصر والمتضمنة دراسة لجغرافيها وأوضاعها السياسية والاقتصادية والفوضى والاضطرابات التي تعيشها. (للمزيد أنظر :

M.C.F.Volney : **voyage en Syrie et en gypt pendant les années 1783,1784et1785**, T1, Volland libraire quai des Augustins, Paris.

[4] ساسي، المرجع السابق،ص97.

[5] la décade égyptienne journal littéraire et d'économie politique au général Bonaparte., au général Bonapért,V1, Kaire de l'imprimerie national France .

[6] قاسم أميرة، المرجع السابق، ص ص59،60.

مثلت الحملة الفرنسية على مصر مجالا حيويا ومهما للاتصال المباشر والمنظم مع الشرق فتم الكشف المباشر بالمعاينة عن أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية إذ انطوت دراساتهم على قدر كبير من المعلومات[1] كما أن أهم إنتاجاتها هو ظهور العديد من العلماء والباحثين المتخصصين في الدراسات الاستشراقية إذ كان من نتائج أعمالهم ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة الاستشراق العلمية، حيث ظهر مصطلح الاستشراق في مفردات الفكر الفرنسي لدراسة الحضارة العربية الإسلامية سنة1799[2].

ومن العوامل المؤدية إلى توطيد الصلات بين الشرق الإسلامي وفرنسا النشاط التجاري وتبادل السفراء وتوالي الرحلات الفرنسية واحتلال الشمال الإفريقي، كلها ساعدت على الامتزاج الثقافي بين فرنسا والشرق الإسلامي ومن تزاوج حضاري وتبادل التأثير والتأثر[3].

3ـ تطوره:

مر الاستشراق بثلاث مراحل، كل مرحلة لها مميزاتها ودوافعها وأعلامها.

- **المرحلة المبكرة:**

بدأت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام بقيام العرب المسلمين بترجمة الآداب والفلسفة اليونانية والرومانية والهندية والفارسية ومناقشتها والرد عليها، فقد مثلت العلوم الكنسية مجالا خصبا للترجمة والنقد والمناقشة، في الوقت الذي عجزت فيه كنيسة روما على ترجمة أثارها اليونانية والرومانية لاسيما في العصور الوسطي حيث أطبق الجهل على شعوب أوروبا،وبناء على هذا وفد على بلاد المسلمين خاصة بغداد العديد من كتاب الكنيسة للانتهال

---

[1] Le général de Division Berthier :**relation des campagnes du général Bonaparte en Egypte et en Syrie**, de l'imprimerie de Didot l'Aine, Paris, p38.

[2] قاسم أميرة، المرجع السابق، ص60.

[3] نصري، المرجع السابق، ص ص21 ،22

من العلوم الإسلامية والوصول إلى المؤلفات اليونانية ومجادلة العرب عليها ثم ترجمتها إلى لغاتهم وخاصة اللغة اللاتينية لغة الكنيسة لاعتمادها في نشر أفكارها، ويمكن اعتبار رحلاتهم هذه موجة استشراقية أولى فقد تعلموا خلالها اللغة العربية ونقل علومها إلى شعوبهم[1].

إن الدراسات الاستشراقية لأوضاع وأحوال الجزيرة العربية سبقت عصر الصليبيين فقد عثر على كتاب لمؤلف مجهول اسمه" **الطواف حول البحر الإريتري**" والذي يعود إلى نهاية القرن الأول للميلاد، وظهرت معلومات مفصلة عن الخليج العربي عن فلافيوس آريان اليوناني في مؤلفاته حول حملات الأسكندر في الخليج العربي، كما أن المؤرخ **سترابو** المرافق **لحملة ليوس** سنة25م بغرض السيطرة على اليمن وطرق تجارتها وتحدث في مؤلفاته على مدن العرب وقبائلهم ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية[2].

أما بوادر الاتصال بين فرنسا والشرق الإسلامي فبدأت في مدار الأندلس وصقلية إذ مثلت الأندلس قبلة لطلاب من الفاتيكان والبلاد الأوروبية عامة وعبرها تسربت العلوم والمعرفة الجديدة إلى الغرب[3]، ومن المؤكد أن الاقتراب بين النموذج الشرقي العربي وسكان فرنسا جعل سكانها يعجبون بالنموذج الحضاري العربي ويفضلونه على نموج جيرانهم[4].

لم تذكر المصادر التاريخية عن أي توجه استشراقي إلا في القرن10م مع **جربرت دي أورلياك**[5]، إذ يقول فيه عبد الرحمن بدوي:"**البابا الوحيد الذي تعلم العربية وأتقن العلوم لدى**

---

[1] سعدون الساموك: **الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية**،ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 13.

[2] المرجع نفسه.

[3] نصري، المرجع السابق، ص23.

[4] درويش، المصدر السابق، ص9

[5] **Jerbert De Oraliac**ولد سنة938م في أورلياك بإقليم الأفرون،نشأ في دير سان جيرو من الرهبنة البندكتية، قصد الأندلس وأخذ من أساتذتها في مدارس ريبول وأشبيلية وقرطبة، فأصبح واسع المعرفة بالعربية والرياضيات والفلك وهو

العرب وعلى أيديهم في الأندلس فدرس الهندسة والفلك وأدخل الأرقام العربية والساعة ذات الميزان إلى فرنسا" فهو من الشخصيات البارزة والمهمة الوافدة إلى الأندلس طلبا للعلم،إذ شهدت الفترة الممتدة من نشأة الدولة العربية الإسلامية في الأندلس سنة711م حتى سقوطها سنة1492م، وفود طلاب العلم الأوربيين ومنهم الفرنسيين للانتهال من منابع العلم والمدارس في الأندلس في الطب والرياضيات والفلك والفلسفة[1].

وأدى سلفستر الثاني دورا بارزا في إنشاء مدارس بفرنسا، فتأسست خلال القرن12م مدرسة **ريمس**(Reimes) ومدرسة **شارتر**(Charters) والتي بلغت ذروة عطائها في عهد برنار سنة1117م وأخيه بتوريك سنة1140م وسيطر ثلاثة من خريجيها على ميدان الفلسفة في أوروبا الغربية وهم وليم الكوشي وجلبر دي لابوره وجان السالزبوري إضافة إلى مدرسة الطب في مونبلييه سنة1220م[2].

إن الإعجاب الحضاري بالنموذج العربي والإحساس بقيمته دفع الفرنسيين بعد الحروب والمواجهة العسكرية إلى الاحتكاك بهم والاعتكاف على منجزاتهم الحضارية والانتهال منها،وقد تجلى ذلك في فترات مبكرة من القرن11م فمع سقوط طليطلة سنة1085م في يد الملك الاسباني ألفونس السادس سارع علماء فرنسا واسبانيا برئاسة مطران المدينة الفرنسي ريمون على العكوف على كنوز المخطوطات العربية في المدينة لدراستها وترجمتها إذ حولت هذه المخطوطات طليطلة إلى قبلة للدارسين من أوروبا وفرنسا خاصة محاولين ترجمتها إلى اللغة اللاتينية[3].

أول بابا فرنسي باسم سلفستر الثاني(999م-100م) ومن أهم مؤلفاته رسائل والخطب ومؤلفات جربير في الرياضيات.(للمزيد أنظر: العقيقي،ج1، المرجع السابق، ص120).

[1] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص ص49 ــ50.

[2] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص151.

[3] درويش، المصدر السابق، ص ص9،10.

تجسد أول مجهود استشراقي للفرنسيين مع الإسلام في أول ترجمة للقرآن الكريم اضطلع بها بطرس المحترم أو الناسك، لذا قرر العمل على ترجمة القرآن الكريم مستعينا بمدرسة المترجمين في طليطلة أين قبل الراهبين الانكليزي روبرت كينيت(Kennet Robert) والألماني هيرمان الدالماتي(De Dalmatie Hermane)العمل مقابل مبلغ مالي معتبر مشركين معهم عربي مسلم اسمه محمد لا يعرف لقبه ولا كنيته ومهمته مراجعة الترجمة وأنجزت الترجمة سنة1143م وبقيت معتمدة حتى نهاية القرن17م[1].

كما ألف بطرس الناسك كتابا في الرد على الإسلام سنة1143م وكلف بطرس من بواتييه بمراجعة نسخة الترجمة للقرآن الكريم أين قام هذه الأخير بتأليف أربع كتب خصص أحدهم للبحث في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والطعن فيهما والثالث يتناول خلو حياة النبي محمد من المعجزات وأخر سامر فيه في الطعن في الرسول والقرآن[2].

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم وحده لم يكن محط اهتمام بل ترجمت العديد من النصوص والكتب ذات الصلة بالإسلام فترجمت نصوص من كتاب مسائل عبد الله بن سلام يتضمن إحداها حوارا بين الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض الأحبار اليهود والتي أدت إلى إسلام ابن إسلام وآخر عن حياة الرسول عليه السلام(مولده وطفولته) والثالث موجز لتاريخ الإسلام حتى الحسين بن علي،كما كلف بطرس التولوني(Peter of Toulon) بترجمة مخطوط في علم الكلام وساعده في مهمته أمين سره الخاص بطرس البكتافينسي[3].

استغل الفرنسيون فترة الحروب الصليبية للسعي نحو المخطوطات العربية والانتهال منها فنفذوا إلى معقلها وديارها في الشرق وجلبوا منها الكثير بل كانت هذه المخطوطات هدفا

---

[1] بدوي، المرجع السابق، ص110.

[2] المرجع نفسه، ص111.

[3] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص50. للمزيد حول مساعي بطرس الناسك الاستشراقية راجع يوهان فوك، المرجع السابق،ص ص17،18.

مقصودا لبعض غاراتهم[1] وبلغت المخطوطات المترجمة إلى لغاتهم حسبهم منذ القرن12 المئات،فأحصى ليكليرك300 مترجم حتى القرن13م منها تسعون في الطب وتسعون في الفيزياء والطبيعة وسبعون في الرياضة والفلك وكلها فروع تتصل بفلسفة العلم التجريبي وتدل على مدى استفادة العقلية الأوروبية من العلوم العربية[2].

لقد حققت فرنسا منها فوائد معتبرة حيث ساهمت العلوم والفنون الإسلامية في النهضة الفرنسية بالاقتباس من عادات العرب وتقاليدهم في المأكل والملبس وبناء البيوت وفي هذا الصدد يقول العقيقي:"**وكان هيلاري(أسقف بواتييه(ت1367م) كان قد نفي إلى لبنان مدة طويلة فأقتبس بعض الترانيم التي نقلها إلى اللاتينية وأخذ الرهبان في الحملات الصليبية عن النصارى الشرقيين عبادة العذراء وصلاة السبحة**"[3].

لقد ألف العديد منهم كتابات عن الشرق وأحواله محتوية مشاهداتهم وملاحظاتهم ووضع بعضهم كتب عن الحملات الصليبية فألف وليم الصوري الفرنسي(1130- 1190م) في الحملات الصليبية الأولى تاريخا بعنوان" **حوادث ما وراء البحار**"سنة1184م ما زال مرجعا يعود إليه الباحثون فقد خصص جزاء منه للحضارة الإسلامية مبرزا إعجابه بها وأرخ السير دو جوان فيل(De Join Ville) سيرة الملك الفرنسي لويس التاسع في حملته الصليبية سنة1309م وأطنب في ذكر صلاح الدين بحكم علاقته بملك فرنسا ومشاركته له في الحملة على مصر[4].

---

[1] درويش، المصدر السابق، ص10.

[2] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص51.

[3] المرجع نفسه.

[4] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص53.

- **مرحلة التنصير:**

اقتنعت أوروبا عامة وفرنسا خاصة بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها، وعجزت عن النيل من الإسلام بقوة السلاح بدأت التفكير في بديل أشد نفعا قادرا على تحطيم أسباب القوة والمنعة لدى المسلمين، وعليه استلزمت المعرفة المتعمقة بالعرب والإسلام، حضارتهم دينهم وتاريخهم ولغتهم، فتعالت الدعوات لذلك والتي توجت بقرار مجمع فيينا الكنسي (1311م-1318م) القاضي بتأسيس كراسي تدرس اللغة العربية في بعض الجامعات الأوروبية ومنها جامعة باريس[1].

استغل المنصرون فترة تواجدهم في البلاد العربية لتطوير إمكاناتهم اللغوية بالانكباب على دراسة اللغة العربية واللهجات المحلية واهتموا بالتراث العربي فبرز العديد منهم في المجال الاستشراقي،ومن أبرز المنصرين المستشرقين الانجليزي **همفري بريدو**[2] **وسيمون أوكلي**[43]،الذين عملوا على نقل ما درسوه في الشرق من أخلاق العرب والعوامل الاجتماعية المكونة لبنيته وأوضاعه الاقتصادية والمؤثرات السياسية والثقافية، وكل ما يسهل التغلغل الاستعماري فيها، وبمعنى أدق كان استشراق المنصرين عاملا أساسيا لدراسة الأوضاع التي يحتاجها الاستعمار عن البلاد العربية .وفي المقابل أحضروا أخلاق الغرب وحضارتهم فأدوا

---

[1] عمايرة، المرجع السابق، ص ص،31،32.

[2] Prideaux(1648-1724) وكان كاهن في نورويج ببريطانيا سنة1681م، من أهم مؤلفاته كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وابن ميمون متنا عبريا والعهدان القديم والجديد وصلتهما بتاريخ اليهود(للمزيد انظر العقيقي، ج2، المرجع السابق،ص ص470 ،471).

[3] Ockley(1678-1720)مستشرق انجليزي، خريج جامعة كمبريدج ألف كتاب تاريخ العربي بجزأين قسيس سوانسي بكمبرج في انجلترا عام 1720م، وله كذلك مقدمات للغات الشرقية وتاريخ اليهود المعاصر (للمزيد أنظر العقيقي، ج2، المرجع السابق،ص ص 469 ،470)

[4] الساموك، المرجع السابق، ص ص13، 14.

دورا بارزا في تغلغل الثقافية الغربية وانتشارها، ويمكن تلخيص دورهم في ثلاث أمور أساسية:

- ✓ أن دراساتهم كونت صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين في أوروبا مستمدة أفكارها من مصادر من سابقيهم إلى هذا المجال الذين برز دورهم أثناء وبعد الحروب الصليبية.
- ✓ إن تلك الدراسات كونت شكلا منهجيا وإطارا فكريا عدها جميعهم مسلمات وحقائق برغم من عدة دراسات توصلت إلى أفكار ومبادئ مناقضة لهم.
- ✓ صبغ الاستشراق بالحقد الديني الدفين عن الإسلام والأمة الإسلامية على الرغم من مبادئه القائمة على التجرد و الموضوعية والعلمية[1].

أحدث فتح القسطنطينية انعكاسا واضحا على أوروبا عامة وفرنسا خاصة فأمام اقتناعهم بالقوة العثمانية وهيمنها على البحر المتوسط، اتجهت دبلوماسيتهم في زمن **فرنسوا الأول**[2] إلى محاولة التقرب وكسب ود الباب العالي لمواجهة الخطر النمساوي بقيادة شارل الخامس،حيث توج التقارب بين الدولتين بعد معاهدة الامتيازات سنة1535م[3].

انفتحت مدن اسطنبول وبيروت وصيدا والقدس والقاهرة أمام جحافل التجار والحجاج والمنصرين والإرساليات والبعثات الدبلوماسية والعلمية[4] وبناء على توطيد الطرفين أواصر

---

[1] الساموك، المرجع السابق، ص20.

[2] [2]اعتلى عرش فرنسا سنة1515م ،حكمها بيد من حديد والسلطة المطلقة فاجتمعت بيده السلطات والصلاحيات فله الحق وحده في إعلان الحرب وعقد معاهدات السلم، عقد اتفاقية الامتيازات مع السلطان العثمانية سليمان القانوني سنة1535م. (للمزيد أنظر:

V Daline V Zagladine .S Pavilova Skazkine :**histoire de la France des origines à 1789**,édition du progrès ,moxou,1978,p239

[3]أميرة قاسم، المرجع السابق، ص54.

[4] زينات بيطار: **الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي**، د ط ، عالم المعرفة، الكويت، 1922، ص35.

الصداقة شجع الإمبراطور فرنسوا الأول التعرف على الدولة العثمانية، وتوج باستحداث كرسي الدراسات العربية في الكوليج دي فرانس(collège de France)سنة1539م كما أنشأ الملك كرسين للعبرية اليونانية، ستصبح هذه الكلية في ما بعد كلية فرنسا الأولى درست فيها اللغات الشرقية وكانت نقطة انطلاق للاستشراق الفرنسي بأوسع أشكاله[1] وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي روبير منتران:"**عرف فرنسوا الأول كيف يتفهم ضرورة الاطلاع على العالم التركي وفوائد التعرف عليه وعلى العالم العربي الإسلامي بشكل أعم وفي ضوء هذا عقد معاهدة مع السلطان سليمان القانوني تم تشجيع التعرف على العالم التركي باستحداث أمرين في غاية الأهمية هما إنشاء الكلية الملكية أولا وإنشاء المكتبة الوطنية ثانيا**"[2].

وفي نفس الوقت توج التقارب العثماني الفرنسي بفتح سفارة فرنسا في القسطنطينية وقامة العديد من القنصليات في مدن الدولة العثمانية، الأمر الذي استدعى تعلم اللغة العثمانية والعربية وأدى إنشاء مدرسة شباب اللغة في القسطنطينية في دير الكبوشيين وأصبح الشباب الفرنسيين يتلقون الثقافة العربية فيه بعد تلقي تعليم أولي في كلية لويس الكبير في باريس،أين لعبت هذه المدرسة دورا بارزا في إعداد سواعد المستشرقين فعملت على ظهور أوائل المستشرقين[3].

كما مثل تأسيس المكتبة الوطنية الفرنسية سنة1654م حدث بارز في الدراسات الاستشراقية إذ أهتم الممثلون الدبلوماسيون بالمخطوطات الشرقية ونقلها بأساليب قانونية وغير قانونية،فحصلت على أنفس وأغنى وأندر مجاميع المخطوطات الشرقية[4]، ويكفى القول أن

---

[1] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص55.

[2] نصري، المرجع السابق، ص24.

[3] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص55.

[4] المرجع نفسه.

مكتبة باريس الوطنية وحدها احتوت سنة1654م على ستة ملايين من الكتب والمخطوطات منها نحو سبعة ألاف عربي[1].

حظيت الدراسات العربية في فرنسا منذ القرن16م باهتمام بالغ وملحوظ ودور كبير في تنشيط حركة الاستشراق الفرنسي والتي أسهمت بشكل معتبر في اتضاح المعرفة الفرنسية ببلدان وشعوب الشرق من عادات ولغات وآداب، التي بلغت أوجها بقيام المستشرق المشهور سلفستر دي ساسي على مناشدة حكومة الثورة الفرنسية على تأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية والذي حظي بالموافقة سنة1795م[2]، درست بها اللغة العربية الفصحى والعامية ولغات شرقية أخرى وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد درويش:" **ويكفى أن نعلم أنه عندما بدأ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية في القرن18م كانت العربية هي أولى اللغات التي درست بها سنة1795م مع التركية والفارسية**"[3].

- **مرحلة الاستعمار:**

خدم المستشرقون وبعدة طرق قديمهم وحديثهم أغراض الاستعمار وأهدافه، فهناك عدة دراسات عن الواقع العربي خلال العصر الصليبي إذ شهدت حملات شديدة على الإسلام والتراث العربي برمته وهناك دراسات اجتماعية وسياسية وإستراتيجية صاحبت الحملات البرتغالية إلى الخليج العربي والبحر الأحمر ومع الانتعاش الاقتصادي الأوروبي والقوة السياسية والعسكرية أخذ ملوكها في إرسال العلماء إلى الأقطار العربية لدراسة أوضاعها وتراثها وتعلم اللغة العربية إضافة إلى مطالبة رجال الدين المسيحيين بفتح مراكز لتعليم اللغة

[1] نصري، المرجع السابق، ص25.

[2] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص46.

[3] نقلا عن درويش، المصدر السابق، ص12.

العربية في الجامعات الأوروبية، علما أن الكنيسة كرست جهودها لخدمة الأغراض الاستعمارية بإرسال بعثاتها لدراسة الأوضاع في المشرق والمغرب العربي[1].

ومن هنا كان الاستشراق يجسد مجموعة اهتمامات الغرب بالشرق دينيا وثقافيا، بضائع وموارد وسوق عمالة"**سوق قطاع غيار**" للغرب وإرساء فكرة جعل العالم الشرقي والإسلامي معملا للفكر الغربي والبحث العلمي[2].

أدت البعثات الدبلوماسية دورا استشراقيا بارزا أيضا فالعديد من القناصل عملوا في الحقل الاستشراقي وكتبوا عن العرب وأحوالهم فقد كتب بوكون[3] والقنصل"**كاتافاكو**"[4] إضافة إلى العديد من علماء الآثار قد عملوا في الأراضي العربية وعينوا بمناصب دبلوماسية فكشف " **لوفتوس**"[5]عن موقع نينوى وعثر على بقايا قصر آشور[6].

ومن العوامل المؤدية إلى توطيد الصلات بين الشرق الإسلامي وفرنسا النشاط التجاري وتبادل السفراء وتوالي الرحلات الفرنسية واحتلال الشمال الإفريقي وحملة نابليون على مصر والتي حددت العلاقة الجديدة بين الشرق والغرب إضافة إلى النفوذ الفرنسي في سوريا ولبنان وفي هذا الصدد يقول محمد حسين:" **إن الحافز الأساسي لتكوين الإمبراطورية الاستعمارية الثانية هو في اعتقادنا حافز أدبي لرد اعتبار فرنسا فغزو الجزائر سنة1830م كان رد فعلهم لفقد جزء من مستعمرات فرنسا فيما وراء البحار ثم لهزيمة نابليون سنة1815م وغزو تونس سنة1881م كان رد فعل لهزيمة نابليون الثالث سنة1870م**

---

[1] درويش، المصدر السابق، ص12.

[2] الفيومي، المرجع السابق، ص19.

[3] قنصل فرنسا في القدس والأستانة وبوني الذي كتب عن المدينة الإسلامية وعينته الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى

[4] قنصل فرنسا في دمشق والذي فصل باللغة الفرنسية تعاليم الطائفة النصرانية.

[5] والذي انتخب فيما بعد عضوا في مجلس العموم البريطاني ثم وكيلا لوزارة الخارجية(للمزيد حول هذه الشخصيات أنظر الساموك، المرجع السابق، ص- ص19-21).

[6] المرجع نفسه ، ص21.

ونجد انعكاس هذه الروح في عبارات التفاخر التي كانوا يطلقونها على إمبراطوريتهم فهم تارة يسمونها فرنسا ذات المائة مليون من السكان وتارة فرنسا الممتدة في بقاع العالم الخمس وتارة فرنسا العظمى وكان الرأي العام الفرنسي يقاوم بكل قوة منح الاستقلال للمستعمرات ظنا أنه إذا لم تستمر فرنسا مكانها بين الإمبراطوريات الاستعمارية فسوف تهبط إلى دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة"[1]، مكنت هذه العوامل والمؤثرات مجتمعة أو متفرقة سواء في حالة الحرب أو السلم من امتزاج ثقافي بين فرنسا والشرق الإسلامي ومن تزاوج حضاري وتبادل التأثير والتأثر[2].

وفي نفس الوقت ازداد البحث والاهتمام الفرنسي بالمخطوطات العربية وتصنيفها في القرون التالية إذ شكلت مظهرا ثقافيا مهما خلال القرنين17 و18م، حيث كلف الوزير كولبير[3] بعض المعتمرين إلى الشرق بالبحث عن المخطوطات العربية لتزويدها بمكتبة الملك لويس14م،فكانت تشترى من استانبول التي كانت مكتباتها العامة والخاصة تعج بالمخطوطات العربية المجلوبة من الولايات العربية، كما جمعت من المدن العربية كما حدث في البعثة المرسلة من طرف كولبير إلى المشرق العربي، أين طافت هذه البعثة في المدن العربية ما بين سنتي1671و1675م ثم عادت إلى فرنسا بثروة معتبرة من المخطوطات العربية[4].

---

[1] نقلا عن نصري، المرجع السابق، ص ص21 ،22

[2] المرجع نفسه.

[3] Jean Baptiste Colbert(16119-1683)، ولد في مدينة ريمس، عمل لصالح الملك لويس14بادارة وزارة المالية،خدم بلاده بتطويرها اقتصاديا وتشجيع التجارة وبناء أسطول بحري قوي ومنافس وتشجيع الحركة الاستعمارية والكشوفات الجغرافية.(للمزيد أنظر:

Charles le Brun: **Dictionnaire encyclopédique de l'histoire de France**, Maxi livres, Paris, 2002,pp 94,95.

[4] درويش، المصدر السابق، ص11.

وانطلاقا من هذا الاهتمام أصبحت المكتبات العامة والخاصة في فرنسا في القرن18م تعج بالمخطوطات كمكتبة لويس14 وكولبير ومازران وجالون أين وصل عدد هذه المخطوطات سنة1838م إلى سنة1683م مخطوطة، ووصل الإحساس بأهميتها إلى حد تفكير لويس16م في ترجمة هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية إلا أنه توفي قبل أن يحقق مشروعه[1].

اتجهت فرنسا بعد الثورة الفرنسية بأطماعها الاستعمارية نحو الشرق بعد خسارتها لمستعمراتها لصالح الإنكليز، الأمر الذي استدعى تشجيع الدراسات الاستشراقية وخلق أجيال جديدة من المستشرقين المتعمقين باللغات والأحوال العربية والإسلامية، فأنشأت مدرسة اللغات الحية سنة1795م بباريس(Ecole nationale des langues orientales vivantes) للعمل على إعداد هذه السواعد والملمين بلغات الأمم الشرقية والشعوب المستهدفة العربية والعبرية والسريانية والتركية اقتداء بالمدرسة التي أنشأتها الإمبراطورة ماريا تريزا[2]، كما ظهرت العديد من كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الفرنسية كافة كالسوربون وليون وبواتييه[3].

يعتبر الباحث روبير منتران:" **العقد الأخير من القرن18م الانطلاقة الحقيقية للدراسات الاستشراقية بفرنسا ويبدوا الاهتمام بالمؤلفات الشرقية واضحا في المصنف الشهير"وصف مصر" وهو جهود علماء رافقوا حملة نابليون بونابرت عل مصر ففيه اعتمدت أولى ترجمات المؤرخين العرب إلى اللغة الفرنسية**".

يرجع الباحث أحمد نصري هذه الانطلاقة الحقيقة والواثقة إلى حدثين هامين شهدتهما فرنسا:

الأول: يتمثل في حملة نابليون على مصر سنة1798م.

---

[1] درويش، المصدر السابق، ص11.

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص153.

[3] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص58 .

الثاني: يتمثل في احتلال الجزائر سنة1830م وتونس سنة1881م ثم احتلالها للمغرب الأقصى سنة1912 وبلاد الشام سنة1920م[1].

وليحقق نابليون بونابرت طموحاته التوسعية لفرنسا استعان بالمؤسسة الاستشراقية لإنجاح مشروعه معتبرا إياها أنجح طريقة وأجدرها، محاولا كشف أسرار الشرق وحضاراته العريقة سعيا للنجاح في السيطرة عليه ومن ثم إدخاله ضمن الإستراتيجية الفكرية لإعادة إنتاجه سياسيا واقتصاديا وفنيا، الأمر أثبتته فترة حكم نابليون أين اتسمت جهوده بالجدية في استعمالها واستثمارها واستغلالها في حملته على الشرق على الصعيد العلمي والفني[2].

إن فشل نابليون في البقاء في الشرق قابله نجاحات مهمة في الدراسات الاستشراقية من خلال الأعداد الهائلة من الكتب والمخطوطات المنهوبة من قبل الجيش الفرنسي وحملها إلى فرنسا[3]وشهدت الدراسات الاستشراقية الفرنسية بعدها ركودا مع ظهور المدرسة الاستشراقية الألمانية نتيجة مزاحمتها لها، ولم تنشط إلا مع مجيء المستشرق الفرنسي الكبير سلفستر دي ساسي في القرن19م، إذ استطاع بقدراته العلمية الخارقة أن يعيد الحياة للدراسات الاستشراقية الفرنسية[4].

أثر دي ساسي تأثيرا عميقا علي معاصريه من المستشرقين ومن جاء بعده حتى عهد بلاشير ولا تزال أعماله مرجعا للعديد من المستشرقين والباحثين، الأمر الذي جعل ادوار سعيد يراه الأستاذ النموذجي الذي يحتذي به كل من يتعمق في الدراسات الاستشراقية:" **خلق باحثي المستقبل**"[5].

---

[1] نصري، المرجع السابق، ص26.

[2] Le général de Division Berthier ,op, cite, pp38,39.

[3] البيطار، المرجع السابق، ص49.

[4] نصري، المرجع السابق، ص ص 26ـ 27

[5] المرجع نفسه، ص28.

لم تقف أبحاث ودراسات دي ساسي عند الحدود الفرنسية بل انتشرت واتسعت في مختلف أرجاء أوروبا لاسيما ألمانيا، حيث انتهل من علمه العديدون وانتهل منهم فصح أن يلقب بإمام مستشرقي عصره، وفي نفس الوقت تتلمذ على يده العديدين من المترجمين المرافقين لحملة لنابليون بونابرت على مصر كما أدى دورا بارزا في إعداد المستشرق السويدي هولنبوي والألماني فليشر والمؤرخ الفرنسي شامبليون مكتشف حجر الرشيد وأسرار الحضارة الفرعونية، فيقول أحمد درويش:" **ولا شك أن ظهور شخصية دي ساسي في فرنسا يعد بداية حقيقية لظهور الدراسات العلمية المنظمة في مجال الاستشراق حول الأدب العربي والنزعة الموضوعية الحديثة في الاستشراق مدينة لدي ساسي بشخصيته التي أحبت العربية وتعمقت درسها وبمدرسته التي انتمى إليها عشرات الرواد في مجال الاستشراق من مختلف البلاد الأوروبية وبنزعته التي جعلت الاستشراق يتحرر من المرجعية الدينية**"[1].

يعد تأسيس الجمعية الأسيوية سنة1823م حدثا بارزا ومؤثرا في مسيرة الاستشراق الفرنسية،انبثق عنها المجلة الأسيوية حيث عجت بالبحوث والدراسات العربية والإسلامية ونشر فيها العديد من العلماء والمعنيين في آسيا والشرق الأقصى والشرق الأدنى[2].

وبناء على هذا فتحت فرنسا صفحات في تاريخ الحركة الاستشراقية، وتوسعت دائرته خلال القرن19م لاسيما بعد احتلال الجزائر سنة1830م ثم تونس والمغرب الأقصى أين دفع الأمر إلى ضرورة الاهتمام باللغة العربية والحضارة العربية والدين الإسلامي[3]، إذ يقول روبير منتران:" **بولادة القرن العشرين ظهر تحول في الاستشراق الفرنسي،فقد سمح إنشاء المدرسة العلمية(التطبيقية) للدراسات العليا في باريس بتجديد المواد المتفرعة**

[1] نقلا عن درويش، المصدر السابق، ص12.

[2] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص61.

[3] المرجع نفسه .

والمتخصصة،لاسيما على صعيد الدراسات الاستشراقية فقد كانت الدروس المعطاة في هذه الدروس على شكل مناقشة بحوث موجهة عادة إلى مستمعين متقدمين"[1].

أدى العديد من المستشرقين البارزين دورا هاما في تطوير الاستشراق الفرنسي وجعله مدرسة مستقلة بذاتها خاضعة لقوانين محكومة بالظروف والعوامل التي أنتجته أمثال لويس ماسينيون وهنري ماسيه وريجي بلاشير ومكسيم رودنسون أين غطت أبحاث هؤلاء وكتاباتهم مرحلة كاملة[2].

وبولادة القرن20م نشأت المدرسة العلمية التطبيقية للدراسات العليا لاسيما الدراسات الاستشراقية وقد جددت موادها وأصبحت أكثر تخصصا وعنت بقضايا التاريخ الاقتصادي والتاريخ الاجتماعي والتاريخ العمراني وأصول اللغة وفقه اللغة وصولا إلى القضايا الدينية والفنون والآثار[3].

ثانيا ــ مفهوم الاستعمار:

1ــ تعريف مصطلح الاستعمار:

يعد مفهوم الاستعمار هو الأخر من المفاهيم التي عرفت اختلافات من الباحثين بل اختلف في أمرها الاستعمار والمستعمر كما اختلف الاستعمار في مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

- **التعريف اللغوي:**

لفظة مشتقة من الفعل عمر[4]طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران[5] ومنه قوله تعالى:"**هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها**"[6].

---

[1] نصري، المرجع السابق، ص30.

[2] نقلا عن نصري، المرجع السابق، ص30.

[3] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص61.

[4] منقذ بن محمود السقار، المرجع السابق، ص4.

[5] حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص54.

[6] سورة هود، الآية61.

- **التعريف الاصطلاحي:**

بالنظر إلى مفهوم الاستعمار فقد اختلف المستعمر والمستعمر في تعريفهما كل حسب قناعته ومبادئه وكل له مبرراته.

-**عند المستعمر**(بفتح الميم):

الاستعمار ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية متشعبة ومتصلة بظاهرة الامبريالية، وتتمثل في مجيء موجات متتالية من سكان البلدان الاستعمارية إلى المستعمرات سواء قبل الاحتلال العسكري أو بعده بقصد الإقامة والاستيطان فيها ومن أجل الهيمنة الاقتصادية والثقافية واستغلال وترافق هذه الحملات هجمات عسكرية عنيفة بنية حماية المستوطنين والقضاء على مقاومة سكان البلاد الأصليين وإرغامهم على القبول بهم[1].

أما دور هؤلاء المستعمرين فيتجسد في نهب ثروات المستعمرات واستغلال أرضه وتسخير طاقات أفراده لمصالح المستعمرين، وما يرافقه من اتخاذ مخططات تحويل شعبه عن دينه ومفاهيمه ومبادئه وأخلاقه وسلوكه الفردي والاجتماعي إلى ما عليه دولة الشعب الغالب من مبادئ ونظم وعادات إذا كان بين الغالب والمغلوب تباين في ذلك[2] فالاستعمار نوع جديد للعبودية أي عبودية الإنسان لأخيه الإنسان التي عرفتها البشرية في الحضارات القديمة ورفضتها كل الرسالات السماوية[3].

والاستعمار كما يراه العديد من الباحثين هو مشروع تجارة الهدف منه الربح الوفير وعلى أقصر سبيل وأهون طريق، فليس من مصلحة الدولة الحاكمة أن تتحمل تكاليف إدارة المستعمرة والحفاظ على أمنها بل تسعى للاعتماد على مواردها الخاصة، ويكره المستعمر

---

[1] عبد الوهاب الكيالي: **الموسوعة السياسية**، ج 1، دط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ت، ص172.

[2] حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص54.

[3] حسن سيد سليمان: ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي، **دراسات افريقية**، العدد02، أفريل 1986، ص55.

استعمال العنف والقوة ويعد التلويح بها ضعفا واللجوء إليها مخاطرة، فيسعى في حكم الشعوب الواقعة تحت هيمنتها على معرفة نفسيتها وفهمها ليستغل غرائزها لصالحه ولا يلجأ إلى السلاح إلا للضرورة ساعيا إلى إزالة أثار القوة والمقاومة من نفوسهم[1].

والاستعمار في نظر كوامي نكروما سيطرت دولة قوية على دولة أخرى واستخدام هذه الدول المستعمرة قوتها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر واستغلاله اقتصاديا،فهو:"**السياسة التي بها ترتبط وتقيد الدولة الأم مستعمراتها وتوجيهها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية**"[2].

وأقرب تعريف للصواب والشمول هو العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم أو سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد فالتعريف يشمل جميع أنواع الاستعمار القديمة والحديثة، فهو تعريف طويل وليس من السهل الإتيان بتعريف واضح وموجز ودقيق لبعده عن البساطة والسهولة، ولإظهار ما اشتمل عليه هذا التعريف من المعاني أن تتبعه ملاحظات تفسره وتبرز منه بعض النواحي التي تبدوا واضحة لأول وهلة وضوحا كافيا[3].

فالأعمال المشار إليها قد يقصد بها استخدام القوة العسكرية وهو الغالب في الهيمنة الاستعمارية، وقد تحدث السيطرة على الأرض من خلال شرائها ودفع ثمنها كما نجده عند الولايات المتحدة الأمريكية ألاسكا من روسيا،كما يمكن مزح القوة والشراء ونجده في شراء

---

[1] أحمد رمزي: **الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا**، دط ، المطبعة النموذجية، مصر، دت، ص ص37،38.

[2] نقلا عن عبد الله الرزاق، شوقي الجمل: تاريخ إفريقيا الحدث والمعاصر، المرجع السابق، ص45

[3] رمزي، المرجع السابق، ص ص38ـ 39.

جزر الفلبين من اسبانيا وقد تحدث السيطرة برضا الدولة المختصة كما حصلت بريطانيا على جزيرة قبرص من الدولة العثمانية مقابل خدمات خاصة[1].

أما عبارة السيطرة أو بسط النفوذ تفيد أنه ليس من الضروري أن يكون الاستعمار سافرا بحيث تتسلط الدولة على جميع مرافق البلاد بل يكفي أن يكون لها نفوذ سياسي تنفرد به دون سائر الدول وتقيد به حرية البلاد التي يبسط عليها ذلك النفوذ به، فايطاليا بسطت نفوذها السياسي على ألبانيا لغاية شهر أفريل1939م ثم تسلطت عليها بعد ذلك تسلطا تاما فانقلبت من استعمار خفيف إلى استعمار ثقيل.

والنص على الدولة أو جماعة منظمة من الناس قصد به اشتمال الاستعمار تلك الشركات التي تألفت في العصور الحديثة مثل شركة الهند الشرقية وشركة افريقية الشرقية وقامت بأعمال استعمارية عنيفة وتسلطت على مرافق البلاد دون أن يكون للدولة شأن في ذلك سوى الإذن بتأسيس الشركة.

والتسلط قد يقع على الأرض فقط ويتعلق هذا التسلط بالأراضي الخالية من السكان أو في حكم الخالية من السكان والمستعمرات اليونانية خير مثال على ذلك واستيلاء بريطانيا على جزيرة سانت هيلانة،كما يمكن للسيطرة أن تقع على السكان دون الأرض،فيكون ذلك بترك الأرض ومرافقها سكانها الأصليين فلا تغتصب منهم ولا يجبرون على الجلاء عنها مثلما حدث في شرق إفريقيا(مستعمرة كينيا مثلا) حيث تسلط المستعمر على الأرض والسكان وأما في غرب إفريقيا فقد سمح للسكان الأصليين بالاحتفاظ بأرضهم والسبب في ذلك أن أرض شرق إفريقيا المرتفعة ملائمة لإقامة السكان الأوروبيين أما أرض إفريقيا الغربية منخفضة وشديدة الحرارة لا تلاؤم سكن المستعمرين[2]، والرق أبشع أنواع الاستعمار فهو

---

[1] رمزي، المرجع السابق، ص39.

[2] محمد عوض محمد: **الاستعمار والمذاهب الاستعمارية**، ط4، دار المعارف، مصر،1957، ص ص 39 ،40.

استعباد الإنسان واستغلاله سواء في بلده الأصلي أو بنقله إجباريا للعمل في موطن أخر لتحقيق الرفاهية للمستعمر[1].

- **عند المستعمر:**

إلا أن الاستعمار عند منظريه أمثال دوسي و ب. لوروا بوليز والسياسيين الأوروبيين أمثال هانوتو مبدأ لا يقبل النقاش[2] فهو:"**مطلب من مطالب المجتمع الإنساني ومطمحا طبيعيا للأجيال الصاعدة في الهجرة نحو أفاق بعيدة**"[3] فهو حسبهم ضرورة اقتصادية لاستغلال الموارد في الدول غير الأوروبية واستثمار خيراتها ما دامت شعوبها قاصرة على استغلالها بنفسها وزعمهم هذه الخيرات لست حكرا على شعوب إفريقيا وآسيا وحدها بل هي ملك للإنسانية كلها[4].

وبناء على هذا فانهماك الاستعمار في استغلال الثروات الواقعة في أراضي الشعوب الضعيفة والعمل على تعميم منافعها على الجميع ليست عملية سطو ونهب بموجب" **حكم القوي على الضعيف وإنما بمقتضى حق القوي في مساعدة الضعيف**"، فعن طريق هذا الزعم وتحت المنطق شعور الرجل الأبيض بواجبه اتجاه الشعوب المستضعفة بالاعتناء بها ماديا ومعنويا والأخذ بيدها ومساعدتها حتى يتم تأهيلها لتحمل أعباء مسؤوليات بلدانهم في المستقبل فهو يحاول المستعمر تبرير اغتصابه للأرض والثروة على أنه حق مشروع[5].

---

[1] عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص45.

[2] عبد الحميد زوزو: **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا**، دط، ديوان المطوعات الجامعية، الجزائر، 2009 ، ص 20.

[3] نقلا عن المرجع السابق.

[4] عوض محمد، المرجع السابق، ص40

[5] زوزو، المرجع السابق، ص21

فهذا المفهوم الذي يفيد المقايضة وتبادل المنفعة، يوهم الاستعمار بتخليه عن خاصيته الأساسية المتمثلة في الاستغلال البشع والولع بالربح يحاول إضفاء الشرعية وإيجاد مبررات لسيطرته السياسية والاقتصادية في مقابل رسالة التمدين، فهذا المفهوم يهدف به إلى المغالطة والتضليل فكثير من الشعوب التي خضعت بالقوة للاستعمار كانت بها حضارات راقية أحسن من حضارات مستعمريهم فلم تكن بحاجة إلى هذا التبادل المفروض[1].

الإ أننا نجد أن أقرب تعريف للاستعمار هو علاقة هيمنة قائمة بين المجتمعات المحلية حيث تتخذ القرارات الأساسية حول أسلوب حياة المستعمرين من قبل أقلية من المستعمرين من ثقافة مختلفة وقابلة للمساءلة للجميع التكيف؛ هم يجعلون هذا قرارات وفعّاليّة طبّقهم مع أولوية إلى فوائد خارج أنّ من يستعمر. وفي العصر الحديث، يرتبط الاستعمار بمذاهب التبرير في ظل أيديولوجية تنصيرية، تقوم على اقتناع المستعمرين بأن يكونوا متفوقين ثقافيا[2].

- **تعريف المستعمر:**

هم الأطراف التي تقوم بالمخططات والأعمال العسكرية والسياسية وغيرها والتي تمكنهم أوطانهم من الاستيلاء على شعب غير شعبهم بالقوة أو بأي نوع من أنواع الكيد والمكر الاستيلائي[3].

2ـ ظهور الاستعمار وتطوره:

إن الاستعمار قديم قدم الإنسان بسبب الهجرات والغزوات الأولى للبشر،إلا أنها لم تكن مقننة أو مخطط لها، فقد كانت البشرية لا تزال في حالة هلامية رجراجة بعيدا عن الاستقرار

---

[1] زوزو، المرجع السابق، ص21

[2] Jürgen Osterhammel : **Colonialisme et Empires coloniaux**, Labyrinthe, N35, 2010, p60

[3] حبنكة، المرجع السابق، ص54.

والتوطن والارتباط الوثيق المحدد بأرض محددة بحيث لم تتجه تدريجيا وبشكل واضح نحو الاستعمار بالمفهوم الحالي إلا" **مع تطور المجتمع والحضارة وزيادة الارتباط البيئي عضويا ومجتمعيا بين الجماعات والأقاليم مع زيادة نمو الدولة كشكل سياسي وقد حدثت صراعات مختلفة في العالم القديم**"[1].

وبالدراسة المعمقة نجد أن العالم القديم في فجره المكتوب يتألف من سلاسل مرصعة من الصراعات المحلية الصغيرة أو الضيقة في مداها وحدودها الجغرافية وأغلبها أو أخطرها لا تخرج في إطارها عن الصراع بين الرعاة والزراع، هذا وكان البحر المتوسط هو المسرح الرئيسي لمثل هذه الأنشطة التعميرية أو الاستعمارية فنجد موجات الاستعمار البحري في كل اتجاه من فينقيا إلى قرطاجة ومن أثينا إلى آسيا الصغرى وايطاليا ومن قرطاجة إلى إيبريا[2].

إن الاستعمار سواء كان غرضه احتلال أقطار جديدة خالية أو شبه خالية من السكان أو بغرض توسيع رقعة الدولة بالاستيلاء على أقطار مأهولة بالسكان فإننا نجد أمثله لهذين النوعين في العهود البشرية القديمة، فقد أسس الفينيقيون عدة مستعمرات في حوض البحر الأبيض المتوسط وأقام اليونانيون مستعمرات على سواحل الأناضول والبحر الأسود ومضيق البوسفور وصقلية وحتى على سواحل فرنسا واسبانيا وهي تشبه إلى حد بعيد استعمار البريطانيين لأمريكا الشمالية(الولايات المتحدة الأمريكية) وأستراليا وزيلندا الجديدة، كما شهد العالم القديم إنشاء دول ضخمة كإمبراطورية بابل وآشور[3].

هذا واختلف الاستعمار في طبيعته ووسائله وظروفه مع كل فترة زمنية، لذلك نميز ثلاث أنواع(مراحل) للاستعمار وهي:

---

[1] نقلا عن حمدان، المرجع السابق، ص13.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد عوض، المرجع السابق، ص42.

- **الاستعمار القديم:**

لم يقتصر الاستعمار في العهود القديمة على الدول صاحبة الحضارات المتقدمة وحدها بل قامت به أيضا قبائل أو جماعات غلب عليها طابع الوحشية والعنف وتميزت بالقوة العسكرية والنظام الذي مكنها من الهيمنة على أقاليم ذات حضارات متطورة أحسن منها[1].

فقد سيطرت الإمبراطوريات القديمة على مساحات واسعة من الأرض وحرصت كل الحرص على تجاور وتلاصق أقاليمها، فالإمبراطورية الرومانية نفسها اتسعت على ثلاث قارات تركزت كلها في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويلحق بهذه الظاهرة (تقارب وتجاور الأقطار) أن العناصر الجنسية التي كانت تتألف منها الدول القديمة كانت أكثر تجانسا وتشابها الأمر الذي ساعد على الاتحاد والاندماج بينها[2]، فالدولة الرومانية على الرغم من ضمها أجناس مختلفة من الاسبان والفرنسيين والشعوب الجرمانية واليونانيين والعرب والبربر فإنها كانت أكثر انسجاما في تكوينها من أية دولة استعمارية أخرى وهذه الشعوب كلها في نظر علم الـــجناس تنتمي إلى سلالات بشرية ليس بينها اختلافات واضحة[3].

وما تجدر الإشارة إليه أن التوسع القديم كان يتم من طرف ملوكها أو قيصرها أو ملكها،من أجل زيادة مملكته ورغبته في توسع نطاق دولته، وكانت الشعوب الداخلة تحت حكمه تنضم بهذه الطريقة إلى مجموعة شعوب الإمبراطورية وتشاطرها حظها من السعادة أو الشقاء والنظام والفوضى فتسعد إذا كان الحاكم صالحا عادلا وتتألم من فساده و ظلمه، فلم يكن هناك أي وجود للقومية التي تجعل الناس يحسون أنهم منضوين تحت سلطة حاكم أجنبي ليس

---

[1] حمد عوض، المرجع السابق، ص44.

[2] المرجع نفسه.

[3] بتريك لورو: **الإمبراطورية الرومانية**، تر: جورج كتوره، ط1، دار الكتاب الجديدة، لبنان، 2008، ص61.

من روما فحكمها قياصرة اسبان وعرب ولم يبد سكانها اعتراضا، فالدولة الرومانية مثلا أسستها روما ولكنها لم تلبث أن تولى حكمها شعوب مختلفة[1].

ومن أهم الدول التي عرفها العصر القديم الدولة العربية الإسلامية فقد خرج العرب من قلب الجزيرة العربية لتأسيس دولة لم تسبقها من قبل دولة أخرى في الاتساع والامتداد، دولة قامت على أساس الدين وقوة الإيمان به وعلى أساس قوة الجنس العربي،[2] فضمت أراضي واسعة في شمال الهند ووسط أسيا وهضبة إيران إلى جانب العالم العربي بحدوده الحالية وكذلك شبه الجزيرة الإيبرية،كما قلبت ميزان القوى في البحر الأبيض المتوسط فأصبحت الغلبة والتأثير للساحل الجنوبي[3].

هذا ويؤكد العديد من الباحثين الغربيين المغرضين أن الدولة الإسلامية إمبراطورية استعمارية توسعت بحد القوة والسيف وفرضت دينها على كل إقليم تدخل إليه فهي لم تخرج عن كونها غزوا وإخضاعا وتبعية أجنبية، إلا أن الواقع يثبت أن الدولة الإسلامية كانت "**إمبراطورية تحريرية**" بكل معنى الكلمة فهي حررت مختلف المناطق من الاستعمار والاضطهاد الروماني والفارسي، كما أنها لم تعرف الدولة العنصرية أو الاختلافات اللونية أو العرقية بل شكلت وحدة مفتوحة من الاختلاط والتزاوج الحر في وسط حضاري متجانس ومتناسق[4].

وفي المقابل لا يمكن إغفال فكرة مهمة عن كون المد الاستعماري القديم هو الحروب الصليبية في القرنين12و13م، فهده الحروب وإن كان شعارها الدين فأن الدين ما هو إلا

---

[1] محمد عوض، المرجع السابق، ص45.

[2] يوليوس قلهودن: **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، ط2، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده،حسين مؤنس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968، ص ح.

[3] حمدان، المرجع السابق، ص26.

[4] المرجع نفسه.

قناع تسترت ورائه بل حركتها دوافع مادية واقتصادية، فقد اتجهت إلى العالم الإسلامي بحكم موقعه الاستراتيجي فهو عصب التجارة العالمية بين الشرق والغرب، فتطلعت المدن الايطالية التجارية إلى الاستفادة منها إما بالمشاركة فيها أو السيطرة عليها[1].

والدليل أن الحروب الصليبية كانت حربا اقتصادية أنها رعاها وتبناها كبار تجار أوليجاركية البندقية وجنوا وبيزا أما دعوى الدفاع عن المسيحية في الأراضي المقدسة وحماية الحجاج من اضطهاد الدولة السلجوقية الحاكمة حينها فهو بإجماع الآراء حجة ملفقة وتبرير لتصرفاتهم لا أكثر، فالباحثين يؤكدون أنها حربا استعمارية واستعمار سياسيا واقتصاديا لبس قناع الدين بل يعدها البعض أول حركة استعمارية أوروبية في العصر الوسيط، أهم ما ميزها أنها خرجت من أغلب دول أوروبا من جنوبها ووسطها لذا نجدها تأخذ طريقين أساسين، الطريق البري عبر قلب أوروبا فالبلقان فالأناضول البيزنطية وطريق البحر الأبيض المتوسط[2].

وإذا عدنا للعالم الإسلامي نجد أن الدولة العثمانية قد أخذت بزمام قيادته والذود عنه لقرون طويلة،فقد اتسعت هذه الإمبراطورية على ثلاث قارات في أوروبا توسعت في البلقان واتسعت أكثر حتى وصلت إلى أبواب فيينا أسقطوا خلالها الإمبراطورية البيزنطية واتخذوا من عاصمتها عاصمتهم منذ1453م، كما اتجهوا نحو الشرق بالتوسع على حساب دولة المماليك في الشام سنة1516م ومصر بداية سنة1517م[3]، أما في المغرب العربي فقد اشتدت الضغوط المسيحية عليه الأمر الذي أوجب علبها الاستنجاد والاستغاثة بالدولة

---

[1] محمد العروسي المطوي:**الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، ط جديدة، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1982 ،ص27.

[2] حمدان، المرجع السابق، ص26

[3] جلال يحي، المرجع السابق، ص96.

العثمانية،فتدخلت بحريا لحمايته وضمت المغرب الأوسط سنة1518م ثم تونس سنة1534م وطرابلس سنة1565م[1].

- **الاستعمار الحديث:**

ولد الاستعمار الحديث في حجر الكشوفات الجغرافية، فخلال القرن15م خرجت أوروبا تضرب في المجهول وعادت تحمل إلى العالم عالما جديدا، فقد قلبت الكشوفات الجغرافية إستراتيجية العالم القديم من صميمها فمع اتساع أبعاد العالم اتسعت أبعاد الصراع بين القوى الاستعمارية" **وخرج الاستعمار من دائرته التقليدية المغلقة حول حوض البحر المتوسط وتخومه وانتقل من عروضه المألوفة إلى عروض مختلفة تحمل معها بيئات مغايرة جدا ومن الناحية العلمية قفز الاستعمار من عالم متناه إلى عالم لامتناه**"[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن الاستعمار الحديث ليس من وضع ملك أو إمبراطور يريد أن يستكثر من الرعية بل الاستعمار اليوم من عمل الشعوب نفسها فصاحب الشأن والمصلحة هو الشعب البريطاني أو الفرنسي أو الشعب الهولندي، لذلك نسمع في العديد من الحالات احد الرعية من تلك الشعوب يتحدث عن مستعمرات بلده في شيء من الزهو، وما يميزه أيضا أنه ليس من الضروري أن تقوم به الدولة نفسها بل كثيرا ما تولى الأفراد في صورة شركة جميع أعمال الاستعمار فهم من يقومون بإعداد البعثات العسكرية والسفن ومع أن الغرض الأسمى لتأسيس الشركة هو التجارة فإن أعمالها لا تقتصر على التجارة بل تتناول الفتح والغزو والحكم وانتزاع الأراضي من سكانها وتوزيعها على الجنود والأنصار[3].

وبفعل هذا الانقلاب برزت أهمية المحيط الأطلسي فخرج العالم القديم إلى المحيط واتسع في نفس الوقت الحركة البشرية(الهجرة) بعد أن كانت محدودة بالمرحلة البحرية فتراجعت أهمية

---

[1] حمدان، المرجع السابق، ص44.

[2] المرجع نفسه، ص ص49 ــ 50.

[3] الكحلوت، المرجع السابق، ص45، 46.

البحار الداخلية والمغلقة وبرزت أهمية المحيطات، ومع هدا الانقلاب انقلب أيضا التوجه الجغرافي للقارات والأقاليم فقلبت القارات رأسا على عقب تطلعا إلى المحيط وانحدرت قيمة دول وموانئ البحر المتوسط لتنقل الزعامة إلى موانئ أوروبا الغربية[1].

فقد بدأت الكشوفات الجغرافية على يد البرتغال نهاية القرن15م وأوائل القرن16م امتدادا للحروب الصليبية فبعد طرد المسلمين من الأندلس استأنف البرتغال والاسبان صراعهم الصليبي بنقله إلى المغرب العربي نفسه،[2] إضافة إلى الرغبة في انتزاع تجارة الشرق من العرب المسلمين والوصول إلى جزر التوابل بالدوران حول اليابس الإفريقي، وكذلك مع الرغبة في الانتقام من المسلمين بتطويقه والالتفاف حوله، فالاستعمار البرتغالي والاسباني خرجا" **كاستعمار كاثوليكي**" وظل كذلك مدة طويلة فيما بعد فالبابوية باركت أكثر من مرة امتلاك الاسبان والبرتغال لكل ما قد يكتشفونه خارج العالم المسيحي[3].

ففي الفترة ما بين1497-1499م كان البرتغال قد داروا حول رأس الرجاء الصالح ووصلوا إلى الهند متوسعين على حساب العرب تجاريا و استراتيجيا، كما استولوا على جزر الهند الشرقية قد اكتمل وهزم العرب في بحر العرب وملقا واستقرت قوة البرتغال على كل سواحل الهند والمحيط الهندي فبدئوا في مطاردة دول المدن العربية على طول ساحل شرق إفريقيا، ثم نجحوا في الاستيلاء على جزر البحرين في العقد الأول من القرن16م وأقاموا بها الحصون وظلوا بها نحو قرن كامل حتى تمكن العرب من طردهم[4].

---

[1] حمدان، المرجع السابق، ص45.

[2] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص72.

[3] المرجع نفسه.

[4] Paul Leroy Beaulieu :**économiste et publicistes contemporains de la colonisation chez les Peuples modernes** ,Guillaumin et Cie libraires, Paris, pp45,46

وقد عمل البرتغاليون على استغلال مستعمراتهم إلى أقصى حد ممكن ومقاومة أية حركة تمرد ولذلك اتسم نظامهم بالعنف والقوة واستغلال المواطنين الأفارقة إلى أبعد حد ممكن حتى أن كثيرين وصفوا هذا النظام بأنه صورة جديدة من الرق، وكانت هناك وزارة المستعمرات يرأسها وزير المستعمرات يساعده مجلس استشاري، يعقد كل ثلاث سنوات مؤتمر عام لحكام المستعمرات في لشبونة لمناقشة أوضاع المستعمرات،فقد كانت السلطة الرئيسية في المستعمرة في يد الحاكم العام يعاونه مجلس استشاري وعدد من الموظفين[1].

على أن الإمبراطورية البرتغالية في الشرق لم تزد في الحقيقة على نقاط ومواقع عسكرية منتشرة على السواحل ولم تمتد أبدا على مساحات واسعة من اليابس كما حققت استعمارها في عقود قليلة وبسرعة غير عادية وملكت مناطق أضعاف مساحتها وهي تترامى في إطار جغرافي لا يقل عن نصف محيط الأرض، ورغم أن القرن16م كان قرن سيطرة وسيادة البرتغال واسبانيا إلا أن الإمبراطورية البرتغالية لم تدم طويلا فأخذت في الانكماش والتقلص،ففي الوطن الأم ضمت اسبانيا البرتغال لمستعمراتها نهاية القرن16م ورغم استعادتها لاستقلالها إلا أنها كانت ضربة قوية لتجارتها ومستعمراتها فلم تجد شيئا أمام ضخامة وقوة اسبانيا[2].

وفيما يخص الاستعمار الاسباني خرجت اسبانيا إلى الكشوف الجغرافية في المحيط الأطلسي،فوصل كولومبس إلى أمريكا الوسطى ومنها توسعوا شمالا عبر المكسيك وصولوا في ي فلوريدا وكاليفورنيا ومن أمريكا الوسطى عبروا بناما إلى المحيط الهادي على طول ساحل أمريكا الجنوبية ثم كل ذلك قبل منتصف القرن16م، وقد دخل الاستعمار الاسباني في مناطق مخلخلة قليلة السكان[3].

---

[1] شوقي الجمل،عبد الرزاق، المرجع السابق، ص75.

[2] حمدان، المرجع السابق، ص57 .

[3] الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص85.

وقد تعرضت اسبانيا لمنافسة شرسة من فرنسا وانجلترا على المستعمرات فضاعت إمبراطوريتها وانتزعت منها مستعمراتها فانتزعت منها بريطانيا جمايكا وبعض جزر الأنتيل في القرن17و18م واستولت فرنسا على جوادلوب والمارتينيك[1].

وتعد الإمبراطورية الهولندية أكبر الدول الاستعمارية بعد إسبانيا والبرتغال في القرن17م فقد ظهرت كقوة بحرية تجارية استعمارية، دخلت الاستعمار من أوسع أبوابه بعد نجاحها في تحقيق استقلالها من الاستعمار الاسباني وبعد حروب الإصلاح الديني[2]، في العقد الخامس من القرن16م بدأت تهتم بتجارة البهار والشرق عامة فورثت دور البرتغال بموقعها الجغرافي ودورها التجاري وفي الطريق إلى الهند وتوسعت على حساب مستعمراتها ومستعمرات اسبانيا وأسسوا مستعمرات على سواحل غانا فكانوا أول من نزلوا في الكاب بموقعه الحيوي،كما سيطروا على جزيرة موريشيوس وجزيرة سيلون بل غامروا من جزر الهند الشرقية جنوبا حتى كشفوا ساحل شمال استراليا بداية القرن17م وسميت بهولندا الجديدة وكشف تازمان تازمانيا ونيوزلندا في نفس الفترة، إلا أن هذه الكشوفات لم تؤد إلى دور استعماري، ولم تقتصر السيطرة الهولندية على أراضي في العالم القديم بل أسسوا مستعمرات في البرازيل أحيانا وملكوا مفاتيح مدخل أمريكا الشمالية في نيو أمستردام(نيويورك فيما بعد)، وتزعموا تجارة البحار والمحيطات بالنقل البحري لكل أوروبا حتى سموا أنفسهم" **نقلة البحر**" وسماهم غيرهم" **بقالة أوروبا**"[3].

وفي القرن17م بدأت كل من فرنسا وانجلترا تتطلع وتخرج إلى البحر وتنافس هولندا على التجارة العالمية والقوة البحرية غير أنها استطاعت أن تحتفظ بقوتها إلا أن الحروب الهولندية الفرنسية والهولندية على المستعمرات غير أنها شكلت عبئا خطيرا على موارد هولندا

---

[1] Beaulieu, op, cite, p8.

[2] Ibid, p64.

[3] شوقي، عبد الله، المرجع السابق، ص117.

المحددة وامتصاصها لطاقتها وقد كان دور فرنسا في تحطيم قوة هولندا أكبر من بريطانيا،ومع بداية القرن18م فقدت هولندا معظم تجارتها وخسرت كل قوتها البحرية وخرجت تماما من دائرة الصراع[1].

مع نهاية القرن15م كانت فرنسا قد استكملت وحدتها القومية حول باريس وبعدها بدأت سياستها التوسعية في توسع قاري وبناء قوة بحرية عظمى للتوسع عبر البحار، وفي النصف الأول من القرن16م وصلت فرنسا إلى العالم الجديد إلى السنت لورنس على يد جاك كارتييه وأسست في النصف الأول من القرن التالي مستعمرات كبرى في كيبك كنواة لكندا الفرنسية ومن البحيرات وصلت إلى قلب القارة فهبطت في النصف الثاني من نفس القرن مع نهر الميسيسيبي حتى وصلت إلى خليج لاسال أين أسست مستعمرة لويزانا المترامية، إلا أن ضخامة مستعمراتها في العالم الجديد شكل لها نقطة ضعف[2].

كما اتجهت فرنسا إلى أسيا لاسيما جزر الهند الغربية في عهد الوزير كولبير وريشيليو حيث نجحت في انتزاع عدد من جزرها الصغرى من اسبانيا أهمها جوادلوب والمارتينيك ومنها توسعت إلى الساحل المقابل في أمريكا الجنوبية لتتخذها موطن قدم في جيانا،[3] كما أدرت جزر الهند الغربية على فرنسا عوائد معتبرة أما في العالم القديم فقد اتجهت إلى الهند الشرقية والهند خاصة فأنشأت مجموعة من القواعد التجارية على سواحل الهند شرقا وغربا وقد نشطت تجارة فرنسا مع هذه المستعمرات نشاطا كبيرا في القرن17م ولكن المنافسة والصراع مع بريطانيا سلب فرنسا الكثير من تجارتها بل ضاعت منها عدة مستعمرات لصالح بريطانيا[4].

---

[1]E.Zay : **histoire monétaire des colonise Français d'après les documents officiels avec 278 figures**, typographie de J montorie , Paris,1892,pp, 10.12

[2] حمدان، المرجع السابق، ص67.

[3] Zay, op, cite, p10.

[4] Email Salone: **La colonisation de la nouvelle France**, librairie oriental et Américain, Paris, pp11,12

أما في إفريقيا فقد سيطرت على مستعمرات واسعة وذات ثراء وسوق كبيرة ويد عاملة معتبرة ففي إفريقيا الشمالية استولت على الجزائر سنة1830م وتونس سنة1881م والمغرب الأقصى سنة1912م وفي إفريقيا الغربية استولت على السنغال وموريتانيا السودان وغينيا وساحل العاج وفولتا العليا وداهومي والنيجر أما في إفريقيا الاستوائية فضمت لسلطتها الكونغو التشاد وإفريقيا الوسطى والكاميرون والغابون كما سيطرت في مستعمرات في إفريقيا الشرقية ومدغشقر[1].

بدأ خروج بريطانيا للبحث عن مكان لها في التجارة المحيطية باتجاه العالم الجديد فاكتشفت خلال القرن16م نيو فوندلند ولبرادور على يد جون كابوت، ثم أسست أول مستعمرة في جيمس تون والدومنيون القديم في فرجينيا سنة1607م على يد يدرالي وأنشأت قبلها شركة الهند الشرقية ووصلت سفنها إلى الهند ومع الحروب الهولندية الفرنسية والبريطانية وخرجت هذه الأخيرة المستفيد الأكبر فانتقلت التجارة إليها ومع الحروب النابليونية حصلت على المزيد من المستعمرات فانتزعت الكاب من هولندا واشترت سنغافورة بثمن بخس سنة1819م بخس وسيلاحظ أن هذه جميعا تشكل المواقع البحرية الإستراتيجية التي تعد مفاتيح حيوية في إمبراطورية بحرية مترامية وهي الصفة التي ستتبلور بصورة حاسمة فيما بعد في تركيب هذه الإمبراطورية[2].

ويعتبر القرن19م قرن السيادة البريطانية فقد انطلقت خلاله توسعاتها على حساب الشعوب والقوى الأخرى حتى كانت أوسع إمبراطورية بحرية عرفها التاريخ واستطاعت أن تمد نفوذها على مساحة تقدر بربع مساحة اليابسة" **وتربط هذه الإمبراطورية خطوط ملاحية بمثابة الشرايين التي كانت تنتشر في كل أجزاء الجسم وتربط بينهما**"[3].

---

[1] الجمل، عبد الله، المرجع السابق، ص، ص269ــ 270 .

[2] حمدان، المرجع السابق، ص78.

[3] عبد الله، الجمل، المرجع السابق، ص300.

- **الاستعمار الجديد:**

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية نظرية جديدة في الاستعمار وهي الاستعمار الاقتصادي آخذا محل الاستعمار السياسي والعسكري، فبعد تراجع الاستعمار المباشر وظهور المد التحرري انسحبت القوى الاستعمارية مخلفة ورائها قوى ذات ولاء ثقافي وفكري[1]،فالاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية إذ يقوم في جوهره على استقلال نظري للبلاد التي طبق نظامه فيها وسيادة دولية بكل مظاهرها في حين يحرك نظامها السياسي والاقتصادي من الخارج[2].

وما تجدر الإشارة إليه هو تراجع مكانة قوى الأمس(فرنسا وبريطانيا) لصالح عملاقين جديدين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وبالرغم من التناقضات الجذرية بينهما في الموقع والإستراتيجية والإيديولوجية إلا أن هناك ما يجمعهما فهما دولتان حديثتا النشأة وقوى عظمى وأشد قوة على الساحة الدولية واتساع مساحتهما وأعداد متقاربة في نسبة سكانهما كما كانا في عزلة طويلة وبدون تاريخ استعماري[3].

فالاتحاد السوفياتي اتجه بعد الثورة البلشفية سنة1917م إلى الحفاظ على الأقاليم التابعة للقيصرية الروسية في أواسط آسيا بل اتجه نحو التوسع بحثا عن المزيد من الأراضي،[4] أما الولايات المتحدة الأمريكية فضمت عدة جزر في المحيط الهادي والبحر الكاريبي بالغزو أو بالشراء، ويتهم الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة الأمريكية بالاستعمار الاستراتيجي

---

[1] أنور الجندي: **الإسلام و الاستعمار الحديث**، دط، دار الأنصار، القاهرة، د ت، ص16

[2] كوامي نكروما: **الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية**، تر:عبد الحميد حمدي، إهداءات محمود محمد على العيسوي،الإسكندرية، 1999، ص3.

[3] حسن سيد سليمان: ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي، **مجلة دراسات افريقية**، العدد2،أفريل1986م، ص37.

[4] إيناس سعدي عبد الله: **الحرب الباردة دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفياتية**،ط1،أشوربانيبال،العراق،2015،ص 108.

والاقتصادي كبديل عن الاستعمار السياسي المباشر، وردت عليه الولايات المتحدة الأمريكية بأن السوفيات استعمارهم استعمار مذهبي وإيديولوجي يحمل فكرا هداما وتخريبيا[1].

والملاحظ أيضا أن الوضع الدولي تميز بظهور القطبية الثنائية في شكل كتلتين كبيرتين تتقاسمان العالم كمعسكرين مسلحين هما الكتلة الشرقية الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفياتي والكتلة الغربية الرأسمالية ويتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية، ودخل معها العالم في مرحلة العصر النووي(توازن الرعب النووي)، والمؤكد أن التنافس والصراع بين المعسكرين أكسبهما المزيد من التفوق لتأمين المصالح الإستراتيجية والاقتصادية والإيديولوجية، مما أدى لظهور ظاهرة الاستعمار الجديد الذي يسعى لنفس أهداف الاستعمار الحديث ولكن بوسائل خفية وغير مباشرة[2] كما أن قوى الاستعمار الحديث قد مهدت بسياساتها المختلفة الرامية إلى إضعاف مستعمراتها المستقلة حديثا والى خلق كيانات استيطانية لإيجاد التربة المناسبة لنشطات الاستعمار الجديد[3].

والواقع أن الاستعمار الحديث قد طرح قبل خروجه مسألة" **الفراغ**" في البلدان التي حصلت على استقلالها وكأنه يتحدث عن أراضي خالية من السكان، فقد طرح قضيتين متشابهتان تتعلقان بإمكانية خروج الرجل الأبيض وتركه فراغا حضاريا أو اقتصاديا خطيرا في المستعمرات المتحررة أو تركه لفراغ سياسي يهدد التوازن الدولي، كل هذا من أجل إضعاف المد التحرري في تلك المستعمرات ليبث فيها فكرة عدم القدرة على الاستغناء عن الاستعمار سياسيا وحضاريا واقتصاديا[4].

---

[1] سيد سليمان، المرجع السابق، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] الجندي، الإسلام والاستعمار، المرجع السابق، ص16.

[4] سيد سليمان، المرجع السابق، ص39.

لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية للحلول محل القوى الاستعمارية التقليدية(بريطانيا وفرنسا) في المناطق التي لم تخضع لسيطرتها الاستعمارية (سياسة ملء الفراغ)، وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية امتلكت السلاح الذري منذ 1949م،كانت الحرب الباردة والصراع المذهبي على أشدها بينها وبين الاتحاد السوفياتي،وسعيا لتقزيم نفوذ الأخيرة سعت في ظل هذه الظروف لوضع سياسة الاحتواء[1] أو التطويق الأمريكية في ظل إدارة الرئيس هاري ترومان[2]سنة1947م، ساعية بهذه الإستراتيجية إلى تجميد المد الشيوعي ووقف توغله خارج الستار الحديدي[3] ثم محاصرتها[4].

وبناء على هذه الإستراتيجية وقعت الولايات المتحدة الأمريكية مع تركيا واليونان اتفاقية لمنع التوسع الشيوعي في داخلها كما قدمت بعد ذلك مشروع مساعدات اقتصادية لدول أوروبا، بينما سعت بعد إنشاء الحلف الأطلسي سنة1949م لإقامة أحلاف إقليمية لتطويق

---

[1] ظهر هذا المصطلح لأول مرة في مقال لسفير الولايات المتحدة الأمريكية في موسكو جورج كينان سنة1947م، دعا فيه إلى احتواء الخطر الشيوعي بأسلوب حذر وإتباع سياسة حازمة معه وعلى مدى واسع وتقوم هذه السياسة على عدة مبادئ أهمها تقديم المساعدات الاقتصادية للدول التي أنهكتها الحرب العالمية الثانية وإبرام سلسلة من التحالفات العسكرية والدخول في حروب محلية أو الوقوف وراءها في سبيل إيقاف الزحف الشيوعي.(أنظر سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص ص 74،75).

[2] Harry Truman(1884-1972) الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية- تولى رئاسة من سنة1945 حتى1953م، أشرف على إنهاء الحرب العالمية الثانية وأمر بإطلاق قنبلتي هيروشيما ونكازاكي وعمل على إنشاء حلف شمال الأطلسي، وساهم في التدخل العسكري في الحرب الكورية سنة 1950(للمزيد أنظر :

Jean Marie Autran : **Truman ,faith based diplomatie et ambigüités du plan Marshall**, thèse de doctorat en études anglophones, université Michel de Montaigne Bordeaux3,2015,pp38-40.

[3] مصطلح استخدمه رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل مشيرا إلى سياسة العزلة التي انتهجتها الاتحاد السوفياتي أثناء الحرب الباردة بإقامة حواجز تجارية والرقابة لعزل دول أوروبا الشرقية الشيوعية عن أوروبا الغربية الرأسمالية،أزيل الستار بعد رحيل خروتشوف سنة1964م وإدخال نظام البروسترويكا(الإصلاح الاقتصادي)(للمزيد أنظر:

Sorin Antohi,Vladimir Trismanenu : **Betwen past and future the revolutions of1989 and their aftermatb**,CEUpress ,New York,2000,p p85,86 .

[4]James Lacey :**Great Strategic Rivalries, from the classical world to the cold war**, edited by James, Oxford, P536

الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية كحلف بغداد والحلف المركزي في الشرق الأوسط إضافة لمنظمة حلف دفاع الشرق الأوسط ثم حلف جنوب شرق آسيا إضافة لوجود الولايات المتحدة الأمريكية في اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان[1].

إلا أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لم تنجح في فترة الخمسينات إذ فشلت في سياسة الاحتواء في الحرب الكورية سنتي1951و1952م، كما تمكنت مصر بزعامة جمال عبد الناصر من كسر احتكار السلاح من خلال صفقة الأسلحة وشرائها من الكتلة الشرقية (تشيكوسلوفاكيا) سنة1955م، كما فشلت سياسة الأحلاف الإقليمية بعد ثورة العراق سنة1958م، وقد تحولت الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات بسبب انحسار نفوذها بالمد الثوري في العالم الثالث إلى قوة عدوانية جعلت من نفسها(رجل البوليس) جاعلة هدفها فرض سلامها السلام الأمريكي على العالم فشهدت الجبهة الإفريقية والأسيوية مدا استعماريا متصلا وكاسحا من غانا وغينيا حتى والفيتنام وإندونيسيا ومن مصر حتى الهند وذلك بهدف تصفية سياسة عدم الانحياز بسلاح الاستعمار الجديد مستفيدة من سياسة التعايش السلمي مع الاتحاد السوفياتي[2].

لقد تراوحت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي والإفريقي بين الإغراءات المادية والقوة وبين سياسة المساعدات والقروض والمنح وبين مؤامرات المخابرات والانقلابات والغزو من الداخل ومع فشل سياسة المعونات أو الانقلابات لجأت إلى سياسة الضغط الاقتصادي والحرب النفسية والحملات الدعائية حينا والعدوان المسلح المقنع أحيانا أخرى وذلك حسب ما تقتضيه الظروف، فقد وقفت عند الضغط الاقتصادي في حالة الهند مثلا بينما وصلت إلى حد العدوان العسكري المقنع في الشرق العربي حيث تخفت

[1] أود آرن وستاد:**الحرب الباردة الكونية**، تر:مي مقلد، ط1،المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص45.

[2] سيد سليمان، المرجع السابق، ص- ص40-42.

النجمة الخماسية(الولايات المتحدة الأمريكية) وراء النجمة السداسية(إسرائيل) في الحرب العربية الاسرائلية[1].

إن الولايات المتحدة الأمريكية بتوسيعها لمبدأ مونرو[2] من خلال مبدأي ترومان وإيزنهاور وخطة جونسون الأسيوية أنها تعتبر كل العالم خارج المعسكر الشرقي(فراغا) ضخما وأن عبء الرجل الأمريكي هو ملء هذا الفراغ ومهما يكن الرأي فالأمر المؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت معادية للعالم الثالث وأصبح الصراع بين الاستعمار الجديد وحركة عدم الانحياز في مواجهة بعيدة عن التكافؤ والعدالة[3].

إذن الاستعمار الحديث هو التكتل الجديد للاستعمار التقليدي فهو امتداد له في العالم المعاصر،حيث يسعى لفرض التبعية العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإيديولوجية على العالم الثالث بأساليب جديدة وغير مباشرة وتستخدم الامبريالية العالمية الجديدة أساليب ووسائل متعددة ومختلفة للوصول إلى أهدافها ومصالحها منها تشجيع الحروب الإقليمية وإقامة القواعد العسكرية[4]، واستغلال المشاكل الاقتصادية والإدارية للدولة الحديثة والضغط عليها من خلال المعونات والقروض المشروطة[5].

---

[1] سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص ص74 ،75.

[2] ينسب مبدأ مونرو الداعي" **أمريكا للأمريكيين**" إلى الرئيس الأمريكي جيمس مونرو يقوم على الرغبة في إبعاد اليد الأوروبية عن مشكلات الأمريكيين فالأمريكيون كفيلون بحل مشاكلهم الاقتصادية والسياسية ورغبة الولايات المتحدة الأمريكية في تحويل الأمريكيتين إلى منطقة نفوذ لها دون منافس(للمزيد أنظر رأفت غنيمي الشيخ: **أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ص92).

[3] سيد سليمان، المرجع السابق، ص42.

[4] المرجع نفسه، ص74.

[5] الكيالي، ج 1، المرجع السابق، ص176.

الفصل الثاني

المدارس والاتجاهات في تصنيف الاستشراق والاستعمار

الأهداف والخصائص.

أولا :في الاستشراق

ثانيا :في الاستعمار

أولا :أهداف الاستشراق وخصائصه:

1ــ أهداف الاستشراق:

تقف وراء ظاهرة الاستشراق الأوروبي مجموعة من الأهداف المحرضة والتي استقطبت عبر الأزمان والظروف.

- **الأهداف الدينية:**

عد الباحثون هذا الهدف في مقدمة الدوافع المحفزة للاستشراق[1]إذ سار من البداية في ثلاث اتجاهات متوازية تعمل جنبا إلى جنب متمثلة في:

محاربة الدين الإسلامي والبحث في نقاط ضعفه وإبرازها للحط منه والتقليل من شأنه وسعيا لتكذيب الرسالة المحمدية ووصمهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالدجال والكذاب والمحتال وادعاء سفهه وتعصبه. ومن أهم الروافد التي أغنت الخيال الأوروبي عن الرسول الكريم هي كتابات الرحالة والمغامرين الموغلة في التاريخ والمتمكنة في التلفيق والاصطناع،فهمهم كان منصبا على انتزاع الإعجاب من قارئيه وسامعيه، أما الرافد الثاني فهو كتابات النصارى اليونان والنصارى العرب الذين عاشوا تحت الحكم العثماني في سوريا ومصر والعراق، إذ تولى العديد منهم مناصب مرموقة أمثال يوحنا الدمشقي في كتابه(**dialbexis**)، سعى من خلاله لتكوين قاعدة أساسية لوسائل الجدال بين المسلمين والنصارى متوقعا أن يرد عليه المسلمون فيفتح مجال الصراع، ولعله كان أول من استخدم علم الكلام في أجوبته على الأسئلة التي أثارها فأحدث ما يسمى بالمحاورة[2].

أنكر المستشرقون صفة الإلوهية للإسلام وأكدوا أنه خليط مركب لديانات وثنية وسماوية،فقالوا أن الإسلام في تشريعه أخذ من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم عاشوراء

[1] عمر فاروق فوزي، المرجع السابق، ص32

[2] السامرائي، المرجع السابق، ص25.

وتطبيب البيت الحرام ونظام الأشهر محرم والحج والعمرة وأخذ من الصائبة الصلوات الخمس والصلاة على الميت وتحريم الميتة ولحم الخنزير وتحريم الزواج من القريبات وأخذ من الهندية والفارسية قصة المعراج والجنة والحور العين وأخذ من اليهودية قصة قابيل وهابيل وقصة إبراهيم وأخذ من النصرانية قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء[1].

وذهبت الجرأة بالعديد من المستشرقين إلى القول أكثر من ذلك فأعلنوا أن القرآن الكريم وضعه محمد صلى الله عليه وسلم وأن السنة النبوية ألفها أتباعه بعد انخداعهم بمزاعمه وأفكاره، كما تورط العديد من المستشرقين نتيجة عدم فهمه للنصوص وعدم إتقانهم للغة العربية في عدة مواقع في أغلاط وأخطاء تدل على جهلهم ومكابرتهم ومن ذلك ما ذهب إليه المشككون في أن الرسول صلى الله عليه وسلم استقى تعاليمه من الكتب والأديان الأخرى والتي على أساسها وضع كتابه المزعوم القرآن الكريم منها ما نرى في تفسير بعض المستشرقين لقوله تعالى:"**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كنت أمك بغيا** "[2] [3].

فذهبوا إلى القول أن المقصود بمريم هي العذراء أم عيسى عليه السلام وأنها هي أخت هارون ومع ما يثبت التاريخ وكتب السير من الفارق الزمني الكبير بينهما فاستغل العديد من المستشرقين ومنهم الانجليزي ألفرد جيوم إلى تناقل الفكرة لإثبات أن الرسول صلى الله عليه وسلم استمد تشريعات الدين من مصادر متعددة لا صلة لها بالسماء والوحي الذي نزل على بقية الأنبياء[4].

إن القصد من كل هذا هو خلق روح التخاذل والشعور بالنقص في نفوس أبناء الأمة الإسلامية محاولين إبعادهم عن دينهم وعن الحق ليشرحوا صدورهم بالباطل والكفر لقوله

---

[1] وزان، المرجع السابق، ص40.

[2] سورة مريم، الآية 28.

[3] وزان، المرجع السابق، ص46.

[4] المرجع نفسه.

تعال:" **ودوا لو تكفرون فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** "[21]

تيقن المستشرقون أن المفتاح الأول لإبعاد المسلمين وغير المسلمين عن الإسلام هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لذلك صبوا كذبهم وبهتانهم على الرسول الكريم وحياته ونبوته منهم يوحنا الدمشقي الذي شن هجوما عنيفا عليه واتهامه باختلاق الوحي وأصبح كتابه محور الاهتمام في العصور الوسطى ومن خلاله تكونت فكرة الغرب عن الإسلام كونه تزوير للتوراة والإنجيل بمساعدة معلم راهب أريوسي علمه سرا وبذلك ربطوا بين الراهب الضال وبين بحيرا ناسجين الأساطير وحول علاقته السرية برسولنا الكريم فقال بيدرو باسكال: "**لقد جاء في كتب المسلمين أن راهبا مسيحيا اسمه كما يقولون هم أنفسهم بحيرا...وأن هذا الراهب المرتد هو الذي كان يتعلم منه محمد تعاليمه وقد ذكروا في كتبهم أيضا أن محمدا كان يعتزل الناس في تلال مكة وهذه تدل على أنه كان يعد عدته مع هذا النصراني المرتد في السر لتهيئة تفاصيل التزوير**". علما أنه أخلط العديد من هؤلاء عن جهل أو عمدا بين بحيرا وجريج الراهب(جرجيس) ومع هذا الخلط أخذ بحيرا حظه الوافر من الإهانة والتجريح[3].

لقد شغلت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مساحة واسعة من كتاباتهم فبذلوا جهودا لإقناع قارئيهم النصارى بكذب محمد وأنه ليس بنبي والإسلام ليس دينا إلهيا بل القرآن من صنع محمد، بل وصل كذبهم لحد القول أن محمد كان كاردينال كاثوليكي لم يتمكن من الحصول على المقعد البابوي إذ لم ينتخبه الكرادلة للكرسي، الأمر الذي أثار غضبه ولجأ إلى مكة معلنا دينا جديدا مضادا لروما ولكون العرب نصارى سهل إغوائهم فخلطوا مرة أخرى

---

[1] سورة النساء، الآية89.

[2] وزان، المرجع السابق، ص38.

[3] السامرائي، المرجع السابق، ص56.

عن قصد أو خطأ بينه وبين النصراني النسطوري[1]، غير أن اليهودي المتنصر بيدرو(بطرس الفونس) زودهم برأي آخر وقال"**معلم محمد كان يهوديا مرتد**" علما أن هذان الرأيين أساس الاستشراق ودعامته وأن معظم المستشرقين اليوم موقنين أن الإسلام بقرآنه وحديثه وحضارته مستمدة من اليهودية والنصرانية مستنجين فكرة الإسلام دنيوية الإسلام متفقين مع المبشرين سرا وعلانية(إلا القليل منهم) فأمدوهم بمعارفهم العلمية وخبراتهم[2].

وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي الكاثوليكي كيمون في كتابة باثولوجيا الإسلام: " **إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول يجمح في القبائح وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة الله إلى ما لانهاية والتعود على عادات تنقلب إلى طبائع أصلية ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط منه من أفكار القسوة والفجور في اللذات**"[3]

إن الدافع الديني والأساسي للاتجاه نحو ترجمة معاني القرآن الكريم والمنجزة سنة1143م على يد هرمن الدالماشي(**Herman**)[4]هو انتقاده ومعارضته والتجريح فيه وهدم مبدأ ألواهية القرآن الكريم[5]، فقد أعلن القس بطرس "**إن نقطة البداية في حرب المسلمين هي القران**

---

[1] أدين نسطور بالزندقة في مجمع أفسوس453م وحكم عليه الإمبراطور بالنفي، أدانه مجمع القسطنطينية لإنكار ثنائية طبيعة المسيح واخترعوا له اسم سرجس(جرجس) فذهب إلى الجزيرة العربية فأعجب به محمد وجعله معلما له.(للمزيد أنظر الساموك، المرجع السابق، ص25)

[2] المرجع نفسه.

[3] نقلا عن الشرقاوي، المرجع السابق، ص ص54 ــ 55

[4] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص110.

[5] محمد أشرف علي الميليباري: **أهداف الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم ودوافعها**، ص34 موقع الكتروني.

الكريم" حيث عرف بتعصبه الشديد ضد الإسلام والمسلمين منقذا المسيحيين رافضا مهادنتهم للمسلمين حاثهم على حربهم[1].

كما قام بطرس المحترم بتأليف كتاب في الرد في الرد على المسلمين وكلف بطرس من بواتييه بتأليف أربع كتب يبحث الأول في حفظ اليهود والنصارى لكتبهم المقدسة والثاني يبحث في حياة النبي محمد والقرآن والثالث يتناول خلو حياة محمد من المعجزات والرابع يستمر في طعنه وافتراءاته وفيما بزعمه من أصولها المبتدعة[2].

لم تكن هذه الجهود علمية وموضوعية فلا الترجمات القرآنية ترجمة كاملة و تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم تاريخ صحيح، فالغرض الأساسي هو تنفير المسيحيين والمسلمين على السواء من الإسلام والنبي محمد[3]، وقد برر العديد من المستشرقين موقفهم العدائي تجاه الإسلام بقولهم:"**لقد كان الإسلام خلال قرون عديدة العدو الأكبر للمسيحية...وأصبح محمد أمير الظلمات**"[4].

جاءت بعد هذه الترجمات بقرون ترجمة سافاري الفرنسية(صدرت أول طبعة من ترجمته سنة1772م) لتؤكد ترجمة سنة1143م حيث صرح سافاري في مقدمة الترجمة أن القرآن الكريم بدعة محمدية متهما النبي بالخداع والاحتيال في قوله:" **إن محمد أعطى القرآن للعرب بوصفه الرئيس الأعلى للدين وصاحب السلطان وأنه هو المشرع ينطق السماء كلما وجد حاجة لذلك وأن النظرة الواعية إليه تظهر أنه مجرد إنسان اعتمد على عبقريته وحدها لكي يحارب عبادة الأصنام**"، متهما أتباعه بالتعصب والكذب نسبوا إليه زورا وكذبا معجزات وصفوها بالصبيانية ومنهم أبو بكر الصديق الذي قدس محمد سيده تقديس عبادة الأصنام:

---

[1] شلبي، المرجع السابق، ص26.

[2] بدوي، المرجع السابق، ص110.

[3] شلبي، المرجع السابق، ص27.

[4] نقلا عن عبد الله محمد الأمين النعيم: **الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لأراء(وات ــ بروكلمان قلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية**، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1997، ص27.

" **فعد كل ما جاء به وعلمه وحيا من الله**" نافيا صفة الوحي من القرآن معتمدا على مجموعة من الحجج الدالة على جهله بإعجاز القرآن كعدم ترتيب السور والآيات بحسب تاريخ النزول[1].

إن الاستشراق الفرنسي لم يستطع التخلص أو إخفاء كرهه وموروثه الديني حتى قال أحد الدارسين أنه لم ير في دراسته مستشرقا بروتستانتيا عالج التراث الإسلامي بأسلوب الكاثوليكي الحاقد[2] الأمر الذي أكده الحاكم العام بالجزائر بمرور100سنة على احتلالها قائلا:" **يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم**"[3].

أما الاتجاه الثاني فتجسد في التنصير، إذ أن الغالبية الكبرى من المستشرقين من رجالات الكنسية والمنصرين و اليهود المتفقين في غاياتهم وأهدافهم مع المنصرين، وقد بذلوا جهود معتبرة وأنفقوا أموال طائلة لإيصال الدين المسيحي للمسلمين بدافع حب الإنسانية وحمل مشعل الهداية والنور إلى بلاد الظلام فالإنجيل الغربي هو طريق الخلاص(على اعتقادهم)،كما تضافر الجهل بحقيقة الإسلام وتعرض البلاد الإسلامية للاستعمار الأوروبي الشرس إلى خلق هالة من الغرور والثقة في دوائر التنصير مقتنعين أن تنصير المسلمين أقرب إليهم من حبل الوريد[4].

عبر رودي بارت عن أهداف المستشرقين الدينية معتبرا أن أول ترجمة للقرآن الكريم سنة1143م هدفها تنصيري وسعيا لإقناع المسلمين بلغتهم ترك الإسلام والالتفاف حول الدين

---

[1] يوسف الهذاني، المرجع السابق، ص ص9 ،10.

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص113 ،114، ص86.

[3] إسماعيل علي محمد: **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، ط3، الكلمة للنشر والتوزيع،القاهرة، 2000، ص59.

[4] السامرائي، المرجع السابق، ص ص 56 ــ57

المسيحي[1]، كما تم إنشاء أول مركز لدراسة تاريخ الإسلام وعقيدته في طليطلة بالأندلس سنة1250م وحين عقد المجتمع الكنسي في فيينا سنة1312م أقر التقرير الذي أعده ريموند لل والذي دعا إلى إنشاء عدة مراكز لتعليم اللغة العربية والسريانية والعبرية في جامعات أوروبية شهيرة منها أكسفورد وباريس تحت رعاية الكنسية الكاثوليكية[2].

انتشرت المدارس التي تنتج المنصرين لاسيما أن المسيحية في أصل جوهرها تنصيري تستند إلى فكرة الحوارية والرسالية(المسيحيين المرسلين أمثال بطرس في روما ويعقوب في اسبانيا) كما تقوم على فكرة من أدخل غير مسيحي في المسيحية دخل الجنة[3] ومن أبرز الدعاة المسيحيين المطالبين بضرورة تعلم اللغة العربية لغرض تنصيرهم روجر بيكون (1214ــ 1294م) إذ كان يرى في التبشير الطريق الوحيد لتوسيع رقعة العالم المسيحي على حساب العالم الإسلامي[4]، ولد الاستشراق وترعرع في الأديرة والكنائس.

وما تجدر الإشارة إليه إن النزعة الدينية التنصيرية للاستشراق الفرنسي اتسم بها حتى مستشرقي العصر الحديث، فلم يستطيعوا التخلص منها، فعرف بها أبرز أعلام الاستشراق الفرنسي من جربر إلى دساسي ثم لويس ماسينيون، فشيخ المستشرقين المحدثين دي ساسي غلبت على مواقفه النزعة التبشيرية ودعمه لها حتى قيل:" **إن عمل دي ساسي قد وفق بين طريق العالم وطريقة المعلم المقدس**"، وسار على خطاه لويس ماسينيون وعبر عن ذلك بقوله"**إن الطلاب الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية**"[5].

إن المستشرقين الفرنسيين(الغالبة عليهم النزعة التنصيرية) ضم قساوسة ورهبان وأساتذة وعلماء ومبشرين والمتعاطفين والمؤيدين، بل حتى الفئة التي لم تكن تربطها بالدين علاقة

---

[1] أبو هاشم، المرجع السابق، ص36.

[2] عمر فوزي، المرجع السابق، ص33.

[3] أبو هاشم، المرجع السابق، ص ص41 ــ 42

[4] زقزوق، المرجع السابق، ص75

[5] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص110.

ورددوا أثناء الثورة الفرنسية" **أخنقوا آخر ملك بأمعاء أخر قسيس**" دعموا الأفكار الدينية خارج فرنسا ولاسيما على الشعوب الشرقية والمسلمين[1].

أما **الاتجاه الثالث** فتمثل في السعي لحجب حقائق الدين الإسلامي ومنع وصولها إلى شعوبهم إذ أكد المستشرق سوثارن خطر الإسلام وانتشار تعاليمه على حساب النصرانية كونه مشكلة بعيدة المدى للعالم النصراني في أوروبا، مما يستدعي اتخاذ إجراءات صارمة،وقد صور مكسيم رودنسون خوف وهلع رجالات الكنيسة الغربية من اكتساح الإسلام وتعاليمه العالم النصراني قائلا:" **كان المسلمون خطرا على الغرب قبل أن يصبحوا مشكلة كما كانوا في نفس الوقت عامل اهتزاز شديد في بنيان الوحدة الروحية للغرب وأنموذجا حضاريا يجتاز بتفوقه وبحركته الإبداعية المتسارعة وقدرته الهائلة على الانفتاح والاستيعاب إذ أنه وفي مواجهة تقدم هذا الأنموذج عبر مثقفو الغرب عن شعور عام بالاندهاش أمام الإسلام وبدا بذلك لهم وكأنه خطر على المسيحية امتلأ الغربيون بالإحساس بالنقص إزاء الدين الإسلامي وحضارته المتفوقة المزدهرة ودفعهم شعورهم المتزايد بالخوف والمرارة بعد فشلهم المريع في حروبهم الصليبية إلى البحث عن خطط بديلة تحقق أهداف الحروب الصليبية دون مواجهة عسكرية بحيث تؤدي إلى تشويه الإسلام في أعين الغربيين وصرفهم عنه كما تعمل في صمت وهدوء على تحقيق نصر على هذا الإسلام**"[2].

لوقف الزحف الإسلامي قام الكاردينال فريدريك دي مدسيس وهو من الأسرة المالكة في ايطاليا بإنشاء سنة1536م مطبعة في فلورنسا طبع فيها18ألف نسخة من الإنجيل باللغة العربية كما نشر فلسفة ابن رشد التي لقيت رواجا كبيرا في نابولي ويرجع اهتمامه بنشر فلسفة ابن رشد هو ما أذيع عنها أنها فلسفة الحادية تخالف الإسلام هادمة له، فرأى المستشرقون في نشرها عاملا هاما لهدم الإسلام بأيدي أهله وأقل ما في نشرها أن تصرف

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص110.

[2] نقلا عن الشرقاوي، المرجع السابق، ص ص35ـ 36.

العقول على الجدل حولها بدلا من الانطلاق إلى تعميق مفاهيم الإسلام في أهله وبسطها إلى غير أهله[1].

لخص الباحث حسن المعايرجي أهداف الاستشراق الدينية فقال:" **وقد نما هذا الهجوم الفكري والعقائدي حتى وصل إلى مرحلة متطورة في عصرنا الحاضر وهو هجوم من شعبتين شعبة موجهة إلى الشعوب المسيحية لتحصينها ضد الإسلام الذي انتشر وتوسع نفوذه وذلك تشويه صورته وتجريحه والقدح فيه ونقده والتطاول عليه وعلى القرآن وعلى بني المسلمين مما كون ما يشبه الجدار السميك من الأفكار السوداء على هذا الدين الحنيف أما الشعبة الثانية الموجهة إلى المسلمين فيما نراه من هجمات شرسة بشعة على أمة الإسلام**"[2].

كما سعت الدراسات الإستشراقية إلى إثارة الفتن وإحياء النعرات والعصبية المذهبية والنزاعات الطائفية والعقائدية بين الفرق الإسلامية مثل النزاعات القائمة بين السنة والمعتزلة في فتنة خلق القران وقضايا العذاب وأقوال المتكلمين والأقوال الواردة في البدع وأمور الخلافة فالنوايا السيئة والأهداف الفاسدة التي دفعت المستشرقين للخوض في مثل هذه القضايا سبيل من السبل التي عمل الاستشراق على إحداثها وتغذيتها قصد إيجاد الشقة والفرقة وإثارة الفتن بين صفوف المسلمين وبمعالجة هذه القضايا في كتاباتهم يصلون إلى هدفهم وهو تقسيم المسلمين إلى أحزاب وفرق وطوائف[3].

- **الأهداف الاستعمارية:**

بدخول الدولة العثمانية مرحلة الضعف والانحطاط تطلع حكام أقاليمها إلى الانفصال وتكوين كيانات خاصة والاستقلال عنها، مستعينين بدول أجنبية مثل حركة فخر الدين المعني[4]، وفي

---

[1] عبد المتعال محمد الجبري: **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995، ص81.

[2] محمد خليفة حسن: **آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**، ط1،عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية،مصر، 1997، ص12.

[3] وزان، المرجع السابق، ص51.

[4] المرجع نفسه.

نفس الوقت تطلعت الدول الأوروبية إلى الهيمنة والسيطرة على ممتلكاتها وتقسيمها الأمر الذي استوجب دراسات دقيقة ومسبقة عن هذه المناطق علي مختلف النواحي.

وبناء على هذا أدى الاستشراق دورا بارزا في التمكين للقوى الاستعمارية لفرض سيطرتها على العالم الإسلامي حيث قدم العديد من المستشرقين خدماتهم بطرق مباشرة لحكوماتهم مؤدين مهمات استطلاعية ودراسات حول البلاد المستهدفة وبرزت أسماء لامعة في سماء حركة الاستشراق وظفت بشكل مباشر في وزارات المستعمرات للحكومات الأوروبية في انجلترا وفرنسا وغيرها[1]، لمعرفة لغات الشرق وتاريخه وعادته وتقاليده وقيمه ليسهل استعماره والسيطرة عليه ومعاملته بالأساليب المؤثرة فيها، ومن أمثلة ذلك نابليون بونابرت لما غزا مصر اصطحب معه جماعة من العلماء الفرنسيين يتقنون اللغة العربية ويعرفون تاريخ الحضارة المصرية، فصاروا حلقة الوصل بينه وبين المصريين وترجموا إلى العربية ما كان ينشره نابليون بالفرنسية من بيانات وخدع سياسية، كما اصطحب البريطانيون معهم في حملتهم على العراق المستشرق الانجليزي مارغلون(**Marglioth**) ليعمل مستشارا ومترجما يتحدث إلى سكان البلاد بلغتهم ويفهم عنهم ما يقولون ويترجم بيانات الحملة ومنشوراتها[2].

ولعل أبلغ مثال على الصلة الوثاقة بين الاستعمار الفعلي وممهديه من المغامرين والمبشرين يتجسد في المستشرق الهولندي البروتستانتي سنوك هروخونيه[3] والذي عمل لمدة تزيد عن30سنة كخبير لحكومات بلاده في الشؤون الإسلامية بحيث أنه ساهم في تخطيط سياستها

---

[1] أبو هاشم، المرجع السابق، ص43.

[2] أحمد حسن الرحيم: **المستشرق الفرنسي أرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة**، مجلة الاستشراق، العدد2، شباط الثاني1987، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص39.

[3] كريستيان سنوك هورخرونييه(1857-1936)، مستشرق هولندي دخل مكة المكرمة باسم مستعار وبقي بها وخلال إقامته بها ألف كتابه بجزأين تناول في الجزء الأول منه التاريخ السياسي للبلد وفي الجزء الثاني تناول الأوضاع الاجتماعية بمكة المكرمة.(للمزيد أنظر سنوك هورخرونييه: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، تر:على عودة الشيوخ، تع:محمد محمود السرياني،ج1،ط2،دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ص309).

الاستعمارية بإندونيسيا وعين رسميا(مارس1891م) في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية بوصفه مستشار في اللغات الشرقية والشريعة الإسلامية وبمقتضى هذا التعيين انتقل سنوك إلى آتية بسومطرة(بالجزر الهند الشرقية) قصد مساعدة حاكمها على ترويض سكانها المتمردين على الهيمنة الاستعمارية بفعل تأثرهم بالدعوات الإسلامية المنتشرة وقد تمكن هذا الأخير من إعداد تقرير مفصل عن تلك المنطقة وسلمه إلى حكومته في ماي1892م[1].

دعا المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه إلى سياسة الترابط الثقافي في هولندا ومستعمراتها في الشرق باعتبارها أقوى روابط الهيمنة وأقدر على ربط المستعمرات بالوطن الأم علما أن هذه الأفكار كان ريمون لل وروجر بيكون الأسبقان إليها بفشل الحروب الصليبية علما أن أفكار سنوك هورخرونيه كانت مسموعة عند أصحاب القرار السياسي في هولندا لارتباطه بالدوائر السياسية هناك مثل ارتباط لل بالكنيسة[2].

حاولت هذه الدراسات الإستشراقية ترسيخ نزعة محاكاة الغرب عند الشرقيين بتشجيع مثقفوه بالارتباط بالغرب ثقافة ولغة وتقاليد والابتعاد عن الهوية الثقافية والحضارية والشرقية وبناء على هذا ظهرت العديد من الدراسات الإستشراقية لتمزيق الوحدة الوطنية وبث الفتن الطائفية وترسيخ النزعة العنصرية كما أنكرت العديد من الدارسات أصالة الحضارات الشرقية لاسيما الحضارة العربية الإسلامية ناسبة النظم الإسلامية إلى أصول يونانية وبيزنطية[3].

لا يمكن فصل علاقة الاستشراق بالاستعمار(سواء في إطارها الأوروبي أو الفرنسي) عن محيطها الاجتماعي والسياسي والجغرافي والقومي والتاريخي والثقافي:" **فالاستشراق والاستعمار الفرنسي هما أبناء وطن واحد ومجتمع واحد وثقافة واحدة وتاريخ ومصير واحد يعكسان تفوق فرنسا واحد فمصلحتهما مشتركة ولا فرق بينهما إلا في الجانب**

[1] حميش، المرجع السابق، ص209.

[2] عمر فوزي، المرجع السابق، ص35.

[3] المرجع نفسه.

الشكلي والوظيفي لعملهما فهما كاليدين الاثنتين لا تتأخر إحداهما في تقديم الدعم والمساعدة للأخرى إذا تطلب الموقف ذلك"[1]، والأمر ينطبق على الاستشراق والاستعمار الأوروبي إلا إن الاستعمار والاستشراق الفرنسيين أكثر تحالفا وانسجاما ودقة في إستراتجيتهما المشتركة وأكثر خطرا وتهديدا في أهدافهما وأكثر استعمارية من غيرهما " **فالعلاقة بينهما عضوية جسدا وروحا**"[2].

وبناء على هذا فقد راهنت فرنسا على مستشرقيها ودورهم بنفس القدر مع جيوشه، بل كانوا في طليعة الجيوش أدلاء يقودونها ويراقبونها ومرافقين لحملاتها مقدمين لها الخدمات والخبرات والمعلومات الضرورية، فقد اعتبر المستشرق" **الخبير المدرب والمجهز تدريبا وتجهيزا خاصين أبعادا إضافية، فقد كان يمكن اعتبار المستشرق العميل الخاص للقوة الغربية**"[3].

لقد أدرك نابليون أهمية كتابات الرحالة والقناصل والتجار الفرنسيين وتسلح بفريق من المستشرقين حملهم معه للاستعانة بهم أثناء حملته العسكرية على مصر سنة1798م[4]، فقد كان العلماء والمفكرين والمترجمين أحد ألوية نابليون فمهمته لم تكن مهمة أقل هجومية فكانوا يده الطولى وعينه المبصرة، فقد خاطب نابليون المصريين وهو محاط بمستشرقيه وبوحي منهم العارفين بشؤون الإسلام والمسلمين وبوحي منهم خاطب نابليون سكان

---

[1] نقلا عن بن إبراهيم، المرجع السابق، ص162.

[2] المرجع نفسه، ص ص162 ــ163

[3] نفسه، ص ص177 ،178.

[4] ساسي سالم الحاج: **نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، ج 1، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2001، ص89.

الإسكندرية قائلا:"**نحن المسلمون الحقيقيون**"[1] فكانوا صلة ارتباط بينه وبين المصريين وترجموا للعربية ما كان ينشره نابليون بالفرنسية من بيانات وخدع سياسية[2].

ويعد شيخ المستشرقين سلفستر دي ساسي أشهر المصاحبين لحملة نابليون والذي أصبح يشغل منصب المقيم بوزارة الخارجية منذ سنة1806م، وكان يتزعم نشرات الجيش الفرنسي وهو صاحب بيان نابليون سنة1806م وصاحب بيان الجيش الفرنسي المعرب الموجه للشعب الجزائري عشية الاحتلال سنة1830م، ونظرا لخدماته وأهميته كان يستشيره كل من وزير الخارجية ووزير الحرب في كل ما له ذات صلة بالشرق العربي والإسلامي[3].

وسار في هذا المضمار العديد من المستشرقين الفرنسيين الذي خدموا دولهم لتمكين من تثبيت أقدامها في الشرق، فكان لويس ماسينيون واحدا منهم وأشهرهم، فكان موضع ثقة حكومته عامة ووزارة الخارجية خاصة إذ أشركه بيكو في اتفاقية سايكس بيكو سنة1916م وكلف بالاستقصاء عن الدستور السوري ديسمبر1919م وكلف أيضا بإجراء تحقيق حول الطوائف في المغرب سنة1923م ووقف مستقبلا الجنرال البريطاني ألنبي أثناء دخوله مدينة القدس بجانب المستشرق البريطاني لورانس في11 ديمسبر1917م[4].

أثبت الباحث جاك بيرك الصلة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار فأكد أن الأمة الفرنسية تعمل وتجمع فمن قناصلها المغامرين إلى طوباوييها مخططي السكك الحديدية إلى مسافريها المنفعلين كلامرتين وباريس كانت تشيد في الشرق عملا خلص إلى مقابلة العلمي شامبليون وساسي ورينان ومن حذا حذوهم وفي هذه الفترة كان العرب يهملون ماضيهم الخاص ويتلعثمون بلغتهم النبيلة، "**إن الاستشراق المعاصر قد نشأ من هذا الشعور فاستغلال وانبعاث كل هذه الثروات المعنوية كان من نصيب المسيحي الموسوعي كما كان مسيحي البنك**

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص178.

[2] أحمد حسن الرحيم، المرجع السابق، ص39.

[3] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص178 ،179.

[4] المرجع نفسه، ص179.

ينعش بالتوازي المجالات الجرداء ويملأ المخازن...انظروا مثلا إلى القبيلة والنزعة البدوية فالاستشراق يتناولهما لصالح ثلاث دفعات سياسية كبيرة مرحلة "مكتبنا العربي" في الجزائر إلى سنة1870م، مرحلة" التمرد في الصحراء" وانتصار العملاء البريطانيين في الشرق الأوسط وأخيرا مرحلة" التوسع النفطي المعاصر"[1].

واعترفت الحكومة الفرنسية بقيمة المستشرقين وأدوارهم وتفانيهم في خدمة مصالح وطنهم فأجزلت عليهم العطاء وانهالت عليهم بالأموال الطائلة والتسهيلات وسلمت لهم الكتب والمخطوطات المستولى عليها وعلى المكتبات وعاشوا في كنف الاستعمار وبحمايته فسهل عليهم التنقل والترحال والوصل إلى مصادر المعلومات ووفر لهم منظومة مؤسساتية استشراقية[2].

لم يتوقف الاعتراف الاستعماري بأهمية المستشرقين عند هذا الحد بل سلمت لهم الأوسمة السياسية والعسكرية وأثمن الجوائز العلمية فنابليون بونابرت منح سلفستر دي ساسي لقب بارون في29مارس1814م، وكانت شهرته قد انتشرت في كل أرجاء أوروبا لدرجة أنه بغزو ألمانيا وانجلترا فرنسا سنة1814م صدرت الأوامر منهم وبناء على توصية فلهلم هومبولت رئيس وزراء بروسيا بعدم التعرض لممتلكاته[3].

- **الأهداف العلمية:**

كان الغرض الهام لدراسة المشرقيات هو استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه فقد تأكدت دول أوروبا أن نهوضها وتخلصها من الحكم العربي المسيطر عليها بالعلوم التي قام عليها المسلمون فتوحاتهم وحكوماتهم، فأدرك رجال الدين المسيحيين أن الحديد لا يقهر إلا بالحديد وأن الإسلام غزاهم بالعلوم التي تربع على عرشها المسلمون ردحا من الزمن، بينما جثت

---

[1] نقلا عن سالم حميش: العقد الاستعماري، **مجلة الاجتهاد**، العدد 23، 1994، لبنان. ص119

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص179 ،180.

[3] المرجع نفسه.

أوروبا تحت أقدامهم، ولذلك نجد في فجر الاستشراق انكبابا واضحا على العلوم الكيميائية والرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان[1].

ولأجل ذلك أنشأت المدارس والجامعات جيء بالعلماء المسلمين والمتتلمذين على أيديهم لتدريس في تلك المدارس والجامعات ووصلوا إلى درجة عالية من التقارب العلمي تحول هدفهم إلى هدم الحضارة الإسلامية بشتى الصور والوسائل، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ خليق أحمد النظامي:" **نشأت في الغرب رغبة الاطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية حينما دخل العرب اسبانيا وصقلية ولم يكن دخولهم فتحا لدولة أو جزيرة فحسب بل انه فتحا لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة المدنية**"[2].

وبناء على هذا نشطت حركة الترجمة لمحتويات المكتبات العربية نشاطا كبيرا في القرن11م وبرز اسم الشماس دومينيكو غونديسالفي(1116- 1142م) والايطالي جيرارد الكرموني(1114-1187م) وقد ركزت هذه الترجمات على الكتب العربية التي تناولت علوم اليونان ثم امتدت لتشمل كتب العرب في الحساب والفلك والتنجيم والطب والفلسفة ولمؤلفين مسلمين أمثال الخوارزمي والفرعاني والفارابي وابن سينا والغزالي واستمرت السيادة العربية للعلوم المنقولة في فرنسا وأوروبا حتى القرن15م[3] علما أن جيرارد القرموني نقل من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية نحو80كتابا في المنطق والرياضيات والهندسة والفلك والمناظر والبصريات والطب[4].

---

[1] الجبري، المرجع السابق، ص16.

[2] نقلا عن طارق سري: **المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي**، ط1،مكتبة النافذة،مصر،2006، ص 43.

[3] أبو هاشم، المرجع السابق، ص38.

[4]عمر فروخ: المستشرقون ما لهم وما عليهم، **مجلة الاستشراق**، العدد1،كانون2 1987، دار الشؤون الإسلامية،العراق،ص 55 .

فنجد جربر دي أورلياك قصد الأندلس وتتلمذ على يد أساتذتها في مدارس ريبول وأشبيلية وقرطبة وأصبح من أبرز العلماء المتشبعين بالثقافة العربية من رياضيات وفلك وميكانيك،والتي أثرت على إنتاجه الثقافي والعلمي فيذكر أنه أول من صنع الساعة الرقاصة ونشر الأعداد العربية في أوروبا وترجم العديد من الكتب الرياضية والفلكية كالزيج المنصوري وله دراسة في كتاب اقليدس بالعربية[1].

عمل جربر دي أورلياك على نشر العلوم العربية في فرنسا خاصة فأولى اهتماما بإنشاء المدارس منذ القرن12م مدرسة ريمس ومدرسة شارتر ومدرسة الطب في مونبلييه سنة1220م[2]، وقد كشفت دروسه التي كان يلقيها في مدرسة رانس لاسيما في الفلك مدى تأثره وتشبعه بعلوم وانجازات العرب[3].

وسار على خطى جربر من جاء وراءه فأنشأ البابا هونورويس الرابع معهدا لتعليم اللغات الشرقية سنة1258م وأكد البابا كليمانص الخامس في مجمع فيينا بين سنتي1311 و1312م بإنشاء كراسي للعربية والعبرية والكلدانية في العواصم الأوروبية كباريس وروما وأكسفورد وبولونيا،فأنشأت جامعة باريس كرسيا للغات السامية ثم أنشأ كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة باريس وأدرج في جامعة السوريون تاريخ وحضارة العرب والفقه الإسلامي وألحق بها معهد الدراسات الإسلامية بجامعة بوردو سنة1441م وبها معهد الآداب للغة العربية والتمدن الإسلامي[4].

إن الغرض الأساسي من انكباب الغرب على دراسة المشرقيات هو الاستفادة من علومه وآدابه[5]،وبناء على ذلك سعى فرنسوا الأول إلى الاتصال الثقافي والعلمي مع العرب

---

[1] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص120

[2] أميرة قاسم، المرجع السابق، ص151.

[3] بدوي، المرجع السابق، ص ص 178ـ 179

[4] العقيقي، ج 1، المرجع السابق، ص152.

[5] محمد الجبري، المرجع السابق، ص17.

المسلمين فأنشأ كرسيا للعربية والعبرية في ريمس سنة1519م وعهد بها إلى بوسيتناني أسقف نبيويه فأعاد لها مجدها الأول، كما أنشأ فرنسوا الأول معهد فرنسا كولج دي فرانس سنة1530م تجاه السوربون معدا بها كرسيين للعربية واليونانية ثم أضاف إليها الملك هنري الثالث كرسيا للعربية سنة1587م[1].

تيقن وزير الملك الفرنسي لويس14م وأمام مشروع دولته الاستعماري حاجته الملحة على علماء يتقنون اللغات السامية كتابة وخطابة فألف بعثة عرفت ب" **فتيان اللغات**" بقرارات رسمية وقع عليها الملك من سنوات1699م و1718م و1721م، وبناء على هذا تعلم فتيان فرنسا اللغات السامية في معاهد باريس وفي مدرسة الشبان الملحقة بمعهد لويس الكبير على نفقة الملك،وبعد تكوينهم وإعدادهم إعداد متقن أرسلوا إلى القسطنطينية وألحقوا بالسلك الدبلوماسي أو عينوا تراجمة وأساتذة اللغات السامية في أوروبا[2].

بعث هذا حسب المستشرق الفرنسي ماسينيون يقظة حضارية في أوروبا وفتح للغرب أفاقا جديدة للتقدم والرقي وكان حب الاستفادة من علوم العرب واستيعاب حقيقة الإسلام باعثا ومحفزا هاما لدراسة الإسلام محاولين الاستفادة من العلوم التي توصل إليها العرب[3].

وما تجدر الإشارة إليه أن العديد من المستشرقين عملوا على سرقة المخطوطات الإسلامية من الشرق والتي تعود بداياتها إلى سنة1311م إذ قام بها القناصل والرهبان بالاستيلاء على كل المخطوطات الموجودة في المساجد والزوايا وقد جمع أحد الرهبان(زانسي) ستة آلاف(6) مخطوط من الشرق نقلها إلى ميلانو ثم توالت بعثات الاستعمار والفاتيكان إلى العالم الإسلامي لجمع المخطوطات بهدف حبس التراث الإسلامي في مكتبات الغرب واتخاذه سلاحا ضد المسلمين بالتركيز على الكتب المثيرة للفتن ككتب الخلافات المذهبية والتصوف

---

[1] العقيقي، ج 1، المرجع السابق، ص153.

[2] المرجع نفسه.

[3] سري، المرجع السابق، ص43.

الفلسفي والشبهات ويخفون كتب العلوم وسرقة النظريات ونسبها إلى أنفسهم وعلمائهم علما أن معظم الكتب التي جددها المستشرقون وأعادوا بعثها استهدفت أراء معينة وتيارات مضللة وعليه فان هذه الكتب لم تبعث لخدمة الأدب العربي أو اللغة العربية ومن هذه الكتب ألف ليلة وليلة وتهافت التهافت لابن رشد[1].

أما المستشرق رودي بارت فيؤكد أنه مع منتصف القرن19م أصبح الاستشراق علما حيث تخلص المستشرقون من الآراء القديمة، فبعد اعترافهم بالكيان الخاص لعالم الشرق وتخلص معظم شعوبه من ربقة الاستعمار، عكفوا على نقل صورة موضوعية للشرق وفهم موضوعاته فهما موضوعيا ساعين إلى تجريد دراساتهم الإستشراقية من الأبعاد الدينية والتعصب والأهداف الاستعمارية حيث وصل الاستشراق إلى مرحلة التحول النهائي وأصبح علما قائما على النقد التاريخي[2].

وفي هذا الصدد يقول المستشرق الأمريكي المعاصر ولفرد كانتويل سميث:" **إن أراء القرن19م تلاشت أمام أفكار القرن20م بعد نهضة العالم الإسلامي وبدأ إقبال المسلمين على الحضارة الأوروبية التي كان قد أدخلها المستعمرون فقد فقدت هذه الحضارة وصفها القديم بأنها غريبة وأصبحت حضارة(عصرية عالمية) انتظمت المسلمين وأصبح رفضها بمثابة الرغبة في العزلة أو بعبارة أخرى الزهد في الحياة في القرن20م وأن معرفة الإسلام معرفة حقة لتنتهي إلى القول بأن استقلال المسلمين لا يعني العزلة فالحرية مشاركة**".[3]

- **الأهداف الاقتصادية:**

يعد هذا الهدف من أهم الأهداف المحرضة على نشيط حركة الاستشراق كونه يحقق انجازات بارزة وكبيرة للسياسة الاقتصادية الغربية[4]، فمع حاجة الايطاليين وغيرهم الناشطين

---

[1] أنور الجندي: **التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة**، د ط ، دار الأنصار، القاهرة، د ت ، مج 5، ص154.

[2] الخربطولي، المرجع السابق، ص82.

[3] نقلا عن المرجع نفسه.

[4] صلاح الدين حسين خضير: الاستشراق وشبهة الدافع الاقتصادي للأراضي المفتوحة(نقد وتحليل)، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، م3،ع 10، تشرين الثاني، جامعة تكريت،2011، ص401.

تجاريا في البحر المتوسط إلى تعلم اللغة العربية وآدابها لتمكن من إقامة علاقات حسنة مع العرب وعقد معاهدات معهم ففي سنة1265م كتبت باللغة العربية المعاهدة التجاري المبرمة بين تونس وبيزا ومنذ الحملة الصليبية الرابعة انفردت ايطاليا بعلاقاتها الجيدة، إذ اهتمت بتحسنها وتعزيزها مع الشرق الإسلامي فكانت البندقية همزة وصل بين الشرق والغرب إذ تكلم أهلها باللغة العربية ومع فتح القسطنطينية سنة1453م تعلموا اللغة العثمانية إلى جانب اللغة العربية[1].

وعليه يعد هذا العامل من العوامل المحرضة على الدراسات الإستشراقية ورغبتهم في التعامل مع العالم الإسلامي لترويج بضائعهم وشراء المواد الأولية لصناعاتهم بأثمان زهيدة والسعي للقضاء على الصناعات المحلية،وأدرك الغرب أن الوصول إلى مصادر القوة في الشرق وتمزيقها عليه التسلح بالقوة الاقتصادية ومن أجل ذلك وجد المستشرق أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف إليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق أهدافهم والخير الذي يعود إلى تجارتهم وصناعتهم، ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات والملوك يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه أموال كما عملت الحكومات على رعايتهم[2]، ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات والملوك في الكثير من المناسبات يزودون الباحثين بما يحتاجون من مال كما منحتهم الرعاية والحماية[3].

وما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الأوروبيين دخلوا البلاد العربية والإسلامية بصفة رجال علم وأمناء ينقبون عن الآثار لأغراض علمية ثم يسلبون خفية كل ما يستطيعون سرقته من الآثار النفيسة وقد هربوا بهذه الصورة أسد بابل وسلة حمورابي من العراق ورأس الملكة

---

[1] الجبري، المرجع السابق، ص76.

[2] محمد صالح البنداق: **المستشرقون وترجمة القران الكريم**، ط 1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص37 .

[3] زقزوق، المرجع السابق، ص ص77 ،78.

نفرتيتي من مصر وفي المتاحف الغربية في لندن وباريس وغيرها أقسام واسعة خاصة بالآثار الشرقية التي هربت في غفلة من أهل البلاد[1].

2ـ خصائص الاستشراق:

إن الاستشراق واحد في شكله العام وله الأدوار الثقافية نفسها، فقد تخصص الاستشراق بدراسة ثقافة الشرق وتاريخه وحضارته، وسواء تناول المستشرقون اللغة أو الدين أو التاريخ أو الطب أو الفلسفة فكل علم أو فن هو ضمن دراسة الاستشراق من الشرق العربي والإسلامي ومن المحيط إلى أنودنيسيا، فالاستشراق واحد من حيث عناصره الأساسية وزمن ظهوره وموطنه الجغرافي ومجال دراسته الذي اهتم به(الشرق وحضارته)[2].

وفي نفس الوقت تباين الاستشراق من دولة إلى أخرى فوجدت استشراقات عديدة حيث أن الاستشراق الفرنسي مثلا يختلف عن نظيره السويدي ومختلف من عصر لأخر فاستشراق القرن15م الذي جاء بعد الحروب الصليبية وفتح القسطنطينية عام1453م سقوط غرناطة سنة1492م والتوغل العثماني الإسلامي في أوروبا ووصوله إلى أبواب فيينا، غلب الطابع الديني والتعصب على هذا الاستشراق فهو مختلف عن استشراق النصف الثاني من القرن20م وما يليه حيث تراجعت حدة الصراع والتعصب الديني أي فترة التقارب والحوار بين المسلمين والمسيحيين، كما أن الاستشراق يختلف من مستشرق إلى أخر حتى في المتزامنين تاريخيا وحتى مستشرقي الدولة الواحد فهناك بعض المستشرقين عرفوا بالتعصب والحقد على الإسلام والمسلمين والبعض الأخر تميزت دراسته بالموضوعية والبعد عن

[1] أحمد حسن الرحيم، المرجع السابق، ص40.

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 84،85.

التعصب بل اطلع العديدين منهم على ثقافة الشرق ودينه وصرح بإعجابه بها وإعلان إسلامه[1].

إن محاولة دراسة خصائص استشراق دولة عن أخرى ذو صعوبة بالغة، إذ لم يحظ بدراسات وافية عنه إلا في حالات قليلة:" **حتى الذين بحثوا فيه ذهبوا مذاهب مختلفة يستحيل التوفيق بينها ويصعب قبولها كلها إلا بحذر شديد وحرص بالغ وان اعترف الجميع بوجودها وأشادوا بأهميتها وضرورة البحث فيه**"[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن استخلاص خصائص كل مدرسة استشراقية يتحتم على الباحث التطرق بالتفصيل إلى بيان إنتاج تلك المدارس وتأصيلها تاريخيا وتتبع تطورها.

إن الاستشراق الفرنسي جزء لا يتجزأ من الاستشراق الغربي وعلاقته به هو علاقة فرنسا بالغرب، كونها دولة أوروبية وكغيرها من الدول رغم ذلك لها خصوصيتها التاريخية والجغرافية واللغوية والثقافية كما سبق القول، وقد يختلف في هذه الخصوصية عن استشراق بعض الدول الأوروبية الأخرى في العديد من الأمور خاصة غير الاستعمارية كون هذا الخصوصية علاقة بتصادم المصالح السياسية بالثقافية والإيديولوجية وبتشابك التاريخ والجغرافيا والوسائل والغايات، الأمر الذي انعكس إلى البني الفكرية للنسيج الثقافي الاستشراقي الخاص المختلف من دولة لأخرى كل حسب مصالحها ومستعمراتها وتماشيا مع سياساتها وأهدافها[3].

إن خصوصية الاستشراق الفرنسي لا ترجع لطبيعة بشرية عند الفرنسيين ولا تعود لموضوع استشراقي اختصوا به عن غيرهم أو لعصر سادوا فيه لكن الأمر راجع لموقعهم الجغرافي المجاور للإسلام ولتاريخ وظروف خاصة مروا بها دون غيرهم وأثرت في تكوين

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 85، 86.

[2] نقلا عن سمايلوفتيش، المرجع السابق، ص219.

[3] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص88.

شخصية فرنسا التاريخية المحتكة بالإسلام دوما وما اكتسبته من تجاربها معه وما تميزت به في مراحل تكوينها تاريخيا وثقافيا وجغرافيا ودينيا وعسكريا فهذا الماضي المميز جعلها أكثر الدول الأوروبية مواجهة مع الشرق وترك بصماته على تكوين شخصية فرنسا فلم تستطع التخلص من ترسباته في دراساتها الإستشراقية وكذلك سياسة فرنسا الثقافية المهيمنة وأهدافها الخاصة المتبعة في المنطقة في القرنيين الأخيرين[1].

تناول الباحث محمد فتح الله الزيادي مدارس الاستشراق ومن بينها المدرسة الفرنسية وأورد خصائصها في مجموعة من النقاط المختصرة.

- **الاهتمام باللغة العربية وتكريس العامية:**

أولى الاستشراق الفرنسية أهمية بالغة للغة العربية وفقهها ونحوها وآدابها وبرزوا في هذا المجال بروزا واضحا، الأمر الذي ظهر في إنتاجياتهم ومؤلفاتهم في هذا المجال وتخصص العديد منهم أمثال المستشرق بوستيل(POSTEL) الذي ألف منذ سنة1539م كتاب قواعد اللغة العربية وعمل مدرسا للغة العربية بجامعة فيينا سنة1552م أين جمع محاضراته بها في كتاب اللغة العربية والفينيقية، كما أصدر كتاب عادات وشريعة المسلمين وكتاب وصف القاهرة إضافة إلى حصوله على الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية والمتحصل عليها أثناء جولته في الشرق ثم باعها لمكتبة هايدلبرج.[2]

وبرز في المضمار أيضا المستشرق أيربلو والمشهور بكتابه" **المكتبة الشرقية**" وهي دائرة معرف تبحث في علوم الشرق وتاريخه وآدابه وأديانه ونظمه،وتحصلت المكتبة الوطنية بباريس بفضله على مجموعة نادرة من المخطوطات العربية والفارسية والتركية و(Du Courroy)ألف سنة1848م تخصص في التشريع الإسلامي في المذاهب السنية والشيعية والحنفية وأنشأ البارون دي ساسي شيخ المستشرقين" **المجلة الأسيوية**" والتي لا تزال إلي

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص88

[2] ساسي، المرجع السابق، ص109

يومنا هذا من أهم المجلات القيمة كما نجد كتابه القيم" النحو العربي" وحقق وطبع مقامات الحريري **والإفادة بما في مصر من الآثار** لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي وكليلة ودمنة وغيرها من الكتب المرتبطة بالدراسات العربية وأدبها وفقهها[1].

ونجد المستشرق كاترمير(Quatermere) أحد تلامذة دي ساسي ينشر مقدمة نقدية دقيقة لمقدمة ابن خلدون في ثلاثة أجزاء ويضيف كتابا بعنوان" **اللغة العربية وآدابها وجغرافيتها**"وآخر بعنوان"**منوعات من التاريخ والفلسفة الشرقيين**"[2] وكذلك" **لافالييه**" وصف مدينة الإسلام في الأندلس ومزايا العرب في الصناعة والزراعة والغراس والبناء والزخرف الشرقي[3]، ونجد في السنوات الأخيرة في فقه اللغة فليش(Fleish) بعنوان"**الوسيط في فقه اللغة العربية**" طبعه في بيروت سنة1961 وكتابه" **اللغة العربية الفصحى- محاولة في التركيب اللغوي**" طبعت ببيروت سنة1968م[4].

حظيت القواميس باهتمام بعض المستشرقين أمثال بلاشير وشومي ودينـــزو من نشرهم "**القاموس العربي الفرنسي- الانجليزي**" والذي يعد مرجعا هاما وضروريا للدراسات التاريخية واللغوية، أما بالنسبة للقواميس المتعلقة بالمصطلحات الغنية العربية فإنها نادرة ولم ينشر منها شيء سواء من فرنسا أو غيرها[5].

إن إجراء مقارنه بين الاستشراق الفرنسي والأوروبي يخلص إلى خاصية مهمة تميز الاستشراق الفرنسي عنه وهي الاهتمام والتركيز على الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية

---

[1] ساسي، المرجع السابق، ص109.

[2] العقيقي،ج1، المرجع السابق،ص ص184،185.

[3] المرجع نفسه، ص185.

[4] ساسي، المرجع السابق، ص110

[5] المرجع نفسه

ومهاجمتها،والاهتمام بالمواضيع العامية واللهجات المحلية والعادات والتقاليد والتمايز الثقافي بين السكان وبين الجهات والأقاليم والقبائل والطوائف[1].

ركزت على هذا المجال خلال النصف الأول من القرن20م في المغرب بشكل كبير وواضح وبرز في هذا المجال العديد من المستشرقين لاسيما وليام مارسيه(**Marçais**) حيث تجول هذا الأخير من دراسة القانون إلى الدراسات العربية العامية خاصة فيما يتعلق باللهجات المغربية والجزائرية والتونسية، وتوجت دراساته بكتاب حول اللغة العامية والمسمى" **نصوص تكرونة العربية** " والذي نشره في باريس سنة1925[2].

ونجد في نفس المضمار المستشرق مارسيه كولان(**Colin**) والذي نشر بمساعدة رينو (**Renaud**) سنة1934م كتاب" **تهافت الأحباب**" والمتعلقة بالطب الشعبي المغربي، وفي تونس اشتهر المستشرق دافيد كوهين(**Cohen**) حيث أصدر دراسة حول"**الكلام العربي ليهود تونس**" وخصص دراسة معمقة عن"**اللهجة العامية الحسنية**"، نشرت في باريس سنة1963م ركز فيها على اللهجات العربية العامية المختلطة بالبربرية في موريتانيا[3].

برز في الجزائر العديد من المستشرقين المهتمين بتكريس اللغة العربية المهجنة بالعامية واللهجات المحلية لدى الطوائف المكونة للمجتمع الجزائري فيقول فيرون:" **إن الفرنسيين قد فهموا مدى أهمية اللغة العربية وأنها واسعة الانتشار بين الأهالي ورغم عدم مبالاة الفرنسيين باللغات الأجنبية فقد اضطروا إلى دراسة العربية الدارجة كما أن البعض درس المكتوبة أيضا**" أي الفصحى وبرز في هذا المجال العديد منهم أمثال هوداس وفايسيت حيث

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص314.

[2] ساسي، المرجع السابق، ص ص110 ــ111

[3] Claude Cahen et Charles Bellate : **les études arabes et islamique**, J .A, t 2, septième série, 1873, p 94

اشتغل هذا الأخير كمدير لمدرسة عربية فرنسية بقسنطينة وهو نوع من المدارس الهادفة إلى بث الثقافة الفرنسية عن طريق العربية الدارج[1].

حظي المشرق العربي هو الأخر بنصيبه من محاولات تكريس العامية أين نجد العديد من الدراسات المتعلقة باللغة العامية في هذه المناطق والتي قام بها مونتاني(Montagne) حول النصوص البدوية للشام والجزيرة ونجد ونشر بارتلماي(Barthelemy) عام1935م" **القاموس العربي الفرنسي للهجات السورية**" كما تم الاهتمام بلهجات لبنان وفلسطين والقاهرة والعديد من أراضي الشرق[2].

اهتم الفرنسيون باللهجات العامية سعيا للاستغناء عن اللغة العربية الفصحى بحجة صعوبتها وكونها لغة الكتب والطبقة المثقفة فقط ووجدت هذه الدعوة لها أنصارا في الشرق علما أن هذا المشروع في أصله مشروع استعماري يسعى لسيادة العامية بدلا من الفصحى لزيادة التفرقة بين العرب والمسلمين وإزالة الوحدة اللغوية أهم مقومات وحدتهم والقضاء تدريجيا على لغة القرآن وإدخال نظام اللغات الأوروبية الغربية التي حلت محلا اللغة اللاتينية لدى الغرب[3].

- **الارتكاز على محاور دينية سياسية واستعمارية**

تميز الاستشراق الفرنسي في مجمل توجهه بطرحه التاريخي الفيليولوجي وروحه الصليبية التنصيرية وأهدافه الاستعمارية ووصايته وهيمنته الثقافية، وكان غزوا خاصا لخدمة مصالح فرنسا وأكثر قربا واحتكاكا بشرقه وأكثر أثرا وتأثيرا في هوية مستعمراته

---

[1] سلسلة المشاريع الوطنية للبحث: **أثار السياسة الاستعمارية والاستيطان في المجتمع الجزائري (1830-1954)** منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، طبعة خاصة الجزائر،2007،ص ص135،136.

[2] Cahen et Bellate ,op cite, p96.

[3] ساسي، المرجع السابق، ص111.

الشرقية،حيث لم يكن غزوا لثقافة الشرق فقط بل غزوا للغة وقيم وعادات وتقاليد فرنسا وكانت أساليب عمله مباشرة وأكثر غطرسة في أنشطتها الدينية والثقافية[1].

كان الاستشراق الفرنسي أكثر أنواع الاستشراق الغربي تجنيدا للغزو الثقافي والتبشير الديني،ففرنسا أكثر الدول الأوروبية اعتمادا على الاستشراق في جبهات صراعها الرئيسية مع الشرق العسكرية الدينية والثقافية والاقتصادية، فوظف الاستشراق كحليف رئيسي للتبشير والاستعمار والثقافة الفرانكفونية وكجهاز بكل مؤسساته وأدواته المعرفية والعلمية لمهما غير أخلاقية وغير إنسانية(في معظم الأحيان) وإذا كان الاستشراق عامة فوظف لخدمة الاستعمار فان الاستشراق الفرنسي كان أكثر تميزا ووصاية ثقافية من غيره من أنواع الاستشراق الغربي الأخرى[2].

- **الاهتمام بدارسة الشمال الإفريقي في جميع المجالات:**

اهتم المستشرقون الفرنسيين بدراسة شمال إفريقيا من حيث تاريخه وجغرافيته وأثاره وتركيب سكانه وهذه الدراسات لا علاقة لها في الغالب الأعم بالفترة الإسلامية والقائمين بها لم يكن معظمهم من المستعربين أو المستشرقين كونها سبقت الفترة الاستعمارية لهذه المنطقة ويعد كتاب شارل أندريه جوليان" **تاريخ شمال إفريقيا**" أهمهم جميعا غير أنه يتوقف عند بداية الفتح الإسلامي فقام متخصص آخر في هذا المجال يدعى روجيه لاتورنو باستكمال النقص (باحث وأستاذ للتاريخ في المغرب والجزائر) ثم أكس المشهور بكتابه القيم عن المغرب خاصة بحثه"**فاس قبل الحماية الفرنسية**"، كما اهتم بالمنطقة كل من كولان وليفي بروفنسال وبيرك وأنجب هؤلاء فريقا من البحاثة المغاربة في كتابة تاريخ بلادهم[3].

---

[1] ساسي، المرجع السابق، ص111

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص313.

[3] ساسي، المرجع السابق، ص113.

وما تجدر إليه أن الاستشراق الفرنسي يعد مرجعا هاما وضروريا للأبحاث والدراسات الخاصة بالطوارق والبربر وتركز مستعمراته في إفريقيا ساعده على ذلك واهتماما يعكس نوايا الاستعمارية والتوسعية[1].

اهتم الباحثون الفرنسيون بالعلاقات والروابط بين اسبانيا والمغرب العربي، وبرز في هذا الميدان العالم والمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال الذي ألف كتابا حول هذا الموضوع بعنوان"**تاريخ اسبانيا المسلمة**"، نشر في ثلاث مجلدات ويعد الكتاب مصدرا هاما لسائر الدراسات الاسبانية العربية فيما يتعلق بالعلاقات التاريخية وأصبحت جميع الكتب الدارسة للموضوع ناقصة لما امتاز به من عمق وتحليل[2].

- **دراسة الشرق بأكمله:**

لم تقتصر الدراسات الإستشراقية الفرنسية على الشرق الأوسط فقط بل تعداه إلى دراسة الفرس والأتراك ومن عالج التاريخ الإسلامي لهذه المنطقة درس هذه المناطق الثلاث مجتمعة،وتركزت الدراسات الإسلامية للشرق الأوسط على الآثار خاصة، لاسيما أن المستشرق" فييت" ركز في دراساته على الآثار المصرية وتاريخها وحقق كتاب" **خطط المقريزي**" وكتب ابن حوقل واليعقوبي كما برز اسم المستشرق" **سوفاجيه**" بما قدم من بحوث على مستوى عالي من القيمة العلمية والأهمية متناولا سوريا والمدينة ومصر وإيران وتركيا من الناحية الأركيولوجية والتاريخية، علما أن جهوده لم تتوقف بوفاته بل تابعة تلميذته **مدام سورديل** مساره بما تملك من منهجية صارمة والقائمة على مزج المعرفة التاريخية باللغة والآثار الشرقية[3].

---

[1] الزيادي، المرجع السابق، ص291.

[2]Cahen et Bellate ,op cite, p102

[3] ساسي، المرجع السابق، ص113.

تبقى الدراسات الإستشراقية الفرنسية المتعلقة بتاريخ الشرق الحديث شحيحة مقارنه بالدراسات التي تناولت تاريخ العرب قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي والآثار الشرقية،ما عدا بعض الدراسات الجدية كالتي قام بها شفالييه(Chevallier) حول مجتمع جبل لبنان في عصر الثورة الصناعية في أوروبا سنة1970م ودراسات أندريه ريموند حول الحرف في القاهرة خلال القرن18م وأشرف السيد كولومب على مجلة" **كراسيات الشرق الحديث**" ثم" **مجلة الشرق**"والمختصة ب"**تطور مصر الحديثة**"ثم أعد بحثه الهام والرئيسي والمعنون ب"**المشرق العربي والقوى الكبرى من سنة1945إلى سنة1961م**"[1].

- **الاهتمام بالتاريخ الروحي للشرق الإسلامي والتعصب الشديد ضد الإسلام:**

حظي التاريخ الروحي للشرق الإسلامي بمكانة مميزة لدى مستشرقي فرنسا وبرز فيه العديد منهم أمثال **فادا**(Vajda) **ولاوست**(Laoust) **وكوربان**(Corbin)، فاهتم الأول بالعلاقات اليهودية العربية في مجال الفكر وتخصص الثاني في دراسة المذاهب الإسلامية لاسيما المذهب الحنبلي الذي مثله ابن تيمية ثم درس الماوردي والغزالي وغيرهم أما الأخير فتخصص في التصوف غير أن دراسته اتجهت نحو إيران والمؤلفات الفارسية ولكنه اهتم بالمفكرين الذين كتبوا باللغة العربية كابن رشد،كما درس ارنلدز ابن حزم وبعض الفلاسفة المسلمين الآخرين[2].

يؤكد العديد من الباحثين أن ما يميز الاستشراق والمستشرقين الفرنسيين تعصبهم الشديد للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أنه من النادر أن نقرأ لمستشرق فرنسي شيئا طيبا عن رسولنا الكريم ويدرسه دراسة موضوعية بعدية كل البعد عن الذاتية والتعصب الديني وان قال شيئا حسنا عنه وعن الإسلام فإنه يتحفظ في أقواله تحفظا ملحوظا[3].

---

[1] Cahen et Bellate ,op cite, p103

[2] ساسي، المرجع السابق، ص114

[3] المرجع نفسه.

فالظاهر لنا أن الاستشراق الفرنسي لم يستطع التخلص أو إخفاء كرهه وتعصبه الديني الأمر الذي أكده الحاكم العام بالجزائر بمرور100سنة على احتلالها قائلا:" **يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم**"[1].

وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي الكاثوليكي كيمون في كتابة باثولوجيا الإسلام:" **إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول يجمح في القبائح وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة الله إلى ما لانهاية والتعود على عادات تنقلب إلى طبائع أصلية ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط منه من أفكار القسوة والفجور في الملذات**"[2].

- **السبق واحتلال الريادية في الدراسات الإستشراقية:**

تعد فرنسا أول دولة أوروبية تتواصل مع العرب المسلمين، بالرغم من أن بدايات التواصل كانت تلقائية بطيئة تمت من أفراد حركتهم الرغبة والفضول في تعلم لغة العرب والمسلكين وعلومهم وبعض أوجه الحضارة الناشئة والمتصاعدة بسرعة علة الحدود الفرنسية، فقوة الدولة الإسلامية في الأندلس وحداثة حضارتها و ريادتها وقربها الجغرافي منها شكل حافز ومشجع بل مغري للاحتكاك بها والنهل منها[3].

تميزت فرنسا بالعدد الهائل من مستشرقيها عبر مراحل الاستشراق القديم والحديث، فالسبق الفرنسي للاستشراق لم يكن تاريخا وحسب بل عدديا أيضا، حيث أن عدد المستشرقين

---

[1] إسماعيل علي محمد:**الاستشراق بين الحقيقة والتضليل،مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، ط3، الكلمة للنشر والتوزيع،القاهرة 2000، ص59.

[2] نقلا عن الشرقاوي، المرجع السابق، ص ص54ـ 55

[3] نصري ، المرجع السابق، ص18.

الفرنسيين في مختلف التخصصات والمجالات يفوق عدد المستشرقين في أي دولة أوروبية أخرى،فسحب موسوعة نجيب العقيقي" **المستشرقون**" يوجد بها ما يزيد عن1800 مستشرق أوروبي وأمريكي منهم400مستشرق فرنسي، أي ما يعوض مستشرقي13دولة أوروبية مجتمعة ما فيهم الولايات المتحدة الأمريكية، وبهذا تحتل فرنسا المرتبة الأولى ثم تليها بريطانيا[1].

- **ضمه للكثير من العسكريين في صفوفه: أي ارتباطه الوثيق بالاستعمار:**

ضم الاستشراق الفرنسي في صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، فكان العديد منهم جنودا مجندين في جيوش الاحتلال الناطقين باسمه بين السكان، فالعلاقة الوطيدة بين الاستشراق الفرنسي والاستعمار والامبريالية علاقة فكرية وثقافية وروحية ونفسية، وهي خاصية امتاز بها المستشرقون الفرنسيون عن المستشرقون البريطانيون[2].

وإذا هزم المستشرقون البريطانيون المستشرقين الفرنسيين في المناورة والتكتيك فان الفرنسيون تفوقوا وتميزوا عنهم في التصميم الامبريالي مثل إتين فلاندان، بوالون، وقد أعلن الكونت دوكريستاني(الامبريالي الجامح) أن سوريا هي شرق فرنسا الخاص ومحطة المصالح الفرنسية السياسية والأخلاقية والاقتصادية[3].

إن البحث والتدقيق في الاستشراق الفرنسي يخلص إلى وجود العديد من المستشرقين الفرنسيين خدموا الاستعمار، وأعلنوا تأييدهم صراحة للاستعمار وإدارته بل كانوا في صفوفه الأولى،خادمين إياه بأنفسهم ووظائفهم وعلمهم فاحتلوا المناصب السامية والقيادية الحساسة في الدولة والجيش الفرنسي فكان منهم الضباط والمستشارون في الجيش من أدنى الرتب إلى

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص232.

[2] المرجع نفسه، ص175.

[3] ادوار سعيد، المرجع السابق، ص176

أعلاها وبرز في هذه الفئة من المستشرقين العددين منهم المستشرق ليون روش واللواء ديبيليي،والبارون دي دوماس، ودي موتلينسكيونجد مالينجود[1].

- **ارتباطه الوثيق بالتنصير:**

إذ أن الغالبية الكبرى من المستشرقين من رجالات الكنسية والمنصرين واليهود المتفقين في غاياتهم وأهدافهم مع المنصرين، وقد بذلوا جهود معتبرة وأنفقوا أموال طائلة لإيصال الدين المسيحي للمسلمين بدافع حب الإنسانية وحمل مشعل الهداية والنور إلى بلاد الظلام فالإنجيل الغربي هو طريق الخلاص(على اعتقادهم)، كما تضافر الجهل بحقيقة الإسلام وتعرض البلاد الإسلامية للاستعمار الأوروبي الشرس إلى خلق هالة من الغرور والثقة في دوائر التنصير مقتنعين أن تنصير المسلمين أقرب إليهم من حبل الوريد[2].

عبر رودي بارت عن أهداف المستشرقين الدينية معتبرا أن أول ترجمة للقرآن الكريم سنة 1143م هدفها تنصيري وسعيا لإقناع المسلمين بلغتهم بترك الإسلام والالتفاف حول الدين المسيحي[3]، كما تم إنشاء أول مركز لدراسة تاريخ الإسلام وعقيدته في طليطلة بالأندلس سنة1250م وحين عقد المجتمع الكنسي في فيينا سنة1312م أقر التقرير الذي أعده ريموند لل والذي دعا إلى إنشاء عدة مراكز لتعليم اللغة العربية والسريانية والعبرية في جامعات أوروبية شهيرة منها أكسفورد وباريس تحت رعاية الكنسية الكاثوليكية[4].

انتشرت المدارس التي تنتج المنصرين لاسيما أن المسيحية في أصل جوهرها تنصيري تستند إلى فكرة الحوارية والرسالية(المسيحيين المرسلين أمثال بطرس في روما ويعقوب في اسبانيا)،كما تقوم على فكرة أنمن أدخل غير مسيحي في المسيحية دخل الجنة[5] ومن أبرز

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص176.

[2] السامرائي، المرجع السابق، ص ص56، 57

[3] أبو هاشم، المرجع السابق، ص36.

[4] عمر فوزي، المرجع السابق، ص33.

[5] أبو هاشم، المرجع السابق، ص ص41 ــ42

الدعاة المسيحيين المطالبين بضرورة تعلم اللغة العربية لغرض تنصيرهم **روجر بيكون** (1214-1294) إذ كان يرى في التبشير الطريق الوحيد لتوسيع رقعة العالم المسيحي على حساب العالم الإسلامي[1]، فقد ولد الاستشراق وترعرع في الأديرة والكنائس.

وما تجدر الإشارة إليه إن النزعة الدينية التنصيرية للاستشراق الفرنسي اتسم بها حتى مستشرقي العصر الحديث، فلم يستطيعوا التخلص منها، فعرف بها أبرز أعلام الاستشراق الفرنسي من جربر إلى دساسي ثم لويس ماسينيون، فشيخ المستشرقين المحدثين دي ساسي غلبت على مواقفه النزعة التبشيرية ودعمه لها حتى قيل:" **إن عمل دي ساسي قد وفق بين طريق العالم وطريقة المعلم المقدس**"، وسار على خطاه لويس ماسينيون وعبر عن ذلك بقوله" **إن الطلاب الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية**"[2].

إن المستشرقين الفرنسيين الغالبة عليهم النزعة التنصيرية ضم قساوسة ورهبان وأساتذة وعلماء ومبشرين والمتعاطفين والمؤيدين، بل حتى الفئة التي لم تكن تربطها بالدين علاقة ورددوا أثناء الثورة الفرنسية" **أخنقوا آخر ملك بأمعاء أخر قسيس**" دعموا الأفكار الدينية خارج فرنسا ولاسيما على الشعوب الشرقية والمسلمين[3].

ثانيا: أهداف الاستعمار وخصائصه:

تعددت واختلفت الأهداف والدوافع التي حرضت أوروبا على الاستعمار من أهداف اقتصادية وسياسية ودينية وإستراتيجية، كما تميز بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن الاستعمار القديم.

---

[1] زقزوق، المرجع السابق، ص75

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص110.

[3] المرجع نفسه.

1ـ أهداف الاستعمار الأوروبي الحديث:

تعددت الأهداف المحرضة على الاستعمار من دوافع اقتصادية وسياسية ودينية وحضارية واجتماعية.

- **الأهداف الاقتصادية:**

وضعت الأهداف الاقتصادية في المقدمة من أجل تفسير التوسع الاستعماري الذي قامت به الدول الأوروبية، فقد" **خلقت الثورة الصناعية اقتصاد مفتوح الشهية بل حاد الشهوة ينتج بالجملة ليستهلك بشراهة**"،[1] ففتح الانقلاب الصناعي حاجة ملحة ومتزايدة للمواد الأولية الخام لاسيما الحديد والفحم لتحريك عجلة الاقتصاد المتنامي بأراضيها، لاسيما أمام فقر القارة العجوز إلى هذه المواد[2]، فوجدت هده الدول الصناعية في إفريقيا وأسيا مرتعا هاما وغنيا بهذه الخامات، ولم يكن السعي وراء المواد الأولية من غير اعتبارات إستراتيجية فالمطاط والوقود والقطن خير نموذج للصراعات الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان الاستعمار الياباني أحوج للمواد الأولية فجهد عسكريا وسياسيا لتحويل الصين وأسيا إلى مصدر للمواد الأولية لضمان بقائه[3].

كما لا يمكن تناسي أن الانقلاب الصناعي الذي شهدته أوروبا وما انجر عنه فائض في الإنتاج أوجب إيجاد أسواق لتصريفه، فالصناعة الكبيرة لا يمكنها أن تزيد أو تحتفظ بنفس سرعة إنتاجها إذا لم تجد أسواق جديدة، ومادامت كل الدول الأوروبية العظمى الأوروبية باستثناء انجلترا وحدها قد وضعت بعد سنتي1879و1880م نظام جمركي تزيد فيه نسبة الحماية فإن أسواق القارة لم تفلح إلا بصعوبة ولذلك فقد كان من اللازم البحث عن عملاء خارج أوروبا وهو ما أكده جول فيري قائلا:" **الاستهلاك الأوروبي قد تشبع**" وأنه في وسع

---

[1] نقلا عن جمال حمدن: **إستراتيجية الاستعمار والتحرر**، ط1، دار الشروق، لبنان، 1983، ص105.

[2] جفري برون: **تاريخ أوروبا الحديث**، تر: على المرزوقي، دط، دار الأهلية للنشر، الأردن، دت، ص471.

[3] Zay, op, cite, p6.

السياسة الاستعمارية وحدها أن تجد" **طبقات جديدة من المستهلكين**" وهي" **صمام الأمن**" بل ستصبح الدول الصناعية بدونه مهددة بالأزمات الاقتصادية والاجتماعية[1]، فشكل هذا دافع للبحث عن مناطق وأراضي تعرف بضخامة عدد سكانها وتراجع مستوى إنتاجها الصناعي[2]،وهو ما أكده أيضا جول فرنسوا فيري قائلا:"**تحتاج الصناعة الفرنسية إلى الأسواق**"[3].

ومن جهة أخرى اعتمدت الدول المصنعة على كميات معتبرة من رؤوس الأموال حيث أن الانقلاب الصناعي أعطى أرباح أكثر سرعة من الزراعة، ولم تجد هذه الأموال استثمارا سريعا ومربحا في القارة الأوروبية، مما استوجب البحث عن أراضي جديدة لاستغلالها فكانت البلاد الجديدة التي لم يكن لها سكك حديدية أو استثمارات زراعية أو صناعية مجهزة،والاستثمار في هذه الأراضي وان كان مخاطرة إلا أنه سيثمر أرباح طائلة[4] بفضل تقريب المصانع من مصادر الثروة والأسواق توفيرا لتكاليف النقل والتسويق[5].

وما يؤكد دور الاقتصاد في تحريك عجلة الاستعمار هي ما جاء في خطبة الرحالة الانجليزي ستانلي في أواسط إفريقيا أمام جمهور من رجال صناعة القطن في مدينة مانستشر وقام الرجل يتحدث عن الزنوج وأن الإنسانية تتطلب العمل على ترقيتهم فظل الحاضرون سكوتا غير مبالين وكأنهم في واد والمحاضر في واد آخر وفجأة قال المحاضر أنه لو أمكن تعليم الزنوج ارتداء الملابس القطنية لكان معنى هذا ازدهار الصناعة في بريطانيا وحصول

---

[1] جلال يحي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دط ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999 ، ص ص312، 313.

[2] حمدان، المرجع السابق، ص106.

[3] نقلا عن إياد على ياسين الهاشمي: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط1،دار الفكر،عمان،2009،ص ص197، 198

[4] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص313.

[5] حمدان، المرجع السابق ص106

رجالها على ملايين الجنيهات سنويا، وبمجرد سماع الأرباح الطائلة المرجوة ضجت القاعة بالتصفيق الشديد فالأرباح هي الأساس[1].

وهو ما أكده جول فيري قائلا:" **إن شعوب أوروبا إنما تطمع في الاستيلاء على المستعمرات لأغراض ثلاث هي الطمع في خاماتها والاستحواذ على أسواقها لبيع ما تنتجه من مصنوعات وأخيرا استثمار رؤوس الأموال الفائضة بها ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا باستغلال الأرض لمصلحة الدولة صاحبة السيادة**"[2].

فقد كانت الحاجة إلى التوسع الاقتصادي والمالي تدفع إلى الغزو الاستعماري الذي يسمح للدولة الاستعمارية بالاحتفاظ لنفسها بأسواق لها قيمتها ورغم أن بريطانيا نفسها كانت من دعاة الحرية التجارية وأنها حاولت استغلال أقاليم إمبراطوريتها لمصلحتها وحدها، فوجدت من اللازم امتلاك المستعمرات من شعار" **التجارة تتبع العلم**"[3].

وترتب عن هذا تأسيس الشركات التجارية الكبرى التي اشتهرا في ميدان الاستعمار في إفريقيا وآسيا، فقد اكتشفت هذه الشركات في إفريقيا مستودعا هاما حتى كادت تنتضب مواردها النباتية والحيوانية والمعدنية وكان قانون المستعمر امتصاص زبد الإقليم وأصبح أفضل تشبيه للاستعمار بأنه مضخة ماصة في المستعمرات كاسية في الدول الاستعمارية، أما المستعمرات في نظره فلا تخرج عن كونها مصدرا للمواد الخام وللعمال ذوي الأجور الرخيصة بالإضافة إلى مستودع للفائض من المصنوعات غير الجيدة بأسعار عالية وأصبح الأوربيون ينادون" **بأن العقل الأبيض والعضل الأسود يجب أن يتعاونا لخير الطرفين**"[4].

---

[1] الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط ، الاستعباد والفقر والجهل والمرض، ص16، اطلع عليه يوم25 /2019/09).

[2] نقلا عن عبد العظيم رمضان: **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، مصر،د ط، ص77.

[3] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحدث والمعاصر، المرجع السابق، ص 313.

[4] عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، 2002،ص57.

وإذا تطرقنا إلى الجزائر نجد أن الاحتلال الفرنسي للجزائر شكل البحث عن المواد الخام واستنزافها هدفا رئيسيا للحملة سنة1830م، فهي تتمتع بإمكانات اقتصادية ضخمة من الأراضي الخصبة لاسيما في الشمال والتي تدر أنواع مختلفة من الحبوب والخضر والفواكه وكذلك مناجم الحديد والرصاص والملح والغابات الكثيفة التي كانت تفيض عن الحاجة المحلية لبناء السفن والتسخين وبناء المنازل[1]، دون نسيان الموانئ الواسعة المستقبلة لتصدير واستيراد مختلف البضائع والسلع من والى أوروبا والشرق، ودون التغافل عن طرق القوافل التي تربط الشمال الجزائر بالسودان عبر الصحراء[2].

وتطلعت فرنسا إلى ثروات الجزائر الزراعية والمعدنية وأسواقها التجارية لاسيما بعد انطلاق الثورة الفرنسية بأراضيها منذ سنة1825م وهو العام الذي رفعت فيه بريطانيا الحضر المفروض على تصدير الآلات الجديدة إلى الخارج مما سمح لفرنسا بالإفادة منها وتقليدها، وهو ما نلمسه في تقرير وزير الحرب الفرنسي كليرمون تونير إلى شارل10في سبتمبر1827م"...**توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي تعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا وتحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد والرصاص وتزخر بكميات هائلة من الملح والبارود كما توجد في سواحلها ملاحات غنية**"[3].

إضافة إلى طمعها في وضع يدها على خزائن القصبة الطافحة بالذهب والمقدر حسب الفرنسيين بعد الاحتلال ب48.7مليون فرنك ذهبي إلا أن الراجح أنها لم تقل عن100مليون فرنك[4]، كما صرح وزير الحرب الفرنسي الجنرال جيرار(**Gérard**) فور نزول القوات

---

[1] Gouvernement général de l'Algérie :**direction de l'agriculteur du commerce et de la colonisation en Algérie 1830-1921**, imprimerie administrative émile pfister, 1922, p6.

[2] أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1982، ص ص149 ،150.

[3] بشير بلاح، المرجع السابق، ص39

[4] احمد الخطيب، المرجع السابق، ص49.

الفرنسية للسواحل الجزائرية:" **إن هذا الاحتلال يشيد إلى ضرورات هامة ويرمي إلى فتح منفذ واسع لتصريف بضائعنا**"[1].

وقد لخص القنصل التجاري الفرنسي في رسالة بعث بها إلى حكومته باريس قبيل غزو الجزائر إلى حكومته بباريس بشكل دقيق عن الأهداف والمنافع المرجوة من احتلال الجزائر قائلا:" **إن الفوائد المادية التي تعود على فرنسا من غزو الجزائر بغض النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزينة الجزائرية أجدى وأنفع لفرنسا من كل عمليات الغزو الاقتصادية التي قامت بها حتى الآن...فهناك سهول طيبة ذات خصب عجيب ومناجم غنية بالحديد والرصاص وجبال من العناصر المعدنية كلها تنتظر الأيدي التي تستغلها**"[2].

وما يجدر التطرق إليه هو أن مسألة التخلص من الديون شكلت بداية هدفا أساسيا من أهداف الاحتلال والتي كانت في شكل كميات معتبرة من القمح التي استلفتها فرنسا من الجزائر وتم تأجيل السداد بمساعدة بعض التجار اليهود في الجزائر وقد كشف القنصل التجاري الفرنسي عن هذه الأهداف الاقتصادية في رسالة التي بعث بها إلى حكومته بباريس[3].

وهذا الإنتاج الضخم أصبح يحتاج إلى أعداد هائلة من المستهلكين الذين يعيشون في مناطق بعيدة تحتاج إلى نقل البضائع عليها فلابد إذا من العمل على تحديث وسائل النقل ثم البحث عن الأسواق ففي تعطل التصريف تعطيل لرأس المال من أن يعطي أرباحا تضر أصحابها ومن ثم اتجهت الجهود للبحث غن أسواق خارجية أي المستعمرات ذات الأعداد الهائلة بالسكان[4].

---

[1] بشير بلاح، المرجع السابق، ص39

[2] نقلا عن محمد علي الصلابي: **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، تاريخ الجزائر ما قبل الحرب العالمية الأولى**، دار المعرفة، لبنان، ص274.

[3] بلاح، المرجع السابق، ص39.

[4] زاهر رياض، المرجع السابق، ص127

- **الأهداف السياسية: البحث عن الأمجاد القومية:**

إن الرغبة في الهيمنة والتوسع الاستعماري لا تستند لمجرد مطالب اقتصادية بحتة بل نتجت أيضا عن حالة معنوية مثل الرغبة في زيادة نفوذ الدولة والاعتقاد بأن للشعوب المتطور والمتحضرة" رسالة"يجب على الاستعمار تأديتها، فكان إدعاء الكرامة مرتبطا بتقديم الاتجاه القومي أين كان أكثر وضوحا في بريطانيا أكثر من غيرها، فقال المنادون بهذه الحركة أن التوسع الاستعماري هو شكل من أشكال" **الكفاح من أجل الحياة**" حيث ينتصر الشعب الأكثر استعدادا من الناحية الجثمانية والناحية الفكرية في هذه المشروعات وأشار كيلنج في أغنية"**الانجليز**"سنة1890م دائما هذه الفكرة عن"**تفوق الجيش الانجليزي**"وطبيعة الانجليز[1]،أما فرنسا فتحدث جول فيري سنة1885م عن نفس الآراء بمعنى كل إشعاع خارج أوروبا يعد تنازل عن عظمة الدولة وهي نفس الفكرة التي نماها أوجان اتيان(Eugene Etienne) في11أفريل1892م:" **إن في وسع بلد كبير مثل بلدنا أن يحصل إذا أراد على كل حقوقه في بقية العالم بعد أن يكن قد استعاد قوته العسكرية وبعد أن يكون قد أعاد إقامة حالته المالية بشكل نهائي**"، أما كيرسي فقد رأى في الوقت الذي أدخل ففيه ايطاليا في مغامرة افريقية الشرقية أنها كانت وسيلة لإثارة الشعور الوطني أكثر من كونها عملية إرضاء للاحتياجات الديموغرافية أو الاقتصادية" **فما فائدة الوحدة إذا لم تضمن لنا القوة والعظمة**"[2].

- **الأهداف الإستراتيجية:**

إن التوسع الاستعماري كان ضرورة ملحة للأوروبيين كونه يسمح لهم بالهيمنة على نقاط ارتكاز بحرية إستراتيجية يخضع لها تأمن المواصلات، ولا شك أن هذا الادعاء كان هاما بالنسبة إلى بريطانيا كي يتمكن أسطولها الحربي من السيطرة على الطرق البحرية الأساسية

[1] جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص314 .

[2] المرجع نفسه.

ويتمكن من العمل في كل مكان في العالم، فقد كان من اللازم الحصول على نقاط التجاء تكون فيها بمثابة ترسانات للإصلاح ومراكز للتزويد بالوقود وقواعد للعمليات العسكرية،فكان أن استولى الأسطول البريطاني هونج كونغ وسنغافورة وجبل طارق ومالطة وسانت هيلانة وجزر برموده، كما أكد جول فيري ضرورة استعمار المناطق الإستراتجية فجاء في خطبته بتاريخ28جويليه1880م أن السياسة الاستعمارية ضرورة لكي تعطي للأسطول الحربي نقاط رسو وتموين بالوقود[1]. أنظر المحلق رقم08.

ونجد على سبيل المثال أن موقع الجزائر على البحر المتوسط في مواجهة السواحل الفرنسية من جهة ومن جهة ثانية وباعتبارها بوابة إفريقيا فإنها استقطبت أطماع الاستعمار الفرنسي لها سنة1830م[2]، ويقال مثل هذا عن أماكن مختلفة في القارة الإفريقية فموقع مصر على البحر المتوسط والبحر الأحمر وأهميتها التي زادت بعد افتتاح قناة السويس سنة1869م كان وراء الهيمنة البريطانية عليها سنة1882م وتمسكها بالنفوذ في منطقة القناة، ونفس الكلام ينطبق على المغرب الأقصى(طنجة) وتحكمها في المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط في موقف الاستعمار منها وكذلك على رأس الرجاء الصالح وأهميتها في الملاحة بين غرب القارة الإفريقية وشرقها ومنطقة باب المندب والمناطق الواقعة خلفها على الساحل الإفريقي (القرن الإفريقي حالي)[3]. أنظر الملحق رقم14.

ولم تكن الحكومة الايطالية بعيدة عن التنافس للحصول على المواقع الإستراتيجية، بسعيها للسيطرة على مواقع في إفريقيا الشرقية للمزايا التي سيعطيها لها في سياستها الدولية واستيلاؤها على قواعد بحرية على طريق المحيط الهندي عبر البحر الأحمر وعلى الناحية الجنوبية للطرق البحرية الكبيرة في البحر الأبيض المتوسط وأخيرا فإن السياسة الروسية في

---

[1] جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص315.

[2] Jean Darcy : **France et Angleterre, cent années de rivalité colonial**, l'Afrique1903 ,p47

[3] عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص52.

نفس المنطقة من العالم قد اعتبرت أن الحصول على ميناء في" المياه الحرة والدافئة"هو هدف أساسي لها[1].

وفي هذا السياق أكد أحد الفرنسيين على ضرورة التوسع الاستعماري لوضع وطنه في مصاف الكبار قائلا:" **يجب أن يحظى التوسع الاستعماري بالمكان الأول في وعينا القومي،إنها مسألة حياة أو موت بالنسبة لفرنسا فإما أن تستولي على مساحات افريقية شاسعة أو تصير على مدى قرون دولة من الدرجة الثانية**"[2].

لقد كانت فرنسا دولة استعمارية كبرى في القرن18م بخضوع مساحات واسعة في أمريكا الشمالية ومقاطعات غنية في الهند لسلطانها[3]، إلا أنه خلال النصف الأول من القرن19م كان التيار الاستعماري يسير لصالح بريطانيا[4]، فتلقت فرنسا هزائم متتالية قزمت إمبراطوريتها الواسعة فيما وراء البحار فخسرت كندا سنة1763م وثورة سانتو دومينغو(Saint Domonque) واستقلالها وباعت لويزيانا(Louisiane) للولايات المتحدة الأمريكية سنة1803م وأخيرا بعد معاهدة باريس سنة1814م[5]، حيث انتقلت مستعمراتها الواقعة وراء البحار ولصالح بريطانيا ولم يبق لها في سنة1830م من مناطق نفوذها سوى بضع مستعمرات سان بيير وميكلون في أمريكا الشمالية، المارتينك ولاغوادلوب في أمريكا الوسطى وجزيرة بوربون في المحيط الهندي والنقاط التجارية الخمسة في الهند وبضعة منشآت في السنغال ومدغشقر[6] إلا أن

---

[1] جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص316.

[2] نقلا عن أحمد إبراهيم دياب: **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، ، ط1، دار المريخ للنشر، 1981، ص109

[3] أحمد رمزي: **الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا**، د ط، لجنة شباب العربي، المطبعة النموذجية، مصر، د ت، ص 30.

[4] نعنعي، المرجع السابق، ص315.

[5] Daniel Baugh : **the global seven year war 1754-1763**,1st edition, imprint routledge, London,2011,p6

[6] محمود باشا محمد: **ذريعة المروحة سنة1827 أو الاستيلاء على إيالة الجزائر**، ط1، تر:عزيز نعمان، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2010، ص12.

فرنسا جاهدت طوال مئة سنة على استرجاع مقامها كدولة استعمارية[1] فمن المؤكد لنا أن فقدان مستعمراتها شكل دافعا قويا لها لبناء القوة العسكرية لمجابة أعدائها من جهة والتعويض عما فقدته من مستعمرات من جهة ثانية. أنظر الملحق رقم15.

- **الأهداف البشرية:**

تتجسد أساسا في التخلص من فائض السكان فقد حرك الانقلاب الصناعي الذي شهدته أوروبا الحركة الاستعمارية الأوروبية بالتزايد السريع لسكانها بسبب الأساليب الصحية التي قضت الأوبئة الكبرى التي كانت تفتك بالقارة واكتشاف علاج للعديد منها إضافة إلى تحسن المستوى المعيشي والتعليمي في أوروبا ما أدى لانخفاض نسبة الوفيات[2]، كل هذا أدى إلى ثورة ديموغرافية كبيرة ففي القرن19م ارتفع سكان أوروبا من187مليون نسمة سنة1800م إلى401مليون نسمة سنة1900م[3] فأصبحت القارة الأوروبية متخمة بفائض سكاني[4]، الأمر الذي أجبر عدة دول كانجلترا وفرنسا في التوسع الاستعماري حلا اضطراريا وحاميا للتوسع الاستعماري في استراليا ونيوزلندا فرصة للتخلص من هذا الفائض بإرسالهم إلى المستعمرات وتعميرهم واستوطناهم بها[5].

كما سعت الدول الأوروبية من وراء هجمتها الاستعمارية على إفريقيا وآسيا إلى استنزاف قواها البشرية فاستنزفت البرتغال الكونغو وأنجولا من خلال تجارة الرقيق للعمل في مزارعها في إفريقيا والعالم الجديد، ولم تتورع فرنسا وبريطانيا على مواصلة مسيرة

---

[1] رمزي، المرجع السابق، ص ص30،31

[2] H. de Sybel ;**histoire de l'Europe pendant la révolution Française**, traduit de l'Allemand :Marie Bosquet, édition revue par l'auteur, T1, germer Bailliere libraire éditeur, Paris,1869,p500.

[3] حمدان، المرجع السابق، ص107.

[4] Pouda Etemad: **pour une approche démographique de l'expansion coloniale de l'Europe**, annales de démographie historique, N113, 2007, p15.

[5] نعنعي، المرجع السابق، ص15.

الاستعمار البرتغالي والاسباني في سياسة الاستنزاف[1] فعمد الفرنسيين إلى نقل زنوج السنغال إلى جزر الأنتيل الفرنسية في النصف الثاني من القرن19م[2] ومثل استخدام الهنود في الجيش البريطاني بشكل هائل متكبدين خسائر هائلة في المعارك، وهو ما صرح به أحد المؤرخين الهنود حين أكد أن الدماء اليهودية لها الفضل في الحفاظ على الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأقصى والى حد كبير في الشرق الأوسط[3]، كما تم استغلال اليد العاملة في أشغال نقل الأحمال وشق الطرق وإقامة السكك الحديدية والأعمال البحرية[4].

امتلكت أوروبا شواطئ إفريقيا وسيطرت على مناطق وأقاليم واسعة في الصحراء لتنتقل فيها كتائبها ويتدرب قادتها وضباطها بأنحائها على أساليب القتال المختلفة ويتلقون دروسا عملية فأصبحت الحروب همهم الدائم ضد الأهالي ممتعين أنفسهم بضم أقاليم جديدة سنويا،ومع مجيء الحرب العالمية الأولى سنة1914م وفرنسا كثاني دولة استعمارية في العالم خاضت غمار هذه الحرب المريرة مقحمة أبناء المستعمرات فيها من جنوب المغرب ومدغشقر والهند الصينية والسنغال تسوق الآلاف منهم إلى الموت ودافعة بهم إلى الصفوف الأمامية[5].

- **الأهداف الإنسانية(رسالة الرجل الأبيض):**

أدعى بعض الأوروبيين أن من واجباتهم اتجاه الإنسانية هي الأخذ بأيدي الشعوب الإفريقية والأسيوية المتخلفة وتغيير نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى يلتحقوا بالركب

---

[1] Oppelt, op, cite , p20

[2] Guglagrillière Beauclerc :**mission au Sénégal et au Soudan, voyage de M. André Lebon ministre des colonies** librairie ch. taillandier, Paris, p30.

[3] نعنعي، المرجع السابق، ص312.

[4] ر . ف بيتس: **أساليب السيطرة الأوروبية ومؤسساتها، آدوبواهن: تاريخ إفريقيا العام** إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880- 1930، م7، د ط، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1990، ص330.

[5] رمزي، المرجع السابق ص ص33، 34.

الحضاري ويخرجوا من حالة العوز والتعاسة والهمجية إلى حالة الرفاهية والتمدن، وأطلق الغرب على هذه المسؤولية والواجب ب"**عبء الرجل الأبيض**"[1]، وقد حاولت جمعيات التنصير تحويل سكان المستعمرات إلى المسيحية ونشر الآراء الإنسانية القائمة على احترام الفرد الإنساني وعلى الحرب الصليبية الموجهة ضد الاسترقاق وقد عرف ليوبولد الثاني جيدا كيف يستغل هذا الشعور الإنساني قبل أن يتم برنامجه الاقتصادي ثم يزيح الستار عن مشروعه السياسي[2].

تأدية رسالة عالمية ونبيلة ومقدسة لابد أن تنشرها بين الشعوب المتخلفة إلا وهي رسالة المدنية والحضارة، فيجب عليها(أي الشعوب الأوروبية) أن تبذل جهدها وتضحي لرفع مستوى هذه الشعوب التعيسة[3].

إلا أننا نجد بعض الاستعماريين قد كشفوا نواياهم الاستعمارية بعيدا عن أي نفاق أو تملق ومنهم اللورد أوليفر عضو مجلس الشيوخ البريطاني حيث قال:" **ليس ثمة أمة استعمرت بلدا من أجل الإنسانية وحب الخير لأهله**"، وقوله شهادة من أهلها أن الدافع الإنساني الذي جوهره إلغاء تجارة الرقيق ما هو إلا ذريعة وستار اختفت تحت ضله المقاصد الاستعمارية الحقيقية[4].

---

[1] De William Easterly : **le fardeau de l'homme blanc l'échec des politiques occidentales l'aidausc pays pauvres**, traduit de l'anglais :Patrick Hersant et Sylvie kleiman lafon, éditions Markus Haller, new York, 2006, p p 210,211.

[2] جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث، المرجع السابق، ص314.

[3] محمد عوض محمد : **الاستعمار والمذاهب الاستعمارية**، ط4، دار المعارف، مصر، 1957، ص49 .

[4] فيصل محمد موسى: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط1، مراجعة ميلاد المقرحي، منشورات الجامعة المفتوحة،ليبيا،1997 ، ص162.

- **الأهداف الدينية(دعوى نشر المسيحية والقضاء على الإسلام):**

بعد أن تمكن الصليبيين من إخراج المسلمين من الأندلس، صار لدى النصارى بشبه الجزيرة الإيبرية رغبة قوية لمطاردة المسلمين خارجها ونقل نشاطهم إلى شمال إفريقيا وغربها سعيا لمحاصرة الإسلام عن طريق البحر وطعنه من الخلف محتلين بذلك بعض المدن الساحلية بالمغرب العربي، ثم السعي إلى تحويلهم إلى النصرانية، ومن المؤكد لدى المؤرخين أن الرغبة في نشر المسيحية ومعادة الإسلام من الحوافز والأهداف التي حفزت المغامرين لتحمل المشقات أثناء رحلاتهم[1].

وقد ظل هذا الحافز الديني يوجه جهود المكتشفين والمستعمرين الأوروبيين مرفقين برضا وبركات الباباوات بإصدار مراسيم متلاحقة تخول ملوك البرتغال واسبانيا الحق في ملكية كل إقليم جديد وكل بحر جديد يتم اكتشافه في الحاضر والمستقبل ووصف بعض الباباوات في هذه المراسيم الإسلام بالطاعون ومطالبين ببذل أقصى الجهود لتنصير سكان المناطق المكتشفة والمستعمرة والحيلولة دون وصول هذه الطاعون إلى ديارهم[2]، فالبرتغال قامت برحلات استكشافية لنشر المسيحية لاسيما بزعامة الملك هنري الملاح ورحلات غيره من الرحالة البرتغال والتي سعت إلى توجيه ضربة قاسمة للقوى العربية[3].

وقد ازدهرت الحركة التنصيرية بشكل ملحوظ فأرسلت أعداد معتبرة من الجمعيات التنصيرية وبنيت الكنائس الجميلة وتم فتح المدارس التنصيرية وقد علق سيمونز على دور

---

[1] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: **أجنحة المكر الثلاث وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار – دراسة وتحليل وتوجيه**،ط 8، دار القلم، دمشق، ص168.

[2] المرجع نفسه، ص ص 168،169.

[3] عبد الرزاق، الجمل، المرجع السابق، ص49.

البعثات التنصيرية في إفريقيا قائلا" **جاء الرجل الأبيض إلى إفريقيا وبيده الإنجيل ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض للرجل الأبيض وأصبح الإنجيل بيد الزنجي**"[1].

وإذا تطرقنا إلى الجزائر فقد سعت فرنسا جاهدة لنشر المسيحية وهو ما أكده وزير الحربية الفرنسي في تقريره المقدم إلى الملك شارل العاشر قائلا:" **لقد أرادت العناية الإلهية أن تستأثر جلالتكم في شخص قنصلكم بواسطة ألد أعداء المسيحية ولعله لم يكن من باب المصادفة أن يدعى ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين والإنسانية**"[2].

لقد كان للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر سنة1830م فمن الأهداف والأسباب المحرضة على غزوها وهو دعوى إنقاذ المسيحية والمسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين والقضاء على عش القراصنة، ففرنسا اعتبرت نفسها حامية المسيحية الكاثوليكية إذ رأت في احتلال الجزائر عملا هاما أسدت به إلى العالم المسيحي وشعوب البحر المتوسط خدمة كبيرة فالعامل الديني في الاحتلال نجده في الدور الذي أداه رجال الدين في الحملة حيث أن شارل العاشر كان مدفوع من الأسقف الكبير ووزير الشؤون الدينية فزيسوس المدعوم من البابوية في روما، وكذلك في التقرير الذي قدمه كليمونت تونير(**Clément Tonnerre**) يوم14أكتوبر1827م عن أماله وسعادته في تنصير الجزائريين مستقبلا والعناية اللاهية التي سيحصل عليها الملك كون عمله هذا(احتلال الجزائر) في سبيلا لنصرانية[3].

كما أكد الملك شارل العاشر نفسه أهدافه الدينية من احتلال الجزائر معتبرا نفسه مدافعا عن الدين كونه من سلالة الملك القديس لويس التاسع،مؤكدا مواصلة مسيرة أجداده في نصرة

---

[1] عبد العزيز الكحلوت: **التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء**، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى،طرابلس، 1992، ص ص67، 68.

[2] خديجة بقطاش :**الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 ــ 1871**، دار دحلب، د ط، د ت، ص15.

[3] Grussnmeyer Mgr :**vingt cinq années d'escpiscopat en France et Afrique documents biographique sur son éminence le cardinal Lavigerie** note n 2 , t1,Alger ,1882, p 173

المسيحية[1]، فخاطب كل أساقفة المملكة قائلا:" **إن غايتنا أن تقيموا الصلوات في جميع الكنائس وتدعوا الله أن يحمي الراية ويمنحنا النصر**"[2] في حين أكد رئيس الوزراء سقوط الجزائر تحت الهيمنة الفرنسية سيجلب خدمات ومنافع معتبرة للمسيحية[3].

وأكدت الصحافة اليسارية على الطابع الديني للحملة الفرنسية على الجزائر مؤكدة أن عمل قنصلهم دوفال والبكري وبوشناق كان بوحي من الفاتيكان[4] كما رافق الحملة الفرنسية على الجزائر سنة1830م بقيادة دي بورمون16قسيسا من بينهم الأب زكار السوري وأخ بطريك بيت المقدس[5] وخاطبهم دي بورمون مثنيا عليهم بدورهم في فتح الباب لنشر المسيحية في إفريقيا معبرا عن أمله في إعادة هذه الأرض للحضارة الأوروبية بعد أن انطفأت بها شموعها،[6]وخاطب جيشه قائلا:"**لقد أعدتم الرباط مع الصليبيين**"[7].

وفي اليوم الموالي من توقيع معاهدة الاستسلام بين دي بورمون والداي حسين والتي نصت صراحة على احترام الديانة الإسلامية وضمان الحرية الدينية لسكان الجزائر، نصب الجنرال الصليب على أعلى بناية في حفل مهيب وقام قسيس بمراسيم الحفل الديني[8]، أما كاتبه الخاص فقد وصف هذا الحفل بإقامة الصلاة في الساحة الرئيسية للقصبة وأديت تحية العلم

---

[1] بقطاش، المرجع السابق، ص16.

[2] Jean Garnier :**Charles x le roi le proscrit** , paris ,1967, p149

[3] عبد الجليل التميمي: **التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسئولين الفرنسيين في الجزائر في القرن19**، المجلة التاريخية المغربية، العدد1، تونس، جانفي1974، ص14.

[4] Habert Michel :**histoire d'un parjure**, les édition de minuit, paris ,1960, p 170

[5] Mgr . A. Pons , **la nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie en Tunisie et au Maroc depuis 1830** , librairie Louis Namura, Tunis, 1930, p2 .

[6] Mgr Pons, op , cite, p4.

[7] شاوش حباسي: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830ـ1962، **مجلة الدراسات التاريخية**،العدد 10، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1997، ص78.

[8] المرجع نفسه، ص78.

الفرنسي فقد سقطت هذه القلعة التي بناها أبناء محمد ضد المسيحيين وتعالت فيها عبارات الإنجيل[1].

ولم يكتف دي بورمون وباقي المسئولين العسكريين بهذا بل وقفوا على عاتقهم مسؤولية ومهمة القضاء على بربرية الجزائريين وتحويلهم من الإسلام إلى المسيحية فقد وجب حسب كولي ضم المستعمرة تحت راية الصليب، وبناء على هذا الأساس أمر الجنرال بتحويل المساجد إلى كنائس وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية وإفساح المجال للمنصرين لإرجاع هذا الشعب إلى حظيرة الدين المسيحي وفاء للماضي وخدمة للإنسانية[2].

ـ 2 خصائص الاستعمار الأوروبي الحديث:

يتميز الاستعمار الأوروبي الحديث بمجموعة من المميزات والخصائص أهمها:

- **اختلاف الأساليب والوسائل المنتهجة:**

اختلفت أنظمة الحكم المنتهجة من الإدارات الاستعمارية في الإدارات الداخلية للمستعمرات،فنجد هناك نوعين من أنظمة الحكم وهما نظام غير المباشر ونظام حكم مباشر،ويتميز الأخير بنظام الاستيعاب الثقافي، فعلى الرغم من أن فرنسا أكثر الدول المستعمرة لإفريقيا من حيث المساحة فقد باشرت نوعا من المركزية المحكمة في حكمها للمستعمرات،لقد فازت بالجزائر وتونس والمغرب الأقصى....،وكانت سياستها إزاء مستعمراتها مبنية على أساس الإدماج أو الاستيعاب أي تحويل الإفريقيين مع مرور الأيام إلى فرنسيين لغة ودينا ونظام حياة،[3] وعرف هذا النمط بالحكم المباشر لذلك لا نجد الفرنسيين يدربون الوطنيين على أي نوع من الحكم الذاتي، بل يتولى الفرنسيون مقاليد

---

[1] Ault Daumesnil : **de l'escpédition d'Afrique en1830** , imprimerie de paussirlgue , paris , 1832, p125, 126

[2] Daumesnil, op, cite, p 126

[3] عبد الرحمن أحمد عثمان: أوجه الخلاف بين النظم الاستعمارية في إفريقيا(بريطانيا والبرتغال وفرنسا)، **مجلة دراسات افريقية**، العدد10 ، ديسمبر1993، ص85

الأمور ويسعون إلى تحويل الشعور الوطني بفتح أبواب الثقافة والمدنية الفرنسية أمام الأفارقة لذلك عرف بالاستعمار الثقافي،فكل إفريقي يسكن المستعمرات الفرنسية مواطن فرنسي له حقوق وعليه واجبات المواطن الفرنسي لذا حاول الفرنسيون إضعاف حواجز الجنس نسبيا إلا من الناحية الاجتماعية فالناخبون في تلك الأنحاء يرسلون نوابهم من باريس[1].

وكان في الجمعية الوطنية الفرنسية في أواخر الخمسينات ما لا يقل عن52نائبا من مجموع النواب البالغ عددهم626 نائبا كما يوجد38شيخا إفريقيا من بين أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي البالغ عددهم320شيخا، ويبدوا هذا النظام من الوهلة الأولى يقوم على التفرقة العنصرية على أساس اللون أو العنصر ولكنه نوع آخر من التفرقة على أساس مدى الاستيعاب في الحضارة الفرنسية، خاصة من ناحية الخضوع لقانون الأحوال الشخصية الفرنسي بالإضافة إلى المستوى الثقافي اللغوي اللاتيني وغير ذلك من أساليب التفرقة بين المواطن الإفريقي وهو الذي يخضع للقانون الفرنسي والإفريقي الرعية وهو الذي يظل خاضعا لقانونه القبلي أو الديني وظهر نتيجة لهذا القانون البدائي الذي يطبق على الإفريقيين الذين لم يرتفعوا لمستوى الاندماج في البيئة الثقافية الفرنسية[2].

لقد كانت صورة نظام الحكم المباشر الذي طبقته فرنسا في النصف الأولى من القرن20م هي أن يشغل الفرنسيين جميع الوظائف ويرسموا جميع السياسات ويعينوا وحدهم قضاة وموظفين كبارا وكتبة مع بقاء الجيش عمودا فقريا للوجود الفرنسي، إلا أن التجربة قد أثبتت أن الفرنسة الجماعية لجميع الإفريقيين هدف متعذر المنال وسرعان ما أدى استمرار تمسك جانب كبير من الإفريقيين بتراثهم الخاص وكذلك تطور الظروف في فرنسا والأحوال الدولية في أوروبا أدى كل ذلك إلى ظهور السياسة التي عرفت بفرنسة النظرية، وقد أدى أنه يجب

[1] ر.ف بيتس: أساليب السيطرة الأوروبية ومؤسساتها، المرجع السابق، ص319.

[2] أحمد عثمان، المرجع السابق، ص86.

إعادة تنظيم العلاقة بين فرنسا والمستعمرات وقد أيد هذه الفكرة ذلك الاتجاه الذي هاجم فكرة القانون الطبيعي الواحد للبشرية فظهرت فكرة التشريع المرن الذي يضم نقاط وحدة وتمايز لمواجهة حاجات كل جماعة مما يستلزم تفويض بعض السلطة للحاكم العام،[1] وتقوم سياسة المشاركة على تعاون الإدارة المفرطة مع بعض الأفراد والهيئات المحلية لخلق وزعامات افريقية تتولى قيادة المجتمع وتصبح بمثابة الوسيط بين الرسالة الفرنسية الحضارية والشعب الإفريقي المتخلف وركزت الإدارة الفرنسية على خلق تلك النخبة المثقفة التي تصل بين أوروبا وإفريقيا، وبالفعل نجحت في خلق الفئة التي نسيت في الغالب أصولها الإفريقية أو تأرجحت على أفضل الأحوال بين الحضارة الفرنسية والإفريقية[2].

والواقع أن سياستي الاستيعاب والمشاركة تدوران في محور واحد ولا يختلفان إلا من حيث الدرجة في الانسجام مع فلسفة الحكم المباشر التي سعت إلى منح هذه النخبة مجرد سلطات أسمية ونفوذ مظهري مع الاستمرار في الاحتفاظ بالسلطة الفعلية طوال الوقت في أيدي الموظفين الفرنسيين الذين تربطهم بباريس خيوط المركزية المحكمة[3].

ظلت السياسة الاستعمارية الفرنسية في طبيعتها سياسة تجارية ترى في المستعمرات أراضي ملحقة بأراضيها الأوروبية اقتصاديا وإداريا وبالتالي سياسيا وكانت أولى الرسائل هذا الحكم لتحقيق أهدافه إذابة الكيانات القبلية والمحلية بأنواعها، مختلفة بذلك عن نظام الحكم غير المباشر الذي رعى هذه الزعامات ومكن لها[4].

وقد أفضى نظام الحكم المباشر الذي مارسته فرنسا في مستعمراتها إلى نوع من أنواع الرق الحديث لأنه بني عليه في بدايته فقد ذكر أنطونيو إينيس في التقرير الذي وضعه للإدارة البريطانية لست أعتبره(أي الرجل الإفريقي) شيئا يجب أن يباد بسبب ضرورة توفير إمكانات

---

[1] أحمد أنداك لوح: الاحتلال البرتغالي في افريقيا وآثاره، **مجلة قراءات افريقية**، العدد 37، يوليو 2018، ص21.

[2] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحدث والمعاصر، المرجع السابق، ص313

[3] شوقي الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص76

[4] المرجع نفسه.

التوسع أمام الجنس الأبيض وان كنت أومن بنقصه الطبيعي وكذلك لست أفهم على أساس أي مذهب أخلاقي أو قانوني يمكن لمشرعينا في الوطن الأم(البرتغال) أن يبرروا مشاعرهم في عدم إجبار الإفريقي نصف المتوحش بريئا كان أو مذنبا حرا أو أسيرا على العمل من أجل نفسه وفي أن يفرض عليه العمل إذا رفض القيام به طواعية، وقد كانت تلك هي النتيجة التي خلص إليها أحمد سيكتوري وهو يتأمل النظام الاستعماري في بلده حيث كتب يقول إن نظام السكان الأصليين الإفريقيين للعمل الإجباري في الورشات وفي مزارع المستعمرين البيض بدون أجر سوى الطعام أو ضربات السوط التي تنهال على المسخرين إذا عبروا عن سخطهم[1].

- **حرضته الأطماع الاقتصادية:**

حرضت الأطماع الاقتصادية أوروبا نحو الهيمنة واستعمار قارتي إفريقيا وأسيا للاستفادة من ثرواتها لتحريك عجلة اقتصاديتها،لاسيما بعد الانقلاب الصناعي الذي شهدته القارة الأوروبية مع النصف الثاني من القرن18م، وهو ما أكده جول فيري:" **أن المستعمرات بالنسبة للأقطار الغنية هي أربح مكان للاستثمار رؤوس الأموال وقضية الاستعمار بالنسبة للأقطار التي تقضي طبيعتها الصناعية أن تصدر كميات هائلة من إنتاجها وهي قضية الأسواق**"[2].

لقد كانت الحاجة إلى التوسع الاقتصادي والمالي تدفع إلى الغزو الاستعماري الذي يسمح للدولة الاستعمارية بالاحتفاظ لنفسها بأسواق لها قيمتها ورغم أن بريطانيا نفسها كانت من دعاة الحرية التجارية وأنها حاولت استغلال أقاليم إمبراطوريتها لمصلحتها وحدها، فقد ووجدت من اللازم امتلاك المستعمرات ف"**التجارة تتبع العلم**"[3].

---

[1] جلال يحي تاريخ إفريقيا الحدث والمعاصر، المرجع السابق، ص313

[2] أحمد عثمان، المرجع السابق، ص87.

[3] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحدث والمعاصر، المرجع السابق، ص313.

لقد تأرجحت سياسات الدول الاقتصادية مرة أخرى وفقا لحجم رأس المال المستثمر،وتأرجحت بريطانيا بين حرية التجارة التي يدعو إليها الأحرار وسياسة بناء التي يتبناها حزب المحافظين، بينما لجأت فرنسا إلى سياسة استغلالية صريحة معتمدة على عطف الدول عليها بعد هزيمتها في حرب السبعين، وقد كان فقر البرتغاليين أكثر فعالية في تبرير أتباع السياسات الاستعمارية الصارخة كالسخرة وان تكن قد مارستها الأخريات بدرجات متفاوتة وقد عبر كل من الانجليز والفرنسيين والبرتغاليين عن وجودهم الاستعماري في إفريقيا بدعوى أنهم يعملون على تطوير وتحضير وتنمية البلاد المتخلفة، ولم يروج لهذا الزعم أعوان الاستعمار وحدهم بل إن عددا كبيرا من المواطنين الشرفاء رغم معاداتهم للاستعمار كانوا في أن الاستعمار رغم أنه يسلب جزءا من ثروتهم الطبيعية نظرا لطبيعته الاستغلالية إلا أن بعض الغنى يعود على السكان بالنفع أو يسبب ارتفاعا في مستوى المعيشة غير أن الاستعمار ترك الأفارقة في صورة أسوأ مما وجدهم عليها وقد ردد العامة والعلماء،تلك المقولة المألوفة في إفريقيا قبل أن يأتي الرجل الأبيض كنا نملك الأرض ويملكون الإنجيل فلما جاءت الإرساليات ومن ورائها المزارعون أصبحنا نملك الإنجيل وهم يملكون الأرض[1].

كما احتكر المستوطنون الفرنسيون الاستعماريون أجود الأراضي إذ زادت الحاجة الاجتماعية للأراضي التي يمتلكها الأوروبيون في الجزائر محو1600000هكتار سنة1900 إلى2700000هكتار سنة1950م، بالإضافة إلى أن مصلحة الدومين الفرنسية تملك11مليون هكتار، ولم يبق لأهل الجزائر إلا7مليون هكتار، وفي إفريقيا الاستوائية ارتفعت مساحات الغابات المقطوعة الممنوحة للمستعمرين من240ألف سنة1945م إلى1875000هكتار سنة1952م، وفي السنغال نالت ثلاث شركات بمفردها90ألف هكتار من الأراضي الزراعية

[1]جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحدث والمعاصر، المرجع السابق، ص313.

ومليوني هكتار في الكامرون وبلغت الأرض المنتزعة من الإفريقيين في ساحل العاج والكاميرون والكنغو الأوسط بين45-75 من مساحة البلاد أبجمعها[1].

وبناء على ما تقدم فإن أهداف ودوافع الاستعمار كانت واحدة وإن بدت هناك اختلافات في الدرجة التي نفذت بها السياسات الاقتصادية حسبما اقتضت الحاجة والضرورة فالنظام البريطاني الذي دفع الشركات البريطانية ذات الأموال الضخمة كشركة شرق إفريقيا البريطانية كان لابد له أن يخفي دوافعه الاستعمارية بالإدارات الأهلية التي تمكنه من استغلال الإنسان والأرض وإيهام الأفارقة بأن حكامهم من بني جلدتهم[2].

- **نظرة الاستعمار لشعوب المستعمرات نظرة دونية:**

نظر المستعمر إلى الأفارقة والأسيويين على أنه أقل من الأوروبي وأن عليه أن يعمل أو يجبر على العمل ليحقق الرفاهية لسيده الأوروبي، فالمستعمرات كان ينظر إليها على أنها أقاليم منتجة لصالح الرجل الأبيض وكانت القوانين التي صدرت كلها تسير في هذا الاتجاه،ولم يقبل البرتغاليون في أي يوم من تاريخهم الطويل في إفريقيا وهو يقرب من خمس قرون أي ينظروا إلى الإفريقي نظرة الند للند أو أن يعاملوه عل قدم المساواة مع الأوروبي الدخيل[3].

- **خدمته وكرسته شخصيات وطنية:**

ففيما يخص الاستعمار البلجيكي فقد تأكدت له أهمية الكونغو لذلك كلف ستانلي بالذهاب إليها بهدف إنشاء محطات وعقد اتفاقيات ومعاهدات مع زعماء القبائل باسم الهيئة بقصد الحصول على امتيازات لاستغلال الأراضي الزراعية بها وتمهيد الطريق للهيمنة على المنطقة،وبوصول ستانلي إلى نهر الكونغو سنة1897م نجح في تأسيس أول محطة فيها باسم

[1] أحمد عثمان، المرجع السابق، ص87.

[2] شوقي الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص76

[3] المرجع نفسه.

الهيئة سنة1880م وتتابع نجاحه ووفق في إنشاء22محطة على النهر وفروعه، كما عقد اتفاقيات مع الزعماء الوطنيين كما نجح في إعلان تأسيس مدينة ليوبولد فيل[1].

لقد اجتهد ستانلي لنشر سلطان دولته على أكبر مساحة ممكنة من حوض الكونغو وينشر عملها ويعقد مع الزعماء الوطنيين المعاهدات التي تربط مناطقهم بالهيئة حتى قيل أنه عقد ما يقارب500 معاهدة من هذا القبيل[2].

وفي فرنسا برز جول فيري فحلال فترة حكمه اللتين شغل خلالهما منصب الحكومة من1880-1881 و1883-1885 قامت فرنسا بالاستيلاء على ممتلكات جديدة ضمتها إلى إمبراطوريتها التي لم يكن يستهان بها، إذن لقد أصبحت العديد من الأراضي بعضها حديث العهد في اتصالها بالمتكشفين الأوروبيين تابعة للعلم الفرنسي[3].

كما ضمت في عهده فرنسا أرضاي جديدة بأساليب شتى مثل الضم العمدي أو الحماية أو غيرها فاستولت على بلدان عدة كتونس والأنام و تونكين ومدغشقر والكونغو ونقاط أخرى واقعة على طول الساحل الغربي الإفريقي إلى ما كان يعرف بالمتروبول[4].

وإذا كان جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية فإن مهندس الإمبراطورية البريطانية هو سيسل رودس، فقد حلم هذا الأخير أن تمد انجلترا سلطانها على أقصى ما يمكنها من القارة الإفريقية بل على القارة كلها إن أمكن، فكان دائما يردد:" **من الرأس إلى القاهرة تجاه**

---

[1]Anne Hugon : **introduction à l'histoire de l'Afrique contemporaine**, Armand Colin, Paris, 1998,p14.

[2] شوقي الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص138.

[3]دحو فغرور: جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية، **مجلة عصور الجديدة**، العدد01، الجزائر، 2011، ص111.

[4] Zay, op, cite, p10

البحيرات الاستوائية وعبر السودان توجد أراضي شاسعة يمكن أن تعوض انجلترا عن الولايات التي خسرتها في أمريكا الشمالية في حرب التحرير"[1].

ولتحقيق رودس أحلامه وحلم بريطاني الاستعماري اعتمد على التغلغل الاقتصادي لتحقيق نفوذه في هذه الجهات ومده أقاليم جديدة، كما لجأ إلى وسيلة عقد المعاهدات مع الزعماء الإفريقيين لربطهم بعجلة الإمبراطورية البريطانية[2].

- **قراءة في المقاومة وردود الفعل الوطنية:**

لم تستكن شعوب المستعمرات يوما ولم ترضى أنفسهم للذل والهوان فدائما كانوا مناضلين مدافعين عن أرضهم وشعبهم فقد مر تاريخهم النضالي في سبيل النضال الحرية وبعد سقوط ممالكهم، فقاوموا الاستعمار من الوهلة الأولى[3] وبناء على هذا قد تعددت ثورات العرب في شرق إفريقيا ضد المستعمر البرتغال ولقوا تأييدا من العثمانيين واضطر البرتغاليين في النهاية لتركيز سلطتهم في مناطق محدودة فاتخذوا من الموزمبيق مقرا لهم واهتموا بتحصينها لتصبح مركز لسيادتهم بشرق القارة[4].

ولقيت ايطاليا مقاومة شرسة في ليبيا بزعامة عمر المختار فجاهدوا بعناد وإصرار[5]، كما قوبل المستعمرون الألمان بالثورات في كل مكان حاولوا تثبيت أقدامهم في شرق إفريقيا وغربها ففي الشرق تكتل ضد المستعمرين الأفارقة الوطنيين والعرب الوافدين والهنود

---

[1] شوقي الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص123.

[2] المرجع نفسه، ص308.

[3] فليحة، المرجع السابق، ص106

[4] الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص308

[5] فليحة، المرجع السابق، ص106

والأسيويين الذين كانت لهم صلات بشرق القارة ووقف الجميع في وجه المستعمرين ومن أهم هذه الثورات ثورة بوشيري بن صالح و ثورة الماجي ماجي[1].

- **التخفي وراء الإنسانية والتنصير:**

وقد ظل هذا الحافز الديني يوجه جهود المكتشفين والمستعمرين الأوروبيين مرفقين برضا وبركات الباباوات بإصدار مراسيم متلاحقة تخول ملوك البرتغال واسبانيا الحق في ملكية كل إقليم جديد وكل بحر جديد يتم اكتشافه في الحاضر والمستقبل ووصف بعض الباباوات في هذه المراسيم الإسلام بأنه طاعون ومطالبين ببذل أقصى الجهود لتصير سكان المناطق المكتشفة والمستعمرة والحيلولة دون وصول هذه الطاعون إلى ديارهم[2]. فالبرتغال قامت برحلات استكشافية شكل نشر المسيحية من أولى اهتماماتها لاسيما بزعامة ملكها هنري الملاح(**Henry Navigator**) ورحلات غيره من الرحالة البرتغال والتي سعت إلى توجيه ضربة قاسمة للقوى العربية[3].

وقد ازدهرت الحركة التنصيرية بشكل ملحوظ فأرسلت أعداد معتبرة من الجمعيات التبشيرية وبنيت الكنائس الجميلة وتم فتح المدارس التنصيرية وقد علق سيمونز على دور البعثات التنصيرية في إفريقيا قائلا" **جاء الرجل الأبيض إلى إفريقيا وبيده الإنجيل ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض للرجل الأبيض وأصبح الإنجيل بيد الزنجي**"[4].

كما تخفوا من تحت واجب الإنسانية إذ أدعى بعض الأوروبيين أن من واجباتهم اتجاه الإنسانية هي الأخذ بأيدي الشعوب الإفريقية والأسيوية المتخلفة وتغيير نظمهم السياسية

---

[1] الجمل، عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 242، 243 .

[2] حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص169.

[3] عبد الرزاق، الجمل، المرجع السابق، ص49.

[4] Lieutenant-Général Wouwerman :**Henri le navigateur et l'académie Portugaise de Sages, introduction à l'étude de l'école anversoise de géographie du XVI siècle**, imprimerie veuve de Backer, Bruxelles, 1890, pp5,6.

والاقتصادية والاجتماعية حتى يلتحقوا بالركب الحضاري ويخرجوا من حالة العوز والتعاسة والهمجية إلى حالة الرفاهية والتمدن، وأطلق الغرب على هذه المسؤولية والواجب ب"**عبء الرجل الأبيض**"[1].

لقد حاولت جمعيات التبشير على تحويل سكان المستعمرات غالى المسيحية ونشر الآراء الإنسانية القائمة على احترام الفرد الإنساني وعلى الحرب الصليبية الموجهة ضد الاسترقاق وقد عرف ليوبولد الثاني[2] جيدا كيف يستغل هذا الشعور الإنساني قبل أن يتم برنامجه الاقتصادي ثم يزيح الستار عن مشروعه السياسي[3].

إلا أننا نجد بعض الاستعماريين قد كشفوا نواياهم الاستعمارية بعيد عن أي نفاق أو تملق ومنهم اللورد أوليفر عضو مجلس الشيوخ البريطاني حيث قال:" **ليس ثمة أمة استعمرت بلدا من أجل الإنسانية وحب الخير لأهله**"، وقوله شهادة من أهلها أن الدافع الإنساني الذي جوهره إلغاء تجارة الرقيق ما هو إلا ذريعة وستار اختفت تحت ضله المقاصد الاستعمارية الحقيقية[4]،تأدية رسالة عالمية ونبيلة ومقدسة لابد أن تنشرها بين الشعوب المتخلفة إلا وهي

---

[1] فيصل محمد موسى: **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مراجعة ميلاد المقرحي**، ط1، منشورات الجامعة المفتوحة،1997، ليبيا، ص162.

[2] Lopolod II of Belgaum (1835-1909) ليوبولد لوبس فيليب ماري فيكتور، اعتلى عرش بلجيكا 1835م، اهتم ببناء القوة العسكرية لمملكته وإقحامها مجال الاستعمار فقاع بمذابح هائلة في الكونغو وتعذيب العبيد، أسس رابطة الكونغو الدولية 1876م لاكتشاف المنطقة أحبط محاولة انجليزية برتغالية للسيطرة على الكونغو سنة1884،(للمزيد أنظر

Gustave Oppelt: **Léopold II, roi des Belges chef de l'état indépendant du Congo**, imprimeur de l'Académie royal de Belgique, Bruscelles, 1885,p p 3-6

[3] جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث، المرجع السابق، ص314.

[4] فيصل، المرجع السابق، ص162.

رسالة المدنية والحضارة، فيجب عليها(أي الشعوب الأوروبية) أن تبذل جهدها وتضحي لرفع مستوى هذه الشعوب التعيسة[1].

- **اشتداد التنافس الاستعماري:**

أهم المناطق التي عرفت التكالب الاستعماري في شمال إفريقيا هي الجزر البحرية في المتوسط وجزر الكناري وجبل طارق ومدن وثغور بشمال إفريقيا وأهمها سبتة ومليلية وتونس والجزائر ومراكش وساحل ليبيا ومصر، وقد بدأ هذا التنافس منذ إخراج الاسبان المسلمين من الأندلس بسقوط غرناطة سنة1492م وتتبعوا العرب في المدن الساحلية على الشاطئ الإفريقي المواجه لأوروبا فاحتل الاسبان ومليلية ووهران والجزائر وسوسة وصفاقس وسبتة[2]، وقد استغل الاسبان الأوضاع السيئة في أواخر دولة الموحدين فامتدت أطماعهم نحو تونس ومراكش والجزائر وقد تصدت الدولة العثمانية لهذا التوجه الاسباني عندما استولت الدولة العثمانية على تونس سنة1574م، وقبل نهاية القرن18م كانت اسبانيا قد جلت من معظم الأقاليم التي استعمرتها في شمال إفريقيا ما عدا ومليلية وسبته التي آلت إليها من البرتغال[3].

أما في فترة التكالب الاستعماري فإن فرنسا استولت على تونس سنة1881م وكانت قبل ذلك قد احتلت الجزائر ولم تستطع اسبانيا مقاومة فرنسا فاكتفت بتقوية نفوذها في مناطقها القديمة وهي مدينة أفني وريودي وأورو وأما بريطانيا فقد احتلت جبل طارق سنة1704م لأهميته الإستراتيجية بالنسيبة لمصالحها في المتوسط وتأمين خط سير سفنها على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر إلى الهند أما في مصر كانت محل تصارع استعماري مستمر بين فرنسا وبريطانيا إلى اشتباك مسلح أكثر من مرة وذلك عندما أجلت بريطانيا القوات الفرنسية

---

[1] محمد عوض محمد: **الاستعمار والمذاهب الاستعمارية**، ط 4، دار المعارف، مصر، 1957، ص49 .

[2] فيصل، المرجع السابق، ص200.

[3] يحي الجمل: الأنظمة السياسية المعاصرة، المرجع السابق، ص28

من مصر(الحملة الفرنسية على مصر) وذلك بادعاء أن بريطانيا تربطها اتفاقات ومعاهدات مع الباب العالي وقد انتهى التدخل البريطاني في شؤون الدولة العثمانية إلى احتلال مصر سنة1882م وإخماد الثورة العرابية التي قامت في مصر رافضة للتدخل البريطاني في مصر أما بريطانيا التي كانت تطمع في تونس، فقد ساءها احتلال فرنسا لتونس فأوعزت لها الدول الأوروبية بالتوجه نحو ليبيا[1].

[1] فيصل، المرجع السابق، ص201.

الفصل الثالث

وسائل وأثار الاستشراق والاستعمار

أولا: وسائل الاستشراق وآثاره.

ثانيا: وسائل الاستعمار وآثاره

أولا :وسائل الاستشراق وآثاره:

1ـ وسائل الاستشراق:

إن المقصود بوسائل الاستشراق كل ما سخره المستشرقون من أدوات وطرق لتوصيل أفكارهم ونظرياتهم سواء كان ذلك للعالم العربي أو الشرق عامة إذ سلك المستشرقون كل نهج من شأنه أن يوصلهم لغاياتهم ويحقق أهدافهم[1].

- **مدارس وكراسي اللغات الشرقية:**

أسست **فرنسا** العديد من المدارس المتخصصة في دارسة الشرق لتحقيق أهدافها الإستشراقية،أهمها:

- **معهد فرنسا(الكوليج دي فرانس)Le collège de France:**

تأسس على يد الملك فرنسوا الأول سنة1530م تحت اسم القراء الملكيين(**les lecteur royaux**)[2]، بإيعاز من غيوم بوديه(**G . Bude**) المشرف على مكتبة الملك، فخصص قارئان للغة اليونانية وثالث للغة العبرية وواحد للرياضيات، وأضيف لها إلى هؤلاء القراء سنة 1541م قارئ للبلاغة اللاتينية ثم اللغات الشرقية الأخرى غير العبرية(1538-1543)[3] على يد غيوم بوستل[4].

تعد اللغة العبرية أقدم اللغات الشرقية الداخلة إلى المعهد، في حين أن اللغة العربية كان متقطعة حتى مجيء سلفستر دي ساسي نهاية القرن18م، بحرصه على ترسيخ اللغة العربية

---

[1] محمد إسماعيل، المرجع السابق، ص41.

[2] Annuaire du collège de France, 11 année, Ernest Leroux éditeur , Paris, 1911, p5.

[3] مقداد: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**، دط، عالم المعرفة، دت، ص77.

[4] **G Postl**(1510-1581) مستشرق وفلكي ونحوي ودبلوماسي فرنسي، درس في كلية سانت بارب بباريس، من المؤسسين لجمعية يسوع، ومن أهم أعماله كتاب "وصف سوريا" سنة1540.(للمزيد أنظر العقيقي، ج1، المرجع السابق،ص171).

جيدا في فرنسا، واستثمار جهوده وأهدافه على يد تلامذته،[1] إن المعهد لا يمنح درجات جامعية ولا يجرى لطلابه امتحانات ودروسه ميسرة لكل راغب، ليس بها تسجيل ولا رسوم وحرية الوصول إلى قاعات التدريس فيه مكفولة للاستماع فيها من محاضرات في مختلف صفوف المعرفة والعلوم والاختصاصات وليس المعهد عضوا في جامعات باريس[2].

درس في المعهد نخبة من الأساتذة، والتي أهلتهم للتدريس في كرسي من الكراسي المتخصصة فيه، أي من المختصين بمادة أحد هذه الكراسي وكذلك من ذوي النبوغ والاختراعات والاكتشافات والنظريات العلمية والأدبية المشهود بها أو من البارزين في ميدان البحوث بمؤلفاتهم وأضافوا الجديد إلى العلم بمجموعة من الدراسات الهامة ومن أهمهم أنتوان كوسين دو بروفسال(**Antoine Caussin DE Perceval**) وشارل فرنسوا ديفارمي (**Charles-François Defrémery**) ووليام مارسييه[3]، حضي الاستشراق بمكانه لائقة في هذه المؤسسة العلمية الهامة،فأدت خدمات جليلة للثقافة الفرنسية ووصلتها بآثار الثقافة العربية في عدة مجالات.

ما تجدر الإشارة إليه أن أساتذة العربية في المعهد كان تكوينهم قبل القرن19م بعدة أشكال،فبعضهم كون نفسه بنفسه مستشرقا خاصة قبل سنة1669م والتي شهدت ظهور المدرسة الثانية تاريخيا لتكوين المستشرقين وهي مدرسة فتيان اللغات، حيث أصبحت معظم أساتذة المعهد من طلابها، أما بعد القرن19م فصار أساتذة المعهد يأتون من عدة جهات إما من العصاميين ومن مدرسة فتيان اللغات ومن المتخرجين من المعهد نفسه ثم من خرجي

[1] Silvestre de Sacy, op, cite ,p

[2] مقداد، المرجع السابق، ص80

[3]quelque données sur son histoire et son caractère propre, L'annuaire du collège de France, mis en ligne le 22novembre 2013, consulté le7Janvier 2020,p40.

مدرسة اللغات الشرقية الحية ومن الأساتذة الذين تكونوا في مدارس الجزائر والمغرب ومن معهد القاهرة ودمشق، حيث أدي هؤلاء دور كبيرا في تعليم اللغة العربية في هذا المعهد[1].

ومن استعراض قاعة قائمة أسماء المستشرقين الذين شغلوا كراسي تتعلق باللغات الشرقية،نجد أنه تغلب عليها الدراسات الأدبية والتاريخية، فاهتمت بتاريخ العرب والحضارة الإسلامية، أما في الاتجاه الفني فركزوا بدارسة الفنون العربية والإسلامية المختلفة كالعمارة والنحت والتصوير والخط، وكذلك الاتجاه الاجتماعي[2].

- **مدرسة فتيان اللغات l'école des jeunes de langues:**

إن السبب المباشر لإنشاء مدرسة فتيان اللغات هي التقارير المبعوثة من التجار الفرنسيين في المشرق العربي إلى الملك الفرنسي لويس14 ووزيره الأول كولبير، أين كانت هذه التقارير تشكو خيانة المترجمين الوسطاء من أهل البلدان الشرقية لمصالح فرنسا التجارية،الأمر الذي يعرض تجارة فرنسا وسياستها لأخطار جسيمة إذا استمر الوضع على حاله[3].

دفعت هذه الظروف الوزير كولبير لتفكير في حل المشكلة، حتى قرر سنة1670م إلى مشروع إنشاء مدرسة باسطنبول(القسطنطينية) مهمتها تخريج مترجمين فرنسيين مخلصين في ولائهم لبلادهم وملكهم ووافق الملك على إنشائها[4]، يعينون في الوظائف الحيوية في الشرق،ويعملون كوسطاء بين التجار الفرنسيين والسفراء من جهة وأهل البلاد المتجارين فيها والناطقة بالعربية والعثمانية والفارسية من جهة أخرى[5].

---

[1] مقداد، المرجع السابق، ص80.

[2] quelque données sur son histoire et son caractère propre, op, cite, p40.

[3] مقداد، المرجع السابق، ص80.

[4] Henri Cordier :**un interprète du général Brune et la fin de l'école des jeunes de langues**, imprimerie national, Paris, p6.

[5] Pouillon, op, cite, p370.

تجسدت أهداف مهمتها بالدرجة الأولى على تلقين الفتيان الفرنسيين اللغة العثمانية كونها لغة الحكم ثم جاءت العربية لتكون بنفس الأهمية مع العثمانية ثم أدخلت اللغة الفارسية،علما أن المدرسة مرت منذ تأسيسها من سنة1873م حتى ظهور مدرسة أحدث ظهورا منها (مدرسة اللغات الشرقية) ب6مراحل شهدت كل مرحلة أدخلت تعديلات وإصلاحات جديدة للمضي قدما بها والحصول على نتائج جيدة وجدية تخدم الأهداف التي كلفت بها[1].

بلغ عدد خريجي مدرسة فتيان اللغات من سنة1669الى سنة1873م قرابة458 طالب ما بين مترجم وأستاذ ومحقق، قلة مشهورة وأغلبية مغمورة، وكان من أهم مدرسي العربية والعثمانية منذ1720الى1873م دوفبين(الأب ثم الابن) وبروث(Berruth) أرمانوبتي دو لاكروا(ألكساندر) وكاردون ولوغران وروفان وفنتور دوبارادي وشيول وبغرانج وأغوب وجوبير ودوكورتي[2]، ورافق بعض تلامذتها نابليون بونابرت في حملته على مصر سنة 1798م[3].

- **جامعة السوربون: Sorbonne** سنة1257م

بدأت الجامعة بهبة الأب روبر دي سوربون كاهن القديس لويس وآخرين كهنري جلانت وغوفري وتوماس الايرلندي[4] ثم جدد الكاردينال ريشيليو بناءها سنة1626م وضمها نابليون بونابرت إلى جامعة باريس سنة1808م، واعتنى معهد الآداب فيها بتاريخ الفن الإسلامي المغربي وتاريخ الشعوب الشرقية ودراسات في اللغة والألسن والحضارة العربية، ثم ألحق معهد الدراسات الإسلامية بمعهد الآداب وفيه اللغة والتمدن والتاريخ والدراسات الدينية وعلم المجتمع الإسلامي[5].

---

[1] Cordier op, cite, p7

[2] مقداد، المرجع السابق، ص92.

[3] عمر جاسم محمد: **العين الغائبة الجبرتي الحملة الفرنسية على مصر**، دط، زهران للنشر، مصر، دت، ص10.

[4] Mordechai Feingold : **history of universities**, V31, Oxford, 2018,p24.

[5] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص153.

- **المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية:** l'école nationale des langues orientales vivantes

يعود إنشاء المدرسة إلى **لوي لا نغليس** الذي وجه رسالة إلى الجمعية الوطنية الفرنسية سنة1790م، بين فيها أهمية وحتمية تعلم اللغات الشرقية للمصالح الحيوية الفرنسية مقترحا إنشاء كرسي للعربية والعثمانية والفارسية في كل من باريس ومارسيليا لخدمة السياسة والتجارة والعلم معا في فرنسا[1].

أنشئت المدرسة في 30مارس1795م بصدور مرسوم10جرمينال من السنة الثالثة وقد نصت المادة الأولى من المرسوم على تأسيس مدرسة تخصص لتعليم اللغات الشرقية الحية ذات الفائدة الملموسة للسياسة والتجارة[2]، كل ذلك يتم في نطاق المكتبة الوطنية المنشأة من طرف حكومة الثورة بباريس، وأطلق على المدرسة اسم المدرسة الخاصة باللغات الشرقية الحية[3].

ونص في المادة2على تعليم اللغات الثلاث العربية الفصحى والعامية والعثمانية والفارسية ونصت المادة الثالثة(3) أن يعرف مدرسو هذه اللغات طلابهم بالعلاقات السياسية والتجارية القائمة بين فرنسا والشعوب التي تتكلم بها ونصت المادة الرابعة(4) منه على ضرورة تأسيس أساتذة هذه اللغات كتبا في نحو هذه اللغات باللغة الفرنسية ليستفيد منها طلابهم الفرنسيون[4]

---

[1] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص153ص92.

[2] Notice historique sur école spéciale des langues orientales vivantes, op, cit ,p3.

[3] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص153.

[4] المرجع نفسه.

أتبعت المدرسة سنة1832م بوزارة الداخلية وتولاه إتيان كارترمي ثم ألحقت بوزارة التعليم العام ثم استبدلت كلمة الوطنيةnationalبكلمة الخاصةspécialeفي تسمية المدرسة في مرسوم 8حزيران1914م[1].

ما تجدر الإشارة إليه هو توالي دخول اللغات الشرقية في المدرسة، فأسس كرسي للعربية العامية المغربية سنة1821م وتلاه كرسي للعربية المشرقية سنة1899، إلا أن كرسي العربية الفصحى الغي بوفاة رينو سنة1867م ثم أعيد إحياؤه سنة1879م من طرف هرتويغ دير نبورغ[2].

شغل المستشرق دوسلان بعد دوبرسفال كرسي العربية العامية في مدرسة اللغات الشرقية،وكان دوسلان من المدرسة الجزائرية في الاستشراق ثم خلفه فيه شربونو من سنة 1879إلى سنة1882م ثم شغر المنصب حتى مجيء أوكتاف هوداس(O. Houdas) من المدرسة الجزائرية بعدها سنة1884م حتى1916م ثم خلفه وليام مارسيه حتى سنة1927م[3].

أولى هؤلاء المستشرقين اهتماما بتدريس اللهجات العربية المغربية لانتسابهم إلى المدرسة الجزائرية في الاستشراق الفرنسي، وقد أدوا دورا بارزا في استكشاف هذه اللهجات ودراستها تنفيذا لسياسة استعمارية ماكرة طويلة الأمد تسعى في الأخير إلى فرنسة الجزائر وباقي دول المغرب العربي التي أدخلوها في ظلال استعمارهم[4].

أنشئ في26فيفري1872م كرسي يتعلق بتاريخ الدول الإسلامية وجغرافيتها وتشريعاتها،كما نصت عليه المادة التاسعة من مرسوم تنظيم المدرسة الصادرة سنة1869م، حيث أسندت

---

[1] Notice historique, op, cit, p32.

[2] مقداد، المرجع السابق، ص95.

[3] المرجع نفسه، ص97.

[4] رزيقة يحياوي: **الاستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة و نشر التراث الجزائري**، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015، ص57.

دروسها إلى دوغا(Dugat)[1] أين أشار هذا الأخير في محاضرته الافتتاحية إلى فائدة هذه الدراسات قائلا" **إنها ستسمح للطلاب بأن يدخلوا دخولا أعمق إلى حياة الشعوب الإسلامية**"،ثم خلفه سنة1886م **هنري ديلونكل**(H. delincle)**ثم رافيس**Ravisse سنة 1888م،وظل هذا الأخير في المنصب إلى أن تحول إلى كرسي دائم سنة1926م، وقد ارتكزت مناهج هذا الكرسي في السنوات الثلاث على:

السنة الأولى: مخصصة لدراسة بداية الإسلام والأنظمة الإسلامية وتاريخ خلافة الشرق والحركات الإسلامية الكبرى المعاصرة وجغرافية الجزيرة العربية.

السنة الثانية: موضوعاتها تتركز في دراسة تاريخ الأندلس وشمال إفريقيا ومصر والهند.

السنة الثالثة: تختص ببلاد الرافدين وفارس وتركيا[2].

بلغ عدد لغات المدرسة سنة1945م39 لغة حية ومستعملة أو لهجات لهذه اللغات وهذا الامتداد الواسع جغرافيا أدي إلى عدم تطابق اسم المدرسة مع واقعها التعليمي(إذ تعرض هذا الاسم لانتقادات كثيرة وقدمت اقتراحات لتغيره)[3].

تعدد خريجي المدرسة من المستشرقين فمنهم دبلوماسيين يعملون في سفارات فرنسا وقنصلياتها في البلدان العربية كسفراء أو مترجمين أو ملحقون ثقافيا أو مستشارون أو علماء وهبوا حياتهم للتدريس والبحث والتحقيق والترجمة والتأليف ومنهم إداريون أو عسكريون يعملون في المستعمرات الفرنسية[4].

---

[1] Notice historique, pp XLVIII,XLIX

[2] مقداد، المرجع السابق، ص98.

[3] ساسي، المرجع السابق، ص ص110،111.

[4] يحياوي، المرجع السابق، ص58.

انشأ سنة1913 بالمدرسة كرسي للغة البربرية ساعية للفت النظر إلى أهمية اللغة العامية كوسيلة للتواصل مع المجتمع المحتل ونافذة للتعرف على مكوناته البسيطة والغامضة في آن واحد[1].

- **المدرسة الشرقية في القسطنطينية:1802م**

وقد عنيت بتخريج رجال السلك السياسي وأشرف عليها مستشرقون مشهورون.

- **جامعة ليونLyon:1808**، وفيها اللغة العربية والآثار المصرية والتمدن الإسلامي.

- **المدرسة العملية للدراسات العليا في باريس1868م** **l'école pratique des hautes**

وفيها قسم العلوم الدينية الملحق بالسوربون ويختص بالدراسات الإسلامية وديانات الجزيرة العربية وفقه اللغات الشرقية.

-جامعة ستراسبورغ(1872م) Strasbourg:

وفيها تاريخ الشرق اشتهرت بكبار مستشرقيها أمثال نولدكه وغيره من الأعلام.

-المعهد الكاثوليكي بباريس سنة1875م **instut cath de paris** وفيه اللغات العربية والسريانية والقبطية والحق القانوني الشرقي[2].

تعدى تعليم اللغات السامية مدارس فرنسا ومعاهدها وجامعاتها فحرصت على إنشاء مثيلاتها في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وغيرها مزودة معظمها بالمكتبات والمطابع والعلماء مها المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة1880م وكلية بورجاد في تونس سنة1841م ومعهد قرطاجنة في تونس1895م[3].

---

[1] زقزوق، المرجع السابق، ص43.

[2] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص154

[3] المرجع نفسه.

أما في الجزائر فقد أسست **مدرسة الآداب العالية في الجزائرسنة1881م** حيث تعد الركيزة الأساسية للاستشراق الفرنسي بالجزائر، افتتحت سنة1880م لخدمة الإدارة الفرنسية مع مدرسة العلوم والحقوق والطب، فركزوا على النصوص الفقهية والتشريعات الإسلامية بالتعاون مع مختصين في الترجمة والنشر خادمين القضاء الفرنسي، أشهرهم زيس ومارسيل موران، وظهر في مدرسة الطب مستشرقون اهتموا بترجمة النصوص العربية مثل غبريال كولان[1] ويعد المستشرق هوداس أول من تولى كرسي اللغة العربية في المدرسة بمساعدة الجزائري بلقاسم بن سديرة وتولى رينيه باصيه تدريس الأدب العربي ثم خلفه ادموند فانيان[2].

حولت مدرسة الآداب إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية تابعة لجامعة الجزائر، وأولت اهتماما باللغة العربية باعتبارها القاعدة الأساسية لدارسة تاريخ وحضارة الدولة المحتلة، وقد عمل"**باصيه**" بالتعاون من ابن سديرة على إنشاء كرسي البربرية في كلية الآداب وتولى تدريسها[3].

أولت المدرسة اهتماما معتبرا للهجات بني ميزاب والقبائل والأوراس ودراسة تاريخ الزوايا والطرقية والأولياء الصالحين، بعد التيقن بتمسك الشعب الجزائري بعاداته وتقاليده وتمسكه بدينه الإسلامي، ولهذا اهتمت إدارة فرنسا اهتمام بالغ بتعلم كل لهجات الشعب مركزة على العامية فقد:"اهتم المستشرقون الفرنسيون في النصف الأول من القرن العشرين باللهجات العربية العامية في المغرب العربي خاصة وبدأ الاهتمام بهذه الدراسات منذ بداية القرن الحالي وتعززت هذه الدراسة على يد "**وليام مارسيه**"(1872-1956) الذي تحول من

[1] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص27 .

[3] يحياوي، المرجع السابق، ص55.

دراسة القانون إلى الدراسات العربية العامية خاصة فيما يتعلق باللهجات المغربية والجزائرية والتونسية[1].

أدت المدرسة دورا بارزا في خدمة الإدارة الاستعمارية وخدمة الاستشراق من خلال حركة الترجمة لاسيما ترجمة النصوص الدينية والقوانين والتشريعات الإسلامية، ونظرا لنشاطها ذاع صيتها في جميع أجزاء أوروبا ونافست في مكانتها الجامعات الكبرى في فرنسا، ونشط فيها مستشرقون بارزون كهوداس وفانيان وماصيه وغيرهم[2].

وأنشأت انجلترا على غرار فرنسا كراسي لغات الشرقية في مختلف جامعاته، منها جامعة أكسفورد خصتها للغة العربية والعبرية والكلدانية والسريانية بقرار من البابا كليمانص الخامس،ثم انشأ كبير الأساقفة لود كرسيا للعربية فيها سنة1636م، وفي مطلع القرن18م أضافت كرسي آخر فوقا على اللغة العربية وألسنة اللغات السامية والدراسات الإسلامية وتاريخ الشرق الأدنى الحديث والفلسفة العربية أما في جامعة كامبريدج فقد استحدث السيد توماس أدامز كرسيا للغة العربية، وحذت حذوها جامعة لندن وداعمة درهام(1838م) وغيرهم من الكليات والجامعات التي حرصت على إنشاء كراسي للغات الشرقية بها[3].

وحذت حذوهم ايطاليا فاعتنت جامعة بولونيا بعلوم العرب وجامعة نابولي بثقافتهم وجامعة،واهتمت جامعة روما بدراسة الآثار واللغة والآداب العربية والألسن السامية،وخصصت جامعة فلورنسا كرسيا للغات الشرقية، وأنشأ البابا غوريغويوس 13المدرسة المارونية في روما سنة1584م، ثم تأسست مطبعتها سنة1653م، وكلف مجمع نشر الإيمان الرهبنات تـــأسيس مراكز للغات الشرقية في روما، فعين الأب جارديان الفرنسيسكاني من القدس أول أستاذ للعربية في إحداها ثم قرر المجمع تدريس العربية

---

[1] الحاج ساسي، المرجع السابق، ص100.

[2] Mauris Chavardes: **les grand maitres de l'éducation**, édition du seuil, paris, 1966, p146

[3] العقيقي، المرجع السابق،ج 2، ص ص432 ،433

والسريانية والعبرية في أديار البندقية، وأنشأ الكاردينال دي مديتشي مدرسة اللغات الشرقية ومكتبة ومطبعة في فلورنسا وأنشأ الكاردينال بوروميو مدرسة اللغات الشرقية، وفي القرن19م، نظمت ايطاليا دراسة اللغات الشرقية وعهدت بها إلى أعلام المستشرقين أمثال أماري و بوناتزيا وأغناطيوس، فتولوا تعليمها في جامعات فلورنسا ونابولي وبادوي وبيزا وروما وبالرمو[1].

- **الجمعيات الاستشراقية:**

أصبح الاستشراق مع مطلع القرن19م جهاز ضخم في هيكله ونشاطه وحركته واتسعت تخصصاته، فكانت الضرورة أن يوجد لها جهاز تنظيمي خاص به ومؤسساته الرسمية المستقلة التي ترعاه إداريا وعلميا وتشرف عليه وتسير شؤونه وتنسق جهوده وتنظم حركة نشاطه فكانت الحاجة ملحة إلى الجمعيات الاستشراقية[2].

وأمام هذا الوعي شرع علماء الغرب في تأسيس مختلف الجمعيات العلمية، نقطة الانطلاق للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت إسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على الشرق وحضارته إضافة إلى أهدافها الاستغلالية والاستعمارية.

- **الجمعية الأسيوية:**

تعد أول جمعية استشراقية تأسست في باريس سنة1822م بزعامة دي ساسي بمشاركة العديد من المستشرقين الفرنسيين المستقرين بالجزائر منهم بنجامين وفانيان وشاربونو[3]، وقد اهتمت الجمعية الأسيوية بالتراث العربي ترجمة وتصنيفا ونشرا من خلال مجلتها" **المجلة**

[1] العقيقي، ج 1، المرجع السابق، ص307.

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص236ـ237

[3] سعد الله ، ـتاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص90.

الإفريقية" وكانت تعني بالعرب تاريخا وجغرافية وثقافة وحضارة حتى عدت من أوثق مصادر الاستشراق في الغرب[1].

- **الجمعية الشرقية:**

تأسست في باريس سنة1841م مهمتها التنسيق بين أعضاء المعهد الفرنسي والقناصل والرحالة والاهتمام بالشرق حاضرا ومستقبلا حيث جاء في الفقرة صراحة:" **يجب أن نبذل جهدنا للهيمنة عليها(الشرق) لصالح الحضارة ــ وكذلك الجزائر- هذه الأرض الإفريقية الواسعة التي كانت من قبل متوحشة ومتمردة وها هي اليوم نفتخر بقوانيننا وفنوننا وعاداتنا وصناعاتنا وهي تحت الخطى نحو التقدم**" وقد اعتمدت وزارة الداخلية الفرنسية الجمعية الشرقية[2].

إن الرجوع إلى مجلة الشرق يجد الاهتمام واضح في المقالات والأخبار والتعاليق والمشاريع والأكثر من ذلك أصبحت المجلة تسمى" **مجلة الشرق والجزائر**" فترة من الزمن وربما أضافت إلى ذلك كلمة " **والمستعمرات**"[3].

- **الجمعية الجغرافية la société géographique:**

تأسست في15ديسمبر1821م بباريس، اهتمت اهتماما واضحا ومبكرا بالجزائر والمغرب العربي والاستكشافات ومن ذلك نشر الباحث دافيزاك ترجمة لرحلة الأغواطي في وصف بعض المناطق الصحراوية الممتدة من الأغواط إلى تمبكتوومي شنقيط إلى جربة مع تعاليق وإضافات[4].

---

[1] العقيقي، ج 1، المرجع السابق، ص147.

[2] يحياوي، المرجع السابق، ص50.

[3] سعد الله، ج 6، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص90ــ 91.

[4] معريش، المرجع السابق، ص29

لم يقتصر تأسيس الجمعيات على فرنسا بل تأسست في مستعمراتها العديد من الجمعيات،ومن الجمعيات النشطة في الجزائر:

- **جمعية قسنطينة الأثرية:**

أقدم جمعية فرنسية في الجزائر، تأسست في ديسمبر1852م على يد العقيد كروللي والمستشرق شربونو وبروسلار وفينيار، والبارون بواسوني، اهتمت بالدراسات الإسلامية [1]،ركزت الجمعية بالدرجة الأولى على اكتشاف مخلفات القرطاجيين والنوميديين والرومانيين والعرب في الجزائر من آثار ونقوش[2] محتقرة ومتجاهلة الآثار الإسلامية كتناولها لقصر أحمد باي وقصر صالح باي والقنطرة وركزت على مدينة قسنطينة في خرائبها وأثارها ومبانيها وفق ما يخدم المصالح الفرنسية الاستعمارية[3].

- **الجمعية التاريخية:Société historique Algérienne**

تأسست الجمعية في7أفريل1856م في العاصمة بمبادرة من الحاكم العام راندون(**Alexander de Randon**)(1851-1858) كرئيس شرفي أما رئيسها الفعلي فهو أدريان بيربروجر، تجسد الهدف من إنشائها في دراسة كل المعلومات المتصلة بتاريخ إفريقيا ولاسيما المعلومات التي تخص الجزائر في العهد اللوبي إلى نهاية العهد التركي[4].

---

[1] أحمد مسعود سيد علي:الاستشراق الانثربولوجي الفرنسي بالجزائر وارتباطه بالتنصير، **مجلة قضايا تاريخية**،العدد2016،2، ص111.

[2] معريش، المرجع السابق، ص29

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص93.

[4] يحياوي، المرجع السابق، ص51.

ضمت الجمعية نخبة من المستشرقين البارزين أمثال لويس برينيه والبارون ديسلان ومجموعة من المترجمين العسكريين والمدنيين منهم الجغرافي مكارثي والعقيد دي نوفو والمتصرف المدني رولان دي بوسيه والعقيد هانوتو وبارجيس والجنرال دوماس[1].

- **جمعية البحث العلمي:**

تأسست في مدينة عنابة سنة1863م، وأصبحت تسمى فيما بعد أكاديمية هيبون أول رؤسائها المحامي أوليفييه ثم الضابط قنطيس سنة1871م ثم العقيد بابيه ثم مالتيران،أصدرت لها مجلة عرفت باسم نشرة أكاديمية هيبون، اهتمت بالشرق الجزائري إذ يظهر عليها الطابع الأثري والديني وضمت الجمعية مجموعة من الكتاب البارزين منهم ليكليرك، كتب هذا الأخير عن أحمد التيفاشي وبلوشي اهتم بعلم الخرائط عند المسلمين وبابيه الذي نشر عن مساجد عنابة[2].

- **الجمعية الجغرافية لإقليم وهران:**

تأسست سنة1878م على يد ضابط البحرية تروتاباس، اهتمت بالجنوب والغرب الجزائري والمغرب الأقصى والصحراء، نشرت العديد من المخطوطات مترجمة إلى الفرنسية وبحوث مطولة ونشطت الدوائر الاستعمارية في المنطقة إذ وجدت الجمعية والمجلة مجالا خصبا للتعبير عن نفسها بالكتابات والبحوث، تغير اسم الجمعية سنة1881م إلى الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران وأسست المتحف الأثري والفني لمدينة وهران ويعد المستشرق رينيه باصيه وتلميذه ألفريد بيل ومورليراس من المساهمين فيها[3].

وقد أسست الدول الأوروبية الأخرى مختلف الجمعيات الإستشراقية، وأهمها:

- **الجمعية الملكية الأسيوية لبريطانيا العظمى وايرلندا royal asiatic of Great society Britain and Ireland London**

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص93.

[2] المرجع نفسه، ص98.

[3] نفسه .

أسست في1823م برعاية ملك بريطانيا، وأدت دورا بارزا في تطور البحث الشرقي بعدة طرق من خلال نشر الكتب المهمة وتقديم المساعدات للمستشرقين وتشجيع الحكومات على المحافظة على تراثها لاسيما في المتاحف والضغط من أجل إنشاء وظائف للتدريس باللغات الشرقية في الجامعات البريطانية، كما حثت الجمعية الجامعات على الاهتمام بالدراسات الإسلامية، ففي سنة1873م وجه مجلس الجمعية اهتمامه إلى جامعة أكسفورد وحثها على تدريس أفضل للغات السامية هناك[1].

- **الجمعية الشرقية الأمريكية: American oriental society**

أعلن عن تأسيسها في شهر أوت1842م بمدينة بوسطن، تسعى الجمعية إلى تنمية المعارف في المجالات اللغوية الأسيوية والإفريقية، أما اهتماماتها ومجالات بحوثها متعددة منها اللغة العبرية والتنصير والدراسات المصرية، أصدرت الجمعية مجلة تحمل اسمها **Journal of the American oriental society**[2]

- **جمعية المستشرقين الألمان:**

بعد اجتماعات ولقاءات متعددة تمكن المستشرقون الألمان من تأسيس جمعيتهم الإستشراقية **Deutshen Morgenlandishen gesellschaft**، وتهدف هذه الجمعية إلى تشجيع معرفة أسيا والدول الموجودة بها بحضاراتها وعاداتها وتقاليدها من خلال جمع المخطوطات وإصدار الأعمال الأدبية الشرقية[3].

---

[1] العقيقي، ج2، المرجع السابق، ص461

[2] المحسن بن علي بن صالح سوسي: **مؤتمرات المستشرقين العالمية – نشأتها – تكوينها – أهدافها**، أطروحة دكتوراه،ج 1،جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1998،ص، 38.

[3] صالح سوسي، المرجع السابق، ص39.

- **المجلات والدوريات:**

أستخدم المستشرقون المجلات والدوريات في مسارهم الاستشراقي لضرورتها في نقل أفكارهم ومبادئهم للآخر، فقد انتشرت بشكل واسع في أوروبا وخارجها حتى بلغت300مجلة بمختلف اللغات، تتناول في مباحثها الشرق بلغاته وأديانه وعلومه وآدابه وفنونه.

وقد عرفت فرنسا ثورة في عالم المجلات والدوريات الإستشراقية المهتمة بالشرق ومجتمعاته وتراثه وثقافته وحضاراته، كتب فيها المستشرقون الفرنسيون وغيرهم بجميع تخصصاتهم فكان لفرنسا الريادة والزعامة في ذلك إذ بلغ عدد عناوين المجلات والدوريات الإستشراقية أكثر من40 عنوانا في مختلف المجالات والتخصصات التي عرفتها فرنسا منذ بداية القرن19م[1].

- **صحيفة العلماء** سنة1665م le journal des savants Paris :

تصدر عن جمعية العلماء الفرنسية في باريس، اختصت بتاريخ العرب والإسلام بدراسة جدية ورصينة[2].

- **المجلة الأسيوية سنة1822م** journal Asiatique :

صحيفة أطلق عليها اسم مجلة، تصدر بباريس، تأسست تحت رعاية الدوق أورليان(الملك لويس فيليب مستقبلا) ورئاسة دي ساسي، تصدر كل ثلاث أشهر وتهتم بالعرب تاريخا وجغرافية وحضارة وفنونا، حتى عدت من أوسع مصادر الاستشراق في الغرب،اجتهد "**موهل**" أحد أعضائها على نشر تقارير دورية جمعها في كتاب أسماه"27 عاما في تاريخ الدراسات الشرقية في مجلدين الأول في578صفحة والثاني678 صفحة في باريس سنة 1879 ــ1880م[3].

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص238.

[2] العقيقي، ج 1، المرجع السابق، ص161.

[3] المرجع نفسه.

حرصت الجمعية الأسيوية على نشر التراث العربي وترجمته وحتى الإنفاق على طبعه كرحلة ابن بطوطة وكتاب نظم الجواهر لابن البطريق فنشرت النص العربي مع تاريخ النحل ليحي بن سعيد بن البطريق في ثلاث مجلدات(المطبعة الكاثوليكية، بيروت1906 ـ1909)[1].

- **المجلة التاريخية سنة1876م revue historique :**

تصدر في باريس مرة كل ثلاثة أشهر.

- **مجلة تاريخ الأديان سنة1880م : revue de l'histoire des religions Paris**

حولية تصدر في باريس

- **مجلة العلوم الدينية revue des sciences religieuse Paris :**

حولية تصدر في باريس

- **نشرة المراسلات الإفريقية سنة1881م(حولية) Bulletin de correspondance Africaine**
- **حولية الجغرافيا سنة1891مAnnales de géographie:**

شهرية تصدر في باريس مع فهرس مفصل للمراجع في جزء مستقل.

- **المجلة الإفريقية:**

تعد المجلة الإفريقية لسان حال الجمعية التاريخية الجزائرية، تصدر على سورة أعداد فصلية أو دورية وجمعت على شكل أجزاء سنوية كاملة(مجلدات) من تاريخ تأسيسها سنة 1856حتىسنة1962 تاريخ توقفها، صدرت بادئ الأمر كل شهرين حتى العدد 32

[1] إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص85.

سنة1888م أصبح تصدر كل ثلاث أشهر فصلية، ولم تنقطع إلا في فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية لدواعي أمنية، بلغ أعدادها106عدد[1].

كان مقر الجمعية في بادئ الأمر المكتبة الوطنية الجزائرية ثم تحولت إلى كلية الآداب بالجزائر، ولا تحتوي أعدادها على مقدمة عدا العدد الأول الذي نشرت فيه مقدمة من 11صفحة،وقد كتب في المجلة397كاتب وبها1267 مقالة في مختلف التخصصات[2].

ومن أهم هذه الدوريات والجمعيات الأوروبية:

- **مجلة العالم الإسلامي:** مجلة تبشيرية تصدر باللغة الانجليزية في هار وتوزع في جميع أنحاء العالم.
- **مجلة شؤون الشرق الأوسط:**

تصدر بالانجليزية في أمريكا ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين واهتمامها موجه أساسا للمواضيع السياسية.

- **مجلة" جمعية الدراسات الشرقية"**

أنشأها المستشرقون الأمريكيون في جامبير بولاية أوهايو، ولها عدة فروع في أوروبا وكندا.

- **مجلة الشرق الأوسط:** مجلة أمريكية سياسية شكل الإسلام أولى اهتماماتها[3].

- **تأليف الكتب:**

من المؤكد أن للكتاب دور كبير في نشر المبادئ والأفكار، ورغم قدمه إلا أنه ما زال يزاحم المخترعات الحديثة في مجال الاتصال والإعلام في أهميته وفعاليته في الترويج

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق ص95.

[2] العقيقي، ج1، المرجع السابق ، ص163.

[3] المرجع نفسه.

للثقافات.من هنا اهتم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعالة فعكفوا على تأليف الكتب وإصدار الموسوعات وإخراج المعاجم، وهو ما ظهر في وإنتاجاتهم الضخمة والحاملة لخلاصة أرائهم بمختلف اللغات الأجنبية وبعضها ترجم إلى اللغة العربية[1].

وقد أنتج المستشرقون آلاف الكتب والبحوث بل عشرات الآلاف، أخذ فيها الإسلام حيزا هاما،فتطرقت إلى العقيدة والشريعة والسنة والتاريخ والسيرة النبوية والفقه والدعوة الإسلامية والتصوف والأخلاق واللغة العربية وكل ما يمت بصلة إلى الثقافة الإسلامية، إلا أن هذه الكتابات غلب عليها طابع التزييف والتزوير وشحنت بالأكاذيب والطعون والتهجم على الإسلام والإنقاص من شأنه[2].

هذا وأورد الباحث البهي قائمة لبعض الكتب الإستشراقية المتطرقة والمشوهة للدين الإسلامي ومنها كتاب" **حياة محمد**" للسيد وليام موير، وكتاب" **الإسلام**" لألفرد جيوم و كتاب "**الإسلام**" لهنري لامنس باللغة الفرنسية و" **تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي**" لصاحبه جولدز زيهر باللغة الألمانية وترجم للغة العربية، ومن الكتب الخطيرة "**ميزان الحق**" للدكتور فاندر الأمريكي وكتاب" **الهداية**" للدكتور تسكلير تسدل، في4أجزاء، والكتاب يفند الإسلام ويطعن فيه وغيرها من الكتب[3]، وأخطرها كتاب" **دائرة المعارف الإسلامية**"، الذي ظهرت منه نسخا تباعا من سنة1913 إلى1934م، والتي أعد لها قرابة20سنة وترجم إلى عدة لغات[4].

واهتم المستشرقون بالتبجح بانتصارات الفرسان النصارى على المسلمين السرزانيين،إضافة إلى وصف أخلاقهم وعقيدتهم وتحليلات تتعلق بنبيهم وعباداتهم وعاداتهم، وفي دراسة ل " **شارل بلا**" وابنته عن أغاني الملاحم تم استنتاج عدة أمور أهمها عدم وجود ذكر لاسم الله

---

[1] إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص79.

[2] بوسليم، المرجع السابق، ص240.

[3] إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص ص79ـ80.

[4] منذر معاليقي: **الاستشراق في الميزان**، المكتب الإسلامي، ط1، المكتب الإسلامي، لبنان، 1997، ص20 .

رغم تداوله على ألسن المسلمين، والاعتقاد بوثنية السرزانيين والسخرية من الديانات الأخرى[1].

- **الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم الإسلامي:**

تمكن المستشرقون من التسلل لبعض المجامع العلمية الرسمية في بعض البلدان الإسلامية كمصر ودمشق وبغداد، فقد اعتبروا التمثيل في هذه المجامع العلمية وسيلة لتحقيق أهدافهم،حيث يعملون جاهدين على تحويل هذه الأهداف إلى مناهج تلبس مسوح البحث العلمي سواء في الدعوة إلى إحياء اللغات العامية أو الدعوة إلى تعديل النحو العربي أو الكتابة العربية المعاصرة وكلها محاولات تسعى إلى خلق هوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة،وقد سبق لهم أن عكفوا على دراسة العاميات بحجة التجارة والنشاط الدبلوماسي وعملوا بمختلف الأساليب والوسائل لجمع الأمثال العربية بغرض تكريس العامية واعتبارها لغة لها تراث[2].

كما أن اشتراكهم في المجامع اللغوية والعلمية الرسمية واهتمامهم باللغة العربية يرجع في بعض أسبابه إلى التمهيد للحملات الاستعمارية ومحاولة فهم الشرق الإسلامي بجميع نواحيه،وإدراك أسرار الشعوب الواقعة في دائرة هيمنة حكوماتهم بمعرفة مواطن القوة والضعف لديها، ومن أهم المستشرقين المشتركين في المجمع اللغوي بمصر جب ومرجيلوت وتيكلسون من انجلترا ولويس ماسينيون الفرنسي[3].

[1] بن صالح السويسي، المرجع السابق، ص ص،15 ،16.

[2] المرجع نفسه.

[3] إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص100.

- **دور النشر الإستشراقية:**

إذا كان الكتاب وسيلة ضرورة لنشر الأفكار، فإن دار النشر هي من تتولى إعداده وتجهيزه فنيا والترويج له وتوزيعه في مختلف الأماكن والبلدان، ومن هنا استخدم الاستشراق دور النشر في إذاعة أفكاره في العالم الغربي والإسلامي ومن أشهرها:

في باريس: دار"**إرنست لرو**"، وعرفت بنشر المطبوعات الإستشراقية من كتب ومجلات ونشرات وبإصدار فهرس مفصل ودقيق كل عام تحت عنوان "**مسرد عام**"، ودار هنري فلتر وفيها الكثير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية النفيسة، ودار مزوتيق وهي أكبر دور النشر الإستشراقية في فرنسا وأوروبا[1].

وفي انجلترا: دار"**بروبستاين وشركاه**" في لندن وتنشر فهرسا دوريا باسمه، ودار" **هيفر وأولاده**" في كمبريدج وتنشر بعنوان المكتبة الأسيوية فهارس دقيقة للمطبوعات الشرقية على اختلاف موضوعاتها، ودار"**برنارد كواريتش**" في لندن وتنشر فهرسا دقيقا مشهورا بعنوان "**فهرس المؤلفات الشرقية**"، وفي اسبانيا دار"**مايستري**" في مدريد، وفي ألمانيا دار " **هاراشوفيتشتي**" في فيسادن ولها نشرة شهرية لوصف ما يصدر من الكتب في مصر ولبنان وسوريا والهند والمغرب الأقصى وفي هولندا دار" **بريل**" في بولونيا[2].

- **استخدام تلاميذ المستشرقين و المنصرين من أبناء الشرق:**

من أخطر الوسائل التي استعملها المستشرقون لبث وإذاعة أفكارهم وسمومهم في العالم الإسلامي استخدام بعض أبناء المسلمين من تلامذتهم ليقوموا بالدور نيابة عنهم والترويج

[1] بن صالح السويسي، المرجع السابق، ص16.

[2] إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص100.

لأفكارهم من غير أن تنسب إليه بل هي من إنتاج أولئك التلاميذ وثمرة اجتهادهم وأفكارهم،إلا أنها في حقيقة الأمر ما هي إلا صدى لأراء وسموم أولئك المستشرقين[1].

وهو ما أكده أحد المستشرقين المتطرفين وهو الوجودي الانحلالي جون بول سارتر يكشف عن ضرورة صناعة" **المفكر المستغرب**" الذي يقوم بترديد أراء الغربيين وتسويقها بين قومه الشرقيين قائلا:" **كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأثرياء والسادة من إفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس فنغير ملابسهم ويلتقطون من بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة...، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأي بلاد!! بلاد كانت أبوابها مغلقة في وجوهنا ولم نكن نجد منفذا إليها، كما بالنسبة إليهم رجسا نجسا لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس" الإخاء البشري" فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي إفريقيا والشرق الأوسط أو شمال إفريقيا...كنا نقول" ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة**" وكانوا يرددون...هذه أصواتنا وأفكارنا من أفواههم فحين سكت يسكتون، فأفكارهم ما هي إلا أفكار وسموم هؤلاء المستشرقين[2].

- **المؤتمرات الدولية:**

اتخذ المستشرقون من المؤتمرات وسيلة لطرح أفكارهم ونشر أرائهم وتقوية أواصر التعاون وزيادة التنسيق بينهم، فعقدوا عشرات المؤتمرات بإشراك أعداد هائلة من المستشرقين من مختلف البلدان والجامعات الأوروبية، نوقش خلالها مئات القضايا والبحوث المتعلقة بالشرق في كافة جوانبه ولاسيما المتعلقة بالدراسات الإسلامية، فقد عقدت هذه المؤتمرات مرة كل

[1] بوسليم، المرجع السابق، ص241.

[2] نقلا عن إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص ص107، 108

ثلاث سنوات أو سنتين أو أربع سنوات، تشرف على تنظيمه لجنة من علماء الدولة التي بعقد فيها لبحث جدول أعماله وتحديد موعد انعقاده ومدته[1]. أنظر الملحق رقم17

وقد أحصى الباحث العقيقي المؤتمرات الدولية، وأعطت في معظمها مساحة واسعة للدراسات الإسلامية، ففي المؤتمر الثامن(**مؤتمر ستوكهولم**) سنة1886م اقترح العلماء المختصون بتاريخ العرب في الشرق والغرب تصنيف كتاب في تحديد لفظ العرب قبل الإسلام وبيان أنسابهم ومشاهير رجالهم وذكر مساكنهم وعاداتهم في الأكل والشرب والزواج وتفصيل مجامعهم ومفاخرهم ومعتقداتهم وعلومهم وصنائعهم مع إقامة الدليل عليها لإثبات كل منها بالشعر الجاهلي والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسير والتواريخ الصحيحة وقد نال كتاب" **بلوغ الأرب في أحوال العرب**" في ثلاث أجزاء للعلامة السيد محمود شكري الألوسي العراقي الجائزة ووساما من ملك السويد والنرويج[2].

2- آثار الاستشراق:

في الوقت الذي استفادت فيه أوروبا من الدراسات الإستشراقية في تحقيق أهدافها لاسيما الاستعمارية والاقتصادية، فإن هذه الدراسات انعكست سلبا على الشرق لاسيما العالم الإسلامي،لذلك نسعى لتوضيح أثار الاستشراق السلبية على العالم الإسلامي عقائديا وفكريا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

- **الآثار العقائدية:**

من أبرز هذه الآثار التشكيك في العقيدة الإسلامية، إذ عمل هؤلاء المستشرقون على إثارة الشكوك لدى فريق من العلماء المسلمين في عقيدتهم وفي قيمها الدينية والحضارية لاسيما لدى المثقفين ثقافة غربية والذين اتصلوا بشكل مباشر بالغرب وحضارته ومؤسساته

[1] إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص ص98 ،99.

[2] العقيقي، ج 3، المرجع السابق، ص1106. أنظر الملحق رقم04.

الثقافية،فهجروا الدين واحتقروه وفصلوه عن أمور الدنيا،وفي المقابل خضعوا للقيم الغربية وسعوا لنقلها إلى العالم الإسلامي على اعتقاد منهم بأفضليتها وتفوقها[1].

وفي اعتقادنا أن انبهار هؤلاء بالحضارة الغربية والإحساس بتفوقها وتخلف الحضارة الإسلامية مرده أولا إلى تكوينهم في حضارة مادية بعيدة عن أخلاق ومبادئ توجهها وثانيا إلى فهمهم للدين الإسلامي فهما سطحيا فلم يتعمقوا فيه ليفهموا فحواه،هذا الدين الذي أقام دعائم أكبر وأعظم حضارة عرفها التاريخ.

ومن بين الشكوك التي أثيرت التهوين من أمر الكتب المقدسة والنظر إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ومصادر العقيدة الإسلامية على أنها خاضعة للنقد العقلي وتحريض المسلمين على دراسة هذه الكتب والمصادر الدينية وإخضاعها للرؤية النقدية العقلية وبالتالي التقليل من قداستها والحط من شأنها والتحريض على استبدالها بالقوانين الوضعية[2].

وإثارة المستشرقون في رأينا لهذا النوع من القضايا هو وجود بعض العقائد الإسلامية التي لا تستند إلى العقل وتحكمه بل تستند على قوة الإيمان وهي قضايا ميتافيزيقية كالإسراء والمعراج والمعجزات التي لا يستوعبها العقل بل تصدق بناء على الإيمان بالله.

ومن أثار الاستشراق العقائدية لم ترتبط بالمسلمين بل تم تشويه صورة الإسلام والمجتمع الإسلامي في الغرب أيضا، فإذا كان معظم المسلمين ثابتون على دينهم فإن صورة الإسلام خارج العالم الإسلامي ثم تشويهها وتزييفها بواسطة الاستشراق فأعطت صورة وانطباعا

---

[1] محمد خليفة حسن أحمد: **آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1997، ص13.

[2] صالح محمد حسن الأشرف: **الاستشراق مفهومه وأثاره**، د ط،شبكة الألوكة ،المملكة العربية السعودية، 1438هـ،ص ص،21،22.

سلميا للإسلام كدين وحضارة في دهن الإنسان الذي تلقى معرفته عن الإسلام من خلال المستشرقين الذين يمثلون المصدر المعرفي الأساسي عنه[1].

وقد اهتمام الاستشراق اهتماما بالغا بالطرق الصوفية ولاسيما الفرق الضالة والتي ابتعدت عن الكتاب والسنة فأوجدوا لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية ومن اهتمامات الاستشراق التي تدعو إلى الشكوك في نياتهم الاهتمام بالفرق المنحرفة كالرافضة والإسماعيلية وغيرها من الفرق فأعطوها من وقتهم وجهدهم[2].

ونرجع هذا الاهتمام المبالغ فيه بالفرق الضالة هو تشويه الإسلام وتصغيره بين أهله من جهة ومن جهة ثانية اتصال صورة سيئة عن الإسلام للمسيحيين لتنفيرهم منه، فلو اهتموا بالإسلام الصحيح ونقلوه بموضوعية لأبناء جلدتهم لرحبوا به واعتنقوه.

- **الآثار الفكرية والثقافية:**

يعتبر المجال الثقافي والفكري من أخطر المجالات التي استخدمها الاستشراق لإحداث تأثيره الكبير على الحياة الفكرية في المجتمعات الإسلامية، ففيه انتقلت الأفكار والمذاهب الغربية إلى العالم الإسلامي، وقد نجح المستشرقون إلى حد ما في التأثير على الحياة الثقافية والفكرية للعالم الإسلامي، فبعد أن كان القرآن والسنة مصدرا هاما للحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء كان ذلك في نظرتها للكتاب والسنة أو العلوم الشرعية الأخرى أو ما يتعلق بفهم منهجية هذه المصادر والتعامل معها[3].

---

[1] عبد العزيز بو الشعير: **جدلية الاستشراق والاستغراب في الفكر المعاصر من تماثل الأشكال إلى تضاد المضامين**، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن أبي شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من7 إلى10 ديسمبر2014، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية،الجزائر، 2005، ص257.

[2] مازن مطبقاتي، المرجع السابق، ص13.

[3] حسن أحمد، المرجع السابق، ص87.

ويهدف الغزو الفكري الاستشراقي للثقافة الإسلامية إلى تحقيق العديد من الأهداف منها تشتيت الجهود الفكرية والثقافية للمسلمين، حيث قاموا بنشر الآراء والنظريات الغربية الفاسدة التي لا تصلح للمجتمع المسلم وإشغال المفكرين المسلمين بالرد عليها وكذلك السعي لنشر القيم الغربية في المجتمعات الإسلامية من خلال الدعوة إلى الاتجاهات الأدبية والفنية التي لا تلائم المجتمعات الإسلامية والتي تعكس قيما غربية خالصة فقد بالغ المستشرقون في الاهتمام بذلك فقاموا بنشر وتحقيق نماذج من النصوص الأدبية السلبية في بعض المصادر الأدبية[1].

فقد تغلغل الاستشراق في الحياة العقلية والفكرية للمسلمين وحددوا اتجاهها التاريخي، وهذه أنظمة خطيرة تمر بها الثقافة الإسلامية، وقد كان لهذه الأزمة في اعتقاد "**مالك بن نبي**" مظهرا ويعني به تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى الشباب الجامعي، الشباب الذي يتجه إلى المصادر الغربية وحتى فيما يخص معرفه الإسلامية، وفقد هؤلاء الشباب- نتيجة الاستشراق- القدرة على الحلم والثورة وتغيير الواقع وإصلاحه، والحماس لإصلاح أوضاعه والبحث عن حلول لأزماته وأمراضه قصد الوقوف على عوامل البناء الحضاري[2].

- **الآثار الاجتماعية:**

وجه المستشرقون جانبا هاما من أبحاثهم لدراسة المجتمعات الإسلامية بهدف وضع المخططات الرامية لتغيير بنيانه، من خلال معرفة علمية واعية بطبيعة المجتمعات الإسلامية الحديثة من حيث بنيتها ومواطن الضعف والقوة فيها بغية تغير المجتمع الإسلامي، ثم تحويله ليني المجتمع الغربي ويذوب فيها.

وقد نتج عن الفكر الاستشراقي في المجال الاجتماعي عدة تأثيرات سلبية أهمها تغريب المجتمع الإسلامي من خلال التأثير على قيم الأسرة المسلمة، فانتقد المستشرقون القيم

[1] حسن الأشرف، المرجع السابق، ص23.

[2] بو الشعير، المرجع السابق، ص ص 259 ،260.

المتحكمة في العلاقات الأسرية وهاجمت السلطة الأبوية بهدف تفكيك العلاقات الأسرية وإخراجها من إطارها الإسلامي[1].

كما هوجمت المرأة المسلمة بوصفها أسيرة سلطة الرجل وتجبره ووصفت بالفارغة روحيا لا حقوق لها، كل ذلك بهدف تحميل الإسلام المسؤولية الذي اضطهد حقوقها ومن جهة أخرى تحريضها على الانتفاض على سلطة الرجل والأسرة والقيم الاجتماعية والدعوة لخروجها وتبرجها[2].

- **الآثار الاقتصادية:**

امتدت آثار الفكر الاستشراقي إلى الحياة الاقتصادية في القرن20م حيث وقعت المجتمعات الإسلامية تحت تأثير نظامين اقتصاديين من النظم الاقتصادية الغربية المتناقضة وهما النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، وفي المقابل انتقدوا النظام الاقتصادي الإسلامي، فأكدوا على تخلفه وعجزه على حل المشكلات الاقتصادية، وقد نتج عن ذلك التبعية الكاملة للغرب اقتصاديا وضياع الوحدة بين المسلمين وتعطيل المؤسسات الاقتصادية الإسلامية والأخطر هو نقل القيم الاقتصادية الغربية والمبادئ المتحكمة في نظام السوق الغربي والقضاء على القيم الإسلامية التي تحكمت في الاقتصاد الإسلامي[3].

- **الآثار السياسية:**

نشأ الاستشراق وتطور في ظل الصراع الغربي على الإسلام ويعد سلاح فكري من أسلحة الغرب الموجهة ضده كدين وحضارة، فواصل الاستشراق دوره كسلاح علمي وفكري منذ بداية الإسلام مرورا بالحركة الاستعمارية الأوروبية الحديثة وحتى يومنا هذا، فكانت وظيفة الاستشراق السياسية تقديم المعرفة بالأوضاع السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية

[1] حسن أحمد، المرجع السابق، ص53.

[2] حسن الأشرف، المرجع السابق، ص ص 25،26

[3] المرجع نفسه، ص27.

الخاصة ببلاد المسلمين للاستعمار ليبني مخططاتها وتسهل عليه الهيمنة والاستعمار وييسر طرق التعامل مع أهل البلاد المستعمرة[1].

والجدير بالذكر هو اتجاه الاستشراق إلى إحداث التغيير في التفكير السياسي للمسلمين وإجبارهم على تبني النظم السياسية الغربية والتخلي عن النظم الإسلامية بكشف مواطن الضعف فيها وتأكيد تخلفها كتصوير الخلافة الإسلامية نكبة على المسلمين وتصور السلطان العثماني عبد الحميد سفاحا[2] وفي المقابل تزيين نظمهم في نظر المسلمين، وقد أخذت هذه السياسة أكلها وجني الاستعمار ثمارها فقد تمكن الاستشراق في إحداث العديد من التأثيرات السياسة في الفكر السياسي الإسلامي فنتج عنها تغييرات خطيرة في مسيرة التاريخ السياسي من خلال بعث القوميات في العالم الإسلامي وإسقاط الخلافة العثمانية وقيام دولة تركيا العلمانية وتجزئة الأمة الإسلامية ونشر النظم الغربية[3] .

ثانيا ـ وسائل الاستعمار وآثاره:

ولتتمكن الدول الاستعمارية من فرض هيمنتها على الشعوب المستضعفة، وتحقق أغراضها الاستعمارية اتخذ عدة وسائل وأساليب، مخلفا ورائه الخراب والدمار والتخلف أينما حط رحاله.

1ـ وسائل الاستعمار:

اتخذ الاستعمار عدة أشكال وجوانب مكيفا إياه حسب الظروف الدولية والأوضاع في المستعمرات وتتمثل أهم أشكاله في:

---

[1] حسن أحمد، المرجع السابق، ص37.

[2] جابر قميحة: أثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، **مجلة دعوة الحق**، العدد 116، 1991، مكة المكرمة،ص 60.

[3] حسن الأشرف، المرجع السابق، ص26.

- **الاستيطان:** la colonialisme d'implantion:

ترجع هذه الظاهرة إلى القرن19م وتتلخص في وضع المستعمر عناصر أوروبية غريبة مزروعة وسط سكان البلاد الأصليين، يدعون التميز والنقاء والتفوق العنصري ويمارسون إزاء السكان الأصليين شتى أنواع التمييز العنصري وينكرون وجودهم القومي، ويرتكز وجود الاستعمار الاستيطاني في منطقتين رئيسيتين في الوطن العربي(فلسطين) وإفريقيا (جنوب إفريقيا)[1].

وأحد أهم جوانب الاستعمار الاستيطاني بالإضافة إلى التواطؤ الخارجي هو الحصول بمختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة على الأرض باعتبارها القاعدة المادية والأساسية للمستوطنة وكون المهاجرين قاعدتها البشرية ثم الحصول على الأرض على حساب السكان الأصليين[2].

- **الحماية:**

ويعرف ليوطي[3] مفهوم الحماية بأنها وسيلة تمكن دول غير أوروبية من الحفاظ على وجودها من التقدم ومواكبة العصر مع الحفاظ على مؤسساتها وقادرة على إدارة شؤونها بنفسها تحت" **مجرد مراقبة**" القوى الأوروبية التي تمثلها في الخارج وتشرف على إدارة

---

[1] عبد الوهاب الكيالي: **الموسوعة السياسة**، ج 1، د ط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ت، ص173

[2] المرجع نفسه.

[3] المارشال هوبير ليوطي(1854 ــ 1934) مبدع الدولة المغربية الحديثة الذي كانت أقواله عن السلطة الاستعمارية تملا أحكام المستعمرات وراء البحار، يعتبره الفرنسيون أرقى ما كان من تجربتهم في بناء الإمبراطورية الفرنسية.(أنظر:وليام هويسنطن: **الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال توكيس1936ــ1943**، تر:إبراهيم أبو طالب،ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، المغرب الأقصى، 2002، ص15).

جيشها وماليتها وتوجه نموها الاقتصادي وشرح ليوطي ذلك قائلا:" ميزة هذا المفهوم أنه يحمل فكرة المراقبة وليس فكرة الإدارة المباشرة "[1].

ذلك أن الحماية عند ليوطي كانت صورة سياسية لفكرة الشراكة التي مفادها أن الإمبراطورية تضم إلى فرنسا شعوبا مختلفة تحتفظ بأكثر ما يمكن من تقاليدها الثقافية وأشكال حكمها مع الاستفادة من مزايا الحضارة الغربية والحكم الفرنسي مما يخالف فكرة الإدماج الرامية إلى جعل أبناء إفريقيا وآسيا وجزر بحار الجنوب فرنسيين بالثقافة فتمسك فرنسا مباشرة بزمام أمورهم نزولا عند أحكام المنطق والتحرر، على أن الغاية في كلتا الحالتين واحدة وهي نشؤ الهيمنة الفرنسية لكن بلوغها الحماية بالعمل مع الهيئات الحاكمة السابقة وليس ضدها إذ من شأن تلك الهيئات المساعدة في تطويع البلاد" **بتكلفة أقل ونجاح أكبر مما لو اجتمعت فيالقنا العسكرية كلها إلى ذلك**" مع العلم أن فرنسا هي الماسكة بزمام الأمور للنهوض بتلك القوة الاجتماعية الكبرى كله من مصلحة فرنسا وهو لب فلسفة الحماية[2].

- **التستر وراء الانتداب: Mandate**

الانتداب كما نص عليه ميثاق عصبة الأمم هو تكليف دولة تدعي فيه الدولة المنتدبة مساعدة البلدان الضعيفة على النهوض، وتدريبها على الحكم حتى تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها،وتعود فكرة الانتداب إلى المارشال سمطس الذي مثل جنوب إفريقيا ولندن في خطاب ألقاه نهاية الحرب العالمية الأولى تعقيبا على إعلان الرئيس ولسون مبادئه14 الرافضة للاحتلال والاستعمار[3].

---

[1] هويسنطن، المرجع السابق، ص21.

[2] المرجع نفسه.

[3] الكحلوت، المرجع السابق، ص57.

لقد استجابت فرنسا وبريطانيا للفكرة كونها تخدم مصالحها بقالب جديد فأتيح لها احتلال الأقطار العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية بحجة الوصاية على شعوبها، إذ أن الانتداب كان قد بدأ في أول عهده بشكل الوصية على الحماية الملقاة على الشعوب في مضمار الحضارة[1].

وجاء الانتداب تحت رعاية عصبة الأمم، وقد نص هذا الميثاق في مبادئه22على أن البلدان الخاضعة لدول الحلف وغير قادرة على ممارسة استقلالها وشؤونها بنفسها يجب أن توضع تحت انتداب إحدى الدول الكبرى على أن تمارس الدول المنتدبة هذه الوصاية بأمر من جمعية الأمم وباسمها وتطبيقا لهذا المبدأ توزعت الانتدابات إل ثلاث أنواع النوع أ ويخص الانتداب على الأقطار العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية،والنوعين(ب) و(ج) تعلقا بمستعمرات ألمانيا في إفريقيا والشرق الأقصى[2].

وجاء الانتداب بشكل تصريح في لندن عن الدول المتحالفة في24يوليو1922 متضمنا المبادئ الأساسية التي تقوم عليها ممارسة فرنسا للانتداب أسوة بالتصريح الذي صدر في الوقت ذاته لمصلحة انجلترا بما يتعلق بانتدابها على فلسطين، وينتهي الانتداب إما بحصول الإقليم المنتدب عليه على استقلاله أو بتنازل الدولة المنتدبة عن مهمة الانتداب أو بإقالة هذه الدول وإعفائها من مهمتها من قبل مجلس العصبة[3].

- **ادعاء الوصايةTrusteeship:**

الوصاية نظام اعتمدته هيئة الأمم المتحدة بتوصية من دول الحلفاء في مؤتمر يالطا، فجاء الميثاق في الفصل12منه على إنشاء هذا النظام تحت إشراف الأمم المتحدة ومن أجل إدارة

[1] الكيالي، المرجع السابق، ج1، ص342.

[2] المرجع نفسه.

[3] نفسه.

" الأقاليم التي قد تخضع لهذا النظام بمقتضى اتفاقيات فردية لاحقة وللإشراف عليها ويطلق على هذه الأقاليم اسم الأقاليم المشمولة بالوصاية"[1].

وما تجدر الإشارة إليه أن نظام الوصاية تطوير لنظام الانتدابات الذي أقرته عصبة الأمم وجعلت أهدافه الأساسية توطيد السلم والأمن الدوليين والعمل على إعداد الأقاليم وشعوبها حتى بلوغها الحكم الذاتي أو الاستقلال" كي بلائم الظروف الخاصة لكل إقليم وشعوبه ويتفق مع رغبات هذه الشعوب التي تعرب عليها بملء حريتها... كما يعتبر مجلس الوصاية إحدى الهيئات الرئيسية الست(6) للأمم المتحدة ويساعد الجمعية العامة في الإشراف على الأقاليم المشمولة بالوصاية[2].

- **التنصير:**

التنصير والاستعمار وجهان لعملة واحدة، حقيقة أثبت التاريخ صحتها[3] **يقول زويمر في مؤتمر القدس مخاطباً المنصرين" إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين...لكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً-وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله،وبالتالي تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية،وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام...فقد جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار لا يهتم بعظائم ويحب الراحة والكسل...أن مهمتكم**

[1] الكحلوت، المرجع السابق، ص57.

[2] نقلا عن الكيالي، ج 7، المرجع السابق، ص292.

[3] الكحلوت، المرجع السابق، ص58

تمت على أتم وجه...وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار"[1].

وربط المنصر فيليب نجاح المهمة التنصيرية في مصر وغيرها من البلاد العربية بإزالة المظاهر التقليدية للمجتمع الإسلامي وجعل هذا المجتمع في حالـــة القابلية للغزو الحضاري الغربي والإنجيل، وهي السياسة التي اتبعها المنـــصرون بقـــوة وبمـــساعدة الإدارة البريطانية" فمع حاجة أوروبا إلى استعمار إفريقيا نتيجة تطورها الصناعي أرسلت قبل استعمارها جيوشا من المنصرين وتزاحمت الجمعيات والإرساليات التنصيرية وبنت الكنائس وفتحت المدارس التنصيرية، ومن المؤكد أن كل هذا ليس لخدمة الأفارقة وتمكينهم من العلم والمعرفة وإنما هدفها تفريغ الإفريقي من إفريقيته وإنسانيته، فإذا كان الاستعمار استغل جسد الإفريقي وثرواته فإن التنصر استهدف روحه وثقافته وتراثه، ما عبر عنه الأستاذ سونو(Sono) قائلا:" **اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد إفريقي أما المنصرون فقد استهدفوا روحه"**[2].

فمع دخول المستعمر إلى إفريقيا بادر المنصرون إلى بناء الكنائس والأديرة وصوروا المسيح زنجيا والعذراء زنجية وبملامح افريقية محلية،فكان المنصرون يمثلون طلائع الاستعمار وعيونه وقواه الخفية والمرئية وهو ما يؤكده الدكتور والتر رودني:" **وقد كانت البعثات التنصيرية المسيحية جزءا من قوى الاستعمار إلى حد كبير مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود وربما يكون هناك مجال للمجادلة حول إذا كانت البعثات التنصيرية في مستعمرة ما هي التي جلبت قوى الاستعمار الأخرى أم أن العكس هو**

[1] نقلا عن بن إبراهيم، المرجع السابق، ص157.

[2] الكحلوت، المرجع السابق، ص58.

الصحيح وليس هناك شك في حقيقة البعثات التنصيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العملية"[1]

وقد أكد الباحث سيمونز على دور البعثات التنصيرية في إفريقيا قائلا:" **جاء الرجل الأبيض وبيده الإنجيل ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض بيد الرجل الأبيض وأصبح الإنجيل بيد الزنجي**"[2]، كما أكد اللورد جيمس بلفور اليهودي البريطاني أن المنصرون هم سواعد الحكومات ولولاهم لتعذر عليها تذليل الكثير من العقبات وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين **ونشرت مجلة سويسرية مقال عن المؤتمر الاستعماري الألماني:" إن نمو ثورة الاستعمار متوقف على أهمية رجال الدين يذهبون إلى المستعمرات وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة لأن هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية وحض السامعين على تقدير عمل المبشرين وإجلاله في محله اللائق به"**[3].

فالتنصير لم يكن إلا وسيلة من وسائل الاستعمار شأنه شأن المناديل القرمزية التي خدع بها الرجل الأبيض السود الساذجين إذ يذكر إسبنيان مونتجوهو إفريقي هرب من مزرعة كوبيه في القرن19م قد وقع في حبائل الرق بواسطة اللون الأحمر حيث جاء البيض بمناديل قرمزية وأخذوا يلوحون بها من سفنهم فاستشارت هذه المناديل السود إلى السفن الأوروبية ليحصلوا على هذه المناديل وقعوا في الرق[4].

---

[1] نقلا عن الكحلوت، المرجع السابق، ص66.

[2] سيمونز، المرجع السابق، ص37.

[3] أ. ل شاتليه:**الغارة على العالم الإسلامي**، تر: مساعد اليافي، محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط2،جدة 1387هـــــــ، ص ص128-134.

[4] الكحلوت، المرجع السابق، ص68.

لقد تمكنت فرنسا من التوغل إلى البلاد الإسلامية بموجب اتفاقية الامتيازات مع الدولة العثمانية سنة1535م، وعلى أثرها أخذت فرنسا في تسريب منصريها للأراضي العربية الإسلامية والعمل على حمايتهم للقيام بالمهام المنوطة بهم سواء باسم الدبلوماسية أو التجارة أو الأعمال الخيرية[1].

ومع ضعف الدولة العثمانية وبداية التكالب الأوروبي على ممتلكاته والسعي لاستعمارها، لم تجد فرنسا أداة ووسيلة أفضل من منصريها للتوغل واستعمار المنطقة، فهم عيونها ومخبروها وجنودها، فحفتهم بالنصر والمؤازرة والعناية، مما شكل لهم حافز بعد أن كانوا ناشطين بنوع من التخوف والحذر في الأراضي الإسلامية الشديدة التمسك بدينها،أصبحوا في ظل الاستعمار وكنفه أصحاب أمر ونهي في مستعمرات بلدانهم،فانطلق المنصرون في كل الاتجاهات معلنين أن هذه فرصتهم التي لن تعوض[2].

استغل المنصرون وجود جيش الاحتلال وقادته إلى جانب انتصاراتهم العسكرية، إذ تقربوا منهم أكثر وحرضوهم على مواصلة النصر على المسلمين في إطار مهمة إلهية وبمباركة كنسية وتصاعدت الدعوات تأمرهم وتحثهم على المزيد من الانتصار للمسيحية على حساب عدوها الأول الإسلام،فقد ذكر الكاردينال لافيجري الجيش الفرنسي عقب احتلال الجزائر قائلا:"...ليعيد إلى الحياة الأرض الشهيرة أرض ترتوليان وسيبريان وأوغسطين[3]، وغيرهم من الرجال العظام فقد اختار الله جيشا هو الجيش الفرنسي"[4].

والجدير بالذكر أن المنصرين والمستعمرين على حد سواء تيقنوا أن الخطر الحقيقي الذي يقف في وجه مخططاتهم الاستعمارية هو الإسلام، ما يؤكده لورانس براون قائلا:" **لكن**

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص136،137.

[2] المرجع نفسه.

[3] الشخصيات الثلاث رجال دين مسيحيين من الشمال الإفريقي، الأول عاش في القرن 2 والثاني مطران مدينة قرطاج واعدم بها 258م والثالث أسقف مدينة عنابة توفي سنة 430م(أنظر نفسه، ص ص139،138).

[4] نفسه.

الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي جيوشه...إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي" وبناء على هذا أخذوا في ضرب الوحدة الإسلامية لتحطيم الإسلام وتشجيع الفرق الضالة على الانتشار لضرب الوحدة الفكرية والعقائدية للمسلمين وأهم هذه الفرق البهائية، والحركة القاديانية وبدعة النيتشرية[1]،ومقصد الطريقة محو الأديان ووضع أساس الإباحة والاشتراك في الأموال والانصياع بين الناس عامة، وقد انتشرت هذه البدعة وسط مسلمي الهند بتحريض وإيعاز من الاستعمار الانجليزي حيث رأوا أنها أنجح وسيلة للوصول إلى غرضهم في تأييد حكمهم في المنطقة، بعد أن وجد أن مقاومة الهنود لهم نابعة من تعاليم الشريعة الإسلامية أين تطلب من أتباعها أن يكونوا أصحاب شوكة وسلطان في أوطانهم فرأوا في هذه الطريقة وسيلة لإضعاف هذه العقدة في نفوسهم، وغيرها من الفرق التي سعى بها الاستعمار إلى تثبيت سلطانه[2].

لقد أدت الجمعيات التنصيرية دورا بارزا في التمهيد للاستعمار، فتوغلوا في الغابات وعملوا بين الإفريقيين ودرسوا عاداتهم وتقاليدهم وكتبوا عنها في المجلات والجرائد الأوروبية يحرضون فيها دولهم على القدوم إلى هذه الأقاليم الثرية، ومن أهم هذه الجمعيات جمعية أباء فيرونا(جمعية ايطالية كاثوليكية، ركزت عملها في مناطق وسط إفريقيا وجنوب السودان،أنشئوا عدة مراكز مركز تونجا، مبلي وكيانجو وبشرى ولول، لقيت الدعم المادي والمعنوي من معظم الكاثوليكيين في أوروبا) وجمعية المبشرين المتحدة(تتبع الإيالة الأمريكية وقد ارتبط نشاطها بنشاط الكنيسة المسيحية بأمريكا الشمالية، نشط بشكل واضح في مصر ثم السودان، أهم مراكزها جبل دوليب مركز الناصري[3].

---

[1] حسب مجال الدين الأفغاني النيتشرية اسم للطبيعة وهي طريقة الدهرية التي ظهرت في بلاد اليونان في القرنين4 و3ق.م.(للمزيد أنظر محمود عبد الرحمن: **التنصير والاستغلال السياسي**، دار النفائس، ط1، القدس، 2009، ص-ص59-63)

[2] عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ص59-63.

[3] فيصل، موجز تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص ص115 ،116.

- **استخدام الشركات التجارية:**

حظيت الشركات لتجارية باهتمام ورعاية الدول الأوروبية، وكثيرا ما كانت تحل محل الحكومات، فمارست سلطات الحكومة من حفظ الأمن والتوسع، وهيأت الجو لدخول النفوذ السياسي لدولها لهذه المناطق[1]، كما أعطتها الحكومة معاملة خاصة في دفع الرسوم الجمركية ومل الحق في السيادة على الأقاليم التي تقع تحت سيطرتها وكانت هذه الشركات تحتفظ بجيوش وتشرف على القضاء وتضرب العملة[2].

وأهم هذه الشركات التي عرفت بعلاقاتها بإفريقيا والتي مهدت لقدوم الاستعمار.

شركة الهند الشرقية الهولندية، تأسست سنة1602م في أمستردام للعمل في الطريق المؤدي بين الهند والشرق، فكانت بداية نشاطها البحري والتجاري، وأتاحت لهولندا فرصة بسط نفوذها على الكثير من الجهات وراء البحار وأسس الهولنديون عدة حصون لهم على ساحل الذهب لخدمة أغراضهم الملاحية والتجارية، واشتهروا بصفة كبيرة في تجارة الرقيق بين غرب إفريقيا وأمريكا، وبتيقن الحكومة الهولندية بدورها الحساس منحتها سنة1652م السلطة وحرية العمل في الملاحة والتجارة في المحيط الهندي[3].

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الشركات كانت تجهز السفن بنفسها وتعين ممثليها وتستخدم الجنود المرتزقة وتقرر حجم ونوع بضائعها المشتراة وتحدد أسعارها ونصيبها من الربح،فكانت تبيع السكر أضعافا مضاعفة من ثمن شرائها(5أضعاف) والفلفل ب ستة(6) أضعاف ووصل نصيبها من الربح ما بين12%إلى75% في بضع سنوات، كما كان لهذه الشركة إدارة خاصة في الهند تحت رئاسة حاكم عام يشرف على جيش يتراوح ما

[1] رياض، المرجع السابق، ص138.

[2] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث، ص162

[3] شوقي الجمل، المرجع السابق، ص113.

بين12ألف إلى20 ألف جندي و15ألف بحار، وأشرفت على كل المراكز المنتشرة من رأس الرجاء الصالح حتى مياه اليابان[1].

دأبت الشركة على تشجيع هجرة الهولنديين لرأس الرجاء الصالح، استقروا في الأراضي الصالحة للزراعة في الشمال والشرق وأخذوا في زراعة الكروم والزيتون والخضر والموالح وأطلق عليه مصطلح البوير، واتجه جزء أخر منهم للهضاب حيث تتوفر الحشائش لرعي وتربية الحيوانات لتوفير اللحوم والألبان[2].

أما بريطانيا فأشهر شركاتها **الشركة البريطانية لجنوب إفريقيا:** تأسست سنة1881م بإلحاح من رودس للعمل في مجال التعدين مستغلا هذه الشركة لتحقيق أطماعه في إقامة مستعمرة في جنوب إفريقيا، وتمكن على إثرها من السيطرة على معظم أراضي جنوب إفريقيا واستمر رودس في خططه الاستعمارية بشراء الأراضي وتوسيع أعماله التجارية، فامتلكت أسطولا تجاريا ضخما يعمل بين جنوب إفريقيا والهند[3]، استثمرت الشركة مناجم الذهب والماس في جنوب إفريقيا، كما حصل اللورد جيفورد(Gifford) حق احتكار التعدين في بتشوانلاند، أين ألف شركة كشف بتشوانلاند سنة1880م، وتمكن الشركة بجهود من سيسل رودس[4]من الحصول من الملك لوتيجولا على امتياز استثمار الجزء الشمالي من مملكته[5] وبانعقاد مؤتمر برلين الثاني سنة1885م لتحديد مناطق النفوذ ادعت انجلترا سيطرتها على كامل جنوب إفريقيا من الترانسيفال حتى بحيرة تانجنيقا شمالا[6].

---

[1] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص163.

[2] الجمل، المرجع السابق، ص113.

[3] فيصل، المرجع السابق، ص ص116 ،117.

[4] سيسل رودس:(1853ـ 1902) رئيس وزراء مستعمرات الكاب، أدى دورا بارزا في توطيد أركان الإمبراطورية البريطانية في جنوب إفريقيا، ترك ثروة طائلة للخدمة العامة(للمزيد أنظر catalogue bnf.fr أطلع عليه يوم 18 أوت 2019).

[5] زاهر رياض، المرجع السابق، ص135.

[6] فيصل، المرجع السابق، ص ص116 ،117.

وامتلكت انجلترا شركات أخرى لا تقل أهمية عن الأولي، منها شركة سيراليون(تأسست سنة1787م) وبفضلها تأسست مستعمرة سيراليون، كما أدت دورا بارزا في نقل الرقيق من بريطانيا إلى أوروبا وأمريكا بواسطة أسطولها التجاري البحري ثم عملت على بسط نفوذها في غامبيا وساحل الذهب ولاجوس وسميت فيما بعد المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا،وكذلك شركة النيجر للملاحة والتي مكنت بريطانيا من أن تمد نفوذها على طول مجرى نهر النيجر وإخضاع السلطنات الإسلامية ومنها سلطنة السوكوتو، وبجهود هذه الشركة خضعت جميع هده الأراضي فيما بعد للحكومة البريطانية وأطلق عليها المحمية البريطانية لنيجريا[1].

ومن الشركات الانجليزية في أسيا شركة الهند الشرقية وهي أشهر شركاتها، إذ منحتها الملكة حق احتكار التجارة بين انجلترا وكل البلاد الواقعة إلى شرق رأس الرجاء الصالح مع سلطة السيادة على المناطق التي تغزوها، وإعفاءات جمركية على سلعها والحق في تصدير ما قيمته 30ألف جنيه سنويا من المعادن الثمينة، وتضاعف رأسمالها وبلغ418ألف جنيه بعد أن كان80ألف جنيه، وازدادت امتيازاتها في عام1604م أصبح لها الحق في الاحتفاظ بحاميات وإعلان الحرب وعقد معاهدات السلم وتولى مهمة العدالة، بل تفاوض جيمس لانكثر مع السلاطين المحليين وأنشأ مراكز تجارية في جزيرة جاوة وسومطرة، بل أصبحت هذه الشركة قوة مالية ما خولها لإقراض حكومة لندن خلال عدة أزمات مرة بها، وفي الهند أصبحت هذه الشركة مالكة وذات سيادة واشترت من بعض الأمراء إماراتهم بما عليها من أهالي ورعايا مقابل دفعها معاش سنوي للأمراء[2].

أما ألمانيا هي الأخرى دخلت مضمار الاستغلال والسعي للهيمنة الاستعمارية ولو متأخرة فأسست شركة الجمعية الألمانية للاستعمار على يد الدكتور كارل بيترز، بهدف تنفيذ مشاريع

---

[1] فيصل، المرجع السابق، ص ص117 ،118.

[2] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص165.

استعمارية في شرق إفريقيا، وقد عقدت الشركة عدة اتفاقيات مع سلاطين القبائل وبموجب هذه اتفاقيات تنازل هؤلاء الشيوخ للشركة عن مساحات شاسعة من أراضيهم[1]، وبانعقاد مؤتمر برلين الثاني سنة1885م أعلنت الحكومة الألمانية للمؤتمرين ما حصلت عليها الشركة من أراضي والتي أصبحت تتبع سيادتها.

ونشطت شركات ألمانية أخرى في إفريقيا لاسيما في الكامرون وكذلك شركة شرق إفريقيا الألمانية والتي نشطت في منطقة زنجبار والتي كانت تحت سيادة السلطان برقش، وقد اصطدمت الشركة مع انجلترا أين كانت تنظر هذه الأخيرة لهذه الأراضي كمناطق نفوذ تابعة لها، وانتهي النزاع بعقد اتفاقية بينهما لتسوية النزاع سنة1886م[2].

وفرنسا هي الأخرى دخلت مضمار الشركات التجارية الاستعمارية،فأسست شركة مرسيليا للتجارة في البحر الأبيض المتوسط وشركة موريبهان والمائة شريك وسان كريستوف،تمتعت كل منها بحقوق إقليمية، ومع مجيء الملك لويس14[3]عمل على تنمية البحرية والتجارة وأفادت من ذلك شركات الهند الشرقية والهند الغربية وشركة الشمال وشركة السنغال،كلها منحها الملك إعفاءات من ضرائب وشحن ووضع لها نظام بحري مساعد على نشاطها،ففتحت هذه التسهيلات لها المجال للنمو والتطور، فكان لها الحق في الملاحة والاستيراد والتصدير في منطقة معينة وأعطيت لهذه المناطق التي تعمل فيها وإخضاعها

---

[1] زاهر رياض، المرجع السابق، ص136.

[2] فيصل، المرجع السابق، ص ص118،119

[3] **Louis XVI le grand**(1638-1715)، تولى عرش فرنسا في سن الخامسة فتولى مازران شؤون المملكة حتى سنة1661، فحكم لويس 14 فرنسا من سنة1661الى1715م، أوصل مملكته إلى مصاف الدول الكبرى بسياسته الحكيمة،أعلن الحكم المطلق سنة1665م وطور الجيش كما نظم الضرائب والمصروفات وطور التجارة.(للمزيد أنظر François Bluche : **Louis XVI** , librairie Arthéme Fayard, Paris,1986).

لسيادتها ولحقوقها الإدارية والقضائية فأصبحت المستعمرات بهذا الشكل ممتلكات للشركات تقوم بنقل المعمرين إليها وتحتفظ فيها ببعثات دينية ساعية لنشر التقاليد الغربية[1].

أما في شمال إفريقيا فقد نجحت فرنسا في تأسيس قواعد سهلت عمليات التجارة والأمن في البحر الأبيض المتوسط وسمحت لها بالمتاجرة مع إفريقيا في الصوف والجلود ونشأت شركات متعددة في هذا القطاع وأنشأت لنفسها رؤوس جسور على القارة الإفريقية سواء بالقرب من القالة و الرأس الأسود بتونس وعنابة حيث كانت تستورد القمح والحبوب والشمع والجلود[2].

- **الاستشراق:**

يعد الاستشراق من أهم الوسائل الممهدة للاستعمار العسكري واحتلال الشرق عامة والأراضي الإسلامية على وجه الخصوص، فاعتمد الاستعمار الحديث على المستشرقين بصورة فعالة في دراسة الشعوب المستهدفة وبعاداتها وتقاليدها ومقوماتها، فالمتتبع لأحداث القرن19م بموضوعية يتأكد مدى العلاقة القوية بين الاستعمار والاستشراق، ومن هنا نجد شعارات الدول الاستعمارية مستشرقين عاملين بها ويقع على عاتق هؤلاء المستشرقين مهمة الاتصال بالعقول المفكرة في البلاد التي يريدون السيطرة عليها ثقافيا أو عسكريا وكذلك الاتصال بكبار العاملين في المناصب القيادية في مجالات الثقافة والإعلام والتعليم العالي والجامعي وعن طريق الصداقة أو المشاركة في أعمال ثقافية أو تقديم الخبرة اللازمة لهم،وعن طريقهم ينفذون مخططاتهم الاستعمارية فكريا وعسكريا[3].

أتم المستشرقون القائمون على خدمة الاستعمار دورهم على أتم وجه فصوروا الشرق في صورة الشعوب المتخلفة فطريا مما أدى إلى قناعة هذه الأخيرة بتقدم الغرب الأوروبي

---

[1] P.Clutru : **histoire du Sénégal du XV siècle à1870** , Emil Larose libertaire éditeur, Paris, 1910, p42.

[2] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص170.

[3] حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص ص130،129 .

وتفوقه الحضاري الفطري عبر العصور وأن المسؤولية الملقاة على الشعوب الأوروبية من خلال فكرة(**عبء الرجل الأبيض**) مسؤولية إنسانية وحضارية تجاه العقلية الشرقية العاجزة والتي لا تمتلك أي مقومات للتحليل والنقد والتركيب بل هي عقلية ساذجة تسيطر عليها الخرافات والأساطير[1]، وسعيا لإثبات الفكر الاستعلائي للرجل الأبيض وبث روح الانهزامية والتخاذل لدى الشعوب الشرقية.

أثبت الباحث جاك بيرك الصلة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار فقال" **إن الأمة الفرنسية تعمل وتجمع فمن قناصلها المغامرين إلى طوباوييها مخططي السكك الحديدية إلى مسافريها المنفعلين كلامرتين وباريس كانت تشيد في الشرق عملا خلص إلى مقابلة العلمي شامبليون وساسي ورينان ومن حذا حذوهم وفي هذه الفترة كان العرب يهملون ماضيهم الخاص ويتلعثمون بلغتهم النبيلة، إن الاستشراق المعاصر قد نشأ من هذا الشعور فاستغلال وانبعاث كل هذه الثروات المعنوية كان من نصيب المسيحي الموسوعي** ..."[2]،فالعلاقة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسيين علاقة وحدة عضوية وطنية واجتماعية كاملة وعلاقة غاية ومصير مشترك فكثيرا ما كان الشخص الواحد يقوم بدور المستشرق والمستعمر الإداري أو العسكري في نفس الوقت[3].

إن المستشرقين الذين خدموا الاستعمار وأهدافه ينقسمون إلى صنفين رئيسيين أحدهما المستشرقون الاستعماريون الميدانيون المعلنون تأيدهم صراحة للاستعمار وخدموه بمختلف الأساليب والوسائل، فكانوا مجندين في صفوف جيوش الاستعمار وإدارته بل وفي صفوفه الأولى خدموه بأرواحهم وبوظائفهم قبل خدمته بعلمهم، فاحتلوا المناصب السامية والقيادية

---

[1] سالم حميش: الاستشراق والعقد الاستعماري، مجلة الاجتهاد، العدد 23 السنة 6، لبنان، 1994، ص199

[2] نقلا عن المرجع نفسه.

[3] نفسه.

والحساسة في الدولة والجيش فكان منهم الوزراء والسفراء والقناصل والضباط والمستشارون في الجيش[1].

أما النوع الثاني من المستشرقين فلم يكونوا ميدانيين بل تجسد دورهم في تقديم معلومات عن الشرق وشعوبه خادمة للاستعمار، فقدموا خدمات جليلة له سواء عن قصد أو غير قصد من حيث إمداده بالمعلومات الكافية والمسهلة لعمله، أومن حيث التشويه والطعن والتزييف للواقع الشرقي[2].

وبناءا على هذا فقد راهنت فرنسا على مستشرقيها ودورهم بنفس القدر مع جيوشها، بل كانوا في طليعة الجيوش أدلاء يقودونها ويراقبونها ومرافقين لحملاتها مقدمين لها الخدمات والخبرات والمعلومات الضرورية، فقد اعتبر المستشرق" **الخبير المدرب والمجهز تدريبا وتجهيزا خاصين أبعادا إضافية، فقد كان يمكن اعتبار المستشرق العميل الخاص للقوة الغربية**"[3].

أدرك نابليون أهمية كتابات الرحالة والقناصل والتجار الفرنسيين وتسلح بفريق من المستشرقين حملهم معه لاستعانة بهم أثناء حملته العسكرية على مصر سنة1798[4]، فقد كان العلماء والمفكرين والمترجمين أحد ألوية نابليون فمهمته لم تكن مهمة أقل هجومية فكانوا يده الطولى وعينه المبصرة، فقد خاطب نابليون المصريين وهو محاط بمستشرقيه وبوحي منهم العارفين بشؤون الإسلام والمسلمين وبوحي منهم خاطب نابليون سكان الإسكندرية قائلا:

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص177.

[2] المرجع نفسه.

[3] نفسه.

[4] ساسي سالم الحاج: **نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، ج1، ط 1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2001، ص89.

" **نحن المسلمون الحقيقيون**"[1] فكانوا صلة ارتباط بينه وبين المصريين وترجموا للعربية ما كان ينشره نابليون بالفرنسية من بيانات وخدع سياسية[2].

يعد شيخ المستشرقين سلفستر دي ساسي أشهر المصاحبين لحملة نابليون والذي أصبح يشغل منصب المقيم بوزارة الخارجية منذ سنة1806م، وكان يتزعم نشرات الجيش الفرنسي وهو صاحب بيان نابليون سنة1806م وصاحب بيان الجيش الفرنسي المعرب الموجه للشعب الجزائري عشية الاحتلال سنة1830م، ونظرا لخدماته وأهميته كان يستشيره كل من وزير الخارجية ووزير الحرب في كل ما له ذات الصلة بالشرق العربي والإسلامي[3].

وبرز في هذا المضمار العديد من المستشرقين الفرنسيين الذي خدموا دولهم لتمكن من تبيت أقدامها في الشرق، منهم لويس، فكان موضع ثقة حكومته عامة ووزارة الخارجية خاصة إذ أشركه بيكو في اتفاقية سايكس بيكو سنة1916م وكلف بالاستقصاء عن الدستور السوري ديسمبر1919م وكلف أيضا بإجراء تحقيق حول الطوائف في المغرب سنة1923م ووقف مستقبلا الجنرال البريطاني أللنبي أثناء دخوله مدينة القدس بجانب المستشرق البريطاني لورانس في11ديمسبر1917م[4].

اعترفت الحكومة الفرنسية بقيمة المستشرقين وأدوارهم وتفانيهم في خدمة مصالح وطنهم فأجزلت لهم العطاء وانهالت عليهم بالأموال الطائلة والتسهيلات وسلمت لهم الكتب والمخطوطات المستولى عليها وعلى المكتبات وعاشوا في كنف الاستعمار وبحمايته فسهل

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص178.

[2] أحمد حسن الرحيم: المرجع السابق، ص39.

[3] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص178 ،179.

[4] ساسي، المرجع السابق، ص89.

عليهم التنقل، الترحال والوصول إلى مصادر المعلومات، ووفر لهم منظومة مؤسساتية استشراقية[1].

ولم يتوقف الاعتراف الاستعماري بأهمية المستشرقين عند هذا الحد بل سلمت لهم الأوسمة السياسية والعسكرية وأثمن الجوائز العلمية، فنابليون بونابرت منح سلفستر دي ساسي لقب بارون29مارس1814م، وكانت شهرته قد انتشرت في كل أرجاء أوروبا لدرجة أنه بغزو ألمانيا وانجلترا فرنسا سنة1814م صدرت الأوامر منهم وبناء على توصية فلهلم هومبولت رئيس وزراء بروسيا بعدم التعرض لممتلكاته[2].

- **الاتفاقيات والمعاهدات:**

عقدت القوى الاستعمارية مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات من أجل تأكيد سلطانها على المناطق المنشودة، وتنقسم هذه الاتفاقيات إلى قسمين:

اتفاقيات عقدتها القوى الكبرى مع أمراء وسلاطين القبائل، ومن أمثلتها الاتفاقية التي عقدها رودس لمد النفوذ البريطاني في بتشوانالاند، والتي كان على رأسها ملك إفريقي يسمى الملك لوبنجبولا(**Loobengula**)، فقد اتفق رودس مع حاكم مستعمرة الكاب على إرسال مندوب بريطاني سعيا للحصول مع لوبنجيولا على وثيقة موقعة منه تعطي لبريطانيا الحق في التدخل في شؤون بلاده، وكانت مثل هذه الاتفاقيات منتشرة بشكل واسع[3].

وقد استند الاستعمار على مثل هذه التوقيعات من قبل رؤساء القبائل على أوراق لا يعرفون أصلا لغتها أو محتوياتها لفرض هيمنتهم على مناطق شاسعة من إفريقيا، وقد نجح رودس سنة1888م من الحصول على توقيع الملك على وثيقة جاء فيه:" إن **الملك يتعهد بأن يعمل ليسود السلام والمحبة بين أفراد قبيلته وبين رعايا جلاله ملكة بريطانيا وبألا يعقد أية**

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص179، 180.

[2] المرجع نفسه.

[3] القوزي، المرجع السابق، ص123.

معاهدة مشابهة مع أية دولة أجنبية أخرى وإلا يسمح بالبيع أو التنازل عن أية جزء من أرض بلاده بغير علم أو موافقة ممثل ملكة بريطانيا في جنوب إفريقيا"[1].

وبهذا وقع الملك في الفخ فخطا الخطوة الأولى نحو فقدان مملكته وحياته، وكان رودس يدرك أن الملك قد أخذ على غرة فلا يلبث أن ينقض ولاءه للاتفاق، لذلك سارع لإرسال بعثة من ثلاثة رجال للبقاء بجوار الملك لضمان ولائه للاتفاقية وفي نفس الوقت سعى للحصول من الملك على توقيعه بشأن منحه حق استخراج المعادن الموجودة في المنطقة والتصرف فيها وضمان عدم توقيعه اتفاقية مماثلة مع دولة أخرى[2].

ولتتمكن بريطانيا من مد نفوذها على سواحل الصومال تقدم الكابتن مورسبي إلى تاجورا في9أوت1840م وعقد معاهدة للصداقة والتجارة بصفته ممثلا لشركة الهند الشرقية البريطانية مع سلطانها محمد ابن محمود الذي وافق على المعاهد ووافق بمقتضى هذه المعاهدة على السعي لنقل الحاصلات من الأقاليم الداخلية في ايفات والحبشة إلى الساحل[3] ثم تم وقت السيد هنتر اتفاقية مع خمسة من رؤساء القبائل المحيطة بالمنطقة بعد أن أغراهم ببعض النقود تنص على عدم تنازل زعماء القبائل عن أي جزء من أراضيهم لغير بريطانيا وضمان حرية التجارة للسفن الحاملة للعلم البريطاني وإلغاء تجارة الرقيق[4] وفي المقابل تعهدت شركة الهند الشرقية بتشجيع التجارة الداخلية في تاجورة كما قيدت المعاهدة حاكم تاجورة بعدم الدخول في أية علاقات سياسية أو اقتصادية مع أية دول أوروبية أخرى في أي أمر يمس بمصالح بريطانيا دون استشارتها والرجوع إليها، على أن لا تقوم بريطانيا بأي

---

[1] نقلا عن القوزي، المرجع السابق، ص123.

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 180

[3] فرغلي علي تسن هنيدي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف الاستعمار والاستقلال**، العلم والإيمان للنشر والتوزيع،ط1، مصر، 2008، ص235.

[4] محمد فريد السيد حجاج :**صفحات من تاريخ الصومال**، دط، دار المعارف، القاهرة، دت، ص ص40 ،41

عمل عدائي ضد إقليم تاجورة وكم قام سلطتن تاجورة ببيع جزر موريس للحكومة البريطانية وبذلك استطاعت بريطانيا تثبيت أقدامها في المنطقة استعدادا لاستعمارها

وفي نفس السياق وقعت فرنسا معاهدة مع نجاشي الحبشة في29ديسمبر1860، على ارثها تنازل ملكها للإمبراطور الفرنسي عن المنطقة الواقعة بين حافة جبل جودام متضمنة زولا وممتدة حتى خليج عادولي، كما طالب ملك الحبشة بالحماية الفرنسية وتعهد بعدم منح أية امتيازات لأية دول أوروبية أخرى دون استشارة فرنسا وقد منحت هذه المعاهدة فرنسا حقوقا دون أن تكلفها أية نفقات[1].

كما عقدت فرنسا معاهدة أوبوك في باريس في11مارس1864م مع مشايخ المنطقة، إذ يتميز ميناء أوبوك بأمنه وهدوء مياهه وصالح لناء مخزن للفحم ورسو الأسطول الفرنسي علاوة على إمكانية تحويل القوافل التي تصل إلي تاجورة وزيلع وبربرة إلى محطة فرنسية[2].

كما وقعت ايطاليا هي الأخرى معاهدة مع السلطان برغش بإعطاء الايطاليين حرية البيع والشراء للأراضي والبيوت والمحلات في بلاد سلطان زنجبار، وتظاهر الايطاليين برغبة حكومتهم في إنشاء علاقات مع زنجبار وأنها لم تكلفهم إلا بدراسة الحالة التجارية والاقتصادية لتلك المناطق ولكن هدفهم هو الحصول على ميناء أو قسمايو أو أي ميناء أخر يقع على سواحل الصومال ويكون قريبا من مصب نهر الجوبا ولكن ايطاليا دخلت بعد ذلك في مساومات وضغوط ونجحت في الاستيلاء على الأجزاء الشمالية لشرق إفريقيا(الصومال الايطالي) بناء على الاتفاقية الموقعة بين ايطاليا وزنجبار في12أوت1892م وأجرت ايطاليا في مقابل160ألف روبية سنويا[3].

---

[1] فرغلي، المرجع السابق، ص236.

[2] المرجع نفسه، ص ص236 ،237.

[3] نفسه.

وتفاوض سالسبوري مع الألمان سنة1886م على تقسيم مناطق النفوذ إلى قسمين أحدهما لبريطانيا والأخر لألمانيا حيت تم توقيع سلسلة من المعاهدات لتسوية الحدود اعترفت ألمانيا بمقتضاها بادعاءات بريطانيا في زنجبار وكينيا وأوغندة وروديسيا وبتشوانالاند وشرق إفريقيا[1].

أما فرنسا فقد قامت بعقد معاهدة مع حكومة الكونغو على أن يكون نهر أوبانجو فرع الكونغو الغربي هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو واعتبرت المنطقة شماله منطقة فرنسية أما المنطقة الجنوبية فهي من نصيب الكونغو الحرة،[2] وفي سنة1890م وقع سالسيبوري معاهدة مع فرنسا بخصوص الحد الغربي لنيجريا في مقابل اعتراف بريطانيا بالمحمية الفرنسية في مدغشقر وفي العام الموالي وقعت بريطانيا اتفاقية مع البرتغال بخصوص سالاند(ملاوي حاليا) وروديسيا الشمالية والجنوبية، وبهذا رسمت بريطانيا سياستها العريضة حيال إفريقيا، وذلك قبل سقوط سالسبوري سنة1892م وقد تضمنت هذه السياسة الاستمرار في احتلال مصر مع تحديد مناطق النفوذ البريطاني في غرب القارة والتي اقتصرت فقط على أربع مستعمرات هي زامبيا وسيراليون وغانا ونيجريا ووجدت بريطانيا في التوسع نحو الشمال من إفريقيا الجنوبية البريطانية عن طريق بتشوانالاند جنوب روديسيا ونياسالاند تعويضا لما فقدته في غرب القارة، كانت هذه السياسة هي ما أطلق عليه مد المستعمرات البريطانية من الكاب جنوبا حتى القاهرة شمالا بخط سكة حديدية يمر في وسط المستعمرات المتصلة، وكان سالسبوري ضرورة قيام المشروعات التجارية[3].

---

[1] فرغلي، المرجع السابق، ص237

[2] أحمد نجم الدين فليحة: **افريقيا دراسة عامة وإقليمية**، دط، مؤسسة شباب الجامعة، العراق، دت، ص79.

[3] فرغلي، المرجع السابق، ص237.

وكانت هذه المعاهدات مثال عن المعاهدات والاتفاقيات التي استطاع الاستعماريون الحصول عليها من الحكام الأفارقة وزادت قيمة هذه الاتفاقيات مع تزايد التنافس الاستعماري بين القوى الكبرى.

- **المؤتمرات:**

مع اشتداد التكالب الأوروبي على مناطق النفوذ عقدت مجموعة من المؤتمرات لتسوية أوضاعها في المستعمرات تجنبا للمنافسة التي قد تؤدي إلى تصادم عسكري مباشر، من أهم هذه المؤتمرات:

- **مؤتمر برلين سنة1885م:**

عقد المؤتمر بمدينة برلين في قصر راد زيفيل(Rad Zivill) في الفترة الممتدة ما بين 15نوفمبر1884م إلى26فيفري1885م[1]، حضرته المؤتمر شخصيات سياسية ودبلوماسية هامة فمثل ألمانيا السيد أوتون(Othon) وآخرون وحضر عن فرنسا السيد ألفونس (Alphonse) بارون دوكورسيل سفير مفوض فوق العادة بمطلق الصلاحيات لدى جلاله إمبراطور ألمانيا ملك بروسيا، وحضر عن بريطانيا وايرلندا السيد ادوارد بولدين ماليت(Edward Baldwin Malet) ومثل الدولة العثمانية محمد سعيد باشا(صاحب المقام العالي وسفير مفوض فوق العادة بمطلق الصلاحيات لدى جلاله إمبراطور ألمانيا ملك بروسيا[2].

همين على المؤتمر خمس دول كبرى دافعت عن مصالحها وسعت لتحقيق أطماعها في إفريقيا وهي ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والبرتغال وبلجيكا أما الدول الأخرى فحضرت شكليا[3]، عقد المؤتمر عشر جلسات كاملة طول مدة المؤتمر، صدرت خلالها قرارات المؤتمر في شكل ميثاق عام حيث تضمن6 قرارات و7فصول ب38مادة[1].

---

[1] Henri brun huig : **le partage de l'Afrique noire**, imprimerie eliewe , France , 1975, p60.

[2] Jean Ziegle : **décolonisation instabilité et famines en Afrique de Berlin, solidarité, socialiste**, p28.

[3] Philip Decraene : **l'Afrique noire depuis la conférence de Berline1885-1985**, Cheam, Paris, p9.

يعد المؤتمر أخطر المؤتمرات الأوروبية على مصير ومستقبل إفريقيا، فكان المؤتمر إيذانا وتصريحا معلنا بالهيمنة التامة على القارة وتقسيمها من خلال قراراته الخطيرة ومن بينها ما جاء في المادة34 والتي عالجت فيها شروط الاحتلال الفعلي، إذ تعد هذه المادة أهم المواد المتفق عليها من قبل المؤتمرين والتي نصت على أن أي قوة تسيطر على أي جزء من إفريقيا ولاسيما على سواحلها وتريد إعلان الحماية، وجب عليها إعلام الدول الموقعة على ميثاق المؤتمر وذلك حتى تستطيع الدفاع عن ملكيتها الجديدة[2].

بثها في مخيلة المستعمرات بحمله لواء التحضر باسم رسالة الرجل الأبيض، تلك المسؤولية الملقاة على عاتقه بإدخاله الحضارة والمدنية لتلك الشعوب التعيسة التي لم تعرف يوما الراحة والرفاهية.

وأخذ موضوع الملاحة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيزا هاما في جدول أعمال المؤتمر فقد نصت المادة30من نصوص المؤتمر على أن تتعهد بريطانيا بتطبيق مبادئ حرية التجارة والملاحة في مياه النيجر وفروعه ومنافذه وعلى حماية التجار الأجانب والمنشآت التجارية بينما نصت المادة33على حرية الملاحية في نهر النيجر خلال الحرب[3].

- **مؤتمر بروكسل سنة1890م:**

انعقد هذا المؤتمر ليؤيد ويجدد ما جاء في مؤتمر برلين، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ وضعت إفريقيا على طاولة المفاوضات ثانية[4] وقسمت إلى مناطق نفوذ بين الدول الأوروبية على النحو التالي:

---

[1] شوقي الجمل، المرجع السابق، ص51.

[2] المرجع نفسه.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار لإفريقيا، **حولية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية**، العدد 4 1981، ص37.

[4] عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص37.

-أصبح الكونغو دولة الكونغو الحرة في أوت1885م.

- استولت كل من بريطانيا وفرنسا على مساحات كبيرة من إفريقيا بفضل إمكانياتها البحرية والبرية وتسليحهم.

- احتفظت البرتغال بمستعمراتها في موزمبيق وأنجولا رغم أنها أضعف الدول الأوروبية

- استيلاء ألمانيا على الكاميرون والتوجولاند وجنوب غرب إفريقيا ومساحات في شرق إفريقيا.

- احتفظت اسبانيا بمناطق نفوذها في ريموني والصحراء الاسبانية(الصحراء المغربية الآن) بالإضافة إلى الجزر المجاورة للسواحل الإفريقية.

- أيدت بريطانيا في احتلالها لعصب وأرتيريا وكذلك حمايتها على الحبشة والجدير بالذكر أن ايطاليا منيت بهزيمة من الأحباش في معركة عدوة سنة1896م.

- ركزت فرنسا على ساحل العاج وداهومي والسنغال.

- أيدت الدول استقلال سيراليون وليبيريا[1].

- **الامتيازات:**

إن مصطلح الامتيازات (**capitulation**) جاءت من(**capita**) , (**capitula**) اللاتينية، أي رؤوس أقلام أو عناوين وفقرات أو أوامر و قرارات والكلمة تتماشى في الجوهر والشكل مع الكلمة التركية عهد نامه[2].

[1] فيصل، المرجع السابق، ص135.

[2] Le Baron De Testa: **Recueil des traites de la porte Ottoman**, T1, Amyot, éditeur de archives diplomatiques Paris, p06

في حين أن العديد من الغربيين يعتقدون أن كلمةcapitulation في اللغة الانجليزية تعني خضوع الكافر لإرادة المسلم لكي ينال السلام، في الوقت الذي يعتقد المؤرخون الشرقيون أنها تعني خضوع سلطان الدولة العثمانية للقوى الأجنبية، وذلك لان السلطان منح الأجانب تسهيلات عديدة لم يسمح بها لرعاياه أنفسهم[1].

بغض النظر عن دوافع وأسباب منح الامتيازات للدول الأوروبية عامة، فان المشاكل الناتجة عنها ذات أبعاد سياسية واقتصادية[2]، نستشف من خلال الأنشطة والمشاريع الفرنسية التجارية التوسعية، أبعاد جديدة تمثلت في البعد والأهداف الاستعمارية من خلال تلك العلاقات التجارية،فيؤكد بول ماصون" **إن المؤسسات الفرنسية ما هي إلا جنيين لمستعمرات حقيقية في الجزائر وتونس وطرابلس**"[3].

وجد ريشيليو في بناء جيش فرنسي لإيمانه بارتباط فرنسا بالبحر ورغبته في دخول فرنسا مجال الاستعمار الخارجي، ولا يتأتى الاستعمار السياسي إلا عن طريق التجارة أي بالتغلغل والنفوذ الاقتصادي من خلال الشركات التجارية[4]، كما عمل الخبير الاقتصادي كولبير على إنشاء إمبراطورية فرنسية بحرية، وإقامة مستعمرات تجارية على طول السواحل والطرق المؤدية إلى الهند والشرق الأقصى، كما رغب في غزو مصر والاستيلاء عليها لضمان الطريق التجاري للهند وربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط [5].

---

[1] Philip Marshall Brown: **foreigners in Turkey their juridical stat**us, Princeton university Press, London, 1914, p29.

[2] نادية مصطفى، المرجع السابق، ص108.

[3] بليل رحمونة: **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من1564 إلى1830م** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2011، ص186.

[4] عبد العزيز سليمان، محمود محمد جمال الدين: **تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى**،ب ط ، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص166.

[5] المرجع السابق، ص ص173،17.

لقد أخذت سياسة كولبير أكلها من خلال توسيع نشاط المراكز التجارية الفرنسية على الساحل الإفريقي وبلاد المشرق، فتأسست المراكز والشركات الفرنسية في تونس، وأصبحت مستعمرا صغيرة، وهذه الشركات لم تنشأ لأهداف تجارية من جهة واحتكار واستغلال ثروات المناطق وتأسيس المؤسسات وتحصينها وتوسيعها من جهة ثانية، **فكانت مناطق الامتيازات مستعمرات تجارية ستؤدي عمل استعماري حقيقي**[1].

وتجدر الإشارة إلى الدور الهام الذي أدته مدينة مرسيليا وتجارها في التوسع الفرنسي التجاري والاستعماري، فمهدت الطريق لإقامة إمبراطورية استعمارية في شمال إفريقيا،ويدل الصمود واستمرار العلاقات التي مرت بتقلبات عديدة(بين التوتر والسلم والصداقة)على أهميتها[2].

لم تخف الأوساط الفرنسية أبعادها وأطماعها الاستعمارية، إذ كشفت تقارير القناصل والرحالة عن رغبتهم الملحة في الاقتراح على حكوماتهم أهمية وضرورة السيطرة على تونس، فقد أكد الطبيب الرحالة أندري بايسونال(**Jean André Peyssonel**) إن السيطرة على جزيرة طبرقة هي الحل الأمثل والعلاج الوافي للازمات والمشاكل التي يعاني منها الفرنسيون، بسبب مضايقات المغاربة[3].

وتجدر الإشارة إلى إشادة القنصل الفرنسي بتونس بيار جون بينيون بأهمية احتلال فرنسا لجزيرة طبرقة، إذ نشأت بها مؤسسة صلبة مع إمكانية ممارسة التجارة بها، ستصبح تجارها أكثر أهمية من تجارة الرأس الأسود،غير أنها لم تجد أذانا صاغية لوزارة الحربية الفرنسية في البداية، وأكدت الرسالة المبعوثة من طرف مدير الوكالة التجارية بالرأس الأسود إلى الغرفة التجارية بمرسيليا إلى أن الاستيلاء على طبرقة سيسمح لفرنسا بتطبيق

---

[1] مليكه الشيخ: **العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس والجزائر خلال القرن18م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،المركز الجامعي بغرداية، 2012، ص ص146 ،147.

[2] رحمونة، القناصل والقنصليات، المرجع السابق، ص187.

[3] الشيخ، المرجع السابق، ص147

القانون على جميع القوى البربرية بدءا منه قاصدا باي تونس،إضافة إلى الامتيازات المغرية التي سيتمتع بها التجار الفرنسيون[1].

- **إقامة القواعد العسكرية:**

أمام حاجة القوى الاستعمارية للسيطرة على نقاط ارتكاز بحرية يخضع لها تؤمن طرق المواصلات، لاسيما بريطانيا ليتمكن أسطولها الحربي من السيطرة على الطرق البحرية الأساسية والهيمنة على بقاع واسعة من الأرض، فقد كان يلزمه الحصول على نقاط التجاء تكون له فيها ترسانات للإصلاح ومراكز للتزود بالوقود وقواعد للعمليات فامتلك الأسطول البريطاني هونغ كونغ وسنغافورة ومضيق جبل طارق ومالطة وسانت هيلانة وجزر برمودة[2].

ولم يكن هذا كافيا في نظر الاستعمار، فأكد الفرنسي جول فيري نفس المشغولية قائلا في خطبته في28يوليو1880م أن السياسة الاستعمارية ضرورية لكي تعطي الأسطول الحربي نقط رسو وتموين بالوقود قائلا:"**هذا هو السبب الذي يدفعنا للحصول على تونس والسبب الذي يدفعنا للحصول على مدغشقر**"[3]، وفي نفس الاتجاه نجد ايطاليا فالسبب الذي دفع حكومتها لمد نفوذها نحو إفريقيا الشرقية هو المزايا التي سيعطيها لها في سياستها الدولية باستيلائها على قواعد بحرية على طول طريق البحر الهندي والبحر الأحمر وعلى الناحية الجنوبية للطرق البحرية الكبيرة في البحر الأبيض المتوسط، كل هذا لتأمين طرق المواصلات نحو مراكز الثروات[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص69.

[2] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث، المرجع السابق، ص315.

[3] نقلا عن جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث، المرجع السابق، ص316

[4] المرجع نفسه.

- **التمييز العنصري في جنوب إفريقيا:**

ينطوي الوضع السياسي، والاجتماعي في جنوب إفريقيا، على أكبر تناقض سياسي وفكري وأخلاقي تعرفه النظم السياسية الموجودة في العصر الحديث لا يضارع ذلك أو يقترب منه سوى وضعية الفلسطينيين في ظل الاحتلال الإسرائيلي[1]، إذ يقوم هذا النظام على أساس سيطرة البيض على العناصر السوداء والملونة مع النفي الكامل لحقيقة أن السود هم السكان الأصليين والحقيقيين وأصحاب الأرض، وفي الإقليم يشكل السود أغلبية السكان وليس البيض سوى وافدين جدد، إذ تؤكد الإحصاءات أن عدد السود في جنوب إفريقيا بزيد على34مليون نسمة يخضعون لسيطرة وإرادة البيض الأقلية(لا يزيد عددهم عن 5 ملايين نسمة)، ومع ذلك تمارس هذه الأقلية البيضاء كل أشكال السيطرة والهيمنة على السلطة والحكم في البلاد وعلى مصادر الثروة والاقتصاد من خلال أنواع القمع والاضطهاد والتمييز أو ما يعرف بنظام الأبارتيد بكل الطرق والأشكال الهمجية و اللإنسانية، مع أنهم يزعمون أنتمائهم للمدنية الغربية، إن نظام التمييز العنصري يعتبر انتهاكا صارخا لكل المواثيق الدولية ولكل مبادئ وتعاليمم الانسانية كافة الشرائع وقواعد الأخلاق بل ومتعارضا مع أبسط تقاليد الأمم المتحضرة، فإن ما جري حاليا في جنوب إفريقيا من قبل الأقلية البيضاء المسيطرة ضد الأغلبية السوداء المستضعفة ليس إلا شكل للعبودية في أحقر صورها وأبضع مظاهر التعبير عنها[2].

ونظرية التمييز العنصري انبثقت فكريا عن جماعة من طلبة جامعة ستيلنبوش إذ أنهم كونوا منظمة تعرف باسم" **إدارة جنوب إفريقيا للشؤون العنصرية**" وتعتبر هذه المنظمة منافسة للمنظمة المتحررة للعلاقات العنصرية القائمة في جوهانسبرج وكان من بين أعضائها

---

[1] فرغلي، المرجع السابق، ص248

[2]Patrick Bruneteaux : **le colonialisme oublié ,de la zone grise plantationnaire aux élites mulâtres à la Martinique**, éditions du croquant ,Paris, 2013,p17.

المؤسسين عدد كبير من وزراء المستقبل وكان البروفيسور أزيلين الرأس المدبر لتلك المنظمة وهو الذي وضع التعريف الفكري الكلاسيكي لنظرية" التفرقة العنصرية"[1].

آثار الاستعمار:

خلف الاستعمار ورائه مجموعة من المشاكل.

- **مشكلة الحدود بين الدول:**

ترجع هذه المشكلة إلى الطريقة التي اتبعها الأوروبيون في تقسيم المستعمرات أثناء مؤتمر برلين بين سنتي1884و1885م، إذ لم تراع هذه الدول التجانس العرقي واللغوي أو التكامل الاقتصادي أو الإرث الاقتصادي أو الإرث الحضاري، بل راع الاستعمار مصالحه لتسابق على مناطق النفوذ، فبعد إجراء عملية التقسيم لوحظ أن30% من الحروب السياسية في القارة هي حدود على أساس خطوط الطول ودوائر العرض، فالحدود رسمت بالمسطرة على طاولة المفاوضات في مؤتمر برلين[2].

من خلال دراسة الخريطة السياسية تتضح مجوعة من الحقائق أهمها:

أن عدد كبير من الوحدات السياسية لا ترق لاعتبارها دولة كونها لا تملك كل مقومات الدولة.

أن التخطيط العشوائي للحدود بين الدول نجم عن قيام وحدات سياسية مجزأة أو مصطنعة لأنها تشمل في الواقع أقسام بشرية أو طبيعية أو اقتصادية يمكن أن يبرر وجودها كدولة مستقلة[3].

لم يراع عند وضع الحدود الانسجام بين مساحة الأرض وعدد السكان.

---

[1] فرغلي، المرجع السابق، ص250.

[2] فيصل موسى، المرجع السابق، ص301.

[3] أحمد أنداك لوح: الاحتلال البرتغالي في افريقيا وآثاره، مجلة قراءات افريقية، العدد 37، يوليو 2018، ص21.

ظهر في افريقيا46 وحدة سياسية بعد الحرب العالمية الثانية منها13وحدة سياسية لا توجد لها منافذ على البحر،ما يخلق لها عدة مشاكل بينما عدد الدول الداخلية في العالم هما11دولة في أوروبا وآسيا وأمريكا الجنوبية[1].

وقد ترتب على هذه الحدود المصطنعة عدة مشاكل بين الدول ونزاعات وحقوق عقبت الفترة الاستعمارية لاسيما تلك الدول التي بها قبائل رعوية فكثيرا ما يتعدى الرعاة حدود دولتهم إلى الدولة المجاورة خاصة إذا كان الخريف غير ممطر في مناطقهم وهذه القبائل قد تم فصلهم إلى جزءين مثل قبائل الزغاوة فجزء في دارفور والجزء الآخر في تشاد وكذلك الآشولي جزء منها في جنوب السودان وآخر في أوغندة والمراوير في السودان وجنوب مصر[2].

- **مشكلة التخلف الاقتصادي:**

رغم ما تمتلكه قارتي افريقيا وآسيا من ثروات وإمكانات هائلة إلا أن سمة التخلف الاقتصادي أصبحت صفة ملازمة للدول الإفريقية والأسيوية بعد استقلالها[3]، كما أوجدت حالة من الاعتماد والتبعية للغرب حيث لا تزال المستعمرات تتعامل تجاريا مع الدول التي استعمرتها تصديرا واستيرادا[4].

- **مشكلة التخلف الاجتماعي:**

نظرا للسياسات التي اتبعها المستعمر في افريقيا وآسيا والرامية إلى إبقائهما متخلفة فقد أصبحت القارتين تعانيان من التخلف الاجتماعي والثقافي.

---

[1] فيصل موسى، المرجع السابق، ص306.

[2] المرجع نفسه.

[3] [3] Bruneteaux ,op, cite, p17.

[4] لوح، المرجع السابق، ص22

ومن أبرز مظاهر التخلف انتشار العادات والتقاليد السيئة التي تعرقل عملية التطور الطبيعي مثل عادات الوشم على الأجسام وتشويه الأسنان وعادة ندب وجه المرأة وغيرها من الخرافات التي أصبحت مع الوقت جزء منهم ومن عاداتهم وعدم سلامة البنيان الاجتماعي وذلك بوجود تباين في تكوين المجتمع فبعض المجتمعات تسوده الطبقية بوجود أثرياء قد بلغوا قدرا كبيرا من الثراء، بينما يوجد في نفس المجتمعات فقراء قد قهرهم الفقر إضافة إلى تفكك الروابط الأسرية بين أفراد القبائل وقد ساهم الاستعمار إلى حد كبير في هذه العملية[1].

- **مشكلة تدهور المستوى الصحي:**

لقد تفشت في أفريقا وآسيا أمراض وأوبئة أدت دورا كبيرا في ارتفاع نسبة الوفيات، ومنها مرض الملاريا والسرطان الكبدي وغيرها من الأمراض والأوبئة الفتاكة، وتعود بالدرجة الأولى هذه الأمراض إلى تراجع المستوى المعيشي وسوء التغذية نتيجة سياسة التجويع الاستعمارية وكذلك الجهل بوسائل الوقاية وقلة وسائل العلاج الأولية ولجوء السكان إلى التداوي بالأعشاب أو بالسحر والشعوذة[2].

- **مشكلة انخفاض المستوى الثقافي وانتشار الأمية:**

لقد أدى الاستعمار دورا بارزا في التقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية في افريقيا وآسيا ولاسيما الثقافة العربية الإسلامية بما استخدمه من برامج وسياسات ترمي إلى نشر الثقافة الغربية واللغات الأجنبية وقامت المؤسسات النصرانية التي صحبت الاستعمار بهذا الدور وحظيت بدعمه فأقمت المدارس لتنصير الأطفال فكانت لذلك موضع التحفظ من المسلمين الأفارقة فحجبوا أبنائهم عنها وانقطعوا عن التعليم وفضلوا الرعي أو الزراعة.[3]

---

[1] فيصل موسى، المرجع السابق، ص307.

[2] Bruneteaux ,op, cite, p66.

[3] فيصل موسى، المرجع السابق، ص307

لكن مع حصول هذه الدول على الاستقلال لم يكن هناك كفاءات تتولى وظائف الحكومة وتأخذ بيد هذه الدولة الفتية إلى بر التطور والازدهار، فكان أن تولت تلك النخبة المثقفة ثقافة غربية زمام الأمور حيث ظلت مرتبطة به ثقافة وفكرا وتدين بالانتماء والولاء له[1].

- **مشكلة التمييز والتفرقة العنصرية:**

من الآثار التي تركها الاستعمار الأوروبي لاسيما في افريقيا هي التفرقة العنصرية وهي من المشكلات العنيفة التي يعاني منها أفارقة في جمهورية جنوب افريقيا لاسيما بعد تخليها على زيمبابوي بعد قيام الحكومة الوطنية فيها[2].

وتقوم السياسة التي تتبعها حكومة جنوب افريقيا على أساس تقسيم السكان حسب لون البشرة فهناك المستوطنون البيض الذي يتمتعون بامتيازات عديدة وهناك الملونون وهم في المرتبة الثانية وأخيرا السود وبرغم ومن أنهم الأغلبية وسكان البلاد الأصليين فإنهم حرموا من أدنى الحقوق التي تعبر على بشريتهم[3].

وقد وصل حد التمييز لحد تخصيص أحياء سكنية خاصة بهم وحرم عليهم الاستعمار وسائل المواصلات غير المخصصة لهم وحرموا من دخول المسارح المخصصة للبيض وفنادقهم بل امتدت التفرقة إلى التعليم والصحة والمحاكم[4].

هذه بعض المشكلات التي واجهت الدول المستقلة حديثا ولعل التعاون بينها وتضامنها وفهمهم لحقيقة المشاكل التي يتخبطون فيها هي المخرج الكفيل والسليم للخروج من هذه المشكلات وأخذ بيد شعوبهم إلى التطور العلمي والثقافي والاقتصادي ووضع العوائق أمام

---

[1] لوح، المرجع السابق، ص23

[22] Bruneteaux ,op, cite, p66.

[3] La lutte contre la discrimination et le racisme, acte des ateliers de l'intégration locale,6et 7mai 1998,Toulouse, agence pour le développement des relations interculturelles, p11.

[4] فيصل موسى، المرجع السابق، ص311.

الدول الاستعمارية الانتهازية لاستغلال هذه الظروف التي تمر بها لتحقيق أطماعها الاستعمارية بأساليب ووسائل جديدة ومقنعة[1].

[1] La lutte contre la discrimination et le racisme, op, cite, p12.

الباب الثاني : الاستشراق الفرنسي وعلاقته بالاستعمار في الجزائر

الفصل الأول :اهتمامات الاستشراق الفرنسي في الجزائر

الفصل الثاني: أهم المستشرقون الفرنسيون وإسهاماتهم

الفصل الثالث : وظيفية العلاقة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر

الفصل الأول :اهتمامات الاستشراق الفرنسي في الجزائر

أولا :المجالات التي عالجها الاستشراق:

ثانيا: نظرة نقدية

أولا :المجالات التي عالجها الاستشراق:

سخرت الإدارة الفرنسية من الوهلة الأولى للاحتلال مختلف إمكاناتها المادية والسياسية والاقتصادية لإحكام سيطرتها على الجزائر وتدعيم سلطتها، فعمدت إلى كتابها وباحثيها ومستشرقيها الذين انكبوا وعكفوا على البحث والتقصي في مختلف القضايا المرتبطة بكل ما هو جزائري وله علاقة بالجزائر على مستوى العادات والتقاليد والأعراف والدين والثقافة والتاريخ.

وبناء على هذا اتجهت الإدارة الفرنسية إلى هذه الدراسة بعد إدراكها أن فرض سيطرتها وإحكام قبضتها على مستعمراتها مرهون:" **بدراسة مجتمعاتها وفهم شعوبها فهما جيدا وهذا لا يكون إلا إذا انطلقت في دارسة هذه الشعوب من خلال إنتاجها الحضاري والتاريخي ومن قيمها وقوانينها ونظمها المختلفة وأشكالها ومظاهرها الفكرية والفلسفية والأدبية وكذا العمل على دراسة النطاق الجغرافي الذي تشغله تلك المجتمعات**"[1].

01ـ الاستشراق في المجال الديني:

ما تجدر إليه بادئ الأمر هو أن اهتمام المستشرقون الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة في الاتجاه الديني برزت بصفة واضحة في المشرق العربي كونه منبع الإسلام ومنطلقه الأول.

أما في الجزائر فأولى المستشرقون الفرنسيين اهتماما معتبرا بالتصوف والمتصوفون والمذهب المالكي، أما التصوف فقد سجل المستشرقون الفرنسيون تأخرا بالإلمام به، فقد تضمنت رسالة **من شاربونو إلى رينان** مجموعة من كتب التصوف حصل عليها الأول من سي حمودة بن الفقون والحاج أحمد مبارك بقسنطينة واستفاد من كتاب شرح أحمد زروق

[1] نقلا عن لونيسي، المرجع السابق، ص159.

لحكم التصوف لابن عطاء الله الأسكندر[1]، وقد تضمنت الرسالة قائمة طويلة لكتب التصوف منها الأفكار الدينية لسيدي عبد الرحمن الثعالبي(1389-1470) والغنية لعبد القادر الجيلاني[2] وواجبات الصوفي لأبي حامد الغزالي(1058م -1111م) وواجبات الإخوان لسيدي بومدين(589- 1193م)[3].

كما نشر المستشرق لوسياني شرح عقائد السنوسي[4]، ما سيعرف بالعقيدة الكبرى، العقيدة الوسطى والعقيدة الصغرى[5]، ونشر أيضا كتاب"**الدرر البيضاء في الفرائض**" لعبد الرحمن الأخضري ونشر هنري بيرس فصل" **المستحسن من البدع**" من كتاب المعيار المغرب والجامع المعرب في فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب[6].

---

[1] الشيخ الإمام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسبا المالكي مذهبا الاسكندري والصوفي حقيقة والشاذلي طريقة ،لم تعرف سنة ميلاده وتوفي سنة 709هـ ،(للمزيد أنظر ابن عطاء الله السكندري: **الحكم العطائية**، شرح ابن عباد النفزي الرندي، إعداد ودراسة محمد بن عبد المقصود هيكل،ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988،ص ص 13،14).

[2] عبد القادر الجيلاني أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله (470هـ -561هـ) من زعماء المتصوفة في العالم الإسلامي، ربط بين محاسن الشريعة والعقول السليمة، تلقى ثقافة إسلامية واسعة على يد علماء مسلمين ممتازين، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي،لقب ب"باز الله الأشهب"، وله عدة مؤلفات أهمها "الغنية لكالبي طريق الحق" و "الفتح الرباني والفيض الرحماني".(للمزيد أنظر الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني: **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية** ،ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان،1997، ط1، ص ص 9 ،10)

[3] معريش، المرجع السابق، ص190.

[4] أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي(1426- 1490)، من قبيلة بني سنوس من تلمسان،من مشايخ القرن9هـ ، وهو من أساطين الدين وأبرز الفقهاء المالكية، وقد تخرج على يده جلة من العلماء وكبار المشايخ كالملالي والفقيه يحي الهشتوكي، ومن أهم مؤلفاته الشرح الكبير على الحوفية والعقيدة الكبرى والوسطى والصغرى.(للمزيد أنظر الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني: **ثلاث عقائد أشعرية**، تح: خالد زهر، ط1،الرابطة المحمدية للعلماء،المملكة المغربية،2012، ص ص11 ،12).

[5] صالح عوض، معركة الإسلام، المرجع السابق، ص212.

[6] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص125

نشرت المجلة الإفريقية في العدد الصادر سنة1861م من المجلد الخامس أول دراسة حول التصوف والصوفية وتجسدت هذه الدراسة في الترجمة لأحد أهم الصوفيين في الجزائر وهو سيدي أحمد التيجاني نسبة إلى قبيلة التجانة وقد عنونها كاتبها ل. أرنلد(**Arnaud,L**) ب" **تاريخ الولي سيدي أحمد التيجاني- مقتطف من الكناش**" تتبع من خلاله المؤلف حياة الشيخ التيجاني من ميلاده وأصله ونسبه وعائلته وأهم الملمين والشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم في مختلف مراحل حياته ورحلاته العلمية والتعبدية إلى تلمسان ومكة ثم توليه القضاء وكيف أصبح صوفيا وبداية دخوله في التصوف كونه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه وأمره بشرح السنة النبوية كما عالج الخلافات بين الشيخ والعثمانيين[1]، وقدم(**octave Depint**) دراسة مفصلة عن شيوخ الزوايا والمقدم والطلبة والمردبين وما يرافق الطريقة من طقوس كالحضرة، وحتى طرائق التعليم فيها والإجازات المتحصل عليها في نهاية الدراسة[2] كما عرف دالباش بزاوية الشيخ سيدي علي بن موسى[3].

ونجد المقدم الفرنسي فيلو يجري دراسة وشرح عن الزوايا يقول فيه:" **الزاوية تكون الأئمة والقضاة والمعلمين والأطباء وعلماء الفلك والملهمين...الزاوية عالم قائم بذاته يجب دراسته والتعمق فيه والأمر ليس هينا فأصحابها يخفون أسرار حياتهم**"[4]، كما قام ديبانت وكوبلاني بدراسة معمقة ودقيقة عن الهيكل العام للزوايا من شيوخها ومريديها وطلبتها وأهم

---

[1] L. Arnaud : **histoire de l'ouali sidi-Ahmed el-tedjani extraite du Kaannache** , R A , v5,1861,pp 468 -474

[2] octave Depint , Xavier Coppolani: **les confréries religieuses musulmanes** , publie sous le patronage de Mjules Cambon, gouverneur général de l'Algérie , imprimeur libraire , éditeur , Alger , 1897

[3] Delpech : **le zaouïa de sidi Ali ben Moussa ou n'foumas** , R.A ,V18 ,1874

[4] E. Villot: **Mœurs coutumes et instituions des indigènes de l'Algérie**, Jourdan ,Edition Adolphe, 1880, p455.

مشايخها سعيا لفهم تركيبتها وعلاقتها بالمجتمع الجزائري وتأثيراتها السياسية[1] وحذا حذوه (Charles Brosselard) في كتابه الإخوان دراسة معمقة لهيكل الزوايا[2]. أنظر الملحق رقم15.

وقد رصد المستشرقون الشوائب التي التصقت بالدين الإسلامي من البدع والخرافات والتي حادت بالشعب الجزائري عن الدين الإسلامي الصحيح وقصدوا بها الممارسات الدينية والشعائر الإسلامية كما أصبحت عليه بعد70سنة من الاحتلال وهي ممارسة تبعده كل البعد عن روح الإسلام وتعاليمه فهي تعني التخلف العقلي والتزمت وضعف الأفق والشعوذة وهي السحر والدجل والتخريف والزردات والوعدات والذبائح عند قبور الأولياء والصالحين وهي عقائد النفع والضر في مشايخ الطرق الصوفية وفي الأحجار والأشجار والآثار هذا هو الإسلام الجزائري في نظر الفرنسيين ومستشرقيهم[3].

ونرجع اهتمام المستشرقون بدراسة التصوف والمتصوفة إلى اقتناعهم أن المقاومة والجهاد كان معلن وبتحريض رجالات التصوف وأبرزهم الأمير عبد القادر الذي استطاع أن يبرز المتصوف في ثوب القيادة لتحقيق شرع الله في الأرض الأمر الذي دفعها إلي تركيز أبحاثها على التصوف لفهمه ومحاولة التكيف معه بوسائل خاصة والقضاء على الروح القتالية لكبار رجال الطرقية[4]، فنستنتج من هذا أن الاستعمار اعتبرها عدوه اللدود نظرا لقوتها ووزنها في أوساط الجزائريين فقد كانت كل جمعية صوفية متماسكة فيما بينها كثيرة المال والأتباع

---

[1] Depont , Coppolani ,op, cite, pp,193-205 .

[2] M. Charles Brosselard :**les Khouan de la constitution des ordres religieux musulmanes en Algérie** ,imprimerie de A. Bourget, Alger,1850.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص52.

[4] جمال الدين بوحلوفة: الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر(1856 ــ 1960) قراءة من خلال المجلة الإفريقية،**مجلة العلوم الإنسانية والحضارة**، العدد 5، مارس 2017، الجزائر، ص185.

قوية السمعة لها شيخ يحترمه جميع أتباعه[1]، فكان لازما عليها ولمواجهتها معرفة خبايا هذا العالم واستغلال نقاط القوة والضعف فيه، ومحاولة جذب مشايخها لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية.

ولم يغفل مستشرقو فرنسا عن دراسة مذهب المغاربة المذهب المالكي فقد حظي باهتمام المستشرقون والسياسيون والعسكريون[2] فنشر(Solvet) و(Bresnier) كتيبا في الجزائر حول المواريث في الإسلام، وطبع في باريس والجزائر فصول خاصة بالزواج مقتبسة من كتاب " **تحفة العروس**" للشيخ محمد التيجاني[3] وقام Vincent بالتعريف بالفقه المالكي[4].

تجاوزت الدراسات الإستشراقية الفرنسية إلى دراسة أضرحة أولياء الله الصالحين والبقايا الأثرية ومنها ما جاء في مقال تحت عنوان" **أطلال المرابط سيدي عبد القادر تحت ملیانة**" لبيربروجر تناول فيه مكان ضريح الولي الصالح سيد عبد القادر الجيلاني،[5]ونجد في عدد سنة1869 مقال بعنوان" **نقوش على ضريح سيدي مخلوف بقسنطينة**" لشاربونو حيث نسخ ما وجده مكتوب على الضريح بالعربية "**بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وأله وسلم تسليما: توفي الشيخ أبو الحسن على بن مخلوف يوم الأربعاء تسعة وعشرون في شهر ذي الحجة عام586هـ رحمه الله**"، وكتب بالخط الكوفي على حجر مربع الشكل يعلوه تاج دوائر متحدة المركز وهو في الهواء الطلق وذكر الكاتب أن الولي حظي بالتقدير والتبجيل والاحترام في قسنطينة وقضى حياته زاهدا متعبدا وارعا[6].

---

[1] عبد العزيز شهبي:**الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران، 2007 د ط، ص163.

[2] معريش، المرجع السابق، ص235.

[3] المرجع نفسه، ص ص ،193، 194.

[4] شهبي، المرجع السابق، ص163.

[5] A Berbrugger: **ruines du marabout de sidi abd el Kader sous Miliana** , R A, v8, 1864 , p 454.

[6] Cherbonneau: **épitaphe de sidi Makhloof à Constantine**, R A, v13 , 1869, p194.

وما تجدر الإشارة إليه هو اهتمام هذه الدراسات بالعلاقة بين المتصوفة والعثمانيين بالإشارة إلى الصراع والرفض من الصوفية للوجود العثماني فنجد في إحدى المقالات انتفاضة درقاوة في الغرب الجزائري بعنوان:" **ملخص تاريخي حول انتفاضة درقاوة في الغرب الجزائري في محافظة وهران من خلال زمنية محمد بن مسلم باش دفتر باي حسن1800 -1813م**[1].

كما حظي التشريع الإسلامي باهتمام المستشرقين الفرنسيين أسوة بالإدارة الانجليزية في الهند،علما أن العرب كان لهم عبقريتهم في التشريع أكثر من أية أمة أخرى، ولعل المعرفة العميقة لتشريعات العرب والمسلمين كان ضرورة لفهم تاريخهم وعاداتهم وحياتهم الداخلية، ومن هنا كلف وزير الحرب الدكتور بورن(Perron) بترجمة وطبع "**مختصر سيدي خليل**"[2] الموجه إلى المحاكم في الجزائر ومع حلول سنة1855م كان قد صدر مرسوم تنظيم المحاكم في الجزائر وأرسل النص العربي التجريبي لطبعة سيدي خليل إلى محكمة مدينة الجزائر وتمت الموافقة عليه مع إرفاقه بجملة من التعديلات[3].

وتيقنا من مدى فعالية الدين الإسلامي في نفوس الجزائريين وسعيا لتهدئتهم وإبعادهم عن أية مقاومة، فكرت الإدارة الاستعمارية ولاسيما الجنرال بيجو في الحصول على فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس، تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين بهدف تشتيت جمع المسلمين من حول الأمير، علما أن الفكرة تعود إلى ليون روش، فقد سمع بيجو قول

---

[1].Adrien Delpech: **résume historique sur le soulèvement des derkaoua de la province d'Oran**, R, A, V18 1874, p 38.

[2]مختصر سيدي خليل: كتب لمؤلفه الشيخ خليل بن إسحاق موسى بن شعيب ضياء الدين أبو المودة المصري المعروف بالجندي، أحد كبار فقهاء المالكية، والكتاب من كتابات الفقهاء المالكية، يعالج مختلف المسائل كالوضوء والطهارة والصلاة والاعتكاف وكل ما يهم المسلمين في أمور دينهم.(للمزيد أنظر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي: **مختصر العلامة خليل**، تع: الشيخ أحمد نصر، الطبعة الأخيرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا،1981).

[3] معريش، المرجع السابق، ص234.

الأمير خلال مفاوضات اتفاقية التافنة:" **إنكم تتحدثون عن دينكم...لو كنتم مسيحيين...لكنتم من أحسن أصدقائنا إذ أن القرآن يأمرنا بالسلم واحترام دين عيسى ابن مريم...**"[1] .

ورغم أن الجنرال بيجو رجل حرب ولم يكن من المهتمين بالأمور الدينية، فقد أدرك أن سر قوة المسلمين هي التمسك بدينهم ولذلك عمد إلى إقناعهم بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب وأن لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة ويقاتلوا قوة أكبر منهم عدة وعتادا[2].

فوقع اختياره على ليون روش للقيام بهذه المهمة لإتقانه اللغة العربية واطلاعه على عادات وتقاليد المسلمين وله معارف كثيرة من كبار شيوخ القبائل، وآهل لثقتهم به لاعتقادهم في إسلامه[3]، فسلم الجنرال بيجو لروش رسالة في19جويلية1841م يسلمها إلى قنصل فرنسا العام بتونس يحثه على تقديم الدعم والمساعدة لروش لتأدية مهمته السرية ومستهلها:

J'ai l'honneur de vous informer que je donne à M. Léon Roches, interprète principal,une mission secrète dans l'intérieur de l'Afrique et que les circonstances exigent qu'il passe par Tunis... »[4]

وما تجدر الإشارة إليه أن روش بعث برسالة إلى التيجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها، طالبا منه العمل على جمع كلمة رؤساء طريقة الطيبية وخليفة الزيبان وأولاد سيدي الشيخ لنيل موافقتهم، وقد استبشر التيجاني بالفكرة، إذ رأى فيها باعث للهدوء

---

[1] نقلا عن مناصرية ، المرجع السابق، ص40

[2] المرجع نفسه.

[3] Henri Ideville: **le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des document inédits (1784-1849)** , T2,p p 313 ,314 .

[4] Roche ,32ans, op,cite, pp, 223 _228

والسكينة في نفوس المسلمين المحرضين من طرف الأمير عبد القادر على الحرب ضد فرنسا[1].

وبناء على ذلك استدعى الشيخ التيجاني مقدمي الطرق المحالفة له واتفق معهم على أن يختار كل رئيس طريقة ممثل له للتوجه إلى القيروان في19جويلية1841م حسب التاريخ الذي حدده روش، وقد امتثلت كل الطرق إلى مطلب التيجاني واصطحبت قوافلهم ليون روش إلى تونس[2].

وبوصول روش ومن معه إلى القيروان تمكن من الحصول على الفتوى من مجلس علماء القيروان، ولتدعيم الفتوى واصل روش مسيرته إلى الحجاز مرورا بمصر حيث صادق علماء الأزهر وشريف مكة والطائف على محتوى الفتوى ثم بعث روش إلى الجنرال بيجو قبل نهاية سنة1841م واستقر هو في روما إلى أن أمره الملك لويس فيليب إلى الجزائر في ماي1842م[3].

تقوم خلاصة الفتوى على:" **يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم(أو أراضيهم) بالقوة وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم**[4]، وبمجرد وصول الفتوى شرعت الإدارة الفرنسية في توزيعها على القبائل وانتشرت أخبارها في مختلف أرجاء الجزائر وأعجب بها أصحاب النفوس الضعيفة من الجزائريين وخارت قوتهم وفضلوا الراحة على الجهاد، لدرجة نادوا ليون روش

[1] مناصرية ، المرجع السابق، ص106.

[2] Roche,32ans , op,cite, p p 439,443

[3] مناصرية، المرجع السابق، ص106 .

[4] المرجع نفسه، ص41.

ب"**الحاج عمر**"وكتب الجنرال لاموريسيار من إقليم وهران إلى بيجو يخبره مستبشرا بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين ولوحظ فتور على القتال[1].

وبعد مدة وجيزة من إصدار الفتوى أعد بيجو خاتما نقش عليه الآية القرآنية الكريمة:" **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**"[2] مستعملا إياها في مختلف مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين وأغلب الظن أن روش هو من اقترح ذلك على بيجو كونه لا يعرف اللغة العربية ولا علم له بالقرآن الكريم وما فيه[3].

وما تجدر الإشارة إليه أنه مع توالي هجرات العائلات الجزائرية إلى المشرق والمغرب استغلت فرنسا الدين مرة ثانية لتحقيق مصالحها باستصدار فتوى سنة1895م[4]، من علماء المشرق حرم فيها هجرة الجزائريين ومغادرتهم أوطانهم خوفا على الدين[5]. أنظر الملحق رقم09.

2ـ الاستشراق في مجال الأدب:

أحاط المستشرقون الفرنسيون إحاطة شاملة بموضوع الأدب فكريا ونظريا وعلميا، إذ مكن احتلال مدينة الجزائر للمستشرقين لاسيما المترجمين أمثال مرسيلين بوسيي وآخرين تطرق إليهم هنري ماسييه في المجلة الإفريقية سنة1933م:" **لقد انتمى لسلك المترجمين العسكريين**

---

[1] Ideville, op cite, pp –313,314

[2] الأعراف، الآية28 .

[3] مناصرية، المرجع السابق، ص111.

[4]Depont et Coppolani, op, cite, p 137.

[5] حنيفي هلايلي: المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها 1830 ـ 1962، **المجلة التاريخية المغربية**،العدد 154، 155، السنة 41، فيفيري2014، تونس، ص310.

ضباط متعلمون وان اقتصرنا على أولئك الذين برزوا بفضل منشوراتهم المتعلقة بالعربية فلا بد لنا أن نذكر أرنو(Arnaud) وفيرو ومرسيي بروسلار وروسو وأهمهم بوسيي"[1].

كما تم إعداد مناهج خاصة لتعليم القراءة وتسيير تعليمها للفرنسيين وفي نفس الأثناء تعليم الفرنسية للعرب ومن ذلك عناصر الجملة وترخيمها إلى العربية الدارجة وتمارين في قراءة المخطوطات العربية ودروس في القراءة العربية[2] **Français élément de la phraséologie avec une traduction en arabe vulgaire**

وتم التركيز على التأليف الدراسي خدمة للأوروبيين الراغبين في تعلم اللغة العربية أو الدارجة،فصدرت عدة قواميس في هذا المجال لحاجات الإدارة الاستعمارية حيث نشر سنة 1843م قاموس عربي فرنسي وفرنسي عربي لرولان دي بوسي(**R .D Beaussier**) تحت عنوان**L'Idiome d'Alger** ومعجم باللغة البربرية للمترجم دي لابورت(**De Laporte**) نشرته المجلة الأسيوية سنة1836م والمسمى ب**vocabulaire berbère**، كما أصدر كتاب بعنوان **Principe de l'arabe en usage à Alger**، وقاموس دانينوس الذي وزع على ضباط الجيش الفرنسي وكذلك المعجم الفرنسي- العربي[3].

وللذكر نرجع الاهتمام الفرنسي باللغة العربية في الجزائر لمجموعة من العوامل أهمها إدراكه التام بالعلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة فالثقافة وعاء الهوية وأساس الشخصية الوطنية وتيقنه كذلك بأن فقدان اللغة معناه فقدان الهوية وهو لب القصيد في السياسة الفرنسية، طمس معالم الهوية وعزل الشعب عن مقوماته، أما العامل الثاني فيتمثل في تسهيل التواصل والتعامل مع الأهالي الجزائريين وبالتالي سهولة إخضاعهم والسيطرة عليهم وتدجينهم، فاللغة

---

[1] جمال الدين بابا: الاستشراق الفرنسي والتكلمات اللهجية الجزائرية – قراءة تحليلية، **مجلة الإنسان والمجتمع**، العدد 7،جوان2007، تلمسان، ص192.

[2] معريش، المرجع السابق، ص241.

[3] بابا، المرجع السابق، ص192

العربية تقف حائلا ضد مشاريعها الاستيطانية كما يعد الفضول العلمي والمعرفي أحد أهم العوامل لاعتكاف مستشرقي فرنسا على تعلم اللغة العربية خاصة وتعليمها للمعمرين.

وقد أكد على أهمية اللغة العربية في تثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر المستشرق برينيي في احد دروسه والذي نشر في جريدة le moniteur Algérien قائلا:" **ذلك أننا باجتهادنا في دراسة لغة العرب سنقوى على تقدير شعب درجة أفكاره مطلقة على تقديمه بوصفه متوحشا تماما....فلا يكفي لمعرفة أمة من الأمم العيش في نفس المكان ومشاهدة الأفراد يوميا، يجب إقامة العلاقات الكثيرة والمتواصلة، لابد لنا للصلات المطردة أن تكشف لنا عن قلب الأهالي ولابد في الأخير أن تنبثق من صلب هذه الصلات الثقة المتبادلة، وإذا تحصلنا بفضل هذه الوسائل على معرفة دقيقة بذهنية العربي، فإن هذا الأخير بدوره سيعود نفسه على معرفتنا وتقدير قيمة تجارتنا وصناعتنا، إننا بدراستنا العميقة للغة العربية سنتحاشى ارتكاب الأخطاء الفاحشة المضرة بمكانتنا ومصالحنا على حد سواء، إن هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكننا من التأثير على العرب ذلك التأثير التي زودتنا به حضارة لامعة وإقناعهم بأننا إن كنا نتمتع بالقوة المادية فإننا كذلك نتمتع بمزايا الخبرة والدقة التي تبطل جميع محاولاتهم ضدنا...**"[1].

لقد كلفت وزارة الحرب الفرنسية في شهر جانفي1830م العقيد تونير عضو القيادة العامة بتجهيز مكتب خاص لتنفيذ الحملة وقد عين الضابط فولتر مديرا لهذا المكتب وفي نهاية شهر ماي أنتدب الكونت دي بورمون العقيد تونير(Tonnerre) لكتابة بيان بالعربية موجها إلى الجزائريين[2]،لإتقانه اللغة العربية ومعرفتة المعتبرة عن الجزائر إذ كان على اتصال دائم بالسواح والدبلوماسيين الأجانب والذين يملكون خبرة بالجزائر وزودوه بمعلومات مهمة

[1] محمد يحياتن، المرجع السابق، ص ص36-37.

[2] سعد الله، أبحاث وأراء، ج1، المرجع السابق، ص ص276ـ277.

سهلت عليه دراسته للأرض الجزائرية وشعبها، وبانتهاء تونير من كتابة البيان سلمه إلى أبو المستشرقين سلفستر دي ساسي لصياغته باللهجة العربية الجزائرية[1].

إن المتمعن في البيان يكتشف أن واضعه على علم واسع بأوضاع الجزائر والجزائريين وعلاقتهم بالسلطة العثمانية والتي بدأت تضيق على بعض الطرق الدينية وشيوخ الزوايا مع أوائل القرن19م وتعاملهم معاملة لا تليق بمكانتهم في المجتمع الجزائري.

وفي نفس الوقت واضعه على دراية بمدى تمسك الشعب الجزائري بالدين الإسلامي، ولهذا قام أثناء صياغته للبيان بالربط بين المعاملة العثمانية من جهة واحترام فرنسا للدين الإسلامي،فتحجج أن الجيش الفرنسي جاء لتأديب الداي حسين لأهانته الشرف والعلم الفرنسي لما أشار على القنصل الفرنسي دوفال بمروحته زاعمين قدومهم لتحرير الجزائريين وتخليصهم من الظلم والبطش العثماني المسلط على رقابهم[2].

وبعدها حاول إقناع الجزائريين بأن إرادة الله سبحانه وتعالى هي من أوقعت الداي حسين في هذا الخطأ الذي يستوجب التأديب والعقاب:" **فيا أيها أحباب سكان المغرب إنه عز وجل ما سمح بأن يصدر من باشتكم(كذا) الظالم ما فعله من أعمال الخبث والردى إلا إنعاما منه سبحانه وتعالى عليكم حتى تحصوا بهلاكه وبزوال سلطنته على كل خير ويفرج عنكم ما أنتم فيه من الغم والشدة....بل استيقظوا لكي تتركوا باشتكم هذا وتتبعوا شورنا الذي يؤول إلى خيركم وصلاحكم...**"، وهذا يعكس دراية فرنسا في رأينا بفضل مستشرقيها بالهوة العميقة بين الرعية والسلطة العثمانية في الجزائر فالبيان تكريس لها وسعى لفصل الشعب عن الداي حسين وعزل الرعية عن المقاومة أو أي رد فعل عنيف ورافض للوجود الفرنسي.

---

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص168.

[2] المرجع نفسه، ص169.

وفي الأخير ينذر الجزائريين ويهددهم بالعقاب والويلات التي ستلقى عليهم من عند الله ثم الجيش الفرنسي إذا حاولوا المقاومة لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب المفسدين في الأرض والعابثين بالبلاد والعباد:" **هذا وأما إن كان منكم معاذ الله خلاف ذلك تختاروا محاربتنا ومقاومتنا أعلموا أن كل ما يصيبكم من المكروه والشر وإنما يكون سببه من جهتكم فلا تلوموا إلا أنفسكم فأيقنوا أنه ضد إراداتنا فليكن عندكم محققا أن عساكرنا المنصورة تحيط بكم بأيسر مرام ودون تعب وأن الله يسلطها عليكم فإنه تعالى كما أنه يأمر من يجعل لكم النصر والظفر بالمرحمة والمسامحة على الضعفاء المظلومين فكذلك يحكم بأشد العذاب على المفسدين في الأرض والعابثين على البلاد والعباد فلابد أنكم تعرضتم لنا بالعداوة والشر هلكتم عن آخركم**"[1]، وفي رأينا هذا تثبيط لإرادة الشعب في المقاومة والجهاد ووضع أمام طريقين إما المقاومة والثورة وما ينجر عنها من ويلات من القوة الفرنسية وإما الاقتناع أن الوجود الفرنسي قضاء وقدر، ففي الاقتناع بوجوده رضا بقضاء الله وقدره وفي رفضه ضعف إيمان ومروق عن الدين. أنظر الملحقرقم01.

كما حظيت اللغة العربية الدارجة(العامية) باهتمام المستشرقين ومن أبرزهم ما نشره شاربونو في المجلة الأسيوية وذلك بعد اكتشافهم لسانا دارجا متميزا أكثر استعمالا في الجزائر من العربية الفصحى[2].

وما وجده المستشرقون هو ميل الجزائريين إلى البحث عن ترخيم الصوت أي حذف الصوت أو المقطع الأخير من الكلمة مثل" **نص**" عوض" نصف" و" **مشا**" عوض" **مشي**" أو مضاعفة بعض الحروف من الفعل مثل"**استن**" تشويه للفعل"**استأنى**"[3]، ووضع المستشرق جان

---

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص ص 170 ــ 171.

[2] A Cherbonneau :**lettre à M.défrémery sur le paradigme d'une huitième frome usitée dans l'arabe parle** J .A , tome 19, série 4, 1852, pp 379, 380

[3] ibid.

مارسيل(J Marcel)، المعجم الفرنسي العربي للهجات الدارجة الإفريقية بالجزائر وتونس والمغرب ومصر بعنوانVocabulaire Français-Arabe des dialectes africains d'Alger

وانكب ثلة من المستشرقين الفرنسيين على دراسة الألسن المنتشرة في بلاد المغرب وخاصة اللسان البربري، فتم إعداد قواميس لها كقاموس" **بربر بجاية**" الذي حرص وزير الحرب الفرنسي نفسه على نشره فصدر الجزء الأول منه سنة1844م[1] وعكف المستشرف رينان على نشر الحروف البربرية في مجموعة مقالات بالمجلة الإفريقية، فحاول إحصاء جميع الحروف ومعانيها وأصولها وما يقابلها في اللغة الفرنسية[2]، ونجد كذلك قاموس مارسيل بوسيي(M.Beaussier) سنة1887م والذي جمع فيه مختلف الألفاظ المستعملة في العامية الجزائرية والتونسية والمغربية[3].

كما قام المستشرق دالبارت(Delaporte) بطباعة حجرية لحوارات بربرية مدونة بالخط العربي المغربي، وقاموا بدراسات علمية مستفيضة فاكتشفوا كتابات لوبية كثيرة بتيفاش (tiffech) وحوشير عين الحشمة قرب قالمة، والحروف المتوفرة لدي الطوارق وعلاقتها بالليبية القديمة ولاسيما النصب التذكاري المزدوج اللغة ب"**التوجه**" thugga" ذي الحروف الشبيهة بالحروف التيفيناغي كذلك جمع المفردات البربرية وعباراتها[4].

ونلاحظ اهتمام الاستشراق باللهجات المحلية واللغة العربية العامية وهذا الاهتمام لم يأت اعتباطا بل نتيجة سياسة مدروسة وممنهجة من الاستعمار ومؤسساته وتتجسد في محاولة

---

[1] A. De Bibersteim Kazimirsk : **dictionnaire arabe-Français toutes les racines de la langue arabe** , T1, éditeur G.P Maisonneuve, Paris, p120.

[2] Rinn (L): **essai d'études linguistique et ethnologique sur les origines berbères** , R .A, V 29,30,32, 32,33,1885 ,1886 , 1887,1888, 1889.

[3] لونيسي، المرجع السابق، ص192.

[4] معريش، المرجع السابق، ص310.

تكريس الدارجة على حساب الفصحى، اللغة التي يسعى الاستعمار إلى دحرها من الجزائر وجعلها لغة أجنبية في دارها.

وهو ما أفصح عنه المستشرق جان لويس بريني(J L Bresnier) في محاضرته الافتتاحية لدراسة العربية الدارجة في سبتمبر1936م:" **إن مهمتنا تكمن في إرشادكم إلى كيفية التغلب على الصعوبات وتمكينكم من بلوغ النتائج التي ترمون إليها، ذلك باجتهادنا في دراسة لغة العرب سنقوى على تقديمه بوصفه همجيا تماما...يجب إقامة العلاقات الكثيرة والمتواصلة للكشف عن قلب الأهالي وبفضل هذه الصلات نتوصل إلى معرفة دقيقة لذهنية العربي الذي بدوره سيعود نفسه على معرفتنا وتقدير قيمة تجارتنا وصناعتنا...إنه السبيل الوحيد الذي يمكننا من التأثير على العرب ذلك التأثير الذي زودتنا به حضارتنا اللامعة، سنتمكن من إقناعكم إن كنا نتمتع بالقوة المادية فإننا كذلك نتمتع بالقوة المادية فإننا كذلك نتمتع بمزايا الخبرة والدقة اللتين يبطلان جميع محاولاتهم ضدنا**"[1].

ومع ثمانينات القرن19م شهد الاستشراق انطلاقة حقيقية وفعالة بحيث كان أكثر تنظيما وتخطيطا، بتخريج جيل من المستشرقين الأكاديميين والمحترفين والمكونين في مدرسة الآداب بالجزائر أو المتخرجين من مدرسة اللغات الشرقية بباريس بمساعدة مجموعة من المترجمين والجزائريين خريجي المدارس الفرنسية أمثال بلقاسم بن سديرة، وأهم الأعمال نذكر أعمال المستشرق وليام مارسي الذي اهتم باللغة الأدبية وبلهجات إفريقيا الشمالية فقدم نماذج للتحديات اللسانية حول لهجتي تلمسان وسعيدة **Dialectes de Tlemcen , des ouled Brahim de saida** [2]

وهكذا أحاط المستشرقون الفرنسيون إحاطة شاملة بموضوع الأدب عامة سواء من الناحية الفكرية والنظرية العلمية كما مدوا أنظارهم المليئة بالفضول والانتباه إلى الألسن المحلية

[1] نقلا عن بابا، المرجع السابق، ص193.

[2] المرجع نفسه، ص197.

بحروفها وخطوطها وعلم اللغة والأدب وغيرها، وتوصل المستشرقون إلى نتائج سواء في مجال الحروف العربية والخط والشكل والحركات وعلامات الوقف ونقل أو نسخ الحروف العربية إلى اللاتينية وطباعة الحروف مرورا بالمفردات وسائر الألسن فضلا عن اللغة والنحو والقواميس والبلاغة والشعر والمقامات[1].

03ـ الاستشراق في مجال التاريخ:

أولى الاستشراق الفرنسي اهتماما بالغا بتاريخ المغرب العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص لما يكتسيه الموضوع من أهمية بالنسبة لمخططاتها الاستعمارية والاستيطانية من خلال التعرف على بيئته جغرافيا، اجتماعيا، سياسيا، دينيا واقتصاديا وثقافيا.

قسم الدكتور أبو القاسم سعد الله فترات البحث في تاريخ الجزائر إلى عهدين رئيسيين هما عهد المؤرخين العسكريين وعهد المؤرخين المختصين أو الجامعيين، ففي عهد المؤرخين العسكريين الممتد من سنة1830إلى1880م اهتم بها عسكريون بالمهنة أو تراجمه عسكريون أمثال كاريت وبيلسيي وهانوتو وديلامار فكتب كاريت عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات الاقتصادية بينها وكتب بيلسيي دي رونو كتابه "**أخبار الجزائر**" وجمع دي لامار وثائق عديدة عن الآثار والخطوط[2].

وينسب المستشرقون إلى أنفسهم الفضل في دراسة تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وهو ما أكده المستشرق الفرنسي كلود كاهين:" **إن الاستشراق هو الذي أخذ المبادرة في العصور**

---

[1] معريش، المرجع السابق، ص312.

[2] أبو القاسم سعد الله: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، **مجلة الأصالة**، العدد 15،14،1978، الجزائر، ص ص9،10.

الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص أي العرب المسلمين، وأنه لولاه لكانوا عاجزين على أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم بطريقتهم الخاصة"[1].

واهتم المؤرخون الفرنسيون بتاريخ الجزائر في مراحله الثلاث، فاهتم ثلة من المستشرقون بتاريخ الجزائر القديم مركزون على فترة الاحتلال الروماني، ومجموعة آخرى بالتاريخ الإسلامي بما فيها الفترة العثمانية، أما القسم الثالث فاهتموا بفترة التواجد الفرنسي خلال فترة توسعه في مختلف ربوع الوطن.

فمؤرخو التاريخ القديم اهتموا بالإشادة بالإمبراطورية الرومانية، فأحيوا تراثها بالجزائر بتأسيس الجمعيات للتنقيب عن الآثار الرومانية، ومن أهم الكتابات كتاب ستيفان غزال[2] في 8(ثمانية) أجزاء فخص معظمه لتاريخ الجزائر القديم من سقوط قرطاجة حتى الاحتلال الروماني، فتعرض للإمارات التي تكونت وأهم زعمائها كصفاقس، ماسينيسا ويوغرطا والحروب التي خاضها هؤلاء،كما تعرض للأوضاع الاقتصادية فعرض منتجاتها وصادراتها ومساكنهم[3].

وتعج المجلات بمختلف المقالات التي حرصت كل الحرص على التعريف بالآثار الرومانية بالجزائر ونفض الغبار عنها، طبعا لأغراض استعمارية وهي إثبات تفوق الحضارة الرومانية على الإسلامية من جهة، ومن جهة ثانية تبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومن أمثلتها:

-Berbrugger :Algérie Romain subdivision de Tlemcen, R .A,V1,1856.

-Bertherand :Mosaïque romaine d'Ain Témouchent , R .A,V1,1856

---

[1] نقلا عن يحياوي، المرجع السابق، ص ص116ـ 117.

[2] Stéphane Gasell : **histoire ancienne de l'Afrique du nord**, librairie Hachette et Cie, Paris, 1912

[3] المهدي البوعبدلي: موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور، **مجلة الأصالة**،العدد15،14، 1978،ص 126، 127.

-Berbrugger : les roumains dans le sud de l'Algérie, R .A,V2,1857

-Charbonneau : deux pierres romains du musée de Constantine, R.A, V4,1860.

-Mélis : note sur les vestiges de l'Aqueduc romain venant de Toudja a Bougie, recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine ,1856,

أما القسم الثاني فأخذ المستشرقون بأمر من الإدارة الاستعمارية على جمع الكتب التاريخية منذ نجاح مشروع الاحتلال، فأرسلت الحكومة الفرنسية سنة1845م المستشرق دي سلان،إلى القسطنطينية للاستكشاف والتحري في مكتباتها بحثا عن كتب التاريخ لشرائها أو نسخها من مكتبات المساجد والبحث عن المخطوطات العربية غير الموجودة في المكتبة الملكية بباريس، وأثناء رحلته هذه عرج على مدينة الجزائر فأطلع في مكتبتها البلدية على نحو700مخطوط عربي من ضمنها تاريخ الطبري(الحوليات) المتضمن تاريخ الدولة العباسية من بداية الخلافة إلى الخليفة هارون الرشيد[1].

وزار خلال رحلته أيضا مكتبة حمودة في قسنطينة والمحتوية على3000مجلد وزار مكتبة بشترزي بنفس المدينة وما لاحظه هو ندرة الكتب التاريخية مقارنة بالكتب الدينية من كتب العقيدة والفقه والحديث والتفسير والتصوف[2]، ثم ثانية مكتبة الجزائر سنة1847م بحث خلالها وتفحص 650 مخطوط عربي جمعت بعناية بيربروجر(Berbrugger)، أرسل خلالها تقريره إلى وزير التعليم العمومي مرفقا بفهرس لأهم المخطوطات العربية بمكتبة مدينة الجزائر[3].أنظر الملحق رقم05.

فقد انكب المستشرقون على البحث في أصول العناصر البربرية الأولى وإرجاع أصولهم إلى جنوب غرب آسيا على الأرجح فحاول توسي(Tauxier) انطلاقا من دراسته لنزوح الأمم

---

[1] معريش، المرجع السابق، ص323.

[2] المرجع نفسه، ص324.

[3] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ــ ص303- ــ309.

البربرية قبل الإسلام وتناول(Aucapitaine) نفس الموضوع مع تركيزه على منطقة القبائل مسجلا المعلومات النادرة عن نوميديا خلال القرن الأول قبل الميلاد حيث كان أهلها بدوا رحلا ورعاة وفي عهد الملك ماسينيسا الذي ربط بين السكان بالأرض وقام أوكابيتان بمسح شامل خلال العهد الروماني والوندالي والبيزنطي والإسلامي حتى الوجود العثماني[1].

اعتمد هذا الأخير في دراسته على مجموعة من المصادر مثلTite live 59 وابن خلدون والروايات الشفهية المنتشرة في منطقة القبائل، وتبنى فيما يتعلق بأصول البربر كلام ابن خلدون الذي قسمهم إلى كتاميين(زواوة) منحدرين من مضر والمنتشرين في المنحدر الشمالي لجبال جرجرة وصنهاجيين(مليكش والتوارق) منحدرين من برنس بن بر والمنتشرين في المنحدر الجنوبي وجنوب الصحراء[2].

ونجد كذلك دراسة تاريخية للمهندس والضابط في الجيش الفرنسي هنري فورنال(Henri Fournel) حول البربر، فقد لفت في دراسته على ضرورة دمج وتقريب العنصر البربري من المجتمع الفرنسي لما يحمله من طباع ايجابية من خلال عمله داخل الحقول والورشات عكس العرب المعروفين بالخمول واللاجدية، فقد ركز الاستشراق الفرنسي على خلق هوة بين العرب والبربر، العرب الذين اغتصبوا أرضهم والتي لن يسترجعوها إلا في ظل الوجود الفرنسي وبالتالي العودة إلى فلك الحضارة الغربية[3] فنؤكد أن الاستعمار هو من خلق هذه الهوة وزرع الفتنة والنعرات بين أبناء الوطن الواحدة خدمة لمصالح بلده في مشروعها الاستيطاني وتشتت روح المقاومة في ظل الوطن الواحد.

---

[1] M. le Baron Henri Aucapitaine :**étude sur l'origine et l'historique des tribus berbères de la haut Kabylie,** J.A,5emme série, T14,1859,pp273 -278

[2] معريش، المرجع السابق، ص358، 359.

[3] كريم بوترعة، المرجع السابق، ص355

وأولى المستشرقون الفرنسيون اهتماما خاصا بالتاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية بالجزائر بالرغم من أن مصادرهم شحيحة عن بداية الفتح الإسلامي لاسيما بعد احتلال فرنسا للجزائر إلا بعد الحصول على مجموعة من المخطوطات المنشورة في بداية الأربعينيات يأتي في مقدمتها ما نشره دي سلان في المجلة الأسيوية عن تاريخ إقليم افريقية والمغرب لأحمد بن عبد الوهاب القريشي البكري القاهري المعروف بالنويري(1278ـ 1337م)[1].

تتبع الكتاب فتوح المسلمين الأولى لافريقية والمغرب وكذلك الفاتحين فولاة المنطقة إلى عهد موسى بن النصير سنة708م ثم فتح الأندلس ثم تتبع ولاية المغرب تحت سلطة العباسيين ووصل بالأحداث حتى سنة800م وقد نص المترجم دي سلان على أن النويري اعتمد في تاريخه على البلاذري في فتوح البلدان وابن الأثير في الكامل في التاريخ وابن الشداد صاحب كتاب الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان وابن الرفيق القيرواني في كتابه تاريخ افريقية والقيروان[2].

إن انكباب المستشرقين في رأينا على دراسة فترة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب مرده إلى محاولة الإلمام بالفترة الذهبية للتاريخ الإسلامي بمعرفة عوامل قوة المسلمين بهذه الفترة والتي ساهمت في توسعات المسلمين والتي وصلت حتى الأندلس ومنحتهم الحضوة والمنعة ردحا من الزمن، ثم الاستفادة منها ولاسيما أمام رغبة فرنسا في تكوين إمبراطورية تصل مشارق الأرض ومغاربها.

كما كلف دي سلان ثانية من الحكومة الفرنسية ومن وزير الحرب سنة1842م حيث كان النص العربي لتاريخ البربر لابن خلدون تحت الطبع والترجمة جارية ورخص وزير الحرب لدي سلان بإضافة بعض الفصول المتعلقة بوقائع إقليم المغرب الأوسط للقرون الثلاثة الأولى

[1] معريش، المرجع السابق، ص342.

[2] المرجع نفسه، ص ص342 .343.

بعد الفتح الإسلامي فاستخلص جملة من المقاطع من كتب النويري وابن الأثير وآخرين[1]،ونشر حياة ابن خلدون من رحلة ابن خلدون والمعروفة بالتعريف بابن خلدون عام1844[2].

بدأت أجزاء الكتاب تصدر تباعا في نصها العربي عام1851م فصدر الجزء الثاني متناولا التاريخ قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والذي كان(Arrt) قد شرع في طبعه وترجمته ثم الجزء الثالث المتضمن تاريخ الإمارات الإسلامية الكبرى وكذلك القسم الرابع الطبع عالج فيه ابن خلدون الدويلات الشرقية الصغرى والملوك العرب باسبانيا ولم يكن أحد حتى سنة1851م قد اهتم في أوروبا بهذا القسم الأخير أما الجزء الخامس والأخير فيحتوي على تاريخ العرب بدءا منذ الأزمنة القديمة حتى هجرتهم إلى شمال إفريقيا وكذلك الدويلات العربية والبربرية لبلاد المغرب[3].

لقد عرف دي سلان أوروبا وفرنسا بأهمية كتاب ابن خلدون، فلولاه لما تمكنت المدرسة الفرنسية والغربية من معرفة وكتابة تاريخ المنطقة الذي كان مجهولا ردحا من الزمن،إضافة إلى استغلال فرنسا فقرات من الكتاب لاسيما في مرحلة الفتح والهجرة الهلالية لخدمة مشروعها في تقديم صورة مشوهة عن العرب بوصفهم شعب غير متحضر ليس له قوانين تضبطه وتساعده على التحضر بدليل إشراف وزارة الحربية عليه[4].

أما ترجمة دي سلان لتاريخ البربر فقد ظهر الجزء الأول منها سنة1852م بمدينة الجزائر أنهاها بملحق يتضمن نصوصا تتعلق بالفتوحات الإسلامية مستقاة من تاريخ مصر لابن

---

[1] De Salan :**histoire de la province d'Afrique**, JA,3eme série, T13,1842,p64.

[2] De Salan ,**Autobiographie d'Iben Khaldoun**, J.A, 4eme série, T 13,1842,p64.

[3] معريش، المرجع السابق، ص347 ـ

[4] بوترعة، المرجع السابق، ص340

الحكم وكتاب النويري الكبير[1] وظهر الجزء الثاني سنة1855م وهكذا إلى أنهاها سنة1869م وقد أعقب هذه الترجمة ترجمة وتعاليق لمقدمة ابن خلدون ظهر الجزء الأول منها سنة 1863م بباريس ثم الجزء الثاني والثالث والأخير سنة1865م[2].

ونشر المستشرق ألفرد بال كتاب:" **بغية الرواد**" لزكريا بن يحي[3]، وهو كتاب خاص بتاريخ بني عبد الواد، يصف الأحداث المتعلقة بهذه العائلة، إذ يعود الفضل إليه في فتح المجال للمؤرخين والباحثين بعده في الاطلاع على الحياة الفكرية في المغرب خلال القرن14م ولاسيما في المجال الديني[4].

ورغم بحث الفرنسيون عن المصادر الأهلية فإنهم غلب عليهم التشكيك والحط من قيمتها واتهموهما بالمبالغة والتزييف والمغالطات، ومنهم ستيفان غزال حيث أكد أن العهد الإسلامي من الفتح العربي حتى سنة1500م أن الباحث" **يدخل في ظلام دامس لعدم وجود الوثائق الصحيحة والمعاصرة، ولا يجد سوى بعث الحوادث المتأخرة وغير المنقودة وبعض التسجيلات للأحداث لكنها تسجيلات مرتبطة بالنظم العسكرية وغير نزيهة**"[5].

ولم يغفل المستشرقون الفرنسيون دراسة تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية غير أن المادة التاريخية التي استعملوها أغلبها مصادر وأرشيفات أوروبية، والتي تتألف أغلبها من مذكرات الرحالة ومراسلات القناصل وحكايات المسافرين وتقارير البحارة وانطباعات

---

[1] Mac.Guckin De Slane : **description de l'Afrique septentrionale per El Bekri**, imprimerie impériale , Paris, 1852 ,PP1-3

[2] معريش، المرجع السابق، ص347.

[3] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد للشيخ الفقيه ابن زكريا يحي بن أبي بكر محمد بن محمدين محمد بن الحسن ابن خلدون.(للمزيد أنظر ابن زكريا يحي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، م1، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر 1903).

[4] يحياوي، المرجع السابق، ص ص116ـ117

[5] سعد الله، منهج الفرنسيين، المرجع السابق، ص15.

الرهبان والجواسيس، كما استمدت من الرحالين الأوروبيين أمثال لوجي دي تاسي وبيصونال وديفنتان وبواري دو برادي وشو واصفين إياهم بالبرابرة والقراصنة[1].

والجدير بالذكر أن المستشرقون الفرنسيون أمثال غوتيه وبوسكي وبرنارد أطلقوا على النفوذ الروحي للخلافة الإسلامية في الجزائر ب" **الاستعمار التركي**" وأن النظام الاستعماري الذي طبقه العثمانيين لم يسمح للجزائر بالتقدم نحو الوحدة.

فالنظام الاستعماري العثماني وتسلطه جعل الجزائريين يبعثون برسالة إلى ملك فرنسا هنري الثاني يطلبون الانضواء تحت لوائه سنة1572م، ونشره بيربروجر في المجلة الإفريقية بعنوان:"**les Algérien Demandent un roi Français en 1572**"[2] وضع الدكتور(**Wormas**) علمه لخدمة الإدارة الاستعمارية ببحث معمق في إشكالية فهم الملكية في الجزائر[3] سعى من خلال هذه الدراسة إلى تذليل الصعاب أمام السلطات الاستعمارية ليسهل عليها مصادرة الأرض والاستحواذ عليها.

وترجم شاربونو وعلق على مقتطف من حولية الحاج حمودة بن عبد العزيز(القرن18) غزوة مراد باي الموجهة ضد قسنطينة ومدينة الجزائر سنة1700م[4] كما ترجم دي سلان كتاب تاريخ الجزائر والمغرب لصاحبه النويري[5].

كما نشر المستشرق أرنود كتاب:"**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**" للشيخ أبو راس الناصري الجزائري[1] وهو كتاب تاريخي نفيس وقيم عرف فيه صاحبه بقيمة التاريخ وأبرز

---

[1] سعد الله، منهج الفرنسيين، المرجع السابق، ص50.

[2] A. Berbrugger: **les Algérien demandent un roi Français en 1572**, R A , V5,1861, p-p 1-13

[3] M. Worms: **sur la constitution de la propriété territoriale dans les pays musulmans et subsidiairement en Algérie** , A. Franck libraire éditeur , Paris, 1846,pp1,3.

[4] معريش، المرجع السابق، ص353.

[5] M le Baron Mac Gucscin De Slan: **histoire de la province d'Afrique et de Maghreb , traduite de l'arabe d'en Noweiri** , J A, 3 série, t 13, 1842, p p ,49 – 64.

مدونيه عبر مختلف السنيين واصفا فيه المصائب والأهوال التي عرفتها وهران وكفاح باياتها المستميت ضد الاسبان، كما مدح باي وهران محمد الكبير صاحب الفضل في إحراز النصر على الاسبان واستعادة المدينة سنة1732م، كما عرج على أخبار بلاد السودان وعادات التوارق والصحراء وتحدث عن ملوك الثعالبة وتاريخ تلمسان[2].

ومن خلال دراستنا نرى أن الكتاب يحمل استماتة الجزائريين لاستعادة وهران من الاحتلال الاسباني فالدراسة تسعى إلى إبراز نماذج لجهاد الشعب الجزائري من مختلف الغزوات والهجمات التي لاقاها عبر تاريخه الطويل وبالتالي السعي لإفشال كل محاولة جزائرية تسعى إلى الحرية ومن جهة أخرى معرفة خبايا الصحراء الجزائرية والقبائل القاطنة بها بعاداتهم وتقاليدهم لاسيما الطوارق والتي بقيت غامضة وغير معروفة للفرنسيين سنوات عديدة لاسيما أمام رغبتها في التوغل في أعماق الصحراء الجزائرية.

إن هذه الترجمات لم تأت اعتباطا أو حبا في الدراسات الإسلامية بل لأهداف استعمارية محضة بل وبإيعاز من منظري الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فنجد مثلا أن المستشرق الفرنسي جريجريوس(gorguos) ترجم" **رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري**" لمؤلفها ابن هطال التلمساني، ترجمها ونشرت في المجلة الإفريقية في أعداد من سنة1856 إلى1859م بطلب من الماريشال راندون[3].

---

[1] محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الراشدي العسكري(1737-1824)، يتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم جميعا، عالم وفقية ومؤرخ جزائري،له إسهامات معتبرة في علوم الحديث والقرآن، وله عدة مؤلفات.(للمزيد أنظر محمد أبو راس بن أحمد بن الناصر المعسكري: **الإصابة في من غزا المغرب من الصحابة**، تح: أحمد الطويلي،دط، المطبعة العصرية، تونس، 2010، ص ص11 ،12).

[2]Arnaud :**voyages extraordinaires et nouvelles agréable par Mohammed Abou Ras Ben Ahmed abd El Kader En Nasri**, histoire de l'Afrique septentrional, R A, V22,1878 , p-p 434-443.

[3] بن عتو بلبراوت: اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد4،3، 2012 جامعة الجيلالي اليابس، ص ص115 ،116.

وما تجدر الإشارة إليه أن هيئة التحرير في المجلة الإفريقية أضافت بعض التعليقات التي أغفلها جريجريوس، علما أن هذه الترجمة ككل جاءت بهدف إعلام رواد الحضارة والحرية،وهدفها تبرير وتغطية مجزرة الماريشال راندون في حق سكان مدينة الأغواط بالتخفي وراء النشاطات العسكرية للباي محمد الكبير كأمير مسلم كردي الأصل تابع للدولة العثمانية الذي هدم مدينة الأغواط لما رفض سكانها الاستسلام والانصياع وأعلنوا المقاومة والعصيان[1].

أما في الفترة الاستعمارية فنجد انشغال المستشرقون الفرنسيون بدراسة المقاومات والانتفاضات الشعبية على الإدارة الاستعمارية لسببين هامين أولا لمحاولة فهمها وتحليل أسباب وظروف اندلاعها والبحث في قادتها وزعمائها ثم السعي لإيجاد الحلول الكفيلة بإخمادها والقضاء عليها، وثانيا دونت المعارك بين جيش المقاومة والجيش الفرنسي لتخليد المجد والانتصارات الفرنسية عليها من جهة وترسيخ منطق الهمجية والبربرية لدى الجزائريين.

والجدير بالذكر أن جرد الكتابات الفرنسية عن المقاومات الشعبية لا يسعنا في هذا المقام،لذلك سنتناول نماذج على سبيل المثال لا للحصر:

فقد تناولت المجلة الإفريقية مختلف الانتفاضات التي عرفتها الجزائر منها ثورة الشريف بوبغلة لروبان، عالج في مقاله أسباب المقاومة وإطارها الجغرافي وعرف بزعيمها معترفا بقوة الثورة وصلابة زعيمها واستعصائها على فرنسا واضطرارها إلى تكثيف قوتها العسكرية[2]، ومقاومة أحمد باي لوتبلاد، عرف خلالها بالمنطقة جغرافيا وتاريخيا، كما عرف بأحمد باي كزعيم للمقاومة، مؤكدا على شجاعة سكان قسنطينة واستبسالهم في الدفاع عن

[1] بلبراوت، المرجع السابق، ص116.

[2] N.Robin : **histoire de chérif Bou Barla**(1851-1855), R .A ,t25(,1881,p442), T26(1882,474), T27(1883,p416), T28(1884,p172).

مدينتهم[1]، ثم درس شارل فيرو نفس الزعيم بعد انهزامه في قسنطينة ولجوءه إلى القبائل في الجنوب ودعوتهم للالتفاف حوله ومواصلة مسيرة المقاومة ثم استسلامه بعد الفشل في المهمة[2].

وكتب الضابط الفرنسي هيربون عن مقاومة الزعاطشة فعرف بزعيمها الشريف بوزيان وأهم الأسباب المحرضة على الثورة والمقاومة وأهم أحداثها، ثم أطنب في السياسة والخطط التي اتبعها ثم مجيء المساعدات العسكرية من قسنطينة وبوسعادة وسكيكدة للقضاء على المقاومة ثم قتله بوحشية زعيم المقاومة وسكان الواحة [3].

احتلت مقاومة الأمير عبد القادر حيزا معتبرا في الكتابات الفرنسية، والظاهر لنا أن الأمر عائد لمجموعة من الأسباب منها قوة الأمير عبد القادر فقد مثلت مقاومته درعا منيعا وقف أمام التوغل الفرنسي في الغرب الجزائري والجنوب الغربي ما أجبرهم على التقرب عن كثب من زعيمها لمعرفة طباعه وإدراك شخصيته ثم إيجاد السبل الكفيلة للقضاء عليه.

وبناء على ما سلف تعددت الكتابات الفرنسية عن الأمير عبد القادر ومقاومته طيلة خمسة عشر سنة(15)، ومن أهمها كتابات ليون روش فقد وصف الأمير عبد القادر في إحدى رسائله وصفا دقيقا في مناقبه ولباسه وأوصافه الجسمية والخلقية، فأكد على حلمه عدله واحترامه للأديان ورجاحة رأيه[4]. أنظر الملحق رقم02

---

[1] E.Watbled : **Cirta .Constantine, escpédition et prise de Constantine1836-1870**, R.A, N83,1870,pp401-413.

[2] Ch. Féraud : **notes historique sur la Provence de Constantine, les Ben Djellab sultans de Touggourt** , R.A ,1882,P361.

[3] M le général Herbillon : **relation du siège de Zaatcha**,J Dumaine libertaire éditeur de l'empereur, Paris,1863.

[4] Léon Roche : **dix ans à travers l'islam 1834-1844**, nouvelle édition, libertaire académique éditeur, Paris, 1904, pp65,66.

كما خص الكابيتان بيشون كتابا كاملا للأمير عبد القادر طيلة مسار حياته وأهم معاركه كمعركة ايسلي والمقطع، ومختلف المعاهدات التي عقدها مع فرنسا كمعاهدة التافنة[1]، ونجد كذلك دراسة Ballesteros [2]

إلا أننا يمكن أن نعتبر أهم دراسة تناولت الأمير عبد القادر ومقاومته هي للجنرال ديماس،حيث أرخ هذا الأخير لفترة هامة من حياة الأمير عبد القادر إذ كان قنصلا على مدينة معسكر أين كان الأمير مقيما بعد معاهدة التافنة، وتقرب ديماس أكثر من الأمير بعد تسليم هذا الأخير نفسه وأصبح ديماس مسؤولا عن أمنه أثناء فترة أسره[3].

ففي الأخير نجد حرص الكتاب الفرنسيون على إبعاد البعد الوطني عن المقاومة الجزائرية ورجالها وقادتها وربطوها بضيق الأفق والتعصب الديني وعملوا على ربطها بالأسباب الاقتصادية الصرفة، فأكدوا أن الفقر والجوع والخصاصة من أسباب ثوراتهم، أما عندما تتحسن أوضاعهم الاقتصادية فيميلون إلى الهدوء. ولتقليل من شأنها ادعوا أنها ليست وطنية كونها اندلعت بتحريض ودعم قوى خارجية، فاتهموا المقراني والحداد بعمالتهم للألمان والعثمانيين،واتهموا الشريف بوشوشة وبن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله بعمالتهم للسنوسيين[4].

كما أن معظم الكتابات الفرنسية أكدت على تعاقب المحتلين على الجزائر ومنهم لاميل فليكس غوتي، الذي أكد أن سكان المغرب(أي العنصر البربري) لم يسير أموره بنفسه، بل

---

[1] Capitaine J.Pichon :**Abd el Kader, sa jeunesse son role politique et religieux son role militaire ,sa captivité, sa mort(1807-1883)**,Henri Charles-lavauzelle, Paris, pp5,6.

[2] Luis Ballesteros :**l'Emir abd el Kader et l'Algérie, retaux frères libraires éditeur, Paris, 1865. causeries Populaires l'Emir Abd el Kader**, chez les libraires, Paris, 1866.

[3] بعلي، المرجع السابق، ص66.

[4] عبد القادر نايلي: التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية –المجلة الإفريقية نموذجا– **مجلة دراسات وأبحاث**، المجلد 3،العدد3، مارس2011، ص60.

نجد سلسلة متصلة الحلقات لاحتلال الأجانب لهذه البلاد، فالفرنسيون خلفوا الأتراك والذين خلفوا العرب وبدورهم خلفوا البيزنطيين والدين خلفوا الوندال والذين خلفوا الرومان والذين خلفوا القرطاجيين[1].

وأكد هؤلاء أن المحتلين بمختلف أجناسهم وأزمنتهم تصرفوا بكامل الحرية في شؤون البلاد،حتى يأتي محتل أخرى ويحل محلهم، وسكان البلاد الأصليين لم يتوصلوا يوما من الأيام إلى طرد مستعمريهم ثم يقول:" **ومع هذا نجد هؤلاء الراضين باستعمار بلادهم من دون أن يحركوا ساكنا ليسوا من الأجناس الهادئة فإنهم رجال حروب ولهم قادة وأبطال من عهد حنبعل إلى عهد الأمير عبد القادر**"[2]

وحظيت المدن الجزائرية بالاهتمام والدراسة فقام المستشرق فيرو(**Féraud**) بجملة من الأبحاث حول المدن الجزائرية منها تاريخ إقليم قسنطينة بموقعه الجغرافي وأهم مدنه كسطيف وبجاية[3]، ونشر أيضا كتاب"**الأخبار فيما مر على بجاية**" لإبراهيم المريني البجائي،والذي يعد كتابا قيما لما احتواه من أخبار عن مدينة بجاية التي عدت على جانب تلمسان حاضرة للعلم والعلماء في العهد الإسلامي والتواجد العثماني، فقد تناول فيه المريني تاريخ بجاية في العهد الإسلامي والاسباني واستيلاء العثمانيين عليها في عهد صالح رايس سنة992م ووضعه أحولها الاجتماعية والسياسية كما عرج على مدينة قسنطينة بالوصف[4].

وقدم(**Dopigez**) دراسة دقيقة عن مدينة الجزائر بمداخلها ومخارجها وأبوابها كباب عزون وباب الواد وحتى أوديتها كوادي الحراش وقدم عادات سكانها وأعدادهم وتقيم ملخص

---

[1] البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص129، 130.

[2] المرجع نفسه.

[3] Charles Féraud: **Ferdjioua et Zouar ·a , notes histoires sur la province de Constantine**, R A, V22, 1878, p p,5 -81.

[4]Charles Féraud: **conquêt de Bougie par les Espagnols d'après un manuxrit arabe**, R A, V12, 1868 ,p p,245 -256

تاريخي للمدينة[1]، ونجد الجنرال بليسييه خصص جزء من دراسته لمدينة الجزائر بعد الاحتلال مباشرة واصفا موقعها الجغرافي ومختلف الفئات القاطنة بها وأحوزازها كبئر خادم وبني مسوس،مع الإشارة أن دراسته غلب عليه طابع التجريح للمدينة وسكانها فتحدث عن بنياتها الفوضوية والمثيرة للاشمئزاز ومياهها القذرة-على قوله-[2] أما الجنرال ديماس فقدم دراسة دقيقة عن مدن الغرب الجزائري كتلمسان ومعسكر ووهران فوضح مواقعها وأحوازها وعرج على أخلاق سكانها ولغتهم، بل أردف دراسته بمخططات لعدة مدن كتاقدامت وعين ماضي[3] ولخص ميزولت تاريخ مدينة بجاية[4].

ومرد العناية بتاريخ المدن حسب رأينا هو الوقوف على مواقعها وأثارها ومداخلها ومخارجها والشعوب المتعاقبة عليها وحتى عقليات سكانها وعاداتهم وتقاليدهم، فمثلت دراسته طريقا لهم ولمن بعدهم للتوسع والسيطرة، وبناء على هذه الدراسات يبني الاستعمار خططه التوسعية على حساب هذه المدن وسياسته القائمة على النهب والتهجير والاستيطان.

أما فيما يخص السير والتراجم فقد حظيت هي الأخرى باهتمام فئة معتبرة من المستشرقين فقد اقتطع المستشرق شاربونو مقتطفات من كتاب عنوان" **الدراية في علماء بجاية**" لأبي العباس أحمد بن عمر الجبائي الغبريني من بني غبرى بالقبائل وهو كتاب قيم في دراسة الآداب المغربية، حيث يزخر القرن13م بعلماء مشهورين وكان من ضمن المصادر كتاب

---

[1] M.Dopigez : **Souvenir de l'Algérie et de la France méridional**, V.ADAM imprimeur-éditeur, Doui,1840 ,p-p ,193-198.

[2] E.Pellissier De Reyaud : **Annales Algériennes**, T1, J.Dumaine libraire éditeur de l'emperur, Paris, 1854, pp, 1,2.

[3] George Yver : **correspondance du capitaine Dumas, consul à Mascara(1837-1839)**, Typographie Adolphe Jourdan, Algérie, 1912, pp,5,6 .

[4] Masselot : **résumé historique su Bougie**, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine ,1865,pp184-189.

ابن خلدون في تاريخ البربر والتي اعتمد خلالها شاربونو على نسخة وحيدة[1]، حيث أعطى فيه نبذة سريعة عن سير أهم العلماء كالشيخ أبي مدين شعيب دفين تلمسان والشيخ أبي على حسن بن علي بن محمد المسيلي والشيخ أبي حامد عبد الحق الأشبيلي ثم عرض سيرة104 عالم خارج القرن7هـ فسيرة أساتذة وشيوخ الغبريني نفسه وأخيرا قائمة موجزة لسير علماء بجاية[2]، ونشر أيضا دوغات ترجمة لأشهر علماء تلمسان خلال القرن15م وهو أحمد بن محمد بن المقري وأشهر مؤلفاته" **نفح الطيب بتاريخ الأندلس الرطيب**" إذ يعد من أهم مؤلفاته فهو مصدر هام حول تاريخ الأندلس[3] وقام(**Barger**) بترجمة كتاب "تاريخ ملوك تلمسان" للإمام سيدي عبد الله بن عبد الجليل التنسي[4].

لقي البحث الأثري هو الأخر اهتمام المستشرقين الفرنسيين، وان جاء صدفة أولا وبشكل عرضي بالمخططات الاستكشافية والإنمائية التي شرعت فيها السلطات الاستعمارية في انجازها لصالح رعاياها وهذا بشق الطرق المعبدة وإنشاء السكك الحديدية قصد تأسيس شبكة من الطرقات لتسهيل عملية التنقل السريع والتوغل في أعماق الجزائر بهدف إرساء نفوذها وقمع الثورات الشعبية[5].

فكانت تبعث الوحدات الاستكشافية العسكرية والبعثات إلى مواقع كثيرة قصد دراستها والتعرف عليها من مختلف جوانبها وما تحتوي عليه من خيرات طبيعية ومعادن نفيسة

---

[1] معريش، المرجع السابق، ص340،341.

[2] المرجع نفسه.

[3] G .Dogat : **sidi Ahmed Ben Mohamed Ben Mokkri** , R A, v 5, 1861, p 422, 423.

[4] J .Barger: **histoire des Beni Zeiyan, rois de** Tlemcen , **par l'Imam Cidi Abou Abdullah Moh'ammed Iben el Djelyl et Tenessy**,Benjamine Dupart libraries , Paris, 1852.

[5] عبد العزيز بن الأحرش: بداية البحث الأثري في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية(نظرة تقيمية فترة ما قبل التاريخ نموذجا)، **مجلة أثار**، العدد5، الجزائر، 1999، ص76

مصطحبة معها بعض الرحالة والمغامرين إلى جانب بعض الجيولوجيين والجغرافيين ومن هنا بدأت المعلومات الأولى عن بعض الاكتشافات الأثرية تبرز[1]. أنظر الملحق رقم12.

تمت مهمة الكشف عن الآثار من خلال الجرد المنتظم والاستعانة بضباط الجيش والمختصين في المسح الطبوغرافي فدونوا كل ما وجدوه من آثار أثناء قيامهم بأعمال المسح التي شملت الجزائر فشكلت تلك المسوحات رصيدا أو وثائقيا مرجعيا بالنسبة للباحثين الأثريين[2].

فمن بين المواقع الأثرية التي ساهمت في الكشف عن العديد من المكتشفات الأثرية التي ترجع إلى ما قبل التاريخ في مدينة وهران وضواحيها نذكر مغارة سكان الكهوف التي تم تنقيبها سنة1881م من طرف الباحثين بالاري وتومازيني، كما قام الباحثين دومرق وبالاري بالتنقيب في مغارة ميدان التمرد في الفترة الممتدة من سنة1889 إلى غاية سنة1891م وتم الكشف عن ثلاث طبقات جيولوجية كما قاما بالتنقيب في مغارة الثكنة من سنة1892م إلى غاية1893م واستخرجت منها العديد من المكتشفات الأثرية كالعظام البشرية وبقايا الفقرات والرخويات إلى جانب الأدوات العظمية والحجرية وفي مغارة الغاية تم اكتشاف بقايا بشرية وحيوانية وأحجار منحوتة[3].

وفي تيارت اكتشف المعلم الأثري مدغاسن بجدار من طرف الرقيب الفرنسي هنري برنار برفقة الجنرال لامرسيار وتذكر الباحثة الجزائرية فاطمة قدارية أن أول من تمكن من دراستها من الداخل هو بوردي في نوفمبر1865م وقدم عنها وصفا معماريا كاملا[4]

---

[1] بن الأحرش، المرجع السابق، ص76.

[2] خديجة منصوري: البحث الأثري في الجزائر أثناء الاحتلال، مجلة أثار، العدد 5، الجزائر، 1999، ص25.

[1] المرجع نفسه.

[4] بوزيان، المرجع السابق، ص100 .

كما كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء مع مطلع الخمسينات من القرن19م ظاهريا لخدمة المعرفة العلمية وباطنها التجسس كي يتحقق لفرنسا ما كانت تحلم به وهو ربط مستعمراتها في وسط إفريقيا وغربها بمستعمراتها في الشمال الإفريقي، فكللت جهودهم بالعثور على بقايا أثرية تعود للعصر الحجري القديم ب"**موقع شتيمة**" شرق بسكرة والدي اكتشف صدفة أثناء سقاية الواحة مما أدى إلى اكتشاف مستحثات حيوانية وحجارة مصقولة[1]،وتمكن الرحالة دوفيريري(Duveryrier) من جمع كميات كبيرة من الأدوات الحجرية في الصحراء بالقرب من حوض تيحوضين القريب من مرتفعات الهقار سنة 1861م[2].

وفي المقابل لم تلق المعالم الإسلامية اهتماما من طرف الفرنسيين على عكس المعالم الرومانية ما جعلها عرضة للإهمال والاندثار فستيفان غزال استقصى عن مدينة بوماريا الرومانية بتلمسان التي لم يبق من أثارها سوى القليل وتتبع كل ما قد يرد من أخبار عن هذه المستعمرة، وما يذكر بمجتمعها المسيحي آنذاك(شقق الفخار وما تحت مآذن المساجد من حجارة رومانية ونصوص أدبية قديمة وكتب رحالة)، أما مدينة المنصورة الجاثية على أبواب تلمسان الغربية فحصها بثلاث سطور ذكر فيها أداة بحرية تعود لما قبل التاريخ[3].

وارتبط بالبحث الأثري أسماء وشخصيات تركت بصماتها في هذا المجال بعضها عسكرية أمثال كرولي(Creully) وباين(O. Payen) وديماط(Demaeght) وأخرى مدنية كالجغرافي ماك كارتي(Carthy .O.Mac) الذي اختاره الإمبراطور نابليون الثالث سنة1865م للتنقيب بقبر الرومية والمهندس المعماري رافوزيه الذي تجول في إقليم قسنطينة طوال أربع سنوات (1840- 1844)اهتم خلالها بوضع مخططات المدن القديمة ورسم المعالم الأثرية التي

---

[1] بوزيان، المرجع السابق، ص101

[2] الأحرش، المرجع السابق، ص76.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 101، 102.

شاهدها كالكنائس والمعابد والفسيفساء والمنحوتات، وكذلك المهندس المعماري بالي الذي قضى فترة طويلة ينقب بالمدن القديمة لاسيما بتمقاد والباحث الأثري ستيفان غزيل الذي شارك في العديد من الحفريات سجل خلالها كل ما شاهده ورسم مخططات المباني القديمة فضلا عن الخرائط التي تضمنها الأطلس الأثري ولا ننسى أولئك الذين جابوا المدن والأرياف الجزائرية سعيا وراء اكتشاف المعالم الأثرية حتى يتسنى لهم ترميمها وصيانتها أمثال برادير(Baradez) وليشي(Lechi) ولاسوس(Lassus)[1].

والحق أن الكتابات والدراسات الأوروبية عن تاريخ الجزائر أتت ثمارها بإحياء العديد من الكتابات والمخطوطات وحفظها من التلف إلا أن ذنبهم الذي لم يشفع لهم وقضى على جهودهم هو تفسيرهم للأحداث تفسيرا استعماريا بحتا وتوظيفهم للتاريخ في خدمة مصالحهم العليا والدنيا وفسروا الأحداث تفسيرا سطحيا ومتحيزا، ولهذا السبب ومثله حتى رفضت بعض كتاباتهم رفضا مطلقا وأصبحت بحاجة إلى إعادة النظر.

04ـ الاستشراق في مجال الفن:

دعمت الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر بمجموعة من الفنانين الرسامين لنقل المعارك الدائرة رحاها في نقطة النزول بسيدي فرج للجيش الفرنسي ومدن أخرى أثناء التوغل في أعماق الجزائر[2].

والمؤكد أن المغزى من رسم هذه اللوحات هو تمجيد الحملة الفرنسية على الجزائر من جهة ومن جهة أخرى نقل صورة ايجابية عن الجيش الفرنسي المنتصر في أرض الميدان والتأريخ للإنجاز العظيم الذي انتظرته فرنسا وأبنائها ردحا من الزمن، فكان رسم هذه اللوحات تخليد لهذا الانتصار، ومن جهة ثالثة لتسويق أفكارها ونواياها لإقناع الرأي العام

[1] منصوري، المرجع السابق، ص29.

[2] شاعو، المرجع السابق، ص100.

الجزائري من خلال نشر المفاهيم والأفكار والصور التي تظهر الجيش الفرنسي على أنه لم يأت بغرض الاحتلال والسيطرة بل جاء لإنقاذهم من السيطرة العثمانية وما تبعها من تخلف.

ومن الأسباب التي دفعت فرنسا إلى إيفاد رسامين أمثال قودان وجيلبار هو تبرير العدوان على الجزائر بتقديم دلائل مادية على ترسخ الحضارة الأوروبية في الجزائر فالحملة ستعيدها إلى الحضارة الأوروبية من خلال رسم المخلفات الأثرية التي تعود إلى العهد الروماني[1].

ومن أهم هؤلاء الرسامين الذين جاءوا للجزائر هوراس فيرانت، دي لاكروا وفرومانتين ورنوار واتيان دينيه[2] وباشر الرسامون مهامهم بوصولهم إلى الجزائر إذ نقلوا مشاهد للجيش المحتل عند نقطة النزول سيدي فرج وأماكن أخرى للمعارك بأكثر دقة كشهود عيان دون إغفال للجزائريين الدين يعتبرون أهالي[3] ونتج عن هذا العمل الذي أنجزه الرسامون العسكريون جمع رصيد مادي لا يستهان به ويتلخص في تزويد المؤرخين والباحثين بمستندات ووثائق تعبر بالصور والأشكال والألوان عن مختلف المناطق والشخصيات والوقائع التاريخية وبعبارة أخرى يمكن ربطها بعملية استرجاع ذكريات مهما كانت حدتها أو قسوتها أو الآلام المنبعثة من هذه الصورة[4].

وعلى غرار ذلك شكلت الحركة الاستشراقية الفنية الرومانسية القناة الإعلامية الاستعمارية التي من خلالها يتم الإشهار بعروض مغرية عن جغرافية الجزائر بخصائصها الطبيعية والبشرية لفتح الشهية للإقامة والاستيطان في الجزائر[5].

---

[1] محمد خالدي: المستشرقون وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، العدد13، مارس2012، الجزائر، ص274.

[2] Houcine Rahouie : **les orientalistes en Algérie de l'Anthropologie à l'orientalisme entre émerveillement et contribution multiples**, revue d'Anthologie des religions, V8, N2, 6/2012,p13.

[3] شاعو، المرجع السابق، ص103.

[4] المرجع نفسه، ص ص105،106.

[5] جعيجع، المرجع السابق، ص25.

ومن أبرز الأدوار التي أداها الاستشراق الفني للحركة الاستشراقية الفرنسي اتجاه الحملة الفرنسية على الجزائر في العمل الفني في أدائه السيكولوجي الإقناعي، وذلك من خلال نقل مشاهد جذابة ومغرية عن البيئة الطبيعية والاجتماعية والبشرية وتمثيل المعارك الحربية وساحات الوغى إلى الأوساط الغربية الفرنسية والأوروبية عبر معارض متكررة [1].

برزت الروح الاستعمارية في لوحات المستشرقين، فكانت الغلبة في إنتاجهم دائما للجيش الفرنسي والهزيمة للجزائريين، فكان موضوع الغالب والمغلوب أو المستعمر والمستعمر رئيسيا في أعمالهم، ويظهر ذلك في معركة قسنطينة **لفيرنيه** والاستيلاء على الزمالة، حيث ظهرت المرأة الجزائرية باللباس الشفاف راكبة على ظهر جمل بادية عليها سمات الهزيمة[2].

لقد انتقل هؤلاء المستشرقون في لوحاتهم من الجو الداكن القاتم والحياة السوداوية في باريس إلى جو الجزائر حيث نور الشمس يملأ السهول والصحاري والحياة الهادئة وحيث الفرج والنور،أين يوجد الجمال الطبيعي والألوان الزاهية، كما وصف رحلته كل من"**جوبان**" و"**الأزار**" ويعد ديلاكروا من أوائل المستشرقين الفنانين من الحركة الرومانسية الذين رافقوا الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة1830م وقد كانت رسالته إلى أصدقائه و الأهالي بفرنسا مثار إغراء للهجرة الاستيطانية وخاصة في رسائله إلى كل من"بييره "و"غولير ماردە" والتي استعرض فيها وقفاته بوهران ومدينة الجزائر إلى طولو[3].

ونجد أيضا فئة الفنانين التشكيليين الذين دخلوا إلى الجزائر مجندين لخدمة الأهداف الاستعمارية لفرنسا وتعزيز التواجد العسكري فاجتهدوا في خلق ذوق فني جديد غريب عن الذوق الفني للمسلمين وبعيد كل البعد عن حضارته وثقافته فمثلا نجد تمثال يمثل امرأة عارية مستعرضة لمفاتنها أمام المارة وبحجم يقارب حجم المرأة الحقيقية نحته أحد النحاتين

[1] أثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص124.

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، المرجع السابق، ص377.

[3] زينات بيطار، المرجع السابق، ص226.

بباريس واختير له مكان في وسط الساحة المركزية أمام المسجد العتيق سنة 1889م بمدينة سطيف[1].

نؤكد أن السلطات الاستعمارية لم يكن غرضها التزيين للمدينة بل هدفها هو السعي لطمس معالم الشخصية الإسلامية للجزائر وغرس الثقافة الغربية من جهة أو بالأحرى تكريس الانفتاح اللأخلاقي أو الموجون في المدينة في مجتمع محافظ ومحتشم كون الأخلاق من الركائز الأساسية للمجتمع الجزائري فاندثار الأخلاق معناه اندثار المجتمع الجزائري وبالتالي زوال الدولة الجزائرية وتكريس فكرة الجزائر فرنسية، لب القصيد في السياسة الفرنسية وأهدافها.

وتجسد لوحة دي لاكروا الموسومة ب" **نساء الجزائر**"[2] نموذج بارز وواضح للهدف من رسمها والمتمثل في جذب الأوربيين للإقامة والاستيطان بالجزائر، فقد استعمل الرسم للترويج لجمال البلاد المستعمرة والتشويق لسحرها فصور عالم مثالي كالجنة، مصورا النساء الثلاث وأثار النعمة بادية عليهن، فلم يصورهن يمارسن أعمالهن اليومية كالطبخ والغزل والتنظيف بل أعد لهن متكأ لتعاطي التدخين بالنارجيلة وتجاذب أطراف الحديث وقد ارتدين أثوابا شفافة وتزين بالحلي والمجوهرات النفيسة وتعمد رسم الخادمة السوداء ليدعم فكرة الترف والهدوء واللذة والثراء[3]، فالظاهر حسب رأينا دي لاكروا يدعوا محبي الترف والبذخ ومحبي اللهو والجمال الشرقي إلى المجيء للجزائر للاستمتاع والعيش الرغيد من جهة ويسعى لتشويه صورة المرأة الجزائرية المسلمة لدى المجتمع الغربي إذا ما قارنا لوحته

---

[1] خالدي، المرجع السابق، ص274

[2] Alfred Robaut: **l'œuvre complet de Eugène Delacroix, peintures, dessins, gravures , lithographies1813-1863**, Charavay frères éditeur, Paris, 1885,p129.

[3] قجال نادية: الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبان الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، **مجلة إنسانيات**،العدد 46، أكتوبر، ديسمبر2009، ص137.

هذه مع لوحة أخر بعنوان" **المرأة اليهودية**"[1] التي تظهر عليها ملامح الاحتشام، الالتزام والعفة. أنظر الملحق رقم 10.

وما نؤكده هو تصوير معظم المستشرقون الفرنسيون النساء الجزائريات في أوضاع لا تمت بصلة إليهن ولا لأخلاقهن بل نجد هذه اللوحات تنقل صورة مشوهة للمجتمع الجزائري فنجد في لوحة" **نساء الجزائر**" لدي لاكروا رسم إحداهن وهي تحمل النارجيلة، فلا يعقل للمرأة الجزائرية خاصة والمرأة المسلمة عامة يدخن، نساء من عائلات جد محترمة صورهن في وضع مخالف للأخلاق والعادات.

ونجد كذلك مشاهد العري في العديد من اللوحات للمرأة الجزائرية كسلسلة الأعمال التي أنجزها هنري ماتيس والتي تحمل كلها عنوان:" **المومس**"[2] ونؤكد بلا هوادة ومن خلال ملاحظة لوحاته أن المجون والانحلال الأخلاقي غلب على رسوماته، ففي معظم اللوحات تظهر المرأة في أوضاع مخلة بالحياء حتى المومس فعلا يستحيل أن تظهر بهذا الشكل،فالظاهر لنا أن لوحته هذه وغيرها من اللوحات نابعة من دناءة نفسه وخصتها وليست نقلا عن وضع معيش في الجزائر بل حتى في أوروبا.

إن هذه الصورة المشوهة يمكن أن نرجعها إلى جهل الرسامين بحياة المرأة الجزائرية كونها تعيش في مجتمع محافظ يحرم عليها الاختلاط وبالتالي الرسومات المنقولة ما هي إلا انعكاس لمخيلة الرسام بعد عجزه عن الوصول إلى صورة حقيقة لها أو إسقاط لحياة المرأة الأوروبية المنفتحة على المرأة الجزائرية ويمكن أن ترد إلى محاولة الفرنسيين نقل صورة مشوهة عن المرأة الجزائرية المسلمة بتصويرها في صور مخلة بالحياء علما أن المرأة أساس المجتمع وصلاحه في صلاحها وفساده في فسادها.

---

[1] Robaut,op, cite, p108.

[2] Galerie Mansart :**donation Jean Matisse Henri Matisse** , spadem , Paris,1981,p16.

والجدير بالذكر أن العمارة الإسلامية كانت من أولويات البحث لدى الرسامين الفرنسيين في الجزائر، فركزوا على تصوير الحصون والقلاع المنازل الفخمة والأسواق والحارات والمقاهي الشعبية والفنادق والحمامات وأبواب القصور والمساجد وغيرها[1].

ومن أشهر هذه اللوحات لوحة" تاجر العبيد" **les marchands d'esclave faubourg Balbazoun à Alger** للرسام أرنست فرانسيس فاشرو(لوحة طولها232سم وعرضها 164سم) سنة1841م، نجد الرسام قد نجح إلى حد بعيد في نقل مشاهد واقعية عن العمارة في السوق بتصوير السور وجزء من المسجد وباحة السوق وأضاف عليها شمس الشرق التي زادت اللوحة جمالا ورونقا، كما أن اللوحة نقلت واقع العمارة في الجزائر[2].

ونجد لوحة الرسام أوجين فلوندين(**Eugene Flandin**) تمثل منظرا سفليا لسور الجزائر، حيث صور مساجدها منتصبة في شموخ مهيب، مازجا بين قوة العمارة العسكرية المتمثلة في الحصن وجمال العمارة الدينية التي تعلو الأسوار[3]. أنظر الملحق رقم11.

إلا أنه من غير الإنصاف أن نتهم كل الرسامين أنهم جاءوا لخدمة أهداف بلدهم الاستعمارية بل البعض منهم جاء ليكتشف سحر الجزائر والشرق ونقل صورة موضوعية وحقيقية بعيدة عن البهتان والغموض بل جذبتهم الحياة في الجزائر ومنهم السيدة برنارد صورت المرأة في لباس محتشم، نقلت صورة حقيقة عن المرأة في المجتمع الجزائري[4].

---

[1] قجال نادية: توثيق التراث المعماري الجزائري في الرسم الاستشراقي، **مجلة جماليات**، المجلد5، العدد 1، 2019،ص154.

[2] www.artnet.com. Gallica.2020-1-2 اطلع عليه يوم

[3] نادية، توثيق التراث المعماري الجزائري، المرجع السابق، ص154.

[4] M^me^ P. Bernard : **Ali et Aicha**, P. Perrier, Oran ,1904,p14.

ثانيا ــ نظرة نقدية:

رافق الحملة الفرنسية ثلة من المستشرقين وفسح المجال أمام الكتاب والفنانين والمؤرخين الفرنسيين ليدونوا عن الجزائر، ولكن من وجهة نظر الغالب على المغلوب والمنتقم من خصمه،وقد انكشف السر الجزائري الذي حير أوروبا وفرنسا ردحا من الزمن بعد سقوط الدولة واقتحام البيوت وفتح الخزائن والاطلاع على عاداته وتقاليده ونظمه[1].

نسعى في هذا المبحث لإعطاء نظرة نقدية عن دراسات هؤلاء ووضع النقاط على الحروف في العديد من الدراسات التي شابها إلى حد كبير التزييف والمغالطات لأغراض استعمارية تارة ولجهل بحقيقة الأمور أحيانا آخري.

01ــ في المجال الديني:

نهل المستشرقون في دراساتهم الدينية من الأصول وأمهات المصادر الدينية سواء من النصوص المقدسة كالقرآن الكريم والحديث الشريف أو من شروحها وتفاسيرها، وكان المستشرقون الفرنسيون منهم المستقيم المعتدل المخلص لعلمه وأبحاثه بنى وأفكاره على حجج وبراهين ولهم مستلزماتهم وأرائهم المخالفة فنقدوا باللوم والإعابة والانتقاد[2].

إلا أن أغلبهم خرج عن اللياقة والأخلاق العلمية وابتعد عن الحقيقة ولبسوا ثوب الخديعة والكيد والتحيز والتحامل وغلبت عليهم الآراء المسبقة دون استدلال صريح بل احتقار واستخفاف فيما يتعلق بالروحانيات الإسلامية لا سيما في قضايا الوحي والإسراء والمعراج وغيرها، والجدير بالذكر أن قراءة المستشرقين الفرنسيين لديانة المغرب العربي لم تخرج عن نطاقه العربي الإسلامي والشرقي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830** ،ج6، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص ص379 ــ380

[2] معريش، المرجع السابق، ص234 .

أولت فرنسا اهتماما خاصا بمبادئ الفقه المالكي في كل بلاد المغرب العربي، فأخذ المستشرق (Vincent) على عاتقه مهمة التعريف به، لكن اهتمامه انصب على رسالة ابن زيد محمد القيرواني ومختصر خليل المصري، وكانت حجتهم في ذلك أن الصعوبة التي واجهتها فرنسا في تهدئة وتسكين المستعمرة وإلحاق الجزائر بها يجبرها على معرفة القوانين والتشريعات التي اعتاد عيها السكان[1].

فقد صار التشريع الإسلامي بالنسبة للإدارة الاستعمارية في الجزائر موضوع دراسة على غرار ما فعلته الإدارة الانجليزية بالهند وسينتهز العلم فرصة اهتمام الحكومات ليكسب في النهاية لا سيما وأن العرب كان لهم دائما عبقريتهم في التشريع أكثر من أية أمة أخرى باستثناء الرومان، ولعل المعرفة العميقة بتشريعات المسلمين كانت ضرورية لفهم تاريخهم وعاداتهم وحياتهم الداخلية ليسهل تدجينهم، فجاء تكليف وزير الحرب بترجمة وطبع مختصر سيدي خليل الموجه إلى المحاكم الجزائرية[2]ومع حلول سنة1855م كان قد صدر مرسوم تنظيم المحاكم في الجزائر وأرسل النص العربي التجريبي لطبعة سيدي خليل إلى محكمة مدينة الجزائر وتمت الموافقة عليه مع إرفاقه بجملة من التعديلات[3].

إذن فقد كان الإسلام محل اهتمام وعناية ودراسة معمقة من رجال الاستشراق، ومحاولة الإلمام بمختلف مناحيه من قرآن، حديث، تفسير، عقيدة، توحيد، سيرة نبوية، خلفاء وتم البحث في التصوف وأصول الفقه والمذاهب في المغرب العربي والجزائر على حد سواء.

ونلاحظ أنها سعت بهذا الاهتمام إلى تشويه الإسلام والبحث في مواطن ضعفه، فوصف بشتى الأوصاف وفضلوا المسيحية عليه، إذ العديد من الدراسات الإستشراقية أرجعت

---

[1] معريش، المرجع السابق، ص234 .

[2] المرجع نفسه.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص ص379 ــ380

انتصارات المسيحيين إلى الدين المسيحي وفشل وإخفاقات المسلمين إلى الدين الإسلامي،فأكدت أن سر التقدم في اعتناق المسيحية وربطت الإسلام بالركود والتخلف.

كما أوجدت الحركة الإستشراقية الفرنسية في الجزائر مصطلح" **الإسلام الجزائري الجديد**" قاصدة به الإسلام كما يمارسه، واتهموهم بأنهم لم يعتنقوا الإسلام عن وعي وقناعة وإيمان مطلق ولا يمارسونه عن عقيدة، فهو عندهم لا يتجاوز نوع من التقاليد والطقوس الموروثة والفولكلور الذي يظهر في بعض المناسبات، وقد أصدروا كتبا كثيرة في هذا الشأن منها كتاب دوتي" **الإسلام الجزائري**" وكتاب" **قديسو الإسلام الجزائري** لترومليي"[1].

إلا أننا نجد على الضفة الأخرى من المستشرقين المستشرق الفرنسي الكس دي توكفيل يسير عكس التيار متسما بنوع من الموضوعية لكن لأهداف استعمارية بحتة لما قيم الوجود الفرنسي في الجزائر أثناء تدخله في البرلمان الفرنسي معبرا عن السياسة الفرنسية التخريبية للمجتمع الجزائري مؤكدا على اتسام هذا الأخير بالتمدن والنظام عكس ما يروج له منوها بوجود عدد معتبر من المؤسسات الدينية والتي تقوم بمهام خيرية في معظم الأحيان لكن استحوذ عليها الاستعمار، كما حمل المسؤولية للسياسة الاستعمارية في اتجاه العرب المسلمين للمقاومة ورفض الوجود الاستعماري[2]. أنظر الملحق رقم 04

ومن أبرز القضايا التي شغلت اهتمام المستشرقين الفرنسيين في الجزائر الطرق الدينية والتي ميزت المجتمع الجزائري، فعكفوا على البحث في مكامنها وخصائصها، ويعود هذا الاهتمام على رأينا لتيقن الإدارة الاستعمارية أن حركة الجهاد والمقاومة ضدها ترجع إلى تحريض زعماء هذه الطرق، بل في معظم الحالات هم قادتها، فسعوا إلى دراستها لاقتراح

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص183.

[2]Alexie De Tocqueville : **Premier rapport sur l'Algérie ,Extrait du: Premier rapport des travaux parlementaires de Tocqueville en1847,p 6,7** ,http//pages infinité .net/sociojmt. اطلع عليه يوم 2018/11/16

السبل الكفيلة بوقف نشاطها سواء جذبها لخدمة الاستعمار ووضعها تحت سيطرته والعمل في فلكه أو إيقاف نشاطها المعادي للاستعمار.

هذا وصور المستشرقون الفرنسيون الطرق الدينية على أنها شبكات من التنظيمات الخطيرة يغذيها حقد بربري ضد جميع أشكال التقدم والتطور، ما جعل أحدهم يقول:" **بأن الجزائري ما هو إلا طفل كبير سيئ التربية،لا يفكر في أي شيء وأن العقيدة الإسلامية هي المسئولة على ذلك**"[1].

ويعد الضابط المستشرق الفرنسي دي نوفو(DE Neveu) أول من نبه الإدارة الاستعمارية لخطورة الطرق الدينية عليها، فقام بدراسة شاملة حول الموضوع في بداية الاحتلال بعنوان " **الطرق الدينية عند مسلمي الجزائر**" ونظرا لأهميتها فقد طبعت عدة مرات(الأولى في باريس سنة1835م والثانية سنة1846[2]، وحذا حذوه المستشرق لويس رين بكتابه المعنون ب" **مرابطون وإخوان – دراسة حول الإسلام في الجزائر**" الصادر سنة1884م، ومما لاشك فيه أن من أهم العوامل التي ساعدته على انجاز مهمته هو تبعيته للإدارة الاستعمارية إذ كان موظفا فيها فتولي ما بين 7جوان و 20 أكتوبر1870م رئاسة المكتب العربي ببسكرة ثم في باتنة من20 أكتوبر1870 إلى11سبتمبر1871م،كما اشتغل مستشارا للحكومة العامة ونائبا لرئيس الجمعية التاريخية الجزائرية ورئيسا للمصلحة المركزية لشؤون الأهالي[3]، وأنجز قبله ألفرد بيل كتابه الموسوم ب" **الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا**" وأنجز المستشرق ديبون وكوبولاني سنة1897م كتابهما" **الطرق الدينية الإسلامية**" ودرس ادمون دونيه الحياة الدينية في الجزائر في كتابه بعنوان"**الإسلام الجزائري**"[4].

---

[1] نقلا عن لونيسي، المرجع السابق، ص183.

[2] سعد الله ، أفكار جامحة، المرجع السابق، ص69.

[3] لونيسي، المرجع السابق، ص183.

[4] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص52

وقد رصد المستشرقون كل ما يخرج عن نطاق القرآن والسنة وعدوه من البدع التي التصقت بالدين الإسلامي وحادت بالشعب الجزائري عن منهج الدين الصحيح، قاصدين بذلك الممارسات الدينية والشعائر الإسلامية كما أُضحت عليه بعد70سنة من الاحتلال وهي ممارسات بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام الصحيحة بل هو برئ منها، فهي تكرس التخلف العقلي والتزمت وضعف الأفق وانتشار الشعوذة والسحر والدجل والتخريف والزردات والوعدات والذبح لغير الله وهي عقائد النفع والضر في مشايخ الطرق الصوفية وفي الأحجار والأشجار والآثار، هذا هو الإسلام الجزائري في نظر الفرنسيين ومستشرقيهم[1].

وما يعاب على هؤلاء المستشرقين في رأينا أنهم درسوا الشوائب والبدع الملتصقة بالإسلام في الجزائر، لكن لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في السر الكامن وراء هذا التحريف والخروج عن تعاليم الإسلام السمحة والصحيحة. وهذا راجع لرغبة الاستعمار في التمكين لفكرة بعد الجزائريين عن إسلام المشرق العربي، فهو أراد لهذا الإسلام أن يحيا بعد أن قضت على كل مظاهر الحضارة التي كانت تميز الدولة الجزائرية من دور علم ومساجد وكتائب لإرجاع على رأيهم الجزائر إلى حظيرة المسيحية.

وقد تقاطع اهتمام رجل الاستشراق بالبحث في مقومات المجتمع الجزائري الديني مع اهتمام رجالات الاستعمار بمنظريه وضباطه، ونشأ بينهما عمل متكامل من خلال اللجان العلمية والجمعيات المختصة، ففي كثير من الحالات كانت هذه الدراسات الإستشراقية موجهة لخدمة أهداف استعمارية بحتة، ففي هذا المجال مثل الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، وخدم كل منهما الأخر، فوفر المستشرقون لرجالات الاستعمار حاجاتهم وفي هذا الإطار لبى المستشرقون اهتمامات الإدارة الاستعمارية في الجزائر في مجال التشريع[2].

---

[1] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص52

[2] معريش، المرجع السابق، ص235.

02ـ في مجال الأدب:

إن الدراسة المعمقة للدراسات الاستشراقية في مجال اللغات واللهجات عامة والأدب العربي خاصة، يخلص إلى انتاجات ضخمة ومعتبرة فقد شمل الأشخاص والأفكار أي النخب الفكرية بإنتاجها وتأليفها وكذلك المضمون الفكري للإنتاج وطرق ووسائل الإنتاج.

لقد نهل المستشرقون الفرنسيون بالجزائر من الأصول المصادر في مختلف المواضيع انطلاقا من مناقشة قضية وحدة اللغات أو عدمها فالألسن واللهجات المتفرعة عنها ومن ضمنها في بلاد المغرب اللسان البربري الذي يشمل القبائلية والترقية والشلحية وهي في الأغلب تتكلم ولا تكتب فهي لم تدون، وهناك على الخصوص اللغة العربية الفصحى التي ظلت تكتب وتدون بها آداب وعلوم الشرق والمغرب العربيين، لأجل هذا سماها المستشرقون أيضا اللغة العلمية وقد اهتموا بحروفها وطباعتها طباعة حجرية والخط المسند والنسخ والمغربي وعمدوا إلى تحريك اللغة العربية فأدخلوا الشكل على الكتابة التي طبعوا مخطوطاتها لصعوبة قراءة النصوص غير المشكولة[1].

لقد نشر هؤلاء الكثير من أمهات المصادر في كل فنون الأدب العربي فاهتموا بعلم الاشتقاق وأصل ألفاظ بعض لهجات الجزائريين وأصواتهم،كما نشروا مخطوطات وألفوا كتبا في نحو الجزائر، والعديد من القواميس والمعاجم سواء البربرية أو العربية، ونشروا مختلف الروايات والقصص والقصائد سواء في المدح أو الرثاء أو الهجاء[2].

وكان من المستشرقين الفرنسيين المنصف المخلص، اتصفوا بالنزاهة والصدق والانتقاد وكانت لهم حججهم وذرائعهم ومستلزماتهم ومقتضياتهم وآراؤهم المخالفة ومذاهبهم ومناهجهم وفق مقتضيات النقد الأوروبي، فنقدوا باللوم والإعابة والانتقاد والاستهجان

---

[1] معريش، المرجع السابق، ص ص292، 293 .

[2] المرجع نفسه.

والاقتناع والإقناع، كل ذلك دأب في البحث والنقد الحصيف أحيانا وبالبحث والتقصي وبالانكباب على الدروس والانقطاع الكلي وبحماسة وشوق وعدل وإنصاف ونزاهة وموضوعية، فكانوا مستكشفين فعليين من خلال التحقيق والتدقيق والفحص والبحث بالحس النقدي والمراجعة والتثبت بعقلية المغامرة الحالمة فقدروا واحترموا وبضمير حي، وهكذا فقد غلب على أعمال المستشرقين في مجال الأدب الفائدة والمنفعة والتثقيف بآراء مغرضة تارة أخرى وبفكر ثابت وهم وانشغال وأراء مسبقة ومتحيزة تارة أخرى[1].

ويعود الفضل لهؤلاء المستشرقين في إنقاذ العديد والمحافظة على الكثير من النصوص الأصلية من الاندثار والتلف، كما أن إثارتهم لقضايا اللغات والألسن واللهجات على الخصوص قد جعلتهم يساهمون في بعثها وتجديدها بإثارة نصوصها الأصلية وإلقائها إلى الساحة الفكرية والأدبية والثقافية الأوروبية سواء في شكل كتب مطبوعة طباعة عصرية أو مقالات على صفحات المجلات الفكرية العامة والمتخصصة في تراث الشرق والمغرب العربي، كالمحلة الأسيوية والإفريقية[2].

أشار المستشرقون إلى اللغة العربية فكتب رينان في كتابه" **رينان**" أو" **تاريخه العام**" والنظام المقارن للغات السامية، مس خلاله جملة من المسائل الشائكة والهامة في نفس الوقت وهو يتطلب فصحا معمقا ومع ذلك فإن قارئ الكتاب يعثر من الوهلة الأولى على خصائص الكاتب القوية المتمثلة في معارفه العلمية الدقيقة من خلال أبحاثه المنجزة وعرض مختلف أرائه الواضحة وأحكامه المعتدلة وهو أمر نادر في الأبحاث اللغوية[3].

---

[1] سعد الله، الحركة وطنية، ج 1، المرجع السابق، ص402.

[2] معريش، المرجع السابق، ص294.

[3] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص13.

ونشر **لوي جاك بريزني**[1] كتابه بعنوان" رسم **اللغة العربية المنطوقة في الجزائر في عهد الوصاية عليها**" **escpuisse de la langue arabe parlée à Alger et dans la régence d'Alger**،سجل فيه الخصائص التي تميز اللغة العربية العامية الجزائرية عما سواها، فحاول برينيه أن تعميق الهوة بين اللغة العربية الفصحى والدارجة بتكريس اللغة الدارجة المنطوقة على حساب الفصحى، اللغة التي يسعى الاستعمار لاندثارها ومسحها من الجزائر بكل الوسائل والطرق[2].

كما نشر سنة1857م كتاب هام بعنوان" **chrestomathie arabe**"، يشمل مجموعة من الرسائل والوثائق الرسمية[3] ونشر كتاب آخر بعنوان" **كتاب نظري وتطبيقي لتعليم اللغة العربية**" **théorique de la langue arabe**"، ويعد الكتابان قاعدة أساسية لتدريس اللغة العربية في الجزائر للفرنسيين خاصة لزمن طويل، كما أن قدما خدمات معتبرة لا يمكن تجاهلها أو الاستهانة بها في دفع حركة الدراسات العربية في الجزائر[4].

ويذهب المستشرق دالبارت إلى التأكيد على ضرورة تدعيم الانتصارات العسكرية بالجزائر الانشغال باللغات المستعملة فيها وهي العثمانية والعربية والبربرية، معتبرا اللغة العثمانية لم تعد لغة الحكومة كون الفرنسية حلت محلها،إلا أن اعتبار اللغة العربية لغة غزاة سابقين فهي مغالطة من عدة أوجه الوجه الأول كون سكان المنطقة هم من تبنوا اللغة العربية طواعية ونتيجة إسلامهم والوجه الثاني أنه كان بالإمكان للحكام البرابرة بالمنطقة التخلي عنها بعد

---

[1] لوي جاك برينيه (1815-1869) ، تولى رئاسة مدرسة عربية في الجزائر وعلم فيها اللغة العربية حتى وفاته، من أهم أثاره " التعليم العربي في الجزائر" ومنتخبات أدبية باللغة العربية الدارجة" و" الأجرومية في قواعد العربية لمحمد بن داوود الصنهاجي".(للمزيد أنظر العقيقي،ج1، المرجع السابق، ص187).

[2] العربي، المرجع السابق، ص ص13، 14

[3] M.Bresnier : **chrestomathie arabe , lettres , actes, pièces, diverse**, édition rêve corrigée et Augmentée, Paris,1857.

[4] العربي، المرجع السابق، ص13.

مرور قرون عديدة على الفتح الإسلامي أما الوجه الثالث فيتمثل في كون بلاد المغرب انقسمت جغرافيا إلى مغرب أقصى وأدنى وأوسط، أي إلى حكم إقليمي ضيق ومع ذلك لم يحاول أي حاكم عربي التخلي عن اللغة العربية أما الوجه الرابع فهو أن الجزائريين عاشوا تجربة خاصة خلال فترة الحكم العثماني التي دامت3قرون وتبنى حكامها اللغة العثمانية إلا أن سكان الجزائر لم يتخلوا عن اللغة العربية لصالح اللغة العثمانية[1].

أفاد بعض المستشرقين من بني جلدتهم من قادة وجنود الاحتلال الفرنسي في الجزائر بأن وفروا لهم وسائل الاتصال بالأهالي، ومن ذلك ما قام دالبارت نفسه من خلال اهتمامه أثناء العلاقة التي يوفرها لها عمله ولقاءاته اليومية بالقبائل البربرية أو الشلحية بجمع مفردات وعبارات لسانهم ، ثم إرسالها إلى المجلة الأسيوية لنشرها للفرنسيين الدين تربطهم علاقات بذوي اللسان البربري وكذلك إلى هواة الألسن القديمة لا سيما أن هذه اللغة غير معروفة في أوساط النخبة الفرنسية[2].

ساهمت الدراسات الاستشراقية الفرنسية في بعث وإزالة اللبس عن الحروف البربرية واللوبية لاسيما بعد اكتشاف كتابات لوبية(ليبية) كثيرة بتيفاش وحوشير وعين الحشمة قرب قالمة،وتحصلوا على بعض الحروف المنتشرة في أوساط التوارق والتي اعتبرها البعض مماثلة للحروف الليبية ولاسيما منها النصب التذكار ي المزدوج اللغة ب التوجهthugga ذي الحروف الشبيهة بالحروف التيفيناغي[3]، غير أن المستشرق(DE Saulcy) يخلص إلى ملاحظة مفادها أن الحرف التيفيناغي المنقوش على نصب التوجه لا يشكل وحدة مع الحروف التيفيناغية المتداولة لدى التوارق منذ الفتح الإسلامي[4].

---

[1] Delaporte: **Fils Vocabulaire berbère** , j A, série4 ,T8,1846, p97

[2] معريش، المرجع السابق، ص297.

[3] المرجع نفسه.

[4] F De Saulcy: **observation sur l'alphabet tifinag** , J .A J .A, série4,T13, 1849 , p247

ومن المؤكد أن هذه الدراسات ساهمت إلى حد بعيد في فهم الألسن والحروف المتداولة في أوساط الجزائريين والتعريف بها بدراسة أصولها ومصادرها والحروف الدخيلة عليها، تلك الحروف التي بقيت في طي النسيان، فأحيوها ونفضوا الغبار عنها ولو لأهداف استعمارية.

ورغم محاولات شاربونو التأسيس لقواعد اللسان العربي الدارج، إلا أنه من خلال معايشته الجزائريين ودراسته اللغة الفصحى ثم الدارجة أو العامية انتهى أكد على انبثاق هذه الأخيرة من اللغة العربية الفصحى[1].

وكانت البلاد الناطقة باللغة العربية حتى منتصف القرن19م تمتد من خليج البنغال إلى المحيط الأطلسي ومن ضفاف نهر الفولجا إلى ضفاف نهر النيجر، من هنا يأتي الاهتمام المتزايد باللغة العربي ويجد هذا تأكيده وتفسيره في تقرير أرسله(**Houry**) في أكتوبر1834م إلى المشرفين على جامعة بروكسل تتضمن جملة ممن الهموم عرضت للبحث مفادها ضرورة تحول العلاقات السياسية والتجارية للشعوب الأوروبية مع شعوب أسيا وإفريقيا إلى علاقات أكثر ودية وقد استشعر التقرير مسؤولية الجامعة بضرورة الاهتمام أكثر بلغات وآداب الشرق متنبئا بعهد قادم قريب لن تعود هذه اللغات والآداب تقتصر معرفتها على الوكلاء التجاريين والقناصل والمترجمين الدبلوماسيين ولكنها ستصير أيضا ضمن اهتمام العالم والأديب يمكنهما بواسطتها أن يسألا ويختبرا حكمة الشرق القديم الذي لم يكشف منه الإغريق للأوروبيين إلا القليل ويحث التقرير على أنه شرف للعبقرية الأوروبية أن تدرس آداب مواطن الحضارات البشرية الأولى[2].

ولما كان التكلم بالعربية يمر عبر مفتاحها وهو القراءة، فقد أعد المستشرقون عددا كبيرا من منهج تعلم القراءة، كما أسلفنا إلى جانب المنتخبات الكثيرة والتي نشرها أساتذة المدرسة

---

[1] Auge Cherbonneau : **dictionnaire arabe Français(langue écrite)**, tome premier, a l'imprimerie national, Paris, LXXVI, p2.

[2] معريش، المرجع السابق، ص ص،298 ــ 299.

الخاصة للغات الشرقية الحية، وكان من مقاصد هذه المتقيات أيضا ممارسة تأثيرها على علاقات فرنسا بالعرب عموما ولاسيما الجزائريون الدين صار يوسعهم الحصول عليها بسهولة لتوفرها في الجزائر، وهو ما من شأنه أن يعمل على مضاعفة عدد الطلبة المتدرسين مما سيضع تحت تصرف الإدارة الاستعمارية في نظر المستشرقين أعوانا يخدمونها ويؤازرون جهودها في السيطرة على الجزائر[1].

لقد كانت القصيدة محل اهتمام المستشرقين الفرنسيين، فنشروا العديد من القصائد والأشعار لاسيما الشعر الملحون فقد نشرت قصيدة لمحمد الشاذلي قاضي قسنطينة، كتبها أثناء زيارته لمدينة باريس تحت رعاية الحكومة الفرنسية لمؤانسة الأمير عبد القادر المعتقل في السجن الفرنسي،يغلب على كلماتها اللغة الدارجة يمدح في جزء منها العاصمة الفرنسية وأهلها والإعجاب بملكها ونهر السين وحتى بعلومها كما أعجب بأخلاقهم قائلا:"**وإحسانهم للضيف والله غاية** " وفي مدح ملكها قائلا" **وسلطانه في الجود والعدل أعجب**" أما عن تطور علومهم فيقول" **وأهله في فهم العلوم غريبة**"[2].

والمؤكد لنا أن نشر القصيدة في المجلة الأسيوية لم يأت اعتباطا أو إعجابا بالقصيدة وصاحبها، وإنما نشرت لغايات واضحة وهي تكريس الإعجاب بالحضارة الغربية ومدى التطور الذي وصلت إليه باعتراف وشهادة أحد الجزائريين، وزرع فكرة أن التطور والازدهار العلمي والثقافي لا يتم إلا في ظل الحضارة الغربية والبقاء تحت ظل الاستعمار الفرنسي، باعتبارها الحضارة المتفوقة ماديا ومعنويا، فالمستشرق انتقى القصيدة من مجوعة قصائد لكونها تخدم مصالح بلاده الاستعمارية .

وعلينا الاعتراف أن المستشرقون الفرنسيون أحاطوا إحاطة شاملة بموضوع الأدب عامة سواء من الناحية الفكرية أو النظرية أو العلمية، كما لفتوا انتباههم إلى الألسن واللهجات

[1] العربي، المرجع السابق، ص14.

[2] Reinaud :**vers arabes sur Paris** , J .A,4eme séries, t5, 1845, p 116 -118

المحلية في الجزائر كاللغة البربرية والترقية والشلحية وغيرها، فأزاحوا الستار عن العديد منها والتي كانت منسية أو مهملة إلا في إطارها الضيق، بغض النظر عن النوايا والأهداف من هذا الاعتكاف والتي كانت في معظمها خادمة للاستعمار وإستراتيجيته في الجزائر.

03ـ في مجال التاريخ:

إن الفعل الاستشراقي الفرنسي في مجال التاريخ بالجزائر هو الآخر مردوده ضخم، فقد شمل الأشخاص والممالك أي نخبا فكرية بانتجاتهم ومؤلفاتهم. نهل المستشرقون الفرنسيون من الأصول وأمهات المصادر وكانت في شكل وقائع وأخبار كتبها مدونو أخبار وحوليات ذات وقائع مسرودة عاما بعام كتبها مؤرخو وقائع أو عسكريين[1].

وتعاملوا مع التراث بعد الاطلاع على فهارسه في شكل أبحاث ومحاولات أو إسهامات وبالنقل والنسخ أحيانا والمقارنة أو المقابلة بين نصوصه وفي أحيان أخرى في شكل ملخصات ومواجيز وباقتطاع أجزاء أو مستندات ووثائق أو مقتطفات تاريخية وخلاصات وقصص وحكايات جلها أعمال لمؤرخين ونتاجهم والتعرض لها بالشرح والتعليق والنقد والتعييب[2].

والملاحظ في بداية الأمر إلى أن قراءة المستشرقين الفرنسيين لتاريخ بلاد المغرب العربي في نطاق انتمائه العربي الإسلامي ثم في نطاق انتمائه العربي الإسلامي والشرقي قد صوروا الفتوحات الإسلامية بأنها فتوحات فرضت الإسلام بالسيف، وقطعت صلة البلاد مع الحضارة الرومانية والكنيسة، فتعطلت المدنية وتوقفت، مؤكدين على أمر هام بأن الجزائر لم تتوحد في تاريخها بل خضعت عبر تاريخها الطويل للأجانب[3].

---

[1] معريش، المرجع السابق، ص379 .

[2] المرجع السابق.

[3] بعلي، المرجع السابق، ص59.

والمتمعن في أغلب الدارسات التاريخية الفرنسية المتعلقة بتاريخ الجزائر القديم نجد أغلبها كتابات مغرضة، ذلك أنها تستهدف تبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر عن طريق تصوير الواقع التاريخي للجزائر في القديم بصورة معينة تجعله يتماشى مع مصالح الاستعمار وأهدافه،وإخضاع منهجية ومتطلبات البحث إلى واقع الاحتلال من مرامي السياسة الاستعمارية[1].

وقد أدت هذه النظرة الفرنسية حسب رأينا إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري يفتقر إلى وجود شعب متماسك وأمة متكاملة مؤكدة على غياب مظاهر الدولة بل هي لا تتعدى منطقة جغرافية تعاقبت عليها الدول والأمم من رومان وعرب وعثمانيين.

وبهذا نلاحظ أن المؤرخين الفرنسيين درسوا كل الموضوعات تقريبا ما عدا المجتمع الجزائري الذي لم يسلموا بوجوده وعاملوا أفراده انطلاقا من مفاهيم السيطرة والإكراه، هذه المفاهيم التي جعلت الحكام الفرنسيين ينكرون وجود الجزائريين ويعملون جاهدين على إذابتهم وهي نفس القوة التي أملت على كثير من المؤرخين الفرنسيين تشويه ماضي الجزائر والحط من عادات وتقاليد وثقافة شعبها.

ومن أهم الدراسات التي نشرها المستشرقون ما، نشره **أدريان دالباش** كتاب"**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لمؤلفه **أبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم المليتي المديوني التلمساني**، ويعتبر الكتاب من أهم المعاجم في التراجم، التي ألفت في القرن 11م إذ يعتبر مصدر هام للاطلاع على علماء وفقهاء مدينة تلمسان في هذه الفترة[2].

---

[1] عبد القادر صحراوي: تاريخ الجزائر من خلال كتابات ستيفان غزال، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد 2، ص124.

[2] Adrien Delpech :**résumé du Bostane ,le Jardin ou dictionnaire Biographique des savants de Tilimsane**,R.A,V28, 1884, pp, 133-160.

وما تجدر الإشارة إليه أن معظم المادة التاريخية التي استقى منها الكتاب الفرنسيين لكتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ارتكزت على المصادر الغربية والأرشيفات الأوروبية،والتي تضم في أغلبها مذكرات الرحالة والأسرى ومراسلات القناصل وحكايات المسافرين وتقارير البحار وانطباعات الرهبان والجواسيس، في حين لم يعتمدوا على المصادر الأساسية من مخطوطات الكتب والمجلات بالجزائر والدولة العثمانية بل أهملت مع كونها تعد مصدر هام فلم يكفوا أنفسهم عناء البحث عن أماكن وجودها في اسطنبول والجزائر[1].

وقد نتج عن هذا الإهمال للمصادر المحلية أن أصبح كثير من هؤلاء الكتاب يشككون ولا يثقون في صحة تلك الوثائق العربية والعثمانية ويصفونها بالتجريد والمبالغة مثلما فعل **غرامون** في كتابة تاريخ الجزائر تحت الحكم العثماني[2] هكذا نرى أن الإهمال في اللجوء للمصادر العربية والعثمانية والاعتماد الكلي على الوثائق الأوروبية المتصلة بالفترة العثمانية بالجزائر كان بمثابة رفض للتعرف على الحقيقة التاريخية ومعاداة للرؤية السلمية للتاريخ وتجاهل صريح لواقع الطرف الأخر الذين يكتبون عنه بغية التعرف عليه[3].

هذا وجل ما كتب حول الفترة العثمانية يعتبر بالنسبة لاهتمامات التاريخ الجزائري من قبيل القضايا الأجنبية والموضوعات الهامشية بحيث ظل الاهتمام والتركيز منصبا على مدينة الجزائر وعلى ما يهم الأوروبيين من نشاطها مثل الاحتكارات التجارية ومشاكل القرصنة (الجهاد البحري) المتعلقة بفداء الأسرى ودفع الإتاوات والهدايا من طرف الدول الأوروبية وما انجر عن هذا النشاط من أعمال عدائية وهجمات انتقامية شنها الأوروبيون على السواحل الجزائرية فإنها لا تبرز أوضاع البلاد إلا من خلال الحملات الانتقامية للحكام

---

[1] سعيدوني، المرجع السابق، ص23.

[2] Grammont(H.D): **histoire d'Alger sous la domination Turque**, E Pérouse, Paris, 1887

[3] سعيدوني، المرجع السابق، ص 24.

الأتراك والاعتداءات المتكررة لرجال البايلك والفوضى والاضطرابات التي كانت تعيشها المجموعات العشائرية[1].

أما فيما يتعلق بالبحث الأثري فلا يمكن إنكار الدور الذي قام به الباحثين الأثريين الفرنسيين في الجزائر خلال العهد الاستعماري، فأدوا دورا في التعرف على المواقع الأثرية والكشف عن معالمها التاريخية بحيث تم الكشف عن أعداد كبيرة من المواقع بمختلف المدن الجزائرية كتمقاد، تبسة، جميلة، تيبازة، شرشال، باتنة، ورقلة قسنطينة، بطيوة والتي صنفت ضمن المواقع الأثرية وألحقت بمصلحة المعالم التاريخية،[2] كما أن التنقيبات الأثرية كشفت عن مجموعة من المباني العمومية كالمسارح، الحمامات، الكنائس، الأسوار بالكثير من المدن الجزائرية كبجاية وبطيوة وسطيف وعين تموشنت[3].

وقد خصص الباحث الأثري ديلمار كتابا كاملا للاكتشافات الأثرية بالجزائر من سنة 1840الى سنة1845، والت يتعود كلها إلى الفترة الرومانية، ما يعكس سعيهم لتأكيد التواجد الرومانية بالجزائر وإعادة إحيائه وفي المقابل تجاهل الآثار الإسلامية[4].

كما أدوا دور بارزا في صيانة وترميم المعالم الأثرية وهي المهمة التي أشرفت عليها مصلحة المعالم التاريخية حسب الإمكانيات المادية المتوفرة لديها، ففي حالة حجز الميزانية المالية التي يستفيد منها الموقع الأثري عن تغطية مصاريف الحفريات فإنها تستغل المبلغ في

---

[1] سعيدوني، المرجع السابق، ص 24.

[2] Expédition en Algérie, site archéologique , gallica .Bnf ,2019/8/25 أطلع عليه يوم

[3] منصوري، المرجع السابق، ص26

[4] AD.H Delamaire : **exploration scientifique de l'Algérie pendant les années .1840 ,1841, 1842, 1843, 1844 et1845**, imprimerie national, Paris.

تنظيف الموقع من الأعشاب والقطع الأثرية، أما إذا كان المبلغ كاف فإنها تستغله في الترميم كترميمهم صومعة الخروب و ترميم الدير البيزنطي بتبسة[1].

لقد أسسوا المتاحف الأثرية لحفظ القطع الأثرية سواء تلك التي وجدت بالصدفة أو التي عثر عليها أثناء الحفريات أو تلك التي اشترتها المؤسسات لصالحها، فمن المتاحف الأثرية متحف الجزائر سنة1838م ومتحف شرشال الذي أسس رسميا سنة1842م ومتحف قسنطينة سنة1855م ومتحف وهران سنة1885م[2]، وبجهودهم هذه تم التعرف على التراث من خلال نشر تقارير الحفريات والدراسات بالمجلات الأثرية والعلمية المحلية والعالمية فضلا عن منشورات مصلحة المعالم التاريخية المتضمنة نتائج الحفريات التي أشرفت عليها أو من خلال الدراسات التي أنجزها الباحثون حول المدن القديمة ومعالمها الأثرية[3].

وكذلك وجمع النقوش وتصنيفها حسب المدن التي وجدت فيها ونشرت في سجلات هذا المجال الذي نشط فيه بعض الباحثين منهم روبو(**Reboud**) جمع ونشر النقوش الليبية،وويلماس(**Willmans**) وموسن(**Mommsen**) صاحب المجلد الثامن للنقوش اللاتينية[4] وكذلك ليون رونيي الذي نشر النقوش اللاتينية في سجل تحت عنوان" **النقوش الرومانية**"[5].

04ـ في مجال الفن:

إن الفعل الاستشراقي الفرنسي في مجال الفن بالجزائر هو الآخر مردوده ضخم، فتعددت لوحات الفنانين الرسامين، كما تعددت المواضيع المعالجة ما بين المرأة والمناظر الطبيعية

---

[1] منصوري، المرجع السابق، ص26

[2] M.R de la Blanchérie :**Musées de la l'Algérie de la Tunis**, Ernest Leroux éditeur ; Paris, 1885,pp,1-7.

[3] منصوري، المرجع السابق، ص27.

[4] المرجع نفسه.

[5] Léon Renies : **inscriptions romaines de l'Algérie**(1855-1858),recueillies et publiées sous les auspices de S.Excv,M.Hippolyte , Fortoul, collection patrimonial numérisées de Bordeaux Montaigne, 1886.

وتجسيد مختلف المعارك والحروب بين الفرنسيين والمقاومة الجزائرية وبين تجسيد مختلف العادات والتقاليد في المجتمع الجزائري بل جسدت حتى ألعاب الأطفال وحياتهم اليومية.

فقد كان من المستشرقين الفرنسيين المنصف المخلص واتصفوا بالنزاهة والصدق والانتقاد وكانت لهم حججهم وذرائعهم ومستلزماتهم ومقتضياتهم وآراؤهم المخالفة ومذاهبهم ومناهجهم وفق مقتضيات النقد الأوروبي، وكان منهم المجرح والمفتري والمستهجن بأفكار مسبقة دون تحري للحقيقة أو الواقع.

وما تجدر الإشارة إليه أن الرسم من الأدوات الفعالة المساهمة في دراسة الشعوب المحتلة من أجل تطوير المناهج الاستعمارية لضمان السيطرة الكاملة عليها، وبناء على هذا جاب الرسامون أرجاء الجزائر فطافوا بالواحات والقرى والمدن فدونوا في لوحاتهم العادات والتقاليد والعمارة والفنون والطقوس[1].

اهتم الاستشراق الفني في جانبه البصري بأغلب الحياة الواقعية للأهالي من شخصيات وملامح الحضارة والحياة اليومية ومعالم البيئة والأسواق ومشاهد الطرب والعمارة وحتى الأزياء سواء النسائية والرجالية:" **وكان لإبراز مظاهر الحياة الواقعية بعيدا عن تلك المتخيلة مع محاولة إضفاء الطابع الإنساني على الواقع الخارجي..والبحث عن مكامن الجمال أثرا كبيرا في تميز لوحات الفنانين المستشرقين بالدقة والثراء والوضوح والتجديد، كما شكلت تلك الموضوعات سجلا وثائقيا وفنيا وإطلالات وواقعنا الشرقي بشكل بصري**"[2]

وكان الرسام شارسبر مثل فرومونتين مدفوعا بحب فهم البلاد وأهلها فكتب عن قسنطينة رسالة إلى أخيه في ماي1846م يقول:" **البلد جميل جدا وجديدا أني أعيش في ألف ليلة وليلة وأظن أن فني سيستفيد منه حقا**" وهكذا رسم مشاهد الصيد والقتال وأسواق الخيل

---

[1] نادية قجال: الرسم الاستشراقي الفرنسي في الجزائر، مجلة إنسانيات، مستغانم، العدد46، 2009، ص132.

[2] نقلا عن بن فاطمة بشرى: **الاستشراق في الفن التشكيلي هل هو تأثر الشرق في الغرب ، أم تأثير الرؤية الغربية على ملامح الشرق**، أطلع عليه يوم 2016/3/12

وحياة البدو وصور المرأة وهي تغزل وتربي صغارها ومشاهد الرقص والمدارس القرآنية وغيرها[1].

ونجح هؤلاء الرسامين وأمثالهم في دراسة الأهالي والحياة العربية إلى حد بعيد، لكنهم واجهوا صعوبة في تمثيل المرأة باعتبارها نصف المجتمع المكنون خلف الجدران وهو ما اعترف به العديد من المستشرقين فيقول ماريون فيدال بوي:" **كل رسامي الجزائر تأسفوا لصعوبة إيجاد نماذج إناث بين المسلمات**" فكان رسم اليهوديات أهون وأسهل عليهم من الوصول إلى المرأة العربية المسلمة[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن أعمال المستشرقين الذين جدوا في دراسة الأهالي لأغراض استعمارية تتميز بقيمة توثيقية وتعتبر قطعا مرئية من التاريخ تحفظ جزءا معتبرا من ذاكرتنا،والمثير للأمر أنها انقلبت بعد مرور الزمن إلى شهادات على أصالة المجتمع الجزائري ووقفت في وجه سياسة التغريب والطمس للهوية التي انتهجتها فرنسا في الجزائر أي بمنطق انقلب السحر على الساحر.

وبالتالي يمكننا القول أن هذه اللوحات باتت سلاحا ذا حدين لاسيما تلك التي تمثل الفنون الشعبية من عمارة وأزياء تقليدية وحلي وفرش ونسيج وأثاث وتحف وما إلى ذلك من التي لا ترسخ في الأمصار إلا برسوخ الحضارة وطول أمدها فهي دليل على استبحار الشعب في الحضارة آنفا لأنها كما وضح ابن خلدون عوائد للعمران والآداب تستحكم صنعتها في الأجيال لكثرة التكرار وطول الأمد حتى وإن تدهورت أوضاع البلاد ويبقى دوما أثار منها خالدة عبر الزمان والمكان[3].

---

[1] نقلا عن قجال، الرسم الاستشراقي الفرنسي المرجع السابق، ص133.

[2] المرجع نفسه، ص132.

[3] نفسه، ص132

إن الوقوف على لوحة دي لاكروا الموسومة ب" **نساء الجزائر**" نجد أنه وقف على أدق التفاصيل في رسم أثواب النساء فنقل الفن الإسلامي من خلال رسم طريقة التطريز والأزرار والزخارف والبلاط والفرش والباب الخشب المنقوش والمرآة المذهبة والنارجيلة رغم أن إقامته بالجزائر لم تدم أكثر من ثلاث أيام من25 إلى28 جوان1832م[1].

لقد ذكر دي لاكروا أنه حظي بزيارة حرم عائلة جزائرية وأنها كانت جميلة جدا وكانت النساء يعتنين بتربية الأطفال ويقمن بغزل الصوف وتطريز النسيج الفاخر، لكن عند تأمل اللوحة نلاحظ أنه استعان بنموذج واحد لامرأة أوروبية في رسم النساء الجزائريات الثلاث فالتشابه صارخ بمعنى أنه لجأ إلى نموذج بديل ولاشك أن هذا يرجع إلى أن العرب المسلمين لا يسمحون باستعراض نسائهم للغرباء ويتعذر إيجاد نماذج إناث في المجتمع الجزائري المحافظ[2].

وفضل دي لاكروا إظهار النساء وآثار النعمة والراحة بادية عليهن في حياة شبيهة بحياة الجواري في حريم السلاطين العثمانيين، ولم يصورهن في حياتهن الواقعية أي الغزل وممارسة الأشغال اليومية كما جاء في وصفهن، بل أعد لهن متكئا لتعاطي التدخين بالنارجيلة وتجاذب أطراف الحديث وقد ارتدين أثوابا فاخرة ومزينين بالحلي والجواهر الثمينة وتعمد رسم الخادمة السوداء ليدعم فكرة الترف والبذخ، لينقل المشاهد إلى عالم الأميرة شهرزاد ولياليي ألف ليلة وليلة.

وفي نفس الاتجاه امتلأت صالونات أوروبا بلوحات العري التي تصف مفاتن المرأة العربية المسلمة وتحايل الرسامون في الحصول على هذه المشاهد ونذكر من بينها سلسلة الأعمال التي أنجزها هونري ماتيس رائد المدرسة الوحشية والتي تحمل عنوان" **المومس**"[3] وكذلك

---

[1] Paul Flat :**journal de Eugène Delacroix, T1,1823-1850**,librairie Plon, Paris,1893,p348.

[2] قجال، الرسم الاستشراقي، المرجع السابق، ص ص137 ،138.

[3] Mansart, op, cite, p16.

لوحة جورج أونتوان الموسومة ب" **العاهرة**"[1] كما رسمت المرأة تستحم في الواحات على ضفاف الوديان أو تحت الشلالات مع أنها لا تفعل ذلك إطلاقا في الواقع، فهي تعيش في مجتمع محافظ لا يسمح لها حتى بإظهار وجهها فما بالك بالاستحمام في مناطق مكشوفة وغير آمنة ولاسيما في ظل تواجد الحمامات العامة في كل زاوية من زوايا الجزائر[2]، لكن نؤكد أن مشاهد العري لا علاقة لها بوصف الواقع المعيش في الجزائر وإنما هي نوع من أنواع الترويج للسياحة والاستيطان من خلال مزج الحقيقة بالخيال والمزاوجة بين جمال الطبيعة وجمال المرأة.

وأما عجز الرسامين عن اقتحام البيوت الجزائرية ونقل صورة حقيقية عن المرأة حاولوا إيجاد نموذج بديل أقرب إلى الواقع على رأيهم وهن ببنات الهوى اللواتي لجأن إلى المقاهي حيث الخمر والمجون، وتخلين عن أخلاقهن، فنبذهن المجتمع وأشهرهن النايليات المعروفات بالحسن والجمال، فحين كن يسألن إن كن يردن العودة إلى الديار كن يجبن بلف مناديلهن حول أعناقهن وهي إشارة يقصدن بها القتل[3].

كما تعذر على المستشرقين إعطاء صورة حقيقية عن الرقص النسوي بحكم تقاليد المجتمع الجزائري فراحوا يبحثون عن نماذج بديلة في المقاهي والحفلات الخاصة التي كانوا يدعون إليها، أو الاستعانة بما أملته بنات الهوى فقدموا صورا لا تخلو عن المجون واقترن بالخلاعة واللأخلاق في الأذهان وترسخت هذه الفكرة في المخيال العربي، ومهما يكن في هذه الحالات فقد استعملت المرأة للترويج للسياحة والاستيطان[4].

---

[1] Catherine Rigollet : **Georges-Antoine Rochegrosse. Les fastes de la décadence,** Une sélection des meilleures expositions à voir actuellement à Paris et en Ile de France, l'agora des arts, www.mab allier.fr

[2] قجال، الرسم الاستشراقي، المرجع السابق، ص138.

[3] Barkahoum Ferhati: La **danseuse prostituée dite « Ouled Naïl », entre mythe et réalité (1830-1962). Des rapports sociaux et des pratiques concrètes** , Clio. Femmes, Genre, Histoire, N17 ,2003,PP2,3.

[4] قجال ، الرسم الاستشراقي، المرجع السابق، ص ص137 ،138

إلا أن المستشرق الفرنسي ناصر الدين دينيه رد على الأباطيل الخاصة ببنات أولاد نايل بانجاز صورة حية عن لباس المرأة بمدينة بوسعادة، إذ تظهر الفتاة في لباس محتشم نابع عن الالتزام بالشريعة الإسلامية والأخلاق التي تمتاز بها المرأة النايلية الجزائرية خاصة والمسلمة عامة [1]، واستعان فيرو بلوحة للرسام فاليي في رسم المرأة في قصر الحريم بقسنطينة،[2] فالظهر لنا أن فاليي نقل صورة حقيقية أو مقربة إلى حد كبير من المرأة الجزائرية المحترمة والمصانة. أنظر الملحق رقم12

[1] Jeune file de Bou Saâda, Etienne Dinet , L'Orientalisme et les influences coloniales dans l'art et la littérature, https://djazair-france-docs.blogspot.com/ أطلع عليه يوم 12/ 2018/3

[2] M. Charles Féraud : **visite au palais de Constantine**, interprète principal de l'armée d'Afrique, Alger, 1877,p253

الفصل الثاني :التعريف بأبرز المستشرقين الفرنسيين

أولا: المستشرقون العسكريون.

ثانيا : المستشرقون الأكاديميون

أولا : المستشرقون العسكريون:

إن المستشرقون الخادمون للاستعمار وأهدافه ينقسمون إلى صنفين رئيسيين أخدهما المستشرقون الاستعماريون الميدانيون المعلنون تأييدهم صراحة للاستعمار، خدموه بمختلف الأساليب والوسائل، مجندين في صفوف جيش الاستعمار وإدارته بل وفي صفوفه الأولى خدموه بأرواحهم ووظائفهم قبل خدمته بعلمهم فاحتلوا المناصب السامية والقيادية الحساسة في الدولة الفرنسية والجيش الفرنسي.

01ـ البارون دي سلان (1801ـ 1878):

- **مولده :**

اسمه الكامل ماك جون كان دي سلان، واشتهر باسم البارون دي سلان، ولد بمدينة بلفاست الايرلندية في12أفريل1801[1]، انتقل سنة1830م إلى باريس أين تتلمذ على دي ساسي بعد تعلمه اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، كما تجنس بالجنسية الفرنسية مطلع الأربعينيات من القرن19م[2]، أتقن دي سلان العديد من اللغات غير اللغة العربية فتعلم اللغة التركية أثناء بعثة فرنسية لدراسة المخطوطات إلى اسطنبول[3].

أثرت شخصيتان هامتان على توجهات دي ساسي الفكرية، تتمثل الأولى في شيخ المستشرقين الفرنسيين دي ساسي، الذي صبغ الاستشراق الفرنسي بصبغة فرنسية لاسيما بعد إنشائه مدرسة اللغات الشرقية الحية والتي استهوت مقرراتها دي سلان، فأصبحت باريس

---

[1] حنيفي هلايلي: المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية** ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العدد7، جوان 2005 ، ص154

[2] المرجع نفسه.

[3] أحمد بوسعيد: البارون دي سلان (1801-1879) وحركة نشر المخطوط الجزائري، مجلة **رفوف**، جامعة أدرار، العدد 11، مارس2017، الجزائر، ص138 .

مركزا للدراسات العربية، علما أن احتلال الجزائر مثل نقطة التحول لهؤلاء المستشرقين بانتقالهم من الدروس النظرية إلى الممارسات التطبيقية الميدانية للموروث الجزائري الخام[1]،أما الشخصية الثانية هي عالم الآثار أدريان بربروجر، فقد كان دي سلان نائبا ومعاونا له، ومتبعا لنهجه في جمع المخطوطات[2].

توفي دي سلان في4أوت1878م بعد معاناة سنوات من المرض تحملها بصبر وجلد، وكتب أحد محرري الجريدة الرسمية بعد أيام من وفاته:" **إن تواضعه يفوق كل تصور، شاهدناه يضع بخجل على مكتب الأكاديمية الكتب التي صنعت مجده والتي تنم عن قدرات عظيمة مشفوعة بضمير عالم نادر**"[3].

- **نشاطه:**

كلفت الحكومة الفرنسية دي سلان ما بين سنتي1843و1845م بمهمة خاصة تتجسد في كتابة تقارير هامة عن أهم المكتبات الموجودة بقسنطينة، وبناء على هذا التكليف تقصى 4مكتبات رئيسية في مدينة قسنطينة، الأولى مكتبة سيد حمودة من عائلة ابن الفكون(أحد أعيان قسنطينة)، وضمت هذه المكتبة2500مخطوط، والثانية مكتبة باش تارزي واحتوت على500مخطوط[4]، أما المكتبتان المتبقيتان فلا يوجد بها مخطوطات مهمة جدا[5]، انحصرت هذه المخطوطات في أصول الدين والفقه والأحاديث النبوية وتفسير القران الكريم والتاريخ والجغرافيا والنحو والصرف والبلاغة[6].

---

[1] أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص139-140

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص334

[3] نقلا عن هنري ماسيي، المصدر السابق، ص ص97-98 .

[4] هلايلي: المستشرقون الفرنسيون ، المرجع السابق، ص 154

[5] هنري ماسيه، المصدر السابق، ص92.

[6] هلايلي: المستشرقون الفرنسيون، المرجع السابق، ص154.

أدى دي سلان مهمته ووجه إلى وزير التعليم العام الفرنسي تقريرا هاما **rapport adressé a M le Ministre e l'instruction publique ...suivi du catalogue des manuscrits arabe les plus important de la bibliothèque d'Alger et de la bibliothèque e cid Hammouda a Constantine**[1] . أنظر الملحق رقم05

قدمه في31جويلية1843م يقع في16صفحة وطبع في مطبعة **Paul Depont**، إذ قدم فيه تفصيلا للمخطوطات العربية التي أحصاها مزودا بملخصات دقيقة عن أصحابها وأهمية محتوياتها وخدمتها للسياسة الفرنسية[2] للمزيد حول التقرير بالتفصيل أنظر[3].

ونظرا لإتقانه اللغة العربية عينته الإدارة الاستعمارية ترجمانا أساسيا للجيش الفرنسي بداية من1سبتمبر1846، حيث قدم خدمات جليلة لدولته بفضل إتقانه العربية والتركية كما جاء في كلمة مختصرة في الجريدة الرسمية[4]، كما رشحته للتدريس في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس عوض المستشرق جوبير(**Jaubert**) بأمر ملكي بتاريخ23جانفي1848[5]، لكن ذلك التوجه أثر سلبا على ملكته اللغوية وإتقانه للعربية الفصحى كونه عالما متمكنا من المعرف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه وبحكم منصبه السامي وخلفية الاحتلال الفرنسي العسكرية القمعية فإن دي ساسي كان يخضع للتدريبات العسكرية الروتينية كونه مرافق دائم للجيش الفرنسي[6].

سمح لدي سلان في31ديسمبر1863م بأن يقدم دروسا للعربية الدارجة بمدرسة اللغات الشرقية وفي1871م أصبح أستاذا للعربية الدارجة بنفس المدرسة خلفا لكوسان دو

---

[1] هنري ماسيه، المصدر السابق، ص91

[2] بو سعيد، المرجع السابق، ص143

[3] أنظر بوسعيد ص 143 وما بعده . أنظر الملحق

[4] هنري ماسيه، المصدر السابق، ص92

[5] المصدر نفسه، ص ص92-93 .

[6] عبد المتعال الجبري، المرجع السابق، ص145.

برسوفال،وفي نفس السنة دعم ج مول(Mohl) تعيينه في رسالة عبر فيها بشكل لاذع عن وجهة نظر سلبية حيال اللهجات الجزائرية(رسالة بتاريخ7جويلية1871م) قائلا:" **إن السيد دوسلان هو الرجل الوحيد في فرنسا الذي يحسن أكثر من غيره عربية جميع الأزمنة، بدءا من العربية الأكثر جزالة إلى غاية العربية الأكثر سوقية، ذلك أنه ظل طوال عشر سنوات ترجمانا أولا للجيش بالجزائر،الأمر الذي جعله يضيف معرفته لهذه العربية الفظيعة إلى معرفته للغة الكلاسيكية**"[1].

- **جهوده في دراسة المخطوطات:**

ذاع صيت دي سلان في دراسة التراث العربي عامة والجزائر خاصة خلال القرن19م، فلم يسبقه في هذا الميدان إلا دي ساسي وبيربروجر، فكانت منشوراته مهمة ومميزة استقاها في معظمها من مخطوطات الجزائر المستعمرة، وفيما يلي جرد لأشهرها:

تاريخ ابن خلدون(القسم الخاص ببلاد المغرب) بعد تحقيقه على عدة مخطوطات متنا وترجمة،والنص في جزأين والترجمة في ثلاث أجزاء[2]، فقد عرف دس سلان أوروبا وفرنسا بأهمية كتاب ابن خلدون، فلولاه لما تمكنت المدرسة الفرنسية والغربية من معرفة وكتابة تاريخ المنطقة الذي كان مجهولا لديها، إضافة إلى استغلال فرنسا فقرات من الكتاب لاسيما في مرحلة الفتح والهجرة الهلالية لخدمة مشروعها في تقديم صورة مشوهة عن العرب بوصفهم شعب غير متحضر ليس له قوانين تضبطه وتساعده على التحضر بدليل إشراف وزارة الحربية عليه[3].

---

[1] هنري ماسيه، المصدر السابق، ص97.

[2] بوسعيد، المرجع السابق، ص141.

[3] بوترعة، المرجع السابق، ص340.

وكتاب في تاريخ البربر والأسر الإسلامية التي ملكت شمالي إفريقيا(من تصنيفه)، هذا الكتاب وان كان لا يضاهي المقدمة في أهميته فهو مصدر تاريخي بامتياز بالنسبة للموضوع الذي يعالجه، فهو حسب رينان:" **كنز التاريخ الإفريقي**"[1].

والمغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري متنا وترجمة بعد مقابلته على أربع مخطوطات بالجزائر عنونه ب **Description de l'Afrique septentrionale** وهو منشور في المجلة الإفريقية سنة1857[2]، والكتاب مصدر لا غنى عنه لما يحمله من معلومات جغرافية هامة لأهم مناطق المغرب، فكان كتاب البكري مصدرا هاما للذين كتبوا عن تاريخ الوسيط منهم هنري فوربال وأرنست مرسييه الفرنسيين اللذين اختصا بتاريخ المغرب الوسيط خلال القرن19م[3].

ديوان امرؤ القيس متنا وترجمة بشروح ومقدمة في ترجمة الشاعر نقلا عن كتاب الأغاني بمعونة رينو، طبعه سنة1835م. وكذلك وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان بعنوان" تراجم المشهورين في الإسلام"، لكنه يم يتمه و"**تقويم البلدان**" لأبي الفداء بمعاونة رينو والمختصر في أخبار البشر، تاريخ أبي الفداء و نبذة عن رحلة ابن جبير الأندلسي الحجازية[4].

وكذلك المشتبه في أسماء الرجال لشمس الدين أبي عبد الله الذهبي، والكتاب عبارة عن مختصر الحافظ الذهبي لكتاب التكملة لابن الآثار البلنسي في تراجم علماء الأندلس حيث انتقى منه بعض التراجم واستدرك على بعضها وحقق في البعض الأخر[5]، وقد علق دي

---

[1] هنري ماسيه، المصدر السابق، ص94

[2] بوسعيد، المرجع السابق، ص141.

[3] بوترعة، المرجع السابق، ص340.

[4] بوسعيد، المرجع السابق، ص141

[5] المرجع نفسه، ص144.

سلان عليه على أهميته كونه متعلقا بحياة علماء الأندلس في أدبيات الكتاب المستشرقين وغيرهم[1]،وفهرس المخطوطات العربية والسريانية في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس وذلك باللغتين العربية والفرنسية في4أربع أجزاء(وهو فهرس مرجعي هام للغاية لم يتمه دي سلان ووفاته المنية فأتمه زوتنبرغ(zotenberg) مدير المخطوطات في المكتبة الوطنية الفرنسية بين سنتي1883-1895م وحملة المغاربة على السودان999ه conquête du soudan par les Marocain pour l'année[2].

ساعد البارون وأمثاله من المستشرقين الفرنسيين في أداء مهامهم البحثية حول الموروث الجزائري وقوع الكثير من نفائس المخطوطات في أيديهم، فحققوها ودرسوها في المؤتمرات العلمية ونشروها في المجلات المتخصصة كالمجلة الإفريقية والأسيوية[3].

2ـ أدريان بربروجر(1801ـ 1869):

يعد من أبرز المستشرقين الفرنسيين بالجزائر.

- **مولده ونشاطه:**

ولد أدريان بربروجر سنة1801م، وبعد أن أكمل دراسته في شارلمان الثانوية التحق بمدرسة شارتécole des chartes[4]. كلف بربروجر سنة1832م بمهمة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن احتلال فرنسا في القرن15م، وفي1834م سافر

---

[1] De Slan, op, cite, p145

[2] بوسعيد، المرجع السابق، ص 141.

[3] المرجع نفسه، ص150.

[4] بوروبة حميد: **جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية في الجزائر – المجلة الإفريقية نموذجا**، مذكرة ماجستير،جامعة تلمسان ، 2008، ص43.

بربروجر إلى الجزائر حيث شغل وظيفة كاتب للمارشال كلوزيل(Maréchal Clauzel) الذي أصبح حاكما عاما للجزائر بين1835-1837م[1].

وقد عين الجنرال كلوزيل بربروجر سنة1836م محافظا لمكتبة الجزائر العامة وهي أول مؤسسة ثقافية في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية ومع حلول سنة1836م أصبح بربروجر يشرف على3 وظائف وهي محافظ مكتبة الجزائر ورئيس تحرير جريدة المبشر الجزائري والكاتب الخاص للمارشال كلوزيل[2].

لم يكن اختيار بربروجر المؤرخ وعالم الآثار مديرا لمكتبة الجزائر عشوائيا بل كان نتيجة للخدمات التي قدمها عن المدن الجزائرية كقسنطينة ومعسكر وغيرها إضافة إلى اشتغاله السكرتير الخاص للجنرال كلوزال قائد حملة قسنطينة وسكرتيرا للعديد من الضباط، وكان مولعا بتجميع الكتب والمخطوطات وخاصة تلك المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية[3]

ومع استلام بربروجر قرار تعيينه مديرا للمكتبة الوطنية بدّأ بجمع ورصد المخطوطات فرصد200 مخطوطة عربية، قدمت له كهدايا من ضباط الجيش الفرنسي وبعض ما استطاعت يده الوصول إليه، إلا أنه مع حملة قسنطينة تمكن من تجميع الآلاف من المخطوطات والوثائق التاريخية حتى أصبحت المكتبة الوطنية تحتوي ما يقارب40ألف محطوطة[4].

---

[1] حنيفي هلايلي: المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها 1830-1962، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 154-155، السنة41، فيفري2014م، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلوماتية، تونس، ص 314.

[2] المرجع نفسه

[3] محمد صاحبي: المخطوطات العربية في الجزائر في المجلة الإفريقية – مقارنة ببيليوغرافية، مجلة **الحوار المتوسطي**،العدد 5،جامعة وهران، ص108.

[4] المرجع نفسه .

ونظرا لنشاط القائمين على المكتبة بلغت شهرة واسعة لدرجة غطت على متحف الجزائر والذي كان أيضا تحت إدارة بربروجر والذي يحتوي على الآلاف من المقتنيات والآثار والمسكوكات وغيرها، إلا أن أغلب هذه التحف تم ترحيلها نحو باريس بعد الاستقلال سنة1967م مثلها مثل المئات من المخطوطات والوثائق التاريخية التي وجهت نحو المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس[1].

كما الحق مستشارا للمارشال فالي(Maréchal Valée) فشارك أثناء غزوته لقسنطينة التي شاهد احتلالها، ومنها عاد محملا معه عددا بأعداد معتبرة من المخطوطات التي شكلت نواة المكتبة الوطنية الجزائرية[2] ويخبرنا بربروجر أنه جمع من قسنطينة وحدها13صندوقا لم يصل منها إلى الجزائر سوى8 وكانت تضم500مخطوط[3]، وحرص بربروجر كل الحرص على مرافقة الجيوش في عمليات التوغل والغزو طمعا في جمع المخطوطات والحصول عليها، فرافق جيوش الاحتلال في حملة معسكر سنة1835م وتلمسان والمدية سنة1836م وطوال خدمته في الجزائر شارك في جميع اللجان والجمعيات العلمية[4].

ومع عزم السلطات الفرنسية العليا على تأسيس جمعية تاريخية قام بربروجر مع مجموعة من الضباط الفرنسيين السامين في الجيش الفرنسي وعدد من المستشرقين بتأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية سنة1856م، وقد جاء قرار تأسيسها حسب رأي بربروجر بعد فشل تجارب الدوريات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، وفي هذا الصدد قال بيربروجر:" **لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن**

---

[1] صاحبي، المرجع السابق، ص108

[2] بوروبة حميد، المرجع السابق، ص 75 .

[3] هلايلي: المستشرقون الفرنسيون، المرجع السابق، ص 314.

[4] المرجع نفسه، ص ص314-315.

منظمة تنظيما محكما يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي، وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء المجلة الإفريقية"[1].

- **جهوده في دراسة المخطوطات:**

ترك بيربروجر إنتاجا غزيرا نشر معظمه في المجلة الإفريقية ونشر ما بين سنوات 1832و1867م حوالي31 دراسة ومونوغرافية ومقالات بلغت 241 في المجلات[2].

تعرض المستشرق بيربروجر في مقالة نقدية إلى روض القرطاس لأبي محمد صالح بن عبد الحليم الغرناطي، قام بتحقيقه المستشرق الفرنسي بومييه سنة1860م، ويسلط الضوء على تاريخ سلاطين المغرب ومدينة فاس، ويقول بيربروجر فيها أن التحقيق والترجمة قد اعتمد فيهما بومييه على نسختين من المخطوط فقط إحداهما تم نسخها بالمغرب سنة1846م وهي بدورها منسوخة عن أصل قديم يمكن أن يكون النسخة الأم أما الثانية فقد جلبها المحقق من تونس ويرجع تاريخها إلى سنة1688م[3].

وكذلك مخطوط:" **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**" للشيخ عبد الله بن عبد الله الترجمان(القرن9هـ/15م)، اشترى بيربروجر المخطوط من أحد الجزائريين مع مجموعة من المخطوطات، وكتب هذا المخطوط سنة 1420م، وما يلفت الانتباه إلى المقالة هو النقد الشديد الذي وصل إلى حد التجريح في شخص المؤلف الذي يقول عنه بربروجر:" **أنه رجل دين مسيحي من اسبانيا اعتنق الإسلام في القرن15م وعمله ضمنه القيرواني في تاريخ إفريقيا**"[4].

---

[1] صاحبي، المرجع السابق، ص108.

[2] هلايلي: المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها، المرجع السابق، ص315.

[3] المرجع نفسه.

[4] صاحبي، المرجع السابق، ص115.

وأشار بيربروجر خلال نقده الشديد لصاحب المقال إلى مخطوط آخر في نفس الموضوع مؤلفه مجهول وتاريخه غير معروف وهو مفتاح الدين المجادلة بين النصارى والمسلمين وهو ضمن رصيد مكتبة الجزائر تحت رقم926[1].

وأهم مقالاته في المجلة الإفريقية هي:

حول لالة مغنية (ولية صالحة)

Lella-Mar'nia, R.A, II, 1858, p. 1

-دراسة ببيوغرافية حول ليون الإفريقي

Etudes biographiques. Jean Léon l'Africain ,*RA,* II, 1858, p353

-أحد أشراف منطقة القبائل سنة1804م: الحاج محمد بن الأحرش

Un chérif kabile en 1804 [Hadj Mohammed bel Harche, *R .A,* III, 1858, p209

-حول موضوع تعدد الزوجات: نتائجه الوخيمة وسبل الوقاية منه :

La Polygamie musulmane ses causes fatales et le moyen de la détruire, *R.A,* III, 1858, p254.

مسجد سيدي محمد بن عبد الرحمن بمدينة الجزائر :

La mosquée de Sidi Mohammed ben 'Abd er-Rahman, près Alger, *R.A,* III, 1858, p. 398

-كتيب حول مكتبة ومتحف الجزائر

Livret de la bibliothèque et du musée d'Alger, R.A, IV, 1859-1860, p 105, 220, 358 et 459.

-مخطوطات إسبانية بخطوط عربية

Manuscrits espagnols en caractères arabes R.A, IV, 1859-1860, p. 297.

-الجزائريون يطلبون ملكا فرنسيا سنة1572

Les Algériens demandent un roi français en 1572 R.A, V, 1861, p. 1.

-عبد الله الترجمان ، مرتد في تونس سنة 1388

Abd Allah Teurdjman, renégat de Tunis en 1388, R.A, V 1861, p. 261

-قصب السكر وأشراف المغرب في القرن السادس عشر

---

[1] صاحبي، المرجع السابق، ص115.

La canne à sucre et les chérifs du :Maroc au XVIe siècle, R.A , VI, 1862, p116.

-البيان الأول الذي وجهته فرنسا للجزائريين غداة الاحتلال سنة1830م

La première proclamation adressée par les Français aux Algériens (1830), R.A, VI, 1862, p 147.

-حول الفأل

Le fal [opération magique pour obtenir des prédictions], R.A, VI, 1862, p. 298.

-هاروت وماروت

Harout et Marout [anges], R.A, VI, 1862, p. 305.

-قنصل (فرنسي) في الجزائر في القرن الثامن عشر

Un consul à Alger au XVIIIe siècle, Bruce, R.A, VI, 1862, p332

-صيغة الإنكار عند المسلمين.

Formule d'abjuration selon la loi musulmane, R.A ,VII, 1863, p. 351.

-حول كتاب وشائح الكتائب للأمير عبد القادر الجزائري.

Ouichah el-Katair [Règlements de l'armée d'Abd el-Kader], R.A ,VIII, 1864, p. 98.

-ميثاق المستشفيات المسيحية في الجزائر سنة1694م.

Charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694, p. 233.

رحلة السيد طولو" من باريس إلى الجزائر سنة1731م.

Un voyage de Paris à Alger en 1731 par le sieur Tollot, , R.A, XI, 1867, p. 417.

-قضية بكري (التاجر اليهودي في الجزائر).

L'affaire Bakri [1814],. R.A,, XIII, 1869, p. 60

-الضيافة (أو الحفاوة) عند العرب.

De l'hspitalité chez les arabes, R.A, XIII, 1869, p.145

03ـ لويس برينييه (1814-1869):

نشط برينييه في كنف الاستعمار، فعرف باهتمامه باللغة العربية سعيا لفهمها واستيعابها.

- **مولده ونشاطه:**

ولد برينييه سنة1814م بمدينة مونتيغري، خريج مدرسة اللغات الشرقية[1] بدأ حياته كمنضد للحروف، تتلمذ على يد دي ساسي وغيره، ثم شغف باللغات الشرقية، ولإتقانه اللغة العربية جيدا أرسلته الحكومة الفرنسية إلى شمال إفريقيا لإتمام بحوثه[2]، فتولى بادئ الأمر مدرسة عربية في الجزائر منذ1836م فعلم اللغة العربية فيها طوال33سنة حتى وفاته[3].

شارك في عدة عمليات لاكتشاف المجتمع الجزائري، وتخرج على يده أفواج من المترجمين العسكريين والقضائيين والمدرسين للغة العربية في الجزائر، وكان أول من شجع اللغة العامية لضرب اللغة الفصحى، وأول عمل لبرينييه هو بدء الدروس العامية لتعريف الأوروبيين المستوطنين باللهجة العامية وفهم حياة الجزائريين، فأكد على ضرورة تواصل المستوطنون مع الأهالي دون واسطة[4].

وقد قسم برينييه نشاطه التعليمي إلى قسمين قسم خاص باللهجة الجزائرية من خلال توضيح تعابيرها الشائعة واستعمالها وتدريب المستوطنين عليها، مقدمة على ثلاث حصص للتدريب على العربية الدارجة، أما القسم الثاني فقد وجهه للأشخاص العارفين باللغة العربية والذين

---

[1] Narcisse Faucon :**le livre d'or de l'Algérie**, T1, Challamel et Cie édition, Paris,1889 , p123.

[2] بركان بن يحي: الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر الجانب الاجتماعي أنموذج، مجلة **الدراسات والبحوث الاجتماعية**، العدد17، 2016، جامعة الوادي، ص134.

[3] العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص192.

[4] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج4، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص ص29، 30.

يرغبون في إتقان كتابتها، وقدم برينييه لهذه الفئة النظرية النحوية وتطبيقاتها على ترجمة مختلف النصوص، فاختار مجموعة من ألف ليلة وليلة لسهولة تعابيرها[1].

وقدم برينييه ملاحظتين عن اللغة العربية استخلصها من دراسته لها،الأولى ما جاء في مقدمة كتابه" المجموعة العربية" من أن العربية غنية فقط بأشكال الكلمات والمترادفات وهي بعيدة عن أن تقدم في حالتها الحاضرة وربما في المستقبل الطاقات والسهولة التي يتقدمها اللغات الأوروبية سيما اللغة الفرنسية.

أما الملاحظة الثانية فهي حثه الفرنسيين على تعالم اللغة العربية، كي تكون وسيلتهم المباشرة لمعرفة الشعوب الأخرى، فقال في مقدمة كتابه" **الدروس العلمية**" أن اللغة العربية ليست وسيلة فرنسا للاتصال بالأهالي(الجزائريين) فقط بل بالعالم العربي والإسلامي، وقال إن معرفة اللغة العربية ستجعل العالم الأوروبي يربط علاقات بالشعوب الإسلامية بشكل مباشر وشفوي[2].

- **آثاره:**

ترك برينيه مجموعة معتبرة من الكتب طبعت كلها في الجزائر إضافة إلى مجموعة من المقالات المنشورة في المجلة الأفريقية، منها التعليم العربي في الجزائر سنة1846وكتاب نظري وتطبيقي لتعليم العربية(1867-1855-1846). ومنتخبات أدبية باللغة العربية العامية (1867-1846) والأجرومية في قواعد العربية لمحمد بن داود الصنهاجي بترجمة فرنسية وملحق لتفسير الكلمات العربية سنة1846م وكتاب علوم ابتدائية في الخطوط العربية سنة1855م،وقواعد القراءة والكتابة والتخاطب بالعربية[3].

---

[1] سعد الله، أبحاث وأراء، ج4، المرجع السابق، ص 31.

[2] المرجع نفسه.

[3] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص192.

ومن أهم مقالاته في المجلة الإفريقية:

فترة التواجد التركي في قسنطينة:

RESNIER (L.-J.) et BERBRUGGER (A.), Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine, RA, 1, 1856

النظام الصوتي والإملائي في كتابة العربية:

Système phonique et orthographique pour la transcription de l'arabe, RA, 1, 1856, p521.

صيغة الإنكار في الشريعة الإسلامية:

A. B. [BERBRUGGER (A.)] et BRESNIER (L.-J.), Formule d'abjuration selon la loi musulmane, RA , 7, 1863,

ونشر المستشرق هورنو رثائية لبرنييه في المجلة الإفريقية:

HERBONNEAU (A.), Nécrologie, R A,V 13, 1869.

04ـ أرنست مرسييه (1840ـ1907م):

يعد أرنست مرسييه من أشهر المستشرقين الفرنسيين الذين خدموا الاستعمار بأبحاثهم ودراساتهم حيث خسرت بشكل مباشر لتكريس الهيمنة الاستعمارية في الجزائر.

- **مولده ونشاطه:**

ولد في17سبتمبر1840م في مدينة لاروشيل الفرنسية من أسرة مثقفة، فقد كان والده ستانيسلاس مرسييه مساعد قائد في الحامية حيث كان طبيبا جراحا،[1] شارك في الحملات

[1] Debane Odilon : **hommage à un grand algérienne, Ernest Mercier**, conférence faite devant de la société de géographie de Marseille , libertaire orientaliste , Paris,1944, p104.

العسكرية ضد الجزائريين مع الجنرال بوجو وفي سنة1854م غادر الجيش واستقر كطبيب في سور الغزلان وهناك حصل على أرض واستقر كرب عائلة[1].

أما ابنه أرنست فكان عمره13سنة حينما ترك الدراسة وعاش مخالطا للجزائريين فتعلم منهم العربية ودرسها، وفي سنة1868م نجح في مسابقة المترجم العسكري وسمي مترجما في سيدو حيث كانت ثورة أولاد سيدي الشيخ تصل إلى هناك من الجنوب الغربي وازدادت معرفته للعربية، فانتقل إلى الترجمة القضائية فأصبح مترجما لقاضي الصلح في محكمة الحروش ثم في مدينة تنس[2].

وبوقوع ثورة1871م كان أرنست في تنس، تطوع وأصبح قائدا للميلشيات المحلية ضد الثوار هناك، ثم أبح منذ نوفمبر1871م مترجما محلفا في قسنطينة، حيث كان الثوار يحاكمون بالحملة وكان والده قد استقر في قسنطينة بصفته صيديليا وهناك أستقر أيضا أرنست وكون عائلة ودخل ميدان السياسة فتولى منصب رئيس البلدية في مدينة قسنطينة مرتين وعضوا في المجلس الولائي العام[3].

إن ولوع أرنست بالدراسة أقحمه مجال الكتابة فأصبح عضوا في الجمعية الأثرية لقسنطينة وساهم في تحرير مجلتها روكاي وقدم دراسة عن الطريقة القادرية وآخري عن ثورة أبن غانية وتاريخ معارف القدماء الجغرافية عن إفريقيا الشمالية وتولى نيابة رئاسة الجمعية ثم رئيسا لها سنة1892م[4].

درس مارسييه التاريخ والأدب العربي واللغة والدول المتداولة على إفريقيا الشمالية، وقد نشر مجموعة من البحوث منها تاريخ شمال إفريقيا سنة1891م في3أجزاء وهو العمل الذي

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص64.

[2] المرجع نفسه.

[3] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص194.

[4] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 64

نال عليه الميدالية الذهبية من جمعية الدراسات التاريخية بباريس، كما نشر بحوثا عن الكاهنة وكسيله وعن فرنسا والصحراء والملكية في بلاد المغرب العربي طبقا لمذهب الإمام مالك واحتلال قسنطينة ومن مؤلفاته وضع المرأة المسلمة في إفريقيا الشمالية وأوضاع السكان الجزائريين تحت الاحتلال الروماني والوندالي والبيزنطي ثم الملكية العقارية الإسلامية في الجزائر وغيرها من البحوث وله دراسة عن المقرانيين وثورة1871م وأخرى عن فن الترجمة الكتابية والشفوية[1].

يعتبر أرنست مرسييه مثالا للعسكري والمدني الفرنسي والمستوطن الحاقد على كل ما هو عربي إسلامي وتشهد كتاباته عن الفتح الإسلامي وعن ثورة المقراني على حقده ومع ذلك فإنه من المساهمين البارزين في الترجمة والتأليف والبحث إلى جانب الوظائف الإدارية والسياسية التي تولاها[2].

05ـ لويس رين(Louis Rinn)(1838ـ1905)

- **مولده:**

ولد في باريس في28مارس1838م لعائلة علمية اهتمت بالحياة الأكاديمية مثل عمه وأخته،دخل مدرسة الفرسان سان سير العسكرية بباريس سنة1855م، جاء إلى الجزائر في ماي 1864م بمناسبة ثورة أولاد سيدي الشيخ ودخل في سبتمبر من نفس السنة في مصلحة الشؤون الغربية حيث قضى فترة خدمته العسكرية[3].

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 64.

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص194.

[3] Faucon, op, cite, p468.

- **نشاطه :**

أصبح رين سنة1880م رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية وبعد خمس سنوات ألغيت المصلحة وأصبح مستشار لدى الحكومة العامة، وعمل رين منذ1864م في المصالح الأهلية ما سمح له في التقرب من الأهالي والتعرف على مشاكل الجزائريين الدقيقة كون كل الوثائق والمراسلات كانت تمر بيده كما جعلته على أنماط الناس وتفكيرهم[1].

- **آثاره:**

تولى رين رئاسة الجمعية التاريخية لسبع(7) سنوات وظل يشارك في أعمالهم ثم رئيسها الشرفي إلى غاية وفاته سنة1905م، وخلال أدائه لوظيفته الحساسة الشؤون الأهلية ألف رين عدة كتب ذات طابع إحصائي وإجمالي ولكنها مفيدة وقد كتبها بروح الأب الخبير الحريص في نظرة على مصلحة الأهالي، وكان من موقعه يتلقى التقارير والرسائل، كما كان يراسل من يشاء من أعيان الأهالي ويطلب منهم المعلومات لكتبه[2].

أتقن رين اللغة العربية والبربرية، فارتكزت معظم أعماله على اللغة والعادات والتقاليد وأشهر مؤلفاته **تاريخ انتفاضة1871م** ودراسة الطرق الصوفية الذي سماه "**مرابطون وأخوان**"سنة 1884م[3]، وله أبحاث نشرها في المجلة الإفريقية منها مملكة الجزائر تحت أخر الدايات والمماليك البربرية الأولى وحرب يوغرطة، كما بحث في الدراسات اللغوية والاثنولوجيا عن البربر وأخبر زميله لاكروا أنه يفكر في تكريس سنواته الأخيرة في كتابة

---

[1] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص194.

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص64

[3] Faucon, op, cite, p470.

موسوعة كبيرة عن تاريخ الجزائر تضم11مجلدا، إلا أننا لا نعرف ما أكمل منه كون الكتاب الأخير لم يرى النور[1].

ومن أهم مقالاته في المجلة الإفريقية:

- Essais d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères (début V 25. 1881

- Essais d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères (suite) V 25, 1881

-Essais d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères (suite). V 27, 1883

06ـ أديان دالباش(1848ـ1894):

- مولده:

ولد بمدينة بوفاريك سنة1848م ابن مستوطن فرنسي استقر في سهول متيجة، تعلم أدريان اللغة العربية في مدرسة تلمسان الشرعية في عهد مديرها بيلار، وأصبح مترجما عسكريا كغيره من الكثير من الشباب الفرنسيين الذين وجدوا في هذه المهنة وسيلة للعيش والاستعمار[2].

ركز أدريان كغيره من المستشرقين على تعلم اللغة العربية الدارجة المنطوقة فقط وجاء إلى العاصمة ليزداد علما بالعربية على يد لويس برينييه، نجح في مسابقة مهنة الترجمة العسكرية،وكان ملازما للجنرال سيريز سنة1871م أثناء ثورة الرحمانيين والمقرانيين وقيل أنه هو محرر الإنذار الفرنسي قبل الهجوم على فج أولاد عزيز وهو الإنذار الموجه للثوار[3].

---

[1] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص194

[2] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص69.

[3] المرجع نفسه.

- **نشاطه:**

رافق أدريان الفرقة الحاملة للمؤونة عبر بوسعادة بقيادة العقيد ترويلي، وبعد القضاء على الثورة تفرغ أدريان دالباش للدراسة واستقال من الترجمة العسكرية مقتحما الترجمة القضائية، ومشتغلا في عدة محاكم فرنسية كمحكمة تيزي وزو وبلعباس ومينيزفيل(الثنية) والبليدة وأثناء ذلك حصل من مدرسة الآداب على دبلوم اللغة العربية والدراسة الأخيرة التي قربته إلى صف المستشرقين[1].

ـآثاره:

نشر بحوثا حول ثورة الطريقة الدرقاوية ما بين سنوات1800و1813م، كما وردت في كتاب مسلم بن محمد ونشر تاريخ الأمير عبد القادر الذي كتبه ابن عمه الحسين بن علي ين أبي طالب وهو ترجمة جزئية للأمير عبد القادر، كما نشر بحثا عن زاوية سيدي علي بن موسى وآخر عن إجازة مقدم الطريقة الرحمانية وخلاصة لكتاب البستان لابن مريم .كما درس الفقه الإسلامي[2].

يعد أدريان دالباش من أعضاء الجمعية التاريخية البارزين وهذا يظهر من تحوله من الترجمة القضائية إلى الدراسات الإستشراقية والاهتمام بترجمة النصوص العربية والتعريف بالتراث الإسلامي والطرق الصوفية والفقه. ولكن أعماله مثل أعمال معظم المستشرقين تبقى خفيفة لا تساهم في تعميق المعرفة، وقد أدركه الموت في سن مبكرة بالغا من العمر46سنة سنة1894م[3].

---

[1] العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص194

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص69

[3] المرجع نفسه.

ومن أهم مقالاته في المجلة الإفريقية:

A. DELPECH : Résumé du Bostane ,R A ,v 27,1883

07-لوران شارل فيرو(1829ـ1888م):

يعد شارل فيرو من المستشرقين العسكريين المهتمين بالدراسات الأنثروبولوجية.

- مولده:

ولد لوران شارل فيرو في مدينة نيس الفرنسية في5فيفري1829م، جاء للجزائر في سن صغيرة وعمره لا يتجاوز16سنة.عملا كاتبا في العاصمة بالإدارة المدنية(الحكومة العامة) ومترجما بها،ثم أصبح مترجما احتياطيا عسكريا من الطبقة الثانية، قضى مدة زمنية طويلة في الترجمة وتعلم اللغة العربية[1].

قضى فيرو20سنة مشاركا في الحملات العسكرية باتجاه إقليم الشرق وشارك في الحملة ضد محمد الأمجد(بوبغلة) نواحي بجاية سنة1852م وفي الحملات ضد البابور وبجاية وذراع الأربعاء وبرباشة وهذه الحملة كان قد اندس ليلا في مجموعة من خيالة جزائريين بهدف خطف مبعوث بوبغلة الذي كان يبث الدعاية لإثارة الأهالي كقوله أن الجيش الفرنسي قد توجه إلى المشرق سنة1854م بهدف عزل السلطان العثماني[2].

ولخبرته بشؤون الأهالي أبقاه القادة العسكريون لإقليم قسنطينة إلى جانبهم ثم أصبح منذ الحكم المدني سنة1871م ملحقا بالحاكم العام الأميرال ديقيدون في العاصمة، كما أبقاه الجنرال شانزي(1873 -1878م) في نفس المنصب[3].

---

[1] Laurent Charles Féraud, légion d'Honneur, Archives national, France, dossier L.H955 /62,pp7,10

[2]. العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص194

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص77.

- **نشاطه:**

أثناء إقامة شارل فيرو في إقليم قسنطينة جمع عددا كبيرا من الوثائق عن تاريخ الإقليم بمدنه وأثاره، فكتب في مجلة روكاي الصادرة بقسنطينة ومجلة هيبون بعنابه، ومع انتقاله إلى الجزائر العاصمة ساهم في الجمعية التاريخية التي تصدر المجلة الإفريقية، فتولى رئاستها في الفترة الممتدة من سنة1876 إلى1879م[1]. كلفته الحكومة الفرنسية بمهام دبلوماسية في طرابلس وتونس، كما كلفته بمرافقة السفير الفرنسي المبعوث سنة1877م إلى سلطان المغرب الأقصى في مهمة تتلخص في وضع حد للنفوذ البريطاني والايطالي في طرابلس وتونس[2].

وأثناء تواجده في طرابلس كتب كتاب الهام" **حوليات ليبية** "، وكان فيرو في طرابلس في الوقت الذي استولت فيه فرنسا على تونس وانجلترا لمصر، وثورة بوعمامة بالجزائر وثورة عرابي باشا في مصر والثورة المهدية في السودان. وعينت الحكومة الفرنسية وزيرا مفوضا في طنجة سنة1884م وبعد سنة رافق سفارة مغربية إلى فرنسا وهي السفارة التي رجعت إلى المغرب عبر الجزائر سنة1885م[3] وقد توفي فيرو بطنجة فيس ديسمبر1888م[4].

- **آثاره:**

خلف شارل فيرو زخما معرفيا معتبرا ورائه، وكلها تقريبا قائمة على الترجمة من الوثائق الأهلية وتوظيفها لصالح الإدارة الاستعمارية وكان مستعملا الرواية الشفوية كثيرا ولاجئا إلى

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص77.

[2] Nora Lafi : **Laurent Charles Féraud le renseignement militaire et l'histoire**, annales tripolitaines, édition Boucheni,2005,p11, archive ouvert HAL, Fr

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص77

[4] Lafi, op, cite, p13.

أعيان وشيوخ العلم والحكمة فأخذ عنهم أنساب الأعراس والقبائل وأسماء العائلات وسير الأبطال والغزوات بما في ذلك الأساطير والخرافات[1].

ومن منشوراته وصف مدن الشرق الجزائري مثل بجاية وجيجل وتبسة وعنابة وذلك في مونوغرافيا مؤلفات خاصة[2] ومنها مؤلفه عن قصر الحاج أحمد الذي تحدث عنه حديث الحاقد وليس حديث الباحث الموضوعي المحايد[3].

ربط فيرو علاقات وطيدة مع أعيان الجزائر وعلمائها وشيوخها ونجد ذلك في الوثائق التي كانت بحوزته وفي الإشارات إلى اسمه في المراسلات، ففي رسالة من محمد الصالح العنتري إلى فيرو وتذكيره بالصداقة القديمة وطلب التدخل لإيجاد وظيفة لابنه العنتري، وفي رسالة أخرى كتبها أحد البجائيين أنه كتب عملا في تاريخ بجاية وقدمه إلى فيرو أيام كان مع **الجنرال بوثوث** في قسنطينة[4].ونفهم من ذلك أن فيرو كان يستغل طمع العلماء والشيوخ في الوظيفة وسوء أحوالهم المادية فيطلب منهم الكتابة عن العائلات والمدن والأنساب ثم يترجم ذلك وينسبها إلى نفسه[5].

08ـ ليون روش(1809ـ1902):

تعلق روش باللغة العربية فأتقنها، فخدم بذلك وطنه بالتسلل إلى دولة الأمير عبد القادر كجاسوس، فاقترب أكثر من المجتمع الجزائريين فاطلع على عاداته وتقاليده.

---

[1] العقيقي، ج 1، المرجع السابق، ص194

[2] المرجع نفسه.

[3] M. Charle Féraud : **visite au palais de Constantine**, extrait de l'ouvrage "le tour du monde, Paris, 1877.

[4] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص77

[5] المرجع نفسه.

- **مولده:**

ولد ليون روش في مدينة غرونوبل الفرنسية في27سبتمبر1809م، بدأ دراسته بثانوية غرونوبل وأتمها بثانوية تورنون ومنها نال شهادة البكالوريا سنة1828م، ثم دخل معهد الحقوق في غرونوبل لمدة6 أشهر، تميز بالطموح والرغبة في المغامرة[1].

كان والده ألفونس روش ملحقا بخدمات العتاد الحربي في الجزائر منذ الحملة الفرنسية في شهر جويلية1830م، عمل في المجال الفلاحي في ضواحي الجزائر فكون مزرعة في سهل متيجة. انتقل ليون إلى الجزائر سنة1832م واستقر وسط الأهالي الجزائريين وبقايا الأتراك والحضر[2].

وفي منتصف سنة1833م قدمه أبوه إلى شخصيات هامة ونافذة في الجزائر فعرفه بالدوق دي روفيجو(حاكم الجزائر العام) مسئول المصالح المدنية السجانتي ورئيس بلدية الجزائر السيد كوتان، على إثرها عينه الدوق في هيئة الحرس الوطني برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة،وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة باتجاه منطقة الهضاب ومتيجة[3].

ويرجع تعلق ليون روش باللغة العربية وشغفه بتعلمها إلى عاملين رئيسيين أولها للتمكن من التواصل مع أجرائه والده في المزرعة وثانيا للتحاور مع خليلته الجزائرية خديجة، فتعلمها على يد أستاذ جزائري مسلم اسمه عبد الرازق بن بسيط فتمكن منها في أقل من سنة[4].

---

[1] Anonyrne :**Quelques pages sur Léon Roches**, imprimerie Allier Frères, Grenoble,1898,pp, 28 ,29

[2] ليون روش: **32 سنة في رحاب الإسلام. مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز**، تر: محمد خير محمود البقاعي، دار جداول للنشر، لبنان، ط1، 2011، ص 14.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص77

[4] Roche, dix ans, op, cite, p19.

- **نشاطه:**

بقدوم اللجنة الإفريقية الأولى للجزائر سنة1833م للبحث في أحوال الجزائر وتقديم تقريرها للحكومة الفرنسية، تكفل ليون روش بمهمة الترجمة بين أعضاء اللجنة والعرب الحاضرين،حيث لم يكن بالجزائر إلا أربع مترجمين مؤهلين جيدا ، مما استدعى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي من طرق الماريشال كلوزيل سنة1835م[1].

رافق ليون روش المارشال كلوزيل في حملته على المدية سنة1836م، فازدادت طموحاته تجاه الحياة العسكرية ورغبته في أن يكون ضابط في الجيش[2]، وهو ما يثبت نيته في القضاء على الأهالي الجزائريين وليس وعمله الالتحاق بجيش الأمير عبد القادر نتيجة إسلامه فهو يريد نشر حضارة بلاده في أوساط الجزائريين[3].

قرر ليون روش الالتحاق بجيش الأمير وبرر موقفه بعزمه على اعتناق الدين الإسلامي فغادر مقر إقامته واستقر عند شيوخ قبيلة بني موسى، مدعيا رغبته في الالتحاق بالأمير عبد القادر لمساعدته على تنوير المسلمين واطلاعهم على الحضارة الفرنسية، وبناء على ذلك بدأ روش ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير عبد القادر فاتصل بالملازم الأول فيرجي قائد فرقة الصبايحية بمدينة بوفاريك ورافقه إلى البليدة، أين أظهر إسلامه واتصل بمرابط المدينة سيدي بقاسم بن سيدي الكبير

---

[1] Roche, dix ans, op, cite, p23.

[2] يوسف مناصرية: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832ـ 1847**،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1990،ص17.

[3] Faucon , op, cite, p474.

وظهر له بصفة مسلم وتخوفه من رجال الحجوط لأن يغتالوه، فوثق به المرابط واستضافه في بيته[1].

وفي هذه الأثناء حضر رسول الأمير عبد القادر مخبرا سيدي بلقاسم عن رغبة الأمير في بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري التي لم تخضع بعد لسلطانه وحينها أبدى روش رغبته في الالتحاق بالأمير عبد القادر لخدمته، فكانت هذه الخطوة الأولى لوصوله إلى مرامه بالالتحاق بدولة الأمير لخدمة فرنسا والمساهمة في تحقيق مصالح بلاده[2].

تهيأ روش للقاء الأمير فتعلم مختلف العبادات كالصلاة وتعاليم الإسلام لبث الثقة في نفس الأمير ومن حوله. قبل الأمير عبد القادر دعوة روش للدخول في خدمته، ولأول مرة أجرى معه حوارا فأقنعه بإسلامه ورغبته الحادة في خدمته والانطواء تحت حكمه، ما أفرح الأمير طالبا من قاضي معسكره تعليمه القرآن وتعاليم الدين الإسلامي[3].

من هنا بدأ روش في التحضير لعمله كجاسوس وبدأ في أخذ حذره من أن إتقانه عملا لصالح الأمير وارتكاب جريمة في حق بلده، وأخذ الشروع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الأمير العسكرية والسياسية وبعث أول رسالة له من معسكر الأمير في وادي نوغة في1837/12/19م إلى أحد الفرنسيين لم يذكر اسمه وأشار إليه بعبارة صديقي استهلها بإعطاء وصف دقيق عن شخص الأمير ومناقبه وأوصافه الجسمية والخلقية والدينية والثقافية وقال أنه رجل عادل ومحترم للتعاليم الإسلامية ويحظى بالاحترام الشديد لاحترامه الإسلام وسيره على خطة الخلفاء الراشدين، ثم تطرق للحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية مؤكدا أن موارده المالية منعدمة وخزينته مفلسة وجيشه

---

[1] مناصرية، المرجع السابق، ص18

[2] المرجع نفسه.

[3] روش، المصدر السابق، ص17.

النظامي ومشتت وضعيف المعنويات وأن سلطته جزئية فبعض القبائل خرجت عن سلطته لاسيما قبائل الجنوب فلم تعترف بسلطانه[1].

ومن الناحية الإدارية أكد روش أن الأمير يقسم دولته إلى8إمارات يرأس كل واحدة منها خليفة وأعطى تفاصيل هامة عن كل إمارة وكيفية توزيع القبائل التابعة له، كما قدم تفاصل عن كيفية جمع الضرائب الزكاة والعشور، أما عن موقف المسلمين من الوجود الفرنسي في السواحل الجزائرية فيقول أن رأيهم بالإجماع على أنها فترة مؤقتة وأنه سيتم جمع المال لشراء كل المدن ويغادر الفرنسيين بلادهم وتعم سلطة الأمير الجزائر[2].

إن أهم ما أنجزه ليون روش لخدمة وطنه فرنسا هي أداء المهمة التي كلفه بها المارشال بوجو سنة1841م لدى شريف مكة في الوقت الذي تورطت فيه فرنسا في حرب دموية في الجزائر،ولجوء فرنسا إلى حكمة رجال الدين المسلمين وطلب منهم فتوى تحت المسلمين الجزائريين على الإعراض عن المقاومة غير المجدية وقبول السيطرة الفرنسية مقابل تعهد فرنسا باحترام مؤسساتهم الدينية والقضائية[3]، فنجح روش في مهمته حيث صاغ الفتوى علماء القيروان وصادق عليه علماء القاهرة ثم ذيلها بتوقيع مجلس علماء مكة المكرمة[4].

ألف ليون روش كتابه المعنون ب"**32 سنة في رحاب الإسلام**"، وقد تحدث كارابي عن روش وما دفعه إلى كتابة مذكراته فيقول" **إن ذلك كان بإلحاح من أسرة المارشال بوجو لأنهم كانوا يعلمون أنه من المستحيل أن يتحدث روش عن حياته دون أن يحكي في جانب**

[1] مناصرية، المرجع السابق، ص26

[2] المرجع نفسه.

[3] Faucon , op, cite, p476

[4] Léon roche : dix ans travers l'islam ,op, cite, p241.

منها عن حياة المارشال بسبب أنهما كان مرتبطين يبعضهما البعض كل الارتباط ويعملان لمجد فرنسا وظهرت المذكرات بعنوان32سنة في الإسلام عام1884"[1].

09ـ البارون بواسواني(1811ـ1902):

نشط بشكل واسع في المجلة الأثرية بقسنطينة، وسعى إلى تكوين نخبة جزائرية مثقفة ثقافة فرنسية.

- **مولده:**

ولد استاف لورانت بواسواني في باريس في19جوان1811م، توفي عن عمر يناهز91سنة في22 فيفري1902، درس في فرنسا وأصبح ضابطا في المدفعية، ثم انتقل الجزائر واستقر بقسنطينة أين تولى فيها إدارة الشؤون الأهلية(المكتب العربي) وبدأ حياته العلمية سنة 1884م[2].

- **نشاطه وآثاره:**

نشر في المجلة الأثرية روكاي بقسنطينة حروف الهجاء المستعملة في أوساط التوارق ونشر سنة1884م النص العربي لبعض أشعار الأمير عبد القادر وكذلك التنظيمات العسكرية المسماة(وشاح الكتائب) التي أعدها كاتب الأمير عبد القادر قدور بن رويلة، ونشر الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ وتحفة العروس[3].

وكان نائب رئيس أول مجلس عام للجزائر، في عام1858م، ولإتقانه باللغة العربية رشحته الحكومة الفرنسية لمرافقة الأمير عبد القادر بعد هزيمته في ديسمبر 1847م وعينته في هذه

---

[1] روش، المصدر السابق ، ص ص 18 ،19.

[2] Louis Rinn :**notice sur le général Boissonnet, nécrologie**, R.A, V46,1902,p133.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص62

المهمة الحاكم العام في الجزائر الدوق دومال، فرافق بواسواني الأمير في فرنسا وفي المشرق وبقي معه في حصن لامالق ثم سجن بو ثم قصر أمبواز وكان البارون بواسواني يخفف أهوال الغربة على الأمير ويشرح له الأسباب السياسية التي جعلت حكومة فرنسا تسجنه بدل أن تطلق سراحه وظل إطلاق سراح الأمير ينتظر حتى أكتوبر1852م بتولي نابليون الثالث الحكم نفسه وحينها توجه بواسواني مع الأمير إلى اسطنبول[1].

شارك بواسواني في الجمعية الأثرية بقسنطينة ومجلتها وشجع مجموعة من المثقفين الجزائريين المائلين على تأليف كتب ومذكرات حول قسنطينة ومنهم محمد الصالح العنتري الذي كتب" **الفريدة المؤنسة**" و"**هدية الإخوان**" بدافع منه، وشارك كذلك في تأسيس الجمعية التاريخية بالجزائر وترأسها، وبعد انتقاله إلى فرنسا ظل يزور الجزائر كل شتاء للمشاركة في اجتماعات الجمعية التاريخية، أما الوظائف الإدارية الأخرى التي تولاها فهي تولي منصب النائب الأول لرئيس المجلس العام(المجلس الولائي) لولاية الجزائر عند إنشاء هذا المجلس سنة1858م[2].

10ـ لوشاتلييه(1855-1929):

ولد في باريس سنة1855م، دخل الحياة العسكرية إذ تخرج من مدرسة سان سير العسكرية بباريس، ثم تحول إلى الدراسات المدنية والاستشراقية ودراسة التصوف[3]. شارك في المكاتب العربية بالجزائر ومنها المكتب العربي في ورقلة وعمل في مناطق أخرى ما بين1878م و1886م منها بوسعادة وبوغار وغرداية ولاطلاعه وخبرته بأحوال الصحراء أخذه العقدي فلاترز في أول بعثة له وشارك في الأركان العانة بالعاصمة وأثناء عمله في الصحراء قام بأول سبر(صونداج) للبحث عن المياه ودرس تفاصيل الحياة الصحراوية،وكتب دراسة

[1] Rinn :notice sur le général Boissonnet, op, cite, p136.

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص62

[3] المرجع نفسه، ص74

متميزة عن الصعاليك فيها والذين ظهروا بين الستينات والثمانينات من القرن الماضي على اثر ثورات أولاد سيدي الشيخ وبوشوشة وابن عبد الله[1].

رجع لوشاتلييه سنة1886م إلى فرنسا مفضلا حياة العمل للترويج للفكر الاستعماري فخرج من الجيش وأخذ يكتب المقالات والكتب لدعم أفكاره "ينشر في المجلات والجرائد وأخذ يبدي اهتماما بالمسائل الإسلامية العامة وليس الجزائرية فقط، فألف في ذلك كتابين الطرق الصوفية الإسلامية في الحجاز والإسلام في القرن19م وفي نظره أن الإسلام قد استيقظ بقوة حركة الجامعة الإسلامية من المغرب الأقصى إلى أفغانستان وأكد أن الإسلام الأسيوي يختلف عن الإسلام الإفريقي فالأول متأثر بالاستعمار الانجليزي والروسي والثاني متأثر بالاستعمار الفرنسي والاسباني[2].

عمل لوشاتلييه أستاذا في الكوليج دي فرانس محتكرا حلقة جديدة في الدراسات الإسلامية باسم" **المجتمعات الإسلامية**" متأثرا بأنواع الدراسات الاجتماعية الجديدة في فرنسا وألمانيا ثم أسس البعثة المغربية عند الاهتمام الفرنسي المركزي مع احتلال المغرب الأقصى ونشرت البعثة موسوعتها المعروفة باسم" **الأرشيف المغربي**" والتي حققت قياسا في السرعة والعمل الجماعي بحيث ظهر منها3مجلدات في ظرف35سنة، وكانت البعثة في أول أمرها بطنجة ثم انتقلت إلى الرباط، كما أسس" **مجلة العالم الإسلامي**" والتي أصدرت ما بين سنوات1905 و1925 62 مجلدا وظهر على صفحاتها مستشرون كبار أمثال لويس ماسينيون[3].

[1] العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص228.

[2] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص74

[3] المرجع نفسه.

ثانيا ـ المستشرقون الأكاديميون:

أما النوع الثاني من المستشرقين فلم يكونوا ميدانيين بل تجسد دورهم في تقديم معلومات عن الشرق عامة والجزائر على وجه الخصوص تخدم الاستعمار ويبني مخططاته بناء على معلوماتهم ونصائحهم، فقدموا خدمات جليلة سواء عن قصد أو غير قصد، من حيث إمداده بالمعلومات الكافية والمسهلة لعمله، أو من حيث التشويه والطعن والتزييف للواقع الجزائري.

ومن أهم المستشرقين الميدانيين في الجزائر على سبيل المثال لا للحصر:

1 ـ البارون دي ساسي(1758م-1838م):

لم ينشط دي ساسي بشكل مباشر في الجزائر، إلا أنه ساهم في صيغة البيان المنشور إلى الجزائريين عشية الاحتلال الفرنسي من جهة ومن جهة ثانية تخرج علي يده عدد من المستشرقين الذين نشط في الجزائر.

- **مولده:**

ولد بباريس في21سبتمبر1758م والده أبراهام جاك دي ساسي، توفي هذا الأخير سنة1785م وابنه في سن صغير[1]، تعلم في المنزل الأدبين اليوناني واللاتيني ثم اختلف إلى أباء القديس مور فلازم الأب بارتارو وكان هذا الأخير يعد مجموعة الأدباء العرب فحبب إلى دي ساسي اللغة العربية وأخذ يدرسها مع اللغة العبرية والفارسية والتركية فأحسن إلى جانبهم لغات أخرى كألمانية والاسبانية والايطالية والانجليزية ثم تعرف إلى يهودي مقيم في باريس فزاده تضلعا في العبرية والعربية فانكب عليهما انكبابا[2].

---

[1] Georges Salmon: **Silvestre de Sacy(1758-1838)**, T1,le Caire imprimerie de l'institut Français d'archéologie oriental, France, p 9.

[2] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص179

وفي سنة1878م عينه الملك في جمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبات باريس الوطنية فوضع بحثين في تاريخ قدماء العرب وأصل آدابهم وحقق أربعة كتب عربية عن فتح اليمن وعلق عليها وحل الكتابات الصعبة فيها مع أن هجائيتها لم تكن قد عرفت بعد، ثم وجد نفسه أمام الأيقونات والنفوذ فعكف عليها وفكر رموزها[1].

ومع بلوغه سن32سنة أصبح دي ساسي في طليعة المستشرقين العالميين ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب سنة1785م،[2] فاختاره الملك حافظا للنقود وموظفا في أمورها سنة1891م، وباندلاع الثورة الفرنسية سنة1798م انزوى في قرية برى بين عائلته وأبحاثه ومنها الدروز وديانتهم في لبنان، وبخمود الثورة رأى مجلس الديركتوراه أنه في حاجة إلى اللغات الشرقية فأرثها[3] وانتدب دي ساسي أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية ولم يكن لها من قواعد سوى كتاب إرباتيوس فرجع إلى الأئمة الأقدمين في المدرستين الكوفية والبصرية لتصنيف التحفة السنية في علم العربية في جزءين وكان يمليه على تلامذته حتى إذا تجمع له نشره سنة1799م ثم اتسع علمه ووقته فأعاد طبعه بشكل منقح ومزيد[4].

وبإقرار حكومة الثورة فتح أبواب المجامع العلمية المغلقة في25 أكتوبر1795م أعادت إليها دي ساسي إلا أنها اشترطت عليهم يمين الإخلاص للجمهورية فاستعفي مترجم من المجمع والتدريس فأعفته من الأولى وعينته أستاذا للفارسية في معهد فرنسا سنة1806م،وفي1808م انتخبته مقاطعة السين عضوا في الهيئة التشريعية، ومنح لقب بارون بأمر إمبراطوري سنة1813م لجهوده وخدماته، ثم أعطته الملكية لقب رئيس جامعة باريس سنة1814،[5] وألف بمساعدة راميزا ومجموعة من تلامذته الجمعية الأسيوية وأنشأ مجلتها الشهيرة (المجلة

---

[1] العقيقي، ج1،المرجع السابق، ص179.

[2] Salmon ,op, cite ,p13.

[3] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص179

[4] Salmon ,op, cite ,p16.

[5] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص179.

الأسيوية) فانتخب رئيسا لها فقام علي رئاستها16سنة، وفي1823م عين مديرا لمدرسة ديوان فرنسا، وفي سنة1833م عين مديرا لمدرسة اللغات الشرقية[1].

توفي سنة1838م بعد أن قضى حياته في خدمة الاستشراق بالتعليم والتصنيف والترجمة والتحقيق والنشر وتأسيس الجمعية الأسيوية وإصدار مجلتها فعد إمام المستشرقين في عصره واختلف العلماء من أوروبا قاطبة عليه وأخذوا عنه ونظموا الاستشراق في بلدانهم على نمطه بفضله[2].

- **آثاره:**

خلف دي ساسي زخما معرفيا ورائه منها ثلاث مذكرات قدمها إلى المجامع العلمية عن مصر منذ الفتح الإسلامي إلى الحملة الفرنسية والتشريع العربي الذي سبق مونتيسيكو في كتابه روح الشرائع وبحث في العاديات الإيرانية سنة1793م، ونبذة في العقود في أمور النقود للمقريزي متنا وترجمة سنة1796م، ومقوي الشريعة وكتاب نظام التواريخ وتلخيص كتاب الخطط للمقريزي ونشر جزء من كشف الممالك والأوزان والمكاييل الرسمية في الإسلام للمقريزي،والتحفة السنية في علم العربية في جزءين،وتذكرة الشعراء[3].

وصنف كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد وهو مختارات من أدب العربوعلومهم[4]وكلامية العرب للشفري وأشعار المعري وقصيدة الطنطراني ومقدمات بديع الزمان الهمذاني، ولمع من كتاب سلطان المغرب إلى ملك فرنسا وقسم من عمدة الصفوه في حل القهوة لمحمد الأنصاري الجزيري فوقع الكتاب في ثلاث أجزاء متنا وترجمة وتعليق وترجمة البردة

---

[1] Salmon ,op, cite ,p21

[2] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص179

[3] Salmon ,op, cite ,p LXIII et suit.

[4] A.I Silvestre de Sacy: **chrestomathie arabe ou esctraits de divers écrivains arabe, tant en prose qu'en vers l'usage des lèves de l'école spécial des langue orientales vivantes**, t1, de l'imprimerie impérial, Paris, p30.

للبوصيري وأصل الأدب الجاهلي عند العرب والإفادة إلى الاعتبار لعبد اللطيف البغدادي كتاب الكواكب السيارة في أبار مصر والقاهرة وكتاب الجمان من مخبار مختصر الزمان[1].

2ـ ايميل ماسكري E Masquery(1843ـ1894م)

يعد ايميل ماسكري من أشهر المستشرقين الأكاديميين الذين درسوا المجتمع الجزائري من زاوية موضوعية، غير أن أبحاثه استغلها الاستعمار بشكل واسع.

- **مولده ونشأته:**

ولد ايميل ماسكري في مدينة روان الفرنسية سنة1843م، وبعد تخرجه درس في أحد الثانويات، فرماه حظه حسب تعبيره في إحدى كتبه في الجزائر سنة1872م، التحق بثانوية الجزائر، إلا أنه عرف بكثرة حركته وتنقله فزار مختلف المناطق في المناسبات، كما كلفته الحكومة الفرنسية بمهمات محددة وقد أتقن العربية ودرس التصوف على يد الشيخ علي بن سماية(الذي كان أستاذ في مدرسة الجزائر ومحررا في جريدة المبشر)[2].

جهوده في خدمة المخططات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر:

زار ايميل ماسكري زواوة و الأوراس وميزاب، فزار بلاد زواوة للمرة الأولى سنة1873م بعد ثورة المقراني والحداد ثم أخذ يتردد عليها، ولكنه كلف من الحكومة سنة1882م بمهمة خاصة هناك فتجول ورأى أثار الكنيسة ونشاط أتباع الكاردينال لافيجري، وأوصى بتأسيس مدارس ابتدائية في بني يني وتيزي راشد وميرا وجمعة الصهاريج[3].

كما كلف بمهمة أخرى في الأوراس فتجول في مختلف أجزائه ما بين سنوات1875 و1878م، فكتب عن أثار المنطقة ولهجتها وتاريخها ووصف حياة أهلها في كتابات ما تزال

[1] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص179

[2] Denise, op ,cite, p292

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص35

ذات قيمة، وعشية احتلال فرنسا لمنطقة ميزاب تجول بالمنطقة وربط علاقة مع الشيخ محمد بن يوسف أطفيش العالم الشهير وطلب منه ماسكري أن يكتب تاريخا موجزا عن ميزاب فكتب له الشيخ أطفيش(الرسالة الشافية) ودرس ماسكري هناك الحياة الدينية والعادات والتشريعات[1].

لقد كان ماسكري من الممهدين لاحتلال فرنسا منطقة ميزاب بعد زيارتها ذلك أن مترجميه يقولون أنه قام سنة1882م(عهد لويس تيرمان) بزيارة هذه المنطقة تمهيدا لاحتلالها وجاء منها بمؤلفات وترجم بعضها ويؤكدون خدمته للجزائر الفرنسية بكل قواه في تعليمه وفي كتاباته وقد بين أن الثقافة الحقيقية لها دور تلعبه في خدمة الدولة المستعمرة وهو دور عظيم في بلاد عظيمة كالجزائر[2].

إذن فقد كرس ماسكري جهوده، بالقلم والكلمة لخدمة بلاده وفي كتابه" **ذكريات ورؤى افريقية**" وصف أدبي عميق وانطباعات شخصية لمختلف أحداث الجزائر بشخصياتها والمشاريع التي قامت بها السلطات الفرنسية عسكريا ومدنيا لإحكام سيطرتها وهو وصف عن تماس الحضارتين وتثاقف الأفراد وتلاقي المشاعر وردود الأفعال ويمكن أن تقارن كتاباته الانطباعية هذه بكتابات فرومنتان(سنة في الصحراء) و(سنة في الساحل)[3].

ولم تقتصر أعمال ماسكري على هذا بل تولى مهاما أخرى في الجزائر كالتعليم وإدارة مدرسة الآداب عند إنشائها سنة1880م[4] فبعد إنشاء المدارس العليا عين ماسكري أستاذ للتاريخ والآثار القديمة في شمال إفريقيا ثم عرض عليه بول بير(**P Bert**) إدارتها فقبل بالعرض وبقي مديرا عليها حتى وفاته سنة1894م، ونشر العديد من المقالات في المجلات

---

[1] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص ص 35، 36.

[3] Augustine Bernard :**mile Masquery** , R A, v38, 1894, p351

[4] يحي مراد، الرجع السابق، ص1009

الفرنسية، كما أنشأ نشرة أطلق عليها" **المراسل الإفريقي**" حيث رأس تحريرها وساهم فيها بأبحاث أثرية ولغوية، علما أن النشرة كانت تصدر عن مدرسة الآداب وبلغت شهرة واسعة وبقيت تصدر بعد وفاته، كما نشر فيها رينيه باصيه بعض أعماله[1].

فقد كانت نشرة المراسل الإفريقي صوتا من أصوات الاستشراق في اندفاعاته أواخر القرن الماضي وقد اهتم ماسكري بمختلف اللهجات الجزائرية كلهجات بني ميزاب والأوراس والطوارق وسافر مع بعثة من الطوارق إلى باريس سنة1887م، كما درس تاريخ الأولياء والصالحين. كما كانت أطروحته للدكتوراه عن تشكل المدن عند السكان الحضر في الجزائر قاصدا بهم سكان الأوراس والقبائل وسكان ميزاب وهو القائل إن البداوة ليست مسألة عرف وإنما هي مسألة ترجع إلى المناخ والتربة، وكان ماسكري من المعجبين بكتابات فرومنتان والرحالة الذين وصفوا الصحراء والطبيعة الجزائرية[2].

-**MASQUERAY** : Les ruines de Thamgad. (Rapport à M. le Général Chanzy, Gouverneur général de l'Algérie V 20, 1876

-Seriana, le Bellezma, Negaous, Tobna, Tolga. Rapport archéologique Documents historiques sur l'Aurès V 21. 1877

-Le Djebel Chechar. Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores) V 22 ,1878

-Ruines anciennes de Khenchela(Mascula) à Besseriani (Ad Majores). V23, 1879

[1] Augustine Bernard , op,cite , p354

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص37.

2ـ ناصر الدين دينييه(1861ـ1929م):

يعد الرسم أحد الأدوات الفعالة في دراسة الشعوب المختلفة من أجل تطوير المناهج الاستعمارية لإحكام السيطرة عليها، وكان الرسامون يجوبون أرجاء البلاد تحت الحماية الكاملة فدونوا في لوحاتهم العادات والتقاليد والعمارة والفنون والطقوس والقدرات القتالية وغيرها، فكانت لوحاتهم محاكاة للواقع.

ومن بين الرسامين الفرنسيين الذين نبغوا في الفن الاستشراقي **إتيان دينيه**.

- **مولده ونشأته:**

اسمه الكامل قبل اعتناقه الإسلام ألفونس إتيان دينيه وبعد إسلامه أطلق عليه ناصر الدين دينيه، ولد في28مارس1861م بباريس من عائلة برجوازية مرموقة،[1] حيث كان والده رئيس محكمة مدنية، التحق بثانوية هنري الثاني الداخلية سنة1871م ليتحصل سنة1879م على شهادة البكالوريا ويتوج بالمرتبة الأولى في مسابقة الرسم[2] أعلن دينيه إسلامه عام1913م وكان للأمر وقع كبير على الأوساط الغربية وأشاع الحرج في محيطه الاجتماعي فتنكر له بعض الأصدقاء مثل بول لوروي وابتعدوا عنه[3].

ظهرت ميولات دينيه للرسم منذ الصغر فدخل سنة1870م أكاديمية جوليان وتتلمذ على يد وليام بوجرو وتوني روبارت فلوري، أنجز خلال هذه الفترة لوحة الأم كلوتيد سنة1881م على ضفة نهر السين وهي صورة لعجوز قروية عرضها سنة1882م ونالت إعجاب النقاد

---

[1] سيد أحمد، باغلي: **الفنان المبدع في الرسم الجزائري**، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ، 1975، ص 10.

[2] بلقاسم، بلحارث: **جماليات المكان في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للحاج ناصر الدين دينيه والحاج سليمان بن إبراهيم**،مذكرة ماجستير ، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج ،الجزائر، 2014، ص24.

[3] Denis, op, cite, p20

واهتمامهم،ومنح سنة 1883درجة تقديرية مشرفة من طرف جمعية الرسامين الفرنسيين بعد عرضه للوحة "صخرة صاموا"، كما رسم شقيقته جان في ديكور ريفي في نفس السنة[1].

- **حلوله بالجزائر واستشراقه في الفن:**

قام دينيه برحلة إلى الجزائر سنة1884م، فغيرت مجرى حياته على امتداد45سنة(1884-1929)[2]، قام خلالها برحلته إلى عمق الصحراء الجزائرية دامت شهر فزار الجزائر، برج بوعريريح والمسيلة وبوسعادة والأغواط وورقلة، أعجب أثنائها بجمالها وسحرها لما تزخر به من مناظر طبيعية رائعة ثم عاود زيارتها سنة1885م وأنجز العديد من الدراسات التي تظهر انشغاله بقساوة الحياة في الصحاري ومعاناة الأهالي أثناء انجازهم بعض الأعمال الشاقة من أجل كسب قوتهم فأنجز عدة دراسات للغطاسين وهم يقومون بتنظيف أبار الواحات في ظروف خطيرة بمنطقة ورقلة، ورغم هذه القساوة إلا أن دينيه أعجب بها بقوله:" **إن الجو رائع والحرارة الحقيقية بدأت ولكن أظن أنه بمقدوري أن أتحملها بسهولة والبلد أكثر جمالا بهذه الشمس الساطعة** [3].

عاد دينيه للجزائر للمرة الثالثة سنة1887م وانظم خلالها إلى مجموعة من الفنانين الشباب الذين جمعهم حبهم للاستشراق أين قررت المجموعة تأسيس جمعية الفنانين المستشرقين الفرنسيين برئاسة لبونس بينيديت محافظ متحف لكسمبورغ جمعية جان ليون جيروم وبنجامان كونستانت كرئيس شرف، أنجز خلالها دينييه العديد من اللوحات منها لوحته الموسومة ب" **الغسالات الصغيرات**" سنة1888م وهي دراسة رائعة للألوان وانعكاسات الضوء على الحجارة والحصى وسطح الماء وكل العناصر التي أثرت هذه المشهد الطبيعي

---

[1] قجال، الفن الاستشراقي في لوحات الرسام ناصر الدين دينييه ، المرجع السابق، ص31.

[2] Denise, op, cite ,p20

[3] قجال، الفن الاستشراقي في لوحات الرسام ناصر الدين دينييه، المرجع السابق، ص36.

الساحر،كما عرض سنة1889م لوحته" **منتصف النهار في جويلية ببوسعادة**" أين أبدع في تمثيل النور والحرارة[1].

إن ما يلفت الانتباه في لوحات دينيه هو انجازه فكرة معقدة في لوحته الموسومة ب"**معركة حول فلس**" وتمثل اللوحة مشهدا لشجار عنيف بين مجموعة أطفال حول فلس سقط على الأرض تشدنا الطريقة التي وزع بها الشخصيات في فضاء الصورة والبراعة التي ثبت بها بعض الحركات كالقفزة التي قام بها أحد الأطفال من أعلى الصخرة فظهر في الصورة معلقا بين السماء والأرض ووضع الطفل الموشك على السقوط إضافة إلى الحركة المعقدة لعراك4أطفال معا من بينهم فتاة تعمل جاهدة لعرقلة أقرب طفل إلى الفلس بسحبه من رجليه فيما جثم هو على شقيقها وشل حركته وتركه بلا دفاع أمام اللكمة القوية التي وجهها إليه المتصارع الثالث وهو طفل أسود[2]، فاللوحة عكست لنا وضعية الفقر والحرمان التي عاشها الأهالي الجزائريين نتيجة السياسة الاستعمارية التفقيرية والتجهيلية.

وبإقامة جمعية الرسامين المستشرقين الفرنسيين معرض رسمي سنة1893م في قصر الصناعة، كان دينيه من بين المنضمين إليه، أين عملت الجمعية على إبراز أهمية الرسم الاستشراقي ونظمت معارض تضم أعمالا تاريخية لدولاكروا، بيلي، غيومي وغيرهم، كما حرصت على القيام بدعاية نشيطة للحفاظ على الفنون الإسلامية القديمة بالجزائر التي أتلفها الاستعمار وتوسعاته[3] .

إن التمعن في اللوحات الإستشراقية التي كانت الجمعية تعرضها يظهر قيمتها التوثيقية وحفظها لجزء هام من ذاكرة الشعب الجزائري، وأعمال الفنانين المستشرقين التي أنجزت لأهداف ومرامي استعمارية توسعية أصبحت مع مرور الزمن إلى رمز وشهادة على عراقة

---

[1] قجال، الرسم الاستشراقي، المرجع السابق، ص133

[2] قجال، الفن الاستشراقي في لوحات الرسام ناصر الدين دينييه، المرجع السابق، ص41.

[3] Denise, op, cit ,p 289

الشعب وتعريف بالتراث الشعبي الجزائري بما يحتويه من عادات وتقاليد وطقوس وشعائر وفنون، وقد تمسك دينيه بهذا الهدف وهو ما يفسر تكريس دينيه فنه لتدوين التراث الشعبي في الصحراء الجزائرية قبل اندثاره[1].

كما أنجز سنة1904م لوحته"**المرأة المطلقة**" أين اختار زوجة صديقه سليمان المطلقة سابقا نموذجا للوحة فحصل على مشهد واقعي يعكس معاناة المرأة المطلقة في أوساط الأهالي كما أنتج سنة1909م قصة خضرة راقصة أولاد نايل[2].

أصدر الناشر هونري بيازا سنة1898م كتاب مزين بصور دينيه والموسوم ب" **شعر عنترة**"،ويحتوي الكتاب على120صورة و12لوحة زخرفية استلهم مشاهدها من الأغواط وما جاورها، هذا ويشير بويون أن بطولات هذا الشاعر كانت تحكى في كل الأسواق الجزائرية،فكانت المصدر الذي انتهل منه دينيه أخبار عنترة وأشعاره ووجد في البدو الجزائريين النموذج الأنسب لتجسيد مشاهد هذا الشعر البطولي[3].

ونشرت له سنة1903م مجلة فن وزخرفة مقالا قدم فيه انطباعاته ورأيه في معرض الفن الإسلامي الذي نظمه صديقه غاستون ميجون بمتحف الفنون الزخرفية فبدا له المعرض" **بلا حياة**"لاهتمامه بدراسة علم العروق ولم يركز على التأثيرات الضوئية الأساسية لروح هذا الفن فتمني حضور"**نور شمس الشرق الساطعة**"[4] وصدر هذا المقال فيما بعد في شكل كتيب مجزأ[5].

---

[1] قجال، الرسم الاستشراقي، المرجع السابق، ص133

[2] Piullon, op ,cite , p11

[3] E.Dinet :**Antar poème héroïque arabe d'après la traduction de Marcel devic,, illustration en couleurs de E.Dinet**, l'édition D'art , Paris, p5.

[4] قجال، الفن الاستشراقي في لوحات الرسام ناصر الدين دينييه، المرجع السابق، ص60.

[5] المرجع نفسه.

وفي سنة1904م اخرج كتاب الموسوم ب"**آفات الرسم**" قم فيه نصائح هامة لكل رسام وهي نتائج تجاربه مع الرسم والألوان[1] وفي سنة1911م أخرج كتابا موسوما بالصحراء يروي بطولات ومغامرات البدوي سي الحاج شعيب المغربي وحقق هذا العمل الأدبي نجاحا كبيرا وشهرة واسعة، وفي نفس السنة بدأ التفكير في كتابه"**السيرة النبوية الشريفة**" على أن معرفته، وكان هذا نقطة الانعطاف التي قادت دينيه إلى النور الأبدي نور الإسلام والإيمان بالله[2]، وأهم مؤلفاته كتابان بهما استثار انتباه رجال الفكر والثقافة أول كتابه" **حياة محمد رسول الله**" واستعرض فيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسلك فيه مسلك النضال والكفاح ضد المعارضين للإسلام ويعد من الكتب القيمة التي يعتز بها الإسلام[3].

3ـ أوغست شربونو(1813ـ 1882)

اهتم شربونو بالدرجة الأولى باللغة العربية وكل ما يتعلق بها من لهجات وقواعد الكتابة.

- **مولده ونشاطه:**

ولد جاك أوغست شربونو في 28أوت1813م في مدينة شابل بلانش تخرج من مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس[4] ثم أصبح مدرسا بها وبرز من خلال بعض المقالات والترجمات المنشورة في المجلة الأسيوية[5]، وبدخوله الجزائر تولى التدريس في حلقة اللغة العربية في قسنطينة بداية من21مارس1845م، فعلم القراءة والكتابة وعرض قواعد النحو

---

[1] E.Dinet :**les fléaux de la peinture moyens de les combatre** ,édition Henri Laurens , Paris,1926.

[2] قجال، الفن الاستشراقي في لوحات الرسام ناصر الدين دينييه، المرجع السابق، ص60.

[3] المرجع نفسه.

[4] Faucon, op, cite, p156

[5] هنري ماسيه، المصدر السابق، ص86 .

العربي حسب الدراسات الفرنسية الكلاسيكية وحياة المؤلفين لاسيما الذين يتوافق أسلوبهم مع الحياة اليومية،في حصص تشبه حصص زميله برنييه[1].

برز شربونو على رأس أستاذية قسنطينة بإتقانه اللغة العربية ودروسه المميزة، فقد أورد فرديناند بارو(Ferdinand Barrot) سنة1849م في تقريره الموجه لوزير التعليم تفاصيل حول منهج شربونو في التدريس قائلا:" **يدرس مبادئ القراءة والكتابة بعد ذلك يعرض وفق طرائقنا الكلاسيكية قواعد اللغة العربية ثم عند انتقاله لتفسير نصوص المؤلفين يختار أساسا الكتاب الذين يعتمدون أسلوبا عاديا وحكائيا قريبا من اللغة المستعملة في أغراض الحياة اليومية العادية، لقد صار لشربونو العديد من الطلبة الذين استطاع اجتذابهم لدروس اللغة العربية التي كان يقدمها**"[2]

لقد بنى شربونو علاقات وطيدة وجيدة مع العائلات الجزائرية المثقفة والعائلات الصوفية والعلمية أمثال أحمد العطار والمكي البوطالبي ومصطفى بن جلول، فتمكن من نشر اللغة الفرنسية في أوساطهم ذلك أنه من مهمة وواجب أستاذ حلقة اللغة العربية الموجهة للفرنسيين أن ينشر اللغة الفرنسية أيضا بين المتعلمين الجزائريين[3].

ودرس شربونو في المعهد البلدي لكن غادره سنة1861[4] بعد سنتين (1863م) أصبح مديرا لكوليج الامبريالي خلفا لبيرون وفي سنة1871م أصبح مديرا لجريدة المبشر، وبإعادة تنظيم المدارس الشرعية الفرنسية الثلاث كلف شربونو بتفتيشها بدأ من سنة1876م، علما أن هذه المدارس كانت تسمى ب المدارس الإسلامية للتعليم العالي[5].

---

[1] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق ، ص21.

[2] ماسيه، المصدر السابق ، ص86.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق ص21.

[4] ماسيه، المصدر السابق، ص87.

[5] سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص22.

وعاد شربونو إلى مدرسة اللغات الشرقية في25مارس1879م ليحل محل البارون دي سلان في تدريس اللغة العربية المغربية، وقد ترك الجزائر بعد أن عمل فيها لمدة تزيد عن الثلاثون سنة(30) وقد استمر على علاقة بالجزائر يراسل مجلاتها ويشارك في عضوية جمعياتها إلى أن وفاته المنية في 21 ديسمبر1882م في باريس[1].

- **آثاره:**

ترك شاربون زخما معرفيا معتبرا وراءه، ويذكر الدكتور سعد الله أنّ شربونو نشر وثائق ونصوص من كتاب" **النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة**"، وهو من تأليف ابن حماد الصنهاجي[2] ولكن الكتاب ضاع ، وقد يكون شربونو حصل على النسخة الوحيدة فأخذ منها ولم يرجعها لأصحابها، ذلك أنّ الباحثين لم يعثروا حتى الآن على نسخة كاملة من"**النبذة**" المذكورة[3]

وأهم ما نشره في المجلة الآسيوية شعراء العرب وأدباؤهم وقصة عنتره سنة 1845م،وترجمة المقامة الثلاثين للحريري ومختارات للعمري بين سنتي1845 و1846م،ثم ترجم مجموعة قصص منتخبة من كتاب العرب المسلمين سنة1847م وتاريخ حكم الحكم بن هشام، وأمثال لقمان متنا وترجمة بمقدّمة ومعجم للمفردات بين سنوات1847 و1888م،ونشر من ألف ليلة وليلة قصص شمس الدين ونور الدين سنة1852م ودليلة المحتالة وابنتها زينب النصابة سنة1872م[4].

---

[1] Faucon, op, cite, p157.

[2] أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد،أصله من قرية تسمى حمزة من حوزة قلعة بني حماد، من المؤرخين الجزائريين وكبار الأئمة وفضلائهم الذين عاشوا عقب سقوط دولة بني حماد،عاصر الدولة الفاطمية(أنظر أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد:أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دط، دار الصحوة للنشر، القاهرة، دت، ص ص5،6).

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص22

[4] العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص198.

وكذلك سلوك الملوك وتاريخ الأسر الإسلامية المالكة سنة1846م، ومن تاريخ الخلفاء العباسيين سنة1847م، وأسرة بني حفص سنوات1848و1851و1852م، ووثائق غير منشورة عن الزنديق أبي يزيد المقلد نقلا عن تاريخ ابن حماد سنة1852م وفتوح الأندلس للمسلمين سنة 1853م، وأصل تكوين اللغة العربية الإفريقية سنة1855، وغزو المسلمين اسبانيا نقلا عن ابن القوطية سنة1856، والعامية في الجزائر سنة 1861م[1].

وأشهر مصنفاته :تاريخ العباسيين سنة1852م وكتاب ابن ودران 1853م ونبذة في رحلة العبدري إلى شمالي إفريقيا في القرن الثالث عشر سنة1854م وعبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية نقلا عن ابن حماد سنة1855م وتاريخ الأدب العربي في السودان سنة1856م والمخاطبات فيما يحتاج إليه العرب من الولاة سنة1858م، ومعجم فرنسي عربي في مجلدين سنة1876[2].

له في المجلة الإفريقية :

-الكتاب المسلمون في الجزائر : نبذة عن محمد التنسي مؤرخ بني زيان

Les écrivains musulmans de l'Algérie. Notice sur Mohammed et-Tenaci, historien des Béni-Zian, *R.A*, 1856.

-عائشة شاعرة من بجاية في القرن الخامس الهجري

Aicha, poète de Bougie au vie siècle de l'hégire, , *R.A*, IV, 1859-1860.

-نبذة ببليوغرافية حول القلصادي: عالم رياضيات في القرن الخامس عشر

Notice bibliographique sur Kalaçadi, mathématicien arabe du Xv° siècle, , *R.A*, XII, 1868.

-وثائق غير منشورة عن عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية

Documents inédits sur Obeid Allah, fondateur de la dynastie fatimite, , *R.A*, XII, 1868.

-مذكرة ببليوغرافية حول القرافي وكتابه ذيل الديباج)والأصل أن الكتاب لأحمد باب التيمبوكتي.

---

[1] يحي مراد، المرجع السابق، ص735.

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص ص198،199.

Note bibliographique sur El Karafi, auteur du Zil Ed-Dibadj, *R.A,* XIII, 1869.

-ملاحظات حول العامية الجزائرية

Observations sur le dialecte arabe de l'Algérie, , *R.A,* , XIII, 1869.

-وثائق تاريخية عن الزنديق أبي يزيد المقلد نقلا عن تاريخ ابن حماد

Documents historiques sur l'hérétique Abou-Yézid Mokhalled-ibn-Bidad de Tademket, traduits de la Chronique d'Ibn-Hammad, , *R.A,* XIII, 1869.

-كتاب الجزائر في العصر الوسيط : وثائق تاريخية حول السنوسي

Les écrivains de l'Algérie au moyen âge. Documents historiques sur Es-Senouci, son caractère et ses écrits, , R.A, XIV, 1870.

04 ـ ادموند فانيان : Fagnan (1846ـ 1931)

اشتهر فانيان بتضلعه في اللغات الشرقية بما فيها اللغة العربية، فاهتمم بترجمة مختلف المخطوطات في الجزائر وتحقيقها .

- مولده ونشاطه:

ولد في لييج ببلجيكا من أبوين فرنسيين، في05ديسمبر1846م، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة لييج، فحصل على الليسانس ثم الدكتوراه في القانون، انتقل إلى باريس لحضور دروس في اللغات الشرقية بمدرسة اللغات الشرقية الحية، تعلم العربية والفارسية والتركية والعبرية،وحصل على دبلوم فيها[1]، وفي سنة1873م ألحق بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية بباريس، واشترك في تحقيق النصوص العربية الخاصة بالحروب الصليبية، وفي أول أفريل1884م، كلّف بمحاضرات في اللغتين العربية والفارسية بكلية الآداب

[1] G.Esquer :**Edmond Fagnan, nécrologie**,R.A,V72,1931,p139.

بالجزائر[1]،اهتم بالنصوص الفقهية بكشف أسرارها وغوامضها ويحلل أراء لمفسرين ونظرياتهم ويناقشها[2].

- آثـــــاره :

المقابلات في فقه مالك لسيدي خليل سنة1889م، وترجم إلى الفرنسية المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي سنة1893م، وكتب عن الزواج في الإسلام وعن مفهوم الجهاد في الفقه المالكي[3] وصنّف فهرسا للمخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة مدينة الجزائر الوطنية، وذيّله بمسرد بعناوين الكتب وأسماء المؤلفين والنماذج في 680صفحة،وترجم تاريخ الموحدين وبني حفص المنسوب إلى الزركشي سنة 1895م،وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ومؤلفه مجهول سنة1900م، والبيان المعرب لابن عذارى المراكشي متنا وترجمة فرنسية وتعليقا بين سنتي1901 و1904م،وحقق من كتاب كامل التورايخ لابن الأثير الجزء المتعلق بالمغرب وإسبانيا بين سنتي1898و1901م، وتاريخ شمالي إفريقيا سنة1904م، ومقالات شتى في ترجمات النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ابن تغرى بردى سنة1908م[4]

والجهاد أو الحرب المقدّسة على حسب الفقه المالكي سنة 1908م،والزواج في الشرع الإسلامي سنة1909م، والعربية اليهودية (مجلة الدراسات اليهودية سنة1910م، ونصوص تاريخية جديدة في شمالي إفريقيا وصقلية (الذكرى المئوية لاماري سنة1910م، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني،ثمّ ترجمها إلى الفرنسية سنة1924م، وترجم الأحكام السلطانية للماوردي،التي كان قد شرع في ترجمتها الكونت استوروج بباريس سنة 1900، وكتاب

[1] العقيقي، ج3، المرجع السابق، ص 23

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص27.

[3] النبهان ، المرجع السابق، ص24.

[4] Esquer ,op, cite, pp141,142.

الخراج لأبي يوسف سنة1921م، وتكميلات للقواميس العربية سنة1923م، وترجم القصيدة العبدونية[1].

وله في المجلة الإفريقية:

- وثيقة غير منشورة لابن الخطيب

Une chronique inconnue d'Ibn el-Khatib, *R A* ,V34, 1890, p. 259.

- تاريخ الموحدين لعبد الواحد المراكشي.

L'histoire des Almohades d'après Abd el-Wâh'id Merrâkechi, *R A.*, v35,, 1891, p. 207 , 281; V36, p. 18 , 166, 262, 34g; et V37,, p. 22, et 181.

L'histoire des Almohades d'après Abd el-Wâh'id Merrâkechi, *R A* ,36, 1892, p. 18, 166, 262, et 34.

L'histoire des Almohades d'après 'Abd el-Wâh'id Merrâkechi, *R A*,V37, 1893, p. 22, et 181.

- أغنية جزائرية في القرن الثامن عشر، إثر الهجمات الدانمركية على الجزائر سنة 1770

Un chant algérien du XVIIIe siècle [à l'occasion du bombardement d'Alger par les Danois (1770 *R A* ,V38, 1894, p. 325.

- شهاب الدين الدمشقي.

Chihab ed-din Dimechki, *R A* ., V37, 1894, p. 346.

- الجزائر في القرن السابع عشر (لفانتور دي بارادي)

Alger au XVIIe siècle [par Venture de Paradis], *R A.*, V38, 1895, p. 265; XL, p. 33, 256; et XLI, p. 68.

Alger au XVIIIe siècle, *R A*, V39, 1896, p. 33, et 256.

Alger au XVIIIe siècle, par Venture de Paradis, *R A*, V40, 1897, p. 68.

- تاريخ المغرب وإسبانيا من كتاب ابن الأثير

[1] يحي مراد، المرجع السابق، ص ص770،771.

Annales du Maghreb et de l'Espagne par Ibn el-Athir, *R A ,V37,* 1896

Annales du Maghreb et de l'Espagne par Ibn el-Athir, *R A.*, V38, 1897,

Annales du Maghreb et de l'Espagne par Ibn el-Athir, *R A.*, XLII,V39,, 1898, Annales du Maghreb et de l'Espagne par Ibn el-Athir, *R.A.*, V40, 1899,.

Annales du Maghreb et de l'Espagne par Ibn el-Athir, *R A.*, V41, 1900,

Annales du Maghreb et de l'Espagne, par Ibn El-Athir, *R A* ,V42, 1901,

154, Suite de 43, p. 352; 44, p. 5, 185, 351; 45, p. 82, 202, 33o; 46,; et 48,

وله في المجلة الأسيوية:

شعراء العرب وأدباؤهم وقصة عنترة، ترجمة المقامة الثلاثين للحريري ومختارات للعمري، ثم ترجم مجموعة من قصص منتخبة من كتاب"**العرب المسلمين**" بالجزائر، وتاريخ حكم الحكم لابن هاشم وأمثال لقمان متنا وترجمة بمقدمة ومعجم للمفردات، ونشر من أل ليلة وليلة قصص شمس الدين ونور الدين ودليلة المحتالة وبنتيها زينب النصابة، وأسهر مصنفاته تاريخ العباسيين وكتابان ودران ونبذة في رحلة العبدري إلى شمال إفريقيا في القرن13م وعبد الله مؤسس الدولة الفاطمية نقلا عن ابن حماد وتاريخ الأدب العربي في السودان والمخاطبات فيما يحتاج إليه العرب من الولاة ومعجم فرنسي عربي في مجلدين[1].

5 ــ أوكتاف هوداس:(Octave Hodas)(1840ــ1916)

اهتم هو الآخر باللغة العربية لإتقانه لها، الأمر الذي سمح له بتحقيق ونشر العديد من المخطوطات لاسيما المتعلقة بالتاريخ الإسلامي.

[1] العقيقي، ج1، المرجع السابق، ص ص198 ،199.

- **مولده ونشاطه:**

ولد أوكتاف سنة1840م بلوتارفيل الفرنسية، دخل الجزائر سنة1863م اشتغل أستاذ اللغة العربية في الجزائر في ثانوية العاصمة وتولى كرسي العربية بوهران وكرسي العربي بمدينة الجزائر، ثم افتتح تعليم العربية في مدرسة الآداب عند إنشائها سنة1880[1].

صنف عدة كتب لتدريس العربية ثم انصرف إلى دراسة المغرب الأقصى والتاريخ الحديث للمغرب فاستدعى أستاذا للعامية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ثم عضوا في مجلس المعارف العامة وفي اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب العربي[2].

- **آثاره:**

كتب مدرسية لتعليم اللغة العربية وترجم64 سورة الأخيرة من القرآن الكريم سنة1864م ومختارات من ألف ليلة وليلة بمساعدة مارتل وتحفة الأحكام في نكث العقود والأحكام بابن عاصم الأندلسي وهي أرجوزة في فقه مالك تقع في1689بيتا متنا وترجمة فرنسية مع تعليق قانوني وشرح لغوي ورحلة علمية إلى تونس وله رسالة في تسيير النصوص العربية وموجز عن كتاب ترجمان المغرب لأبي القاسم الزياني متنا وترجمة فرنسية وتاريخ المغرب الحديث ونزهة الهادي بأخبار القرن الحادي للمراكشي متنا وترجمة فرنسية في جزأين وترجمة قصيدة القيصر عند شلوميرجر(باريس1890)[3]، وتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ومنتخبات نصوص وترجمة فرنسية وبمعاونة دولفين مجموعة رسائل خطية بشروح ومعجم الجزائر وسيرة السلطان جلال الدين منكبرتي للنسوي متنا وترجمة فرنسية في جزءين وطرف مغربية وهي مختارات من الأدب العربي ذيلها بمعجم لتفسير ألفاظها وتذكرة

---

[1] سعد الله، أبحاث وأراء،ج4، المرجع السابق، ص40.

[2] بدوي، المرجع السابق، ص617.

[3] يحي مراد، المرجع السابق، ص1085.

النسيان في أخبار ملوك السودان وتاريخ الفناس في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس لمحمود كعت وذيله لبعض حفدته بمساعدة صهره موريس دلافوس وساعد وليام مارسيه بترجمة جزء من صحيح البخاري وهو في أربعة أجزاء[1].

وله مجموعة مقالات في المجلة الأسيوية أهمها:

- مباحثات عن كتاب فرنسي عربي للشؤون الإدارية والقضائية سنة1897م.
- ميزان القانون للشعراني الذي نقله الدكتور برون سنة1899م.
- اسم شهر رجب1899م
- المستطرف للأشهبي بترجمة وتعليق سنة1900م.
- كلمة يونانية على لسان علي صهر محمد سنة1901م.
- سلالة الأشراف في المغرب ومزاحمتهم الأتراك على ولاية الجزائر(1509ـ 1830م) سنة1905م[2].

7 رينيه باسيه(René Basset)(1855ـ1924)

-المولد والنشاط والآثار:

ولد بمدينة لونيفيل الفرنسية سنة1855م، تعلم التعليم الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه،وأجيز بالآداب من جامعة نانسي سنة1878م ثم قصد باريس وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية بباريس ثم من معه فرنسا[3] وفي الثامنة عشرة من عمره، وقعت في يده كتابة قديمة لم يعرف

[1] العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص ص218 ،219.

[2] يحيي مراد ، المرجع السابق ، ص1065.

[3] العقيقي، ج1 المرجع السابق، ص223

شيئا من أمرها، فقيل له أنها كتابة عربية، فكان ذلك داعيا لدراسة تلك اللغة ونبوغه فيها،ولم يقصر نظره عليها بل أراد أيضا أن يتقن بقية لغات الشرق، كالفارسية، والتركية،والحبشية والقبطية، فأصبح من أكبر اللغويين العصريين، إلا أنه تخصص بالعربية وباللغات السامية ومن هنا اتضح توجه رينيه إلى الاستشراق[1]

وفي غضون الفترة بين1880-1873م عمل"باسيه" في مدرسة الألسن الشرقية، وذلك قبل أن ينتقل إلى مدرسة الدراسات العليا في السوربون[2] وبعد ذلك وصل إلى الجزائر حيث ظل وفيا لمدرسة الآداب التي أصبح أستاذا بها سنة1885م، ثم مديرا لها في سنة1894م[3] وأخيرا عميدا في سنة1909م، وهي السنة التي تحولت فيها المدرسة إلى كلية الآداب وانتخب من مديري دائرة المعارف الإسلامية، وعضوا في مجامع علمية كثيرة في باريس،لشبونة،مدريد،روما،دمشق، فقد جمع التدريس إلى التحرير، والتأليف والعضوية العاملة والفخرية في عواصم مختلفة[4].

وتنقسم آثاره إلى ثلاثة أقسام عربية وبربرية وحبشية، وقد استعان في بعضها بالمؤلفين العرب منها: الشعر العربي قبل الإسلام سنة1880م، دراسات في اللهجات البربرية، وله فهرس مكاتب الزوايا الجزائر1886م، نشر متن الخزرجية في العروض،[5] وكما نشر وثيقة إسلامية بشأن حصار الجزار لشارل كوين وكتاب حرب افريقيا والمغرب سنة1896م وروض القرطاس وفتوح الحبشة ووثيقة جغرافية عن افريقيا الشمالية سنة1898م وسرد لأهم الأحداث التي شهدتها مدينة وهران منذ الفتح العثماني سنة1900م [6]وله في المجلة الآسيوية دراسة عن نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وفي شمال إفريقيا منذ1830م وبذلك

---

[1] Alfred Bel :**René Basset**, R.A,V65, 1924, p13

[2] العقيقي، ج1 المرجع السابق، ص223

[3] Bel,op, cite,13.

[4] العقيقي، ج1 المرجع السابق، ص223.

[5] يحي مراد، المرجع السابق ، ص132.

[6] Bel, op,cite, pp15,16.

فقد شمل اهتمام باسيه جوانب عديدة من الدراسات الاستشراقية اللغة والفولكلور والتاريخ والدين،توفي سنة1924[1].

[1] يحي مراد، المرجع السابق ، ص132.

الفصل الثالث: وظيفية العلاقة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر:

أولا: العلاقة بين الاستشراق والتنصير والاستعمار

ثانيا: العلاقة بين الاستشراق والأنثربولوجيا والاستعمار

أولا : العلاقة بين الاستشراق والتنصير والاستعمار:

شدت العلاقة الوطيدة بين التنصير والاستشراق اهتمام الباحثين والمؤرخين لاسيما بعد أن خدم كل واحد منهما الآخر، نسعى في هذا الجزء إلى كشف الستار عن العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار والتنصير، فكيف كرس كل واحد منهم أبحاثه وجهوده لخدمة الآخر.

1ـ التنصير الفرنسي بالجزائر مفهومه وأساليبه:

نشط التنصير الفرنسي قي الجزائر في مختلف ربوعها بشكل واسع من الوهلة الأولى للاحتلال مستخدما مختلف الأساليب والوسائل، خدمة للأهداف الاستعمارية من جهة وسعيا لإبعاد المسلمين عن الإسلام ثم تنصيرهم من جهة أخرى.

- **تعريف التنصير:**

يختلف مفهوم التنصير بيت التعريف اللغوي والاصطلاحي.

- **التعريف اللغوي:**

هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية أو إدخال غير النصراني في النصرانية[1]، فقد جاء في عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال" **ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**"[2].

---

[1] علي إبراهيم النملة: **التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**، دط، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر، 1993 ص 11.

[2] أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفري: **صحيح البخاري**، م1،ج2، شركة دار الشهاب، الجزائر،1990، ص97.

وينبغي التفريق بين التنصير والتنصر، فالأول مصطنع وموجه ويخضع لما هو مسموح وغير مسموح قانونيا وعرفيا والثاني مختار بقناعة الذات وإرادتها ويندرج تحت الحرية الدينية المنصوص عليها قانونا[1].

- **التعريف الاصطلاحي:**

هي حركة دينية سياسية استعمارية تسعى لتبديل دين البشرية إلى المسيحية، وهو ما أكده المستشرق الألماني رودي بارت بقوله:" **هو إقناع المسلمين ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي**"[2].

ولعل كلمة التنصير جاءت من كلمة النصارى وهم المسيحيون أي أنصار النبي عيسى عليه السلام مقابل اليهود الذين كذبوا النبي عيسى عليه السلام [3]لقوله تعالى:" **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله** "[4] وأطلق رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الأمم غير المسيحية وخاصة المسلمين بالتبشير[5].

إلا أن الباحث الطيب بن إبراهيم يؤكد أن كلمة التبشير كلمة محببة وجميلة في اللغة العربية لما تحمله للسامع من فرحة وسعادة ولما يستبشر سامعها من خير، إلا أنه بمفهومها الاصطلاحي منفرة للمسلم وثقيلة عليه وكأنها ليست لغويا من فصيلة تلك الكلمات لما أصبح

---

[1] عز الدين عناية: **نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم**، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب الأقصى، 2010،ص 63

[2] بن إبراهيم، المرجع السابق ، ص105

[3] لخضر بن بوزيد: التنصير والاستعمار في إفريقيا بين القرن19 والقرن20م، مجلة **العلوم الاجتماعية والإنسانية**،العدد10،جوان2016، الجزائر، ص8

[4] سورة آل عمران الآية 52.

[5] حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص53

لها من مدلول وظيفي وديني ولما قام به المبشرون الفرنسيون في المستعمرات الخاضعة لهم من تحايل وابتزاز اتجاه الفقراء والمرضى والأميين و الأيتام[1].

-تعريف المنصر:

هم الدعاة للمسيحية المنصرين لغير النصارى من أتباع الديانات الأخرى لاسيما إتباع الإسلام المنافس القوي للمسيحية[2] فهم إما عاملين أو عاملات في السلك الكنسي أو المتطوعين والمتطوعات من ذوي الاختصاصات الأخرى، وذلك عن طريق الدعوة إلى النصرانية صراحة أو عن طريق التعليم المنهجي أو التثقيف العام أو الخدمات الصحية أو الاجتماعية[3].

النشاط التنصيري بالجزائر1830ـ 1892م

مر في هذه الفترة بمرحلتين:

- المرحلة الأولى1830ـ 1869

يعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر سنة1830م منعرجا حاسما في القارة الأوروبية حيث شهدت وثبة حضارية واقتصادية في حين شهدت القارة الإفريقية فترة الجدب، حيث شرعت أوروبا في شن حركة استعمارية واسعة النطاق في مختلف جهات القارة الإفريقية فاتحة المجال للرهبان والحركة التنصيرية بكل حماس[4].

رغم هذه الظروف التي سمحت لرجال الجمعيات الرهبانية بالتنقل والتوغل مع الحملات الأوروبية العسكرية سواء نحو إفريقيا وآسيا إلا أنها لم تكن في مستوى طموحات وتطلعات

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص105

[2] المرجع نفسه.

[3] حبنكة الميداني، المرجع السابق ، ص53

[4] الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص52

رجال الدين، وذلك لأسباب سياسية متعددة فقد رافق الحملة الفرنسية على الجزائر17مرشدا دينيا وعسكريا،وبعد احتلال مدينة الجزائر وخلال السنوات الأولى أغلقت الجزائر في وجه القساوسة لكن مع ضبط الأمور أصبح من الضروري تعبيد الطريق للفرق الدينية للكاثوليكيين فيها[1].

ومن خلال دراستنا المتمعنة للموضوع الظاهر أن رفض السلطة العسكرية بنشاط رجال الدين في الجزائر بداية الاحتلال مرده إلى تخوفهم من ردود أفعال الجزائريين العنيفة ضد الحركة التنصيرية، سيما مع صدور دي بورمون بيانه إلى الجزائريين عشية الاحتلال واعدا إياهم وعدا شريفا بحفظ وصون دينهم ومراكزهم الدينية ومن جهة ثانية لقلة عدد المستوطنين في هذه الفترة.

ولكن مع ضبط الأمور في الجزائر بعث الملك في أكتوبر1838م بوصية إلى الكرسي البابوي يدعوه غالى تفعيل دورها الديني في الجزائر، وعين **ديبيش** أسقفا على الجزائر في25أوت1838م ومعه ثلاث قساوسة موظفين، وتزايد مع الوقت عدد القساوسة الوافدين وزاد عدد الكنائس في الجزائر فبعد سنة فقط من الاحتلال شيدت8 كنائس و7كنائس خاصة ومعهد للاهوت و8مدارس كاثوليكية وملجأ للأيتام ومستشفى أهلي تحت إدارة جمعية أخوات القديس فانسون دي بول[2].

اندفع ديبيش بحماس وقوة لتنصير الجزائريين ما تسبب في ذعر كبير للسلطة العسكرية تخوفا من ردة فعل الجزائريين فلم تتأخر في إخباره بخطورة اندفاعه قائلة:" **إلا السكان الكاثوليك هو وحدهم الذين يهتم بهم من طرف رجال الدين في الجزائر**"، الإ أن رجال الدين لم يستوعبوا مخططات العسكريين ففهمت على أنها تضيق الخناق عليهم وتكبح طموحاتهم في التنصير،حيث ما إن وصلت أنباء وصول أسقف سوري يتكلم ويتقن اللغة العربية سينزل

[1] Louis-Eugène Louvet : **Les Missions Catholiques au 19e siècle**, Société de Saint Augustin, Paris ,p265

[2] Brébion, Op cit, p 37

بسكيكدة سنة1839م حتى انتفض الموظفون السامون في عمالة قسنطينة في حالة من الذعر والغضب معطين الأوامر بتوقيفه حال نزوله، كما أعطيت الأوامر بنزع الصليب من قاعات المستشفيات بمدينة قسنطينة بحجة عدم تداوي الأهالي فيها، وأمام هذه العراقيل أضطر ديبيش إلى الاستقالة أواخر سنة1848م[1].

خلف الأسقف **بافي** الأسقف ديبيش على رأس أسقفية الجزائر، بحماسة لا تقل عن سابقه،إلا أنه هو الأخر اصطدم بنفس العراقيل تحد من حرية عمله حيث أقيم على مدخل الكاتدرائية مخفرا يمنع العرب من دخوله، وقد طلب من الحاكم العام أن يبدأ المهمات التنصيرية لكن المكاتب العربية التي استشارتها الحكومة في الأمر فأشارت عليها بعدم التورط بل من المستحيل تحقيق أهدافهم[2].

فالأعمال التنصيرية في هذه الفترة أخذت تشق طريقها ببطء بسبب موقف الإدارة العسكرية غير الواضح والمتردد والتي أكدت على ضرورة عدم إثارة مشاعر الجزائريين بهذا الشأن،ورغم ذلك فالجمعيات الرهبانية بدأت تتسلل إلى أعماق الجزائر بداية بأخوات القديس فانسون دي بول، وفي هذه الفترة أخذت معه التنظيمات الدينية مكانها بالجزائر في1842م على الخطى الحثيثة لدى **كورسال** استقر الترابيست في سطاوالي على الأرض التي وقعت فيها معركة سطاوالي وكان جيرارد رئيس دير لمدرسة للتعليم الديني السابقة الذكر من مؤسسة اللازاريت[3].

[1] Brébion, Op cit, p38

[2] الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص52

[3] Eugène, Op cite, p266

وتلقى لافيجري الدعم من البابا بيوس التاسع إذ أجاب على طلب له أرسله إلى روما يطلب منه دعما ماديا ومعنويا للسعي وراء ضحايا المجاعة واستقطابهم إلى اعتناق المسيحية في رسالة يقول فيها:"...**نحن نحييك من أعماقنا على هذه المهمة وعلى انتصارك على المشاكل العريضة وعلى تخطيك العقبات بمزيد من الإصرار كما نعتقد أن علينا بتحية خاصة للذين ساهموا بسخاء وكرم لدفع مهمتكم والذين هم معك...واصل بكل ثقة في مهمتك فلن تزيدك العقبات إلا إرادة لأنه في وسط المثبطات غالبا ما تستمر المهمات الربانية في مسيرها وقوتها**"[1]. أنظر الملحق رقم06.

انطلق لافيجري في مهمته بجمع الأطفال الأيتام وتكوين قرية عربية للأيتام في حوض الشلف ثم فتح مهام الإرساليات في منطقة القبائل والصحراء وبذل لذلك جهدا ومالا معتبرا أن مشروعه مع الأيتام هو من سيثمر عمال خادمين طائعين للاستعمار الفرنسي وإنشاء جيل من الأهالي النصارى والدين يفتحون المجال لبقائهم في الجزائر أمد الدهر[2].

وكانت سياسة لافيجري واضحة حيث طالب الإدارة الاستعمارية المزيد من الوقت والحرية،مؤكدا أن نجاح المشروع التنصيري يحتاج إلى الوقت والصبر والحذر فيقول:"**أعتقد أن التقارب يجب أن يكون شيئا فشيئا بالمثل والعمل الخيري الذي هو المحرك الطبيعي لكل الأشياء المستدامة**"[3].

وترجم لافيجري مشروع أفكاره في تأسيس"**مؤسسة منصري إفريقيا**"وقرى الأيتام وتوسيع مجال نشاطه إلى الجنوب الجزائري مستغلا مشاكل المجاعة في الجزائر أي سنة1868م[4]

---

[1] Charle Lavigerie : **Lettre à un séminariste de Belgique sur La Société des Missionnaires d'Afrique**, Bureau de l'Ouvre des Ecoles d'Orient, paris,1880, p6

[2] الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص52

[3] Eugène ,Op cit, p 268

[4] Mgr A.Ponu : **la nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie ,e, Tunis et au Maroc depuis 1830**, librairie Louis Namura, Tunis, 1930, p129.

ووسع مهامه في منطقة القبائل بعد ثورات1871م وتونس1875م أين كان أسقفا ومسئولا عنها إلى جانب أسقفية الجزائر ونيابة الصحراء واهتم بإنشاء كنيسة القديس لويس بقرطاجة[1].

2ـ أساليب تنصير الجزائريين:

تعددت وتنوعت النشاطات التنصيرية الفرنسية في الجزائر معتمدة على أساليب ووسائل سليمة تقوم على تحبيب السيد المسيح وتعليق القلوب عن طريق التعليم والتطبيب وفتح الملاجئ وتوفير الخدمات الإنسانية ومن جهة أخرى استعمال العنف والقوة[2] وقد تجسدت أوجه نشاطها في تنصير الوسط قبل تنصير الروح.

- **تنصير البيئة الجزائرية:**

وقد نفذت هذه المهمة عن طريق المحو الكلي أو الجزئي للمظاهر الدينية بغلق الزوايا بحجة تحريضها على الثورة ضد فرنسا ونفي رجال الدين وإبطال شرعية المواسم ذات العلاقة بالدين الإسلامي وإخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي وإرغام الأئمة على إلقاء الخطب يوم الجمعة باسم الملك الفرنسي[3].

وصدرت هذه السلوكيات من فئات فرنسية مختلفة المشارب والمهام، إما رجال دين أو سياسيين أو رجال حرب اجتمعوا بهدف القضاء على الطابع الإسلامي للجزائر تمهيدا لإرجاعها لكنف النصرانية[4].

---

[1] الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص52

[2] المرجع نفسه.

[3] بقطاش، المرجع السابق، ص31.

[4] ساجية مخلوف: **التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله**، أطروحة دكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر2،الجزائر،2014، ص250.

- **مصادرة الأوقاف الإسلامية:**

تعتبر الأوقاف الإسلامية أهم المؤسسات الاجتماعية الخيرية، إذ تمثل المورد الأساسي للائمة وعلمائها وطلبة العلم والمدارس على مختلف مستوياتها، فكانت هناك أوقاف مخصصة للعناية بالحج(أملاك مكة والمدينة) وأوقاف خاصة بإصلاح المساجد والزوايا وأوقاف في سبيل الخيرات[1]

غير أن هذه الأوقاف تعرضت للاستحواذ والسيطرة من قبل السلطات الفرنسية، كونها رأت فيها عائقا أمام تنفيذ سياستها القائمة على مصادرة الأملاك الوقفية ومنحها للمستوطنين وهو ما أكده أحد الكتاب الفرنسيين:"**إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر**"[2].

وبناء على هذا استولت السلطات الفرنسية منذ المراحل الأولى للاحتلال على الأوقاف الإسلامية وعلى المساجد فسيطرت على رقاب الأئمة وقضت على العديد من الموظفين النابعة أجورهم من عائدات الأوقاف، كما تدهورت حالة الشؤون الإسلامية في الولاية العامة[3]:" **لقد أذللنا الدين الإسلامي**" وتم الاستيلاء على هذه الملكيات بناء على مجموعة من القوانين والقرارات، التي تستطيع من خلالها إخضاع الأوقاف الإسلامية لقوانين المعاملات العقارية الفرنسية، ومن أهم هذه القرارات قرار1830/12/8 الذي سمح لفرنسا بوضع يدها على بعض الأوقاف التابعة لمكة والمدينة، ومرسوم1830/12/7الذي حول الأوقاف الإسلامية إلى مراقبة المصلحة العقارية الفرنسية والذي ورد في بنوده ما يلي:" **إن القائمين**

[1] سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص110.

[2] ناصر الدين سعيدوني: منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص21.

[3] صالح عوض، المرجع السابق، ص206.

بأملاك الأوقاف ملزمون بأن يقدموا في ظرف3أيام من تاريخ القرار تصريحا يبين الكراء وتاريخ الدخل الأخير"[1].

ومع سياسة التصفية للأوقاف الإسلامية فقد الجزائريون أهم الدعائم والأسس التي تقوم عليها حياتهم الثقافية والدينية والاجتماعية، مما أدى إلى تراجع عدد أماكن العبادة والتعليم بمدينة الجزائر، الهدف المنشود للسلطات الاستعمارية هو تعطيل مهام هذه المؤسسات الدينية كونها رأت فيها الهيئة قادرة على تحرير الجزائر وتعديل أوضاع الجزائريين[2].

- **المساس بالمساجد:**

أعلنت الإدارة الاستعمارية حربا على المساجد باعتبارها المركز الأول والأساسي للعبادة عند المسلمين،وقد نبعت هذه الحرب المعلنة من الحقد الصليبي الدفين في نفوسهم فبدأت أول الأمر بإغلاق المساجد سنة1830م، فأغلقت13مسجد كبير و108مسجد صغير و32جامع و12زاوية في أقل من نصف سنة، الأمر الذي يعكس الحقد الذي دخلت به فرنسا إلى الجزائر وعلى تشوقها للقضاء على كل ما يرمز إلى الإسلام في هذه البلاد في أسرع الأوقات[3].

هذا ويعد جامع السيدة أول مسجد يتعرض للهدم بحجة إقامة ساحة داخل المدينة(ساحة الشهداء حاليا)[4]، كما تم تحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية[5]، على يد القس **كولان(colin)** في عهد القائد العام لفيلق احتلال إفريقيا الدوق دي روفيقو(1831-1833) في 1832/12/24م

---

[1] صالح عوض، المرجع السابق، ص206.

[2] عبد الرشيد زروقة، المرجع السابق، ص27.

[3] لونيسي، المرجع السابق، ص219.

[4] بقطاش، المرجع السابق، ص27.

[5] سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص82

وأطلق عليه كاتدرائية القديس فيليب وهذه الحرب الدينية لم تكن فرنسية بل حربا بمباركة بابوية فأرسل غريغوار16تماثيل للتبرك بها معربا عن امتنانه وسعادته، كما زود الملك كاتدرائية بستائر من القماش الرفيع وزودتها الملكة ايميلي بزخارف خاصة بالكنائس[1].

ويؤكد المؤرخ أجيرون الوضع قائلا:" **كانت مدينة الجزائر تضم سنة1830 13مسجد كبير و109مسجد صغير و32مصلى و12زاوية وفي سنة1862م لم يبق من تلك المساجد الكبرى سوى مساجد كبيرة و19 صغيرة و15مصلى و5زوايا أي48 مبنى من أصل176 كانت موجودة سنة1830م، علما أن العديد من هذه المساجد حول إلى أدوار أخرى ولم يبق إلا 4مساجد كبيرة و8صغيرة و9مصليات تؤدي دورها كدور للعبادة**"[2].

أما باقي المناطق فهي الأخرى تعرضت لنفس السياسة الاستعمارية فأهملت العديد من المساجد ورفض الإنفاق على صيانة أكثر من78مسجد جزائري صنفت كمباني تابعة للدولة الفرنسية، وبقي1494 مسجد في القرى متروك لاهتمام وعناية المصلين والمحسنين[3].

وفي الوقت الذي يسعى فيه الفرنسيون إلى إزالة مظاهر الإسلام في الجزائر عكفوا على بناء الكنائس الكاثوليكية وبعض المساجد البروتستانتية من جهة أخرى[4] فازداد عدد الكنائس حيث وصل في ظرف قرن إلى ثلاث كاتدرائيات و200كنيسة ومعبد وحلقتي درس وسمنار[5] إضافة إلى عدد من الملاجئ[6] وقد حظيت هذه الدور بالاهتمام والعناية والدعم المادي والمعنوي من الإدارة الاستعمارية والحكومة ومختلف الجمعيات.

---

[1] بقطاش، المرجع السابق، ص ص33،34.

[2] نقلا عن أجيرون، المرجع السابق، ص ص 107،108.

[3] مخلوف، المرجع السابق، ص253.

[4] سعد الله ،الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص ــ ص82- 110

[5] معهد ديني يعنى بتكوين رجال الدين المسيحيين بمختلف مذاهبهم،(أنظر المرجع نفسه، ص113)

[6] سعد الله ،الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص113.

وسعيا لترغيب الجزائريين في المسيحية اتجهت إلى إبراز عملية الطقوس الدينية علنية بتدشين الاحتفالات الدينية كالاحتفال الديني الضخم الذي أقيم في مدينة الجزائر في الساحة الرئيسية للقصبة يوم11جويلية1830م، حضره الجنرالات والضباط بما فيهم الكونت دي بورمون حيث رتلت آيات الإنجيل بأصوات عالية[1] وقد تكررت هذه الاحتفالات في عدة مناسبات لاسيما بعد معارك النصر لشكر الله على رضاه وتوفيقه ضد الكفار المسلمين وكانوا يصبغون على القساوسة هالة من الأبهة بإدخالهم إلى المراكز العسكرية بالفرق العسكرية[2].

سمح هذا الاهتمام بنشاط الكنيسة وازدهارها في مختلف ربوع الجزائر إذ نجحت في التوغل في الجبال والصحاري وتغلغل رجالاتها في البيوت والخيام بحجة الوعظ الديني والمستكشف الجغرافي والباحث أو بمظهر الطبيب والمعلم وفعل الخير في الكثير من الأحيان[3].

- **السعي لتنصير الجزائريين:**

انتهجت الإدارة الاستعمارية في الجزائر إستراتيجية ومنهج خاص في تنصير الجزائريين،تقوم على التدرج فبدأت في إبراز المعالم المسيحية في الجزائر والتنقيب عن الآثار الرومانية المدفونة بها ووضعها كحجة لإقناع الشعب الجزائري أن أصولهم مسيحية وعليهم الرجوع إلى أصلهم ونبذ الإسلام فيذكر الجنرال دوماس:" **كلما تعمقنا في الحفر وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربري رحيقا مسيحيا وعند ذلك ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجديد**"[4].

---

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص225.

[2] المرجع نفسه.

[3] مخلوف، المرجع السابق، ص253.

[4] لونيسي، المرجع السابق ، ص223، 224.

وما تجدر الإشارة إليه أن فرنسا حددت مناطق معينة من الجزائر عند قيامها بالأعمال التنصيرية، فركزت أول الأمر على منطقة القبائل والأوراس وبني ميزاب والطوارق بالهقار لتيقنها أن نشطاها بهذه المناطق سيحقق النجاح لاختلافها الواضح عن بقية المناطق الجزائرية[1]،علما أن الاستعمار الفرنسي وبإيعاز من مستشرقيها اعتمد في اختياره على هذه المناطق على عاملين أساسيين وهما:

عامل الأصل: أي أن سكان هذه المناطق ليسوا عرب، فيسهل عزلهم عن العرب وتنصيرهم،فأكدوا أن سكان منطقة القبائل والأوراس ينحدرون من الشعوب الشمالية مستدلين ببعض الصفات الجسدية المشتركة مع هذه المناطق كالعيون الزرقاء والشقرة، فقد أكد الكاردينال لافيجري، أن سكان القبائل والفرنسيين ينحدرون من سلالة الرومان، وتهدف هذه الادعاءات إلى إقناع سكان القبائل بأصولهم المسيحية[2].

وقد تبنت معظم الدراسات الإستشراقية التي أجريت حول منطقة القبائل هذه الأفكار وروجتها بهدف خلق طائفة مسيحية داخل منطقة القبائل، تخدم المصالح الفرنسية في الجزائر أو كما قال الضابط كاريت[3] بين سنتي1808م و1890م:" **الذي يرى بأن بلاد القبائل التي بقيت بعيدة عن الفرنسيين مدة طويلة يجب عليها أن تكون المساعد الأكبر في مشاريع الفرنسيين والشريك الوحيد في جميع أعمالهم**"[4].

---

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص178.

[2] المرجع نفسه، ص179.

[3] **Carette Antoine Ernest Hippolyte** 1808-1890 مؤرخ وجغرافي وسياسي، أدى دورا بارزا في ثورة جويلية 1830م في فرنسا، دخل الجزائر سنة1835 مع بعثة عسكرية، عين ضابط سنة 1836م(أنظر

Pouillon François: **dictionnaire des orientalistes de langue Français**, Ilsm.Karthala, Paris,2008,p p179,180

[4] لونيسي، المرجع السابق، ص179

إذن نجد الاستعمار يبحث عن أدنى الاختلافات بين الجزائريين فيستغلها لتشتيت وحدتهم وإضعاف قواهم، قائلين:" **إن عدم وجود تجانس بين السكان في الجزائر سيكون عونا قويا لنا للمضي قدما في إنجاح مشروعنا سعيا لحصد للناس عن التقيد بالدين ونحن على استعداد لتفتيت كتلة الأهالي وتشتيت وحدتهم عن طريق الحل المنهجي للمؤسسات التي تكفل لهم قوة التماسك**"[1].

وشكلت هذه الدراسات الإستشراقية المكثفة اللبنة الأساسية التي ارتكز عليها المنصرون بعد ذلك في نشاطاتهم داخل منطقة القبائل سعيا لعزل السكان عن الإسلام أو المسلمين وتنمية الحاجة للتباهي للانتماء إلى الغرب عامة والى الفرنسيين خاصة[2].

ـ عامل اللغة : فاللغة المستعملة في هذه المناطق بعيدة عن اللغة العربية وبالتالي استغلال ذلك لإبعادهم عن مقومات شخصيتهم .

2ـ علاقة التنصير بالاستشراق والاستعمار:

نسعى في هذا المبحث إلى كشف العلاقة الوطيدة بين الاستشراق والتنصير ودورهما في تكريس الهيمنة الاستعمارية الفرنسية.

- **علاقة التنصير بالاستشراق:**

إن الاستشراق أهم وسيلة للتنصير، فهذا الأخير في حاجة ماسة إلى الاستشراق، فالأمر يتطلب معرفة لغة المراد تنصيره وعاداته وتقاليده وثقافته ليسهل التعامل معه في محاولة تنصيره وهذه المعرفة لا تتوفر إلا عند المستشرقين[3] فجاء الاستشراق ليستغل وليصبح من

[1] بقطاش ،المرجع السابق، ص140.

[2] مخلوف، المرجع السابق، ص269.

[3] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص106.

أهم الوسائل المستحدثة للتنصير، فمحاولات التبشير قبله كانت أقل تنظيما وفعالية مما أصبحت عليه بفضل تأسيس الجمعيات والمؤسسات الإستشراقية الإقليمية والعالمية[1].

ورغم أن الاستشراق والتنصير مستقلان عن بعضهما، إلا أن مصدرهما بدأ في أول الأمر واحدا ثم اختلفا في طريقهما، لكن التعاون والتكامل والتنسيق ظل مستمرا بينهما لذلك يعتبر الاستشراق المصنع والتبشير المصدر أو الموزع للأشياء التي يصنعها الاستشراق[2].

وبناء على هذا كلا من الاستشراق والتنصير يكملان بعضهما ويتفقان في نفس الهدف وهما من أبرز أدوات التغريب والغزو الثقافي للعالم الإسلامي، فالاستشراق مهمته إعداد السموم التي يقوم التنصير ببثها في المعاهد والجامعات ويرمي إلى استكشاف قوى المسلمين للعمل على ضربها وإثارة الشبهات حول القيم الإسلامية التي يقوم عليها وجودهم[3].

والمستشرقين الفرنسيين المتعاملين مع التنصير يتفاوتون ما بين رهبان وقساوسة إلى أساتذة وعلماء ومبشرين ومتعاطفين ومؤيدين، بل حتى مؤيدي الثورة الفرنسية المنادين ب:" **أخنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس**" أرادوا فرض مبادئ رفضوها في بلادهم على شعوب الشرقية (تنصيرهم)[4].

ومع العلم أن الإمبراطور نابليون بونابرت في حملته العسكرية على مصر سنة1798م أدرك مسألة حساسة وهامة لدى المسلمين وهي علاقتهم بالدين الإسلامي وإيمانهم الراسخ به[5]، الأمر الذي دفع العديد من المستشرقين إلى دراسة هذا الدين دراسة مغايرة لدراسات

---

[1] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص106، 107.

[2] أنور الجندي: الإسلام وجه التغريب، المرجع السابق، ص80

[3] سلمان سلامة: **أضواء على التبشير والمبشرين**، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1994، ص26

[4] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص110.

[5] Napoléon Bonaparte: **mémoire de la Napoléon Bonaparte manuscrit venu de Sainte-Hélène**, baudouis fils, imprimeur, libraire, Paris, 1821, p27

أسلافهم،فالدراسات السابقة انطلقت من حقد دفين للإسلام، أما الدراسات الحديثة فركزت على كيفية استغلاله لخدمة مصالح بلادهم الاستعمارية، ومن المؤكد أن هذا هو الدافع الأساسي الذي جعل المخططين لعملية احتلال الجزائر يركزون على هذه المسألة وهذا بتوصية بعض المستشرقين أهمهم سلفستر دي ساسي الذي ساهم في ترجمة البيان الموجه للجزائريين عشية الحملة الفرنسية على الجزائر[1].

وعلى العموم فإنه من خلال الاحتكاك الفرنسي بالإسلام والمسلمين في الجزائر وانطلاقا من الدراسات المختلفة المنجزة والخاصة به تمكن مجموعة من المستشرقين المؤيدين للحركة الاستعمارية من التوصل إلى أن الإسلام بإمكانه القيام بدورين متناقضين في الجزائر:

أنه دين استقرار وعامل تثبيت يمكن استخدامه في إطار إخضاع الشعب للسيادة الفرنسية مرحليا .

- ✓ دور المهدد للمصالح الفرنسية في الجزائر بسبب تعصب معتنقيه.

وانطلاقا من هذين الدورين شرعت الإدارة الفرنسية في التعامل معه بالاعتماد على أسلوبين:

- ✓ استغلاله في عملية إخضاع الشعب الجزائري وتهدئته.
- ✓ العمل على القضاء عليه بتحويل الجزائريين إلى مسيحيين[2].

لجأت الإدارة الفرنسية أيضا إلى الأساطير التي تؤكد دور المسيحيين في إنشاء بعض المساجد منها الرواية التي تزعم أن الجامع الكبير كان مبنيا على هيكل ديني مسيحي قديم،فعمل الفرنسيون على تعرية أساس الجامع لعلهم يكتشفون أثار ذلك الهيكل الفرنسي والادعاء أن المسجد الجديد بناه عبد مسيحي، أمر لبناء مسجد فبنى مكانه كنيسة ونسبوا أنه

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص213.

[2] سلامة، المرجع السابق، ص26.

قال:" **عندما يحتل المسيحيون هذه المدينة سيكون لهم هذا الجامع كنيسة**" وقد أخذ المسيحيون يترددون على هذا المسجد بكثرة استجابة لنداء العبد[1].

هذا ويعد الراهب الكاثوليكي يوسف مسناج(**Joseph Mésange**) بين سنوات1859و1922م من أهم العاكفين على إحياء أمجاد الكنيسة الإفريقية حيث نشر سنة1903م مقال موسوم ب: " **صفحة من تاريخ الكنيسة الإفريقية القديمة** " **une page de l' histoire de l'ancienne église d'Afrique** وكتب أيضا سنة1912م بحثا أسماه:" إفريقيا المسيحية أسقفيات وأثار قديمة" **l'Afrique chrétienne évêchés et ruines antiques**، وأنجز بحثا آخر سنة1913م حول :"**رومنة شمال إفريقيا** " **la Remenanistion de l'Afrique ,Tunis ,Algérie ,Maroc**" ونشر سنة 1914م بحث مطول عن أصول المسيحية وتطورها وانتشارها في شمال إفريقيا بعنوان Le **christianisme en Afrique ,origine développement ,descension**، وألف سنة1915م كتاب في جزأين بعنوان:" المسيحية في إفريقيا" **Le christianisme en Afrique**"[2].

لقيت هذه الدراسات والأبحاث صدى واسع في الأوساط الثقافية والدينية إذ حظيت بقدر كبير من المدح والتشجيع منها ما كتبه الأسقف جوثي جيرو ولاموريا[3]، إذ هنأ صاحب الكتاب قائلا:" **لكم مني أجمل التهاني على دراستكم التي تهدف إلى تسليط الأضواء على أمجاد الحضارة المسيحية في إفريقيا الرومانية**"[4].

غير أن الكثير من السياسيين والمستشرقين والعسكريين والدينيين الفرنسيين تيقنوا أن قبول الجزائريين عامة وسكان منطقة القبائل خاصة للوجود الفرنسي لن يتحقق ما لم يتم

---

[1] لونيسي، المرجع السابق، ص224.

[2] مخلوف، المرجع السابق، ص255.

[3] Girolamo Maria Gotti (1834-1916) عين كاردينال ايطاليا في أواخر القرن19م وبداية القرن 20م (أنظر المرجع نفسه).

[4] سلامة، المرجع السابق، ص26.

تنصيرهم،الأمر الذي يظهر في قول الملك لويس فيليب أثناء خطابه مجلس وزرائه قائلا: "**يجب أن يكون هناك حسن تدبير في العمل على تنصير العرب(الجزائريين) الذين لا يمكن أن يكونوا فرنسيين إلا إذا تنصروا**"[1].

هذا وتشبث المستشرقون بأكذوبة الأصول النصرانية لسكان القبائل بالذات حتى أصبحت أسطورة متداولة وسط سكان القبائل كما شهد على ذلك هنوطو و لورتورنو سنة1873م في كتابهما عن" **التقاليد القبائلية** "[2].

فقد أوصى المنصرون وحرصوا كل الحرص على الكفاءة في العلم والمعرفة والتحلي بحسن المعاملة مع المسلمين، وان يدرسوا القرآن للاطلاع على محتواه ومخاطبة عامة المسلمين على قدر عقولهم ومستواهم العلمي وإلقاء الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون أشد على السامعين[3].

- **علاقة التنصير بالاستعمار:**

لقد ارتبط نشاط الكنيسة بالجزائر بتاريخ المد الاستعماري المسيحي بشمال إفريقيا وتطور نشاطهما بشكل مواز له، فكل منهما خدم الآخر نظرا لدور البعثات الكاثوليكية والبروتستانتية في التدخل الأوروبي ومساهمتهما في غزو بلدان شمال إفريقيا وإقامة مؤسسات أوروبية مسيحية داخلها[4].

فالتنصير والاستعمار وجهان لعملة واحدة استخدمهما الاستعمار لتطويع وتدجين الشعوب الثائرة وتحقيق أطماعهم التوسعية، وهو ما أثبته الشيخ الإبراهيمي:"جاء الاستعمار الدنس إلى

---

[1] سلامة، المرجع السابق، ص42.

[2] مخلوف، المرجع السابق، ص268.

[3] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص111.

[4] بوترعة، المرجع السابق، ص55.

الجزائر يحمل السيف والصليب ذلك للتمكن والتمكين فملك الأرض واستعبد الرقاب وسخر العقول والأبدان...تلك هي طبيعة الاستعمار الجائع...ولكنه كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم انتهك حرماته، كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشع بالحقد وتفور بالانتقام..."[1]وقال الأستاذ سونو:"**اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الإفريقي أما المنصرون فقد استهدفوا روحه**"[2].

فكان المنصرون طلائع الاستعمار وعيونه وقواه الظاهرة والباطنة، ويؤكد العديد من الباحثين الدور المزدوج الذي لعبته البعثات التنصيرية فقال الدكتور والتر رودني:" **وقد كانت البعثات التبشيرية المسيحية جزء من قوى الاستعمار إلى حد كبير مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود، وربما يكون هناك مجال للمجادلة حول ما إذا كانت البعثات التبشيرية في مستعمرة ما هي التي جلبت قوى الاستعمار الأخرى أم أن العكس صحيح ولكن ليس هناك شك في حقيقة أن البعثات التبشيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العلمية وقد كان المغامر الامبريالي جونستون قائلا" كل موقع لبعثة تبشيرية هو تدريب على الاستعمار**"[3].

ومن خلال دراستنا نؤكد أن اتجاه فرنسا لبناء الكنائس وتنصير الجزائريين لم يقصد به خدمة رسالة اليسوع المسيح أو إدخال الجزائريين حقيقة في النصرانية بل هو خدمة القوى الاستعمارية التي جذبتها خيرات وثروات البلاد.

فلو سعت هذه الإرساليات لخدمة المسيح لما تصارعت وتنافست بنفس الصورة والحدة لتي تنافست دولهم على المستعمرات،ولو كانت هذه الإرساليات التنصيرية تعمل من أجل المسيح

---

[1] أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص104

[2] عبد العزيز الكحلوت: **التنصر والاستعمار في إفريقيا السوداء**، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس،1992،ص67.

[3] نقلا عن الكحلوت، المرجع السابق، ص ص67 ،68

لما اقتتلت فيما بينها ولما وضعت الصعوبات والعراقيل من جانب دولها ضد إرساليات الدول الأخرى ولو كانت على نفس المذهب الذي تنتمي إليه الدول المانعة[1].

وفي رأينا لو جاءت هذه الإرساليات لخدمة الرب بأداء رسالة إنسانية تجذب السعادة أينما حلت وارتحلت لما سمحت للحكومة الفرنسية بنشر الشقاء والتعاسة بين مسلمي الجزائر،تلك الرسالة التي تدعو إلى التسامح الديني وتدعو إلى تقبل أصحاب الديانات الأخرى أليست رسالة اليسوع التي تنبذ الحرب والتطرف، غير أننا لم نجد في الجزائر إلا رهبان وقساوسة لبسوا ثوب الطيبة لتحقيق أهدافهم وأهداف بلادهم كما هاجموا الإسلام بكل قوة ووسيلة.

لقد كان الجزائريون أكثر شقاء منذ الغزو الفرنسي، ذلك أن الإدارة الاستعمارية لم تبذل مجهودا بفهم الإسلام بالجزائر وأن المتتبعين لأحواله لم يهتموا إلا بعبادة الأولياء أو ببقايا الوثنية وترجم ذلك السياسة الاستعمارية الجهنمية التي طبقتها فرنسا من إقفال للمساجد أو هدمها أو تحويلها إلى كنائس ونبش للقبور وإغلاق بعض الزوايا ومنع للحج[2].

وفي المقابل حاولت القضاء عل كل ما يمت بصلة للإسلام في الجزائر فقد سعت السلطات الاستعمارية إلى إعادة الجزائر إلى السيطرة الأوروبية فقد وقف الحاكم العام في الجزائر كافينياك من فيفري إلى أفريلَ1848م أمام صليب من العهد الروماني منقوش على صخرة موزاية غرب الجزائر العاصمة وأكد أن مهمة فرنسا تكمن في مواصلة ما بدأته روما قبل قرون،علما أن هذا الأخير عكف على جمع كل الشواهد المتصلة بالوجود الروماني مقتفيا

---

[1] الكحلوت، المرجع السابق، ص ص71، 72

[2] عبد الرحيم وزين: **الاستعمار الفرنسي وعدوان تنصير مسلمي الجزائر والمغرب**، أشغال الملتقى الوطني الثالث المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة في10ـ11ماي2016 بعنوان التنصير في الجزائر سياقه التاريخي وأبعاده وأساليب مواجهته الحضارية، دار تديكلت، 2016، ص55.

الأثر الذي تركوه ورائهم فقد أنه كان حريصا على إظهار الدلائل والبراهين للجزائريين أن أوروبا وفرنسا أحق بالمنطقة[1].

بل نجد حتى الجنرال بيجو رغم بعده عن الدين، فإن فيبو والمؤرخ بوجولا لما نزلا عنده ضيفين مكرمين قد مدحاه وأثنيا عليه معبرين له عن مشاعر الامتنان على المساعدات التي يقدمها للجمعيات المسيحية لتمكينها من الاستقرار بالجزائر، وقد ظهرت هذه العلاقة الوطيدة بين السلطة العسكرية والكنيسة مع تنصيب الإخوة لاتراب(la Trappe) في سطاوالي عام سنة1843م، وقد ظهر ذلك في الأقوال والأفعال الرسمية وفي النتائج المترتبة عنها، ففي الرسالة التي وجهها الجنرال بيجو للراهب ريجيس(Père Régis) رئيس هذه الطائفة الدينية في 27أوت1843م، أكد فيها بالعلاقات الوطيدة بين الراهب والجندي منوها بدور الخصال والأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة التي يتصف بها رجالات الطائفة في جذب قلوب العرب لصف فرنسا بعدما إخضاعهم بقوة السلاح[2]. الملحق رقم03

هذا وحرصت السلطات الاستعمارية على تأسيس دير الإخوة لاتراب في14 سبتمبر 1843م،ولم تخلو حفلة تدشينه من عنصر عسكري ومن مدلول حربي بل إن الحجر الأساسي قام بوضعه الجنرال بيجو بحضور مونسينيور دوبوش وقد وضع فوق مطرح مفروش بالقذائف الملتقطة من ساحة المعركة في سطاوالي أي في نفس المكان الذي حقق فيه الجيش الفرنسي النصر على الجيش الجزائري والذي مهد لسقوط العاصمة الجزائرية بيد فرنسا[3].

---

[1] Le général Ibos : **le général Cavaignac** , librairie Hachette, Paris, 1930, p121

[2] Le C^te^ .H D'Ideville : **le maréchale Bugeaud d'après sa correspondance intime178-1849**, librairie de Firmin-Didot et Cie , Paris,1882 , p296-299

[3] الأشرف، المرجع السابق، ص ص 275، 276.

وما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الاستعمار والتنصير وتوظيف الاستعمار للتنصير في تثبيت وجوده هو مبادرة الماريشال سولت بتعيين لجنة وإرسالها إلى الجزائر لتبحث عن وسائل الاستعمار بواسطة الفرق الدينية، وترأس هذه اللجنة النائب الكاثوليكي دوكورسيل الذي كان على رأس المتحمسين لهذا النوع من الاستعمار الديني وهو الذي أدى دورا أساسيا في إرسال الترابيست إلى الجزائر وقد رأى وجود هؤلاء الذين يكرسون جل وقتهم في خدمة الأرض مفيدا للمستعمرة كونهم يلقنون دروسا للمعمرين والأهالي عن طريق استعمال المبادئ المسيحية وتطبيقها[1]، وقد تم إرسالها بعد أن صرفت أموال طائلة وخسرت أعداد هائلة من الجيش والعتاد دون أن تنجح في تحقيق أهدافها[2].

وقد تمخض عن زيارة اللجنة إلى الجزائر تقرير وجهه دوكورسيل إلى وزير التربية والتعليم ومما جاء فيه" **لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية إلا إذا أصبحت مسيحية**"، ليظهر دوكورسيل رغبته الملحة في إرسال الترابيست إلى الجزائر ليقوموا بدور المستعمرين المبشرين في نفس الوقت فمن المؤكد أن وجودهم في الجزائر سيؤدي دورا بارزا في التأثير على الجزائريين بفضل تجارتهم الفلاحية مستغلا احترام المسلمين رجال الدين بمختلف مذاهبهم لاسيما الكاثوليكيين[3].

وقد لقي التقرير التقدير عند أعضاء حكومة لويس فيليب وخاصة عند ماريشال سولت الذي طلب من دوركوسيل الاتصال بهذه الفرقة الدينية وأعلامها بمساعدة الحكومة لها، عن طريق تقديم بعض الأراضي الخصبة والامتيازات المالية والسياسية لتسهيل نشاطهم[4]، وقد تحمس الجنرال بيجو للفكرة فأراد استغلال جهود هؤلاء نفوذهم الديني والروحي وأعمالهم الخيرية

---

[1] Victor Démontes :**la colonisation militaires sous le général Bugeaud**, Imprimerie algérienne Larousse; Alger 1918, p445 .

[2] Gabriel verge :**la monographie de domaine de la trappe de staouli** ,1930, p1

[3] ibid

[4] ibid, p3

على السكان الأهالي لإقرار السلم، لذلك عزم على إقامة الترابيست بمدينة موزاية قرب البليدة عوض مدينة سطاوالي[1].

ويبدو أن الجنرال بيجو أراد استغلال نفوذ هؤلاء في تقريب السكان إليه بأسلوب سلمي ينفذها هؤلاء الدينيون وعندما حل الترابسيت بالجزائر كاتب لرئيس الفرقة الأب رجيس يوم27أوت1843م يقول:" **أعتقد أن الاستعمار لن ينجح إلا عن طريق عمال منظمين إن صفاتكم المثالية سوف تعمل ولاشك على جلب قلوب العرب إلينا بعد إخضاعهم بقوة السلاح**"[2].

وتنفيذا للأوامر والسعي لتحقيق مهمتها الاستعمارية استقرت فرقة الترابست بساحل مدينة سطاوالي بدل منطقة موزاية لأمنها، وحصلت على1020هكتار من أحسن الأراضي الزراعية وخصصت الحكومة لها مبلغ 62ألف فرنك لبناء المساكن واستثمار الأراضي ورأى الجنرال بيجو أن يشجع هذه الفرقة التي بلغ عدد أفرادها45 رجلا فأهداها حيوانات للعمل، ويدل هذا على مدى الترابط بين رجال الدين والسياسة لخدمة الاستعمار[3].

ولم يقتصر نشاط هذه الفرقة الدينية أثناء وجودها بالجزائر على فلاحة الأرض التي نجحت فيها نجاحا كبيرا وإنما حاولت أيضا جلب السكان المسلمين إليها عن طريق الأعمال الخيرية ومحاولة التعايش معهم والتقرب إليهم بكل الوسائل وينكشف لنا ذلك من مراسلة شيخ قبيلة بني مراد للأب برجيس فهو يشكره على أعماله الخيرية[4].

إن طموح الأب برجيس إلى المزيد من المساهمة في عملية الاستعمار ويظهر ذلك في المراسلة التي جرت بينه وبين الدوق دومال وموضوعها غزو منطقة القبائل عن طريق

---

[1] Demotes , op,cite, p450

[2] بقطاش، المرجع السابق، ص82.

[3] Demotes , op,cite, p450.

[4] بقطاش، المرجع السابق، ص84.

التنصير ويرى الأب برجيس سكان القبائل الذين أخذوا صورة مختلفة عن الجيش الفرنسي سوف يأخذون انطباعات حسنة عن فرقة الترابسيت لقيامها بالأعمال الخيرية والشعائر الدينية، إلا أن الدوق دومال خاف على حياة الأب برجيس مؤكدا أن غزو القبائل يحتاج إلى الاحتلال العسكري أولا[1].

وقد تم هذا فعلا عندما استقر المارشال راندون لفرو ببلاد القبائل اصطحب معه الرسام هوراس فرتي، وشارك الأب برجيس في الحملة بإلحاح من الأسقف بافي قائلا:" **إنه لمن الصواب أن يصحب الدين علم فرنسا في بلاد القبائل**"، وبعد نهاية الحملة قام هوراس فرتي برسم لوحة كبيرة تمثل خضوع السكان للقوة الفرنسية ويعلوها هذا المشهد صليب كبير أمام الأب برجيس وهو يقوم بصلاة القداس تخليدا لهذا الغزو في مارس1853م[2].

ويبدو تشجيع الجنرال بيجو للتنصير واضحا حينما ذهب بنفسه مع مجموعة من الأطفال الجزائريين إلى ملجأ بن عكنون وسلمهم للأب بريملوت قائلا:" **حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين فإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار**"[3] فمن الواضح لنا أن الجنرال أدرك العلاقة الوطيدة بين الجزائري ودينه وبين دينه والجهاد، ففي القضاء على دينه وتنصيره قضاء على روح المقاومة وتكريس للانصياع والانقياد.

ونادى العديد من العسكريين بضرورة استخدام التنصير والدين لتثبيت الوجود الفرنسي بالجزائر فقد كتب ضابط فرنسي في ف. كولومبا(F . Colomba) كتابا بعنوان"**تنصير الجزائر والمسلمين يعتبر وسيلة لتثبيت القوة الفرنسية في الجزائر**"، وكذلك الجنرال دولامريسيير (De Lamoricière) حيث سعى لتدعيم المسيحية في إقليم وهران، ولويس فويو

[1] بقطاش، المرجع السابق، ص84.

[2] Demotes , op,cite, p450

[3] بقطاش، المرجع السابق، ص62.

(Veuillot)[1]،ودافع فويو عن ديبيش بكل قواه وعبر عن أرائه التنصيرية في مجموعة رسائل كتبها بعد عودته من الجزائر، فأعلن في إحداها عن زوال الإسلام بعد20سنة في حالة ما إذا فتحت الحكومة باب التنصير في الجزائر،كما تصور مستقبل حالك لفرنسا في الجزائر إذا لم تعجل بتنصيرهم[2]، كما قدم راندون رسالة يوضح فيها دعمه المطلق لشارل لافيجري والمنصرين الفرنسيين بالجزائر[3]. أنظر الملحق رقم07

فقد وجدت الفرق الدينية والبعثات التبشيرية الميادين فسيحة لنشاطها التبشيري بالإعانات المادية والمعنوية التي كانت تتلقاها من الحكومة الفرنسية ومنظريها، ومن أهم المبشرين المسيحيين الذين حضوا بالدعم المالي لمواصلة عملهم(المقدس) الكاردينال شارل لافيجري وأنطوان ديبيش بعد إنشائهما أسقفية الجزائر سنة1838م وجمعية الآباء البيض سنة 1869[4].

وفي معظم الأحيان اعتمدت الحكومة الفرنسية على رجال الدين لما يمتازون به من طرق وأساليب خاصة في تكريس النفوذ السياسي وهو ما صرح به النائب الفرنسي فرناند أنجران[5]:"**إن المبشر يعمل من أجل ازدهار الفكرة الاستعمارية للبلاد التي ينصرها وذلك برفع المعنويات الروحية والأخلاقية للأهالي...وأن النشاط التبشيري والاستعماري شيئان متلازمان لأن الهدف الأسمى للاحتلال هو التقدم الروحي والأخلاقي للمستعمر**"(بفتح الميم)[6]

وما يؤكد خدمة المنصرين لأهداف بلدهم ما قام به القس الفرنسي بارجيس(**Bargess**) إذ استغل معرفته باللغة العربية وترجم رحلة سيدي الحاج عبد القادر بن أبي بكر التواتي بن

---

[1] كان الكاتب الخاص للجنرال بيجو، زار الجزائر سنة1841م.(للمزيد انظر بقطاش، المرجع السابق، ص63).

[2] بقطاش، المرجع السابق، ص ص63 ،64 .

[3] المرجع نفسه، ص189.

[4] أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص102.

[5] **فرناند أنجران:** عين سنة1792م نائب على عمالة الكلفادوس في شمال غرب فرنسا.(للمزيد أنظر بقطاش، المرجع السابق، ص 14)

[6] نقلا عن المرجع نفسه، ص12.

هيبة الله، وهذه الرحلة على صغر حجمها تحوي معلومات قيمة وهامة فقد نوه بقيمتها مترجمها إذ أكد فائدتها ومنفعتها لمعرفة أحوال الصحراء الجزائرية وبلاد السودان الغربي ومعتبرا الأبجدية الخاصة بالطوارق التي جلبها صاحب الرحلة أكمل وأدق أبجدية عرفها الفرنسيون رغم الأعمال الهامة حول الصحراء التي قام بها العديد من الرحالة والمستكشفين من قبله[1].

إذن فقد"**كان التحالف بين الفرنسيين السياسيين والعسكريين والمستشرقين والمبشرين تزول معه حواجز التخصص وحدود مجال العمل الوظيفي ليصبح الشخص الواحد يكفي كونه فرنسيا، فيقوم بكل المهام التبشيرية حسب إمكاناته وحدود اختصاصه**"[2].

إذن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار والتنصير الفرنسيين علاقة وظائف الجسد الواحد والمصير المشترك فكثيرا ما كان الشخص الواحد يقوم بدور المستشرق والمستعمر المنصر في نفس الوقت[3].

ثانيا ــ وظيفية العلاقة بين الانثربولوجيا والاستشراق والاستعمار:

نسعى في هذا المبحث إلى كشف العلاقة بين الانثربولوجيا والاستعمار والاستشراق، وكيف سخرت الإدارة الفرنسية الدراسات الأنثروبولوجية لخدمة أهدافها ومخططاتها الاستعمارية.

1ــمفهوم الانثربولوجيا:

إنّ كلمة أنثروبولوجيا(Anthropologie) مشتقّة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين: أنثروبوس(Anthropos)، ومعناه"**الإنسان**" ولجوسLogos، وتعني"علم" فمعنى الأنثروبولوجيا لفظا "**علم الإنسان**" أي العلم الذي يدرس الإنسان[1].

---

[1] أحمد بوسعيد، المرجع السابق ، ص ص 105، 106.

[2] نقلا عن بن إبراهيم، المرجع السابق، ص144

[3] بن إبراهيم، المرجع السابق، ص169.

والحقيقة أن ترجمة اسم العلم الأنثروبولوجي إلى اللغة العربية أثبتت عدم جدواها واتضح أنه أمر غير علمي لأنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة، فهناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والبيولوجيا الإنسانية، ولهذا السبب العلمي آثر علماء الأنثروبولوجيا الإبقاء على تسمية العلم كما هي في لغتها الأصلية دون ترجمتها[2].

وبحسب كانط والفلاسفة الألمان الأنثروبولوجيا اسم يطلق على جميع العلوم المتعلقة بجانب من جوانب الحياة البشرية الروح والجسد،الفرد والنوع والوقائع التاريخية، ظاهرات الإدراك وقواعد علم الأخلاق المطلقة والمصالح المادية[3]، ومن هنا أصبح موضوع هذا العلم هو دراسة الإنسان وأعماله أي كل منجزاته المادية والفكرية أي الدراسة الشاملة للإنسان ولهذا نقول إن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق[4].

وقد كتبت الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية مارجريت ميد تقول:"**نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كإنسان مترابطة ومتغيرة... كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية ...**"[5]

وإذا أردنا وضع تعريف مبسط للانثربولوجيا فإننا ندرج تعريف الدكتور شكر سليم الذي وضعه في قاموس الأنثروبولوجيا الصادر سنة1981م:"**إن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة**

---

[1] كلود ليفي ستروس: **الأنثروبولوجيا البنيوية**، تر:مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق،1977، د ط،ص8.

[2] محمد الجوهري، عليا شكري:**مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، د ط، القاهرة، 2007، ص17.

[3] ليفي ستروس، المرجع السابق، ص8.

[4] الجوهري، شكري، المرجع السابق، ص17.

[5] نقلا عن المرجع نفسه، ص ص13 ،14.

الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا" وبالرغم من بساطة وإيجاز تعريفه إلا أنه وضح تخصصات الانثربولوجيا وهي الأنثروبولوجيا الطبيعية والاجتماعية والثقافية"[1].

إذن تحرص الأنثروبولوجيا في حقولها المعرفية على دراسة الثقافية والتثاقف وشبكة العلاقات الاجتماعية وكل ما له علاقة بالقانون والسياسة والعقيدة والدين وكذلك أنماط الإنتاج الاستهلاكي والتبادل والتربية والممارسات الثقافية للشعوب كما تأكد على أهمية العمل الميداني وبمعنى آخر الحياة بين المجموعة البشرية، وهذه الحقول المرتبطة بعلم الأنثروبولوجيا جعلته في بداياته يربط الاهتمام البحثي بكل ما هو بدائي وعدائي، وشكلت مواضيع القرابة والهوية واللغة والدين والثقافة أهم حقول علم الأنثروبولوجيا[2].

2ـــالدراسات الانثربولوجية الفرنسية في الجزائر:

قبل الخوض في الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر على الدراسات الإستشراقية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت في معظمها دراسات أنثروبولوجية.

عرفت الانثربولوجيا في الجزائر تجاذبات كبيرة سواء من حيث نشأتها وتأسيسها وحتى من حيث الدراسات والمواضيع التي تناولتها والأمر راجع للظروف التي مرت بها الجزائر عبر

---

[1] نقلا عن حسين فهيم:**قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان**،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة،الكويت،1989،دط ،ص17.

[2] بركات عمار: **سؤال الايدولوجيا والدراسات الإستشراقية الأنثروبولوجية في الجزائر أنموذجان ألفرد بل وبيار بورديو**،سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من7الى10 ديسمبر2014،منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، الجزائر، 2015، ص94.

[2] بركات عمار، المرجع السابق، ص94.

مراحل مختلفة من تاريخها الحديث بدء من الفترة الاستعمارية أو السنوات الأولى للاستقلال ووصلا إلى الفترة الحالية[1].

فالفرنسيون كانوا جاهلين بأهم الأمور عن الجزائر قبل الاحتلال ولم تكن لديهم وثائق مدونة للأنماط الحياتية والاعتقادية والميولات الثقافية لهذا الشعب ماعدا بعض مذكرات لهواة الكتابة الأدبية الذين رصدوا فيها عالما غريبا عن العالم الأوروبي، عالم مثير للدهشة والاستغراب حينا وللسخرية والاحتقار أحيان أخرى[2].

الأمر الذي استوجب معرفة الشعب الجزائري معرفة دقيقة وما يميزه في أنماط حياته وتشريعاته ومعتقداته وفلكوره، فتجسدت مهمة العسكريين في التنقيب الميداني لإماطة اللثام عن هوية هذا الشعب وخصوصياته الثقافية والاجتماعية[3].

وتولى الدراسات الانثربولوجية في الجزائر العسكريون والضباط الميدانيون مشكلين بذلك النواة الأولى للبحث الانثربولوجي في غياب علماء مختصين[4] فنظروا إليه على أنه مجتمع هجين الطوائف وفئات اجتماعية مختلفة ومتباينة ففيها العرب والبربر واليهود فكان الجزائري بالنسبة للانثربولوجيين الاستعماريين كما وصفهم تريميلي:" **يستحقون كل صفات الدناءة والخساسة والاحتقار**"[5].

هذا ومرت الدراسات الإستشراقية الانثربولوجية في الجزائر على ثلاث مراحل رئيسية اعتمدت في بدايتها على التقارير العسكرية التي صاحبت الهجمات العسكرية ثم التقارير

---

[1] مارك أوجيه: **جان بول كولاية: الأنثروبولوجيا**، تر: جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان 2008،ص81.

[2] أوراغي أحمد، المرجع السابق، ص274.

[3] المرجع نفسه، ص273.

[4] نفسه.

[5] نفسه.

الإدارية بترسخ الوجود الاستعماري في البلاد ثم اعتمادها على الدراسات الأكاديمية التي كانت تخدم الأهداف الاستعمارية إلا في حالات قليلة[1].

فقد حاولت هذه الدراسات جمع أكبر عدد من المعلومات والأدوات حول المجتمع والبيئة والحياة الاقتصادية والاجتماعية والتنظيم السياسي والعسكري والديني:" **إنه التكامل بين السياسي والإداري والأكاديمي رغم ما يبدوا من تعارض بين مختلف لمتخصصين خاصة بين الانثربولوجي والإداري**"[2].

وبعد مرور عقد من الزمن على نزول الجيش الفرنسي وبعد أن تم اختبار توسع عسكري أقدمت الحكومة الفرنسية على تحر واسع فقد تم جمع معطيات في قرابة40 مجلدا بين سنوات1844و1867م وقد اضطلع العسكريون بنصيب وافر في هذا التحري وكان على رأسهم كاريت وبليسيي(Carette et Pélissier)، متناولين عدة تخصصات كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والفيزيائية والحفريات لكي توفر نظرة أمينة عن الأخر أي هذا العربي أو هذا البربري بما أنهم ينكرون عليه تسمية أخرى[3]

ويؤكد المؤرخ شارل أندري جوليان أنه حتى سنة1847م لم تكن السلطة الفرنسية تملك عن الجزائر سوى تقريرين رسميين كان يمثلان أهم ما يمكن معرفته عن الجزائر، ولما استشعر المستعمر ضرورة معرفة الأخر لم يجد من بصلح لهذه المهمة إلا الجيش وفي سنة1837م قرر وزير الحرب البدء في استكشاف الجزائر علميا ولكنه لم يجد على أرض الميدان سوى أفراد الجيش الذين أنجزوا عمل السوسيولوجيين والمؤرخين و الألسنيين[4].

---

[1] أوجيه، بول، المرجع السابق، ص83.

[2] المرجع نفسه.

[3] أوراغي، المرجع السابق، ص273.

[4] أوجيه، بول، المرجع السابق، ص83

وبهذا سلمت الجزائر إلى هواة من ضباط الشؤون الأهلية وصغار المعلمين والرحالة المبشرين الذين ارتحلوا عن الاجتماع لكن لم يكن هدفهم البحث العلمي ف:" **لم يهتموا بإعداد ملفات وتقديمها كتقارير...بل كانوا يقدمون انطباعات مرفقة بآرائهم الشخصية**"ولم يكن هناك ما يحثهم على الاجتهاد العميق لأن ما هو سطحي عند الأهالي أقبلوا عليه لتفسيره وتقديم صورة حسبوها مكتملة المعالم حول حياة هذا الشعب وأنماطه السلوكية والاعتقادية[1].

وقد ألمت هذه الدراسات بجميع الميادين دون أن نسيان أو تناسي أحد الميادين، فالدين المعتقد السائد والرمز والممارسات كلها كانت مجالا للبحث والتنقيب وكذلك القانون والعرق والسلطة المركزية المتمثلة في قوة القبيلة والقرابة والزواج والمصاهرة والملكية الجماعية للأراضي الفلاحية والرعوية وغيرها كانت في صلب الاهتمام[2].

فقد شكل الدين الإسلامي أمر أساسي في الدراسات الكولونيالة بالجزائر باعتباره أحد أهم مقومات المجتمع الجزائري وأحد أهم روابط أفراده بعضهم ببعض لذلك نال قسطا من البحث والتنقيب، فنجد ليون روش قد دقق في دراسته عن الإسلام بداية بالقرآن ونزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم العبادات المفروضة على المسلمين كالصلاة وطريقة تأديتها[3].

كما حظيت الزوايا والأولياء الصالحين والمساجد والفرق الدينية بالاهتمام والدراسة ومن بين أهم هذه الدراسات نجد دراسة النقيب دونوفو(**le caiteain Déneveu**) بعنوان **le khouane ordre religieux chez le musulman d'Algérie** والمنجزة سنة1845م، حيث هدف من خلالها إلى جمع أكبر قدر من المعلومات حول الفرق الدينية من حيث عدد رجالها وعدد الخيول التي تكتسبها ميزانيتها ومساحة أراضيها ونوع الأسلحة التي تمتلكها وطابعها التنظيمي السائد حيث يقول في كتابه:" **من خلال اهتمامنا بالتنظيمات الدينية التي يتقاسمها فيما بينها سكان**

[1] أوراغي، المرجع السابق، ص273.

[2] أوجيه، بول، المرجع السابق، ص83.

[3] Roche, dix ans, op, cite, p-p45-49.

الجزائر كان هدفنا الكشف عن بعض الجمعيات التي يجب علينا أخذ الحذر منها لأن كل جمعية قوة وبالنسبة للرجل الذي يريد أن يعرف فهي سلاح فتاك يستطيع تسخيرها في تحقيق مشاريعه"[1].

وذهب الجنرال ديماس في نفس الاتجاه منوها بالمكانة التي تحتلها الزوايا بين الجزائريين سواء العرب أو البربر، فحدد أملاكها وأراضيها الواسعة والإعانات(التويزة) التي تقدم لها في أوقات الحاجة[2]، ونجد دراسة الجنرال ترومبلي تخرج من مشكاة واحدة مع دراسة ديماس فعنون كتابه ب **L'Algérie légendaire ,en Pèlerinage çà là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam tell et Sahara** عدد فيها المرابطين الذين صادفهم في رحلته ومشيرا إلى كراماتهم في وسط الجزائريين ليؤكد على المكانة والحضوة للشيوخ الزوايا والمرابطين والأولياء الصالحين بين الجزائريين[3].

وأكد المستشرقون الأنثربولوجيون على العلاقة الوطيدة بين الجزائريين لاسيما المرأة والزوايا والأولياء الصالحين، فكان ليدهن إيمان مطلق على قدرتهم في تحقيق مطالبها وإجابة دعواتها[4]،فالمرأة التي ترى أبنائها يموتون وهي صغار تذهب إلى الأولياء الصالحين وتسأل الله أن يحفظ لها البقية، في حين المرأة العقيمة(العاقر) يصطحبها أبوها أو زوجها لمثل هذه الأماكن(ضريح أولياء الله الصالحين) على أمل الحصول على ذرية[5]

---

[1] عزيزة خلفاوي: **السوسيولوجيا الاستعمارية في الجزائر ومخلفاتها، نماذج من مواضيع السوسولوجيا الكولونيالية الفرنسية في الجزائر**، مجلة دراسات وأبحاث ، العدد 6، ص ص 322ـ 337.

[2] Le General Dumas: **Mœurs et coutumes de l'Algérie ,tell, Kabylie, sahra**, 2 série, , libraire de l'Hachette et Cie, Paris, 1853,p213.

[3] Corneille Trumelet : **L'Algérie légendaire ,en Pèlerinage çà là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam tell et Sahara**, éditeur Augustine Challamel, libertaire Adelphe Jourdan, Paris, 1892

[4] ادموند دوتي: **الصلحاء ، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن 19م** ، تر: محمد ناجي بن عمر، دط، افريقيا الشرق، المغرب، 2014،ص،10

[5] Le General Dumas :**le Kabylie**, libraire de l'Hachette et Cie, Paris ,1857,p, 24,25.

كما تطرق ديسبارمي إلى قضية غريبة هي أخذ الأم ابنها العاق(تزويره) إلى أحد الأولياء الصالحين المعدين للهداية مثل سيدي محمد بن عودة بالبليدة، وتتم زيارته يوم الثلاثاء حيث يتم ربط الابن العاق بحبل من الديس ويعلقون في فمه عمارة العلف ويدور بالقبة سبع مرات يم يوضع في باب القبة ويرجم بسبعة أحجار صغيرة ثم يفك رباطه على أمل أن يهديه الله[1]

نلاحظ أن الجنرال ديماس وديسبارمي وغيرهم كثيرون ركزوا على البدع والخرافات الملتصقة بالدين الإسلامي والعادات التي لا تمت للإسلام بصلة ونسبها إلى الإسلام وهو بريئ منها سعيا للحط من شأنه وتشويههن فالرجل يظهر عليه حقد دفين للإسلام والعرب وتشبعه بالروح الصليبية.

ونجد كذلك دراسات(Raymond Charles)، الذي يعد قطبا من الأقطاب المختصين في الشريعة الإسلامية والفقه وخبايا المجتمعات العربية كونه كتب بلا انقطاع مدة30سنة ودرس بالجامعات ونصب قاضيا بين الناس ومستشارا للحكومة الفرنسية، ويعد كتابه:" **الروح الإسلامية**" أخطر الأعمال التي استهدفت الإسلام حيث عمل من خلاله على نشر الأكاذيب وإلصاق كل أنواع التهم للإسلام، فيؤكد فيه أن الإسلام عامل تخلف للمسلمين وعامل تعطيل للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي والركود والاستسلام لما كتب عليهم" وذهب في نفس الاتجاه ريموند شارل" **في الإسلام استسلاما جوهريا ومضمونا فأباح وصوغ كل التصرفات الفرنسية من اغتصاب للأرض وسلب للحكم وإدماج في الإمبراطورية لأن الذنب في ذلك ليس ذنب السلطات الاستعمارية وإنما المسؤولية ملقاة على عاتق الإسلام كدين هيأ ذهنيات المسلمين للإساءة إلى مواردهم الطبيعية وهي الرعاية نفسها التي مازال إلى يومنا هذا ترددها أبواق الرعاية الصهيونية والغربية الخاضعة لها**"[2].

---

[1] جوزيف ديسبارمي: **كتاب الفوايد في العوايد والقواعد والعقايد**، مطبعة السيد موفان، البليدة،1905، ص 29.

[2] نقلا عن خلفاوي، المرجع السابق، ص237.

ويمكننا أن نرجع تطرف شارل ريموند وحكمه حكما سلبيا عليه عن جهله حقيقة الإسلام فلم يدرسه دراسة عميقة أو تعمد هذه النظرة السلبية للحط من شأنه وتنفير المسيحيين منه وتكريس النظرة الدونية للمسلمين عنه.

تطرق الجنرال ديماس في كتابه(**Mœurs et coutumes**) إلى أركان الإسلام الخمسة الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة الحج بنوع من التفصيل في عبادتي الصلاة والصوم،فربط الصلاة بوجوب الوضوء قبل كل صلاة، كما أكد بفريضة الصوم على كل مسلم ومسلمة لمدة شهر من لحظة تميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى وقت النوم،وعلى الصائم الامتناع عن الانغماس في الأكل والشرب والملذات، معرجا على سماحة الإسلام بترخيصه للمريض والشيخ الكبير والمرأة الحامل والمرضعة بالإفطار مقابل الكفارة بتقديم مقدار من القح للفقراء[1]، وكل هذا يعكس حسب رأينا الاهتمام بالأمور الدينية للمسلمين سعيا لفهم أسرار هذا الدين ومدى تعلق المسلمين به ومن ثم العمل لإيجاد الحلول المناسبة للقضاء عليه واقتلاعه من جذوره في قلب كل مسلم ومسلمة.

لقيت الأسرة الجزائرية اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية باعتبارها اللبنة الأساسية للمجتمع الذي تريد فرنسا هدم مقوماته الشخصية فعمدوا لعقد مقارنة بين الأسرة في المجتمع المسلم والمجتمع الفرنسي، هذا الأخير يعد النموذج الواجب الاقتداء به وتقليده، فأكدوا أن المرأة مجرد تابع لهيمنة الرجل فهي كائن مهضوم الحقوق فيقول رايموند شارل:" **إن خضوع المرأة لزوجها كان الأصل في قانوننا القديم والنصوص التي اتخذتها الثورة الفرنسية انفردت بسن المساواة القانونية المطلقة فعدلتها المجلة المدينة التي حددت الحقوق بفضل القوانين اللاحقة وهكذا لم تكتسب المرأة المساواة إلا بعناء**"[2].

---

[1] Dumas: **Mœurs et coutumes** ,op,cite, pp,102-105.

[2] خلفاوي، المرجع السابق، ص238.

وأشار الأنثربولوجيون إلى قضية هامة وهي قضية حق المرأة في الميراث، فعل الرغم من أن الإسلام منحها نصيبها في الميراث حسب ما جاء في الآيتين7و11 من سورة النساء،الإ أن هذا الحق تعرض للتجاوز فقد حرمت الأسرة الجزائرية المرأة من حقها[1]، فقد انتشرت في الأوساط الجزائرية العديد من الأمثال المؤكدة على حرمانها من الميراث منها" **حقك استلب،اغتصبه إخوتك، باعوك بثمن رخيص، تفاهم عليك الرجال**" [2].

وما أثار تساؤلنا هذا العرف الذي لا يمت للإسلام بصلة، ويمكننا أن نرجع ذلك إلى رغبة أسرة المرأة في الحفاظ على ممتلكاتها في نطاق الأسرة وعدم السماح بتقسيمها وخروجها لأسرة آخرى.

الإ أن هانوتو ولوترنو يرجع حرمانها من الميراث إلى عدم قدرتها على التحكم والسيطرة على إرثها وممتلكاتها والمرأة التي ترث أبها تنتقل أملاكها إلى زوجها الذي يمكن أن ينهبها في حال تطليقها ويرفض إرجاع ممتلكاتها.

أما المحتوى الهيكلي لمؤسسة الزواج الإسلامي فإنها بقيت في وضعها القديم الذي يباين مصالح القوانين فالمرأة لا تدخل في أسرة زوجها وليس هناك شيوع في الأموال والحق أن سيطرة رئيس الأسرة وسيطرة الذكور المطلقة تغطي هذا التباين المزعوم وتجعله وهميا للغاية من حيث مفعوله المادي فالسيد والمولى أنيطت بهما مسؤولية الدفاع عن النظام الداخل والخارجي للأسرة بل على كامل المجموعة القبلية فهما مؤهلان للاستئثار بأوسع نفوذ ممكن علما أن اقتصاد العشيرة المطلق يسوغ هذه الأساليب التعسفية التي تذهب النساء عادة ضحية لها بسبب حرمانهن من الميراث[3].

---

[1] L. Féraud : **MŒURS ET COUTUMES KABILES**, R.A, T16, 1862,p 274

[2] شهرزاد واضح: صورة المرأة الجزائرية من خلال الكتابات الكولونيالية، مجلة عصور، المجلد18، العدد1، جوان2019، ص211.

[3] خلفاوي، المرجع السابق، ص238.

وفي نفس الوقت حظيت المرأة الجزائرية باهتمام كبير من الباحثين وكان مدخلا جوهريا لتغطية الحقائق والوقائع بهدف تفتيت المجتمع الجزائري ووحدته الاجتماعية خدمة للإيديولوجية الاستعمارية، وغلب على هذه الأبحاث طابع التزييف والمغالطات ومن أهم هذه الحقائق المزيفة أن المرأة تابعة ودونية بل تشبه العبد بالنسبة للرجل وأنها أول عامل من عوامل تخلف المجتمع[1]، وشبهها فرومانتين ب" **بهيمة المنزل**" مسلوبة من أدنى الحقوق[2] ويؤكد فيليب لوكا وجان كلود فانتان ذلك أيضا بقولهم:" **وقد كان أول مجال وجه إليه الاتهام هو العالم النسوي ومن خلاله النظام الاجتماعي برمته...**"[3]، بل إذا تذمرت واشتكت من سوء معاملة زوجها أو أحد أفراد عائلتها إلى قاضي أو جاه في المنطقة فإنها لا تنصف[4]

إن جل المؤلفات العامة قليلا أو كثيرا تحتوي على قسم يعالج هذه المسألة بيد أن الذي يستدعي الانتباه بين كتيب ج . ب بونافون و300صفحة التي دونتها ماري بوجيجا ليس هو سمك المنشورات ولا الفارق الزمني المقدر بنصف قرن بل التغير الحاصل في التصور الأول قد قدم المرأة الباحثة عن الخلاص من منزله السيئ الذي تربت فيها من الخارج وأطلق أحكام غلبت عليها السخرية والاستهتار أما الثانية فقدمت وصف عالم النساء من خلال وجهات نظر هذه النساء أنفسهن ويوجد بين الاثنين جدل قائم بالذات[5].

وقد عقد الجنرال ديماس مقارنة بين وضع المرأة العربية والمرأة القبائلية، فالمرأة العربية تحتل مكانة أقل من الرجل والزوج فهي لا تأكل معه ولا مع الضيوف في حين المرأة القبائلية تشارك العائلة في المأكل مع الزوج والضيوف، والمرأة العربية ملزمة فقط بالعناية بالخيمة فهي تطيع سيدها وتعتني بجواده، تأخذ عنه ركاب السرج عندما ينزل عن جواده،في

---

[1] Saidi Benyahia: **les orientalise et les liens hors mariage en droit musulman**, Journal of Légal and Political Research, v1,2013, p360.

[2] Fromentin Eugenne : un été Sahara, Alphonse Lemerre éditeur, Paris, XXIV, p47

[3] خلفاوي، المرجع السابق، ص238.

[4] Gastineau Benjamine : **les femmes et les mœurs de l'Algérie**, Paris, 1861, p5.

[5] خلفاوي، المرجع السابق، ص238.

حين المرأة القبائلية تتمتع بحرية مطلقة حيث تذهب للتسوق، ولا يمكن للمرأة العربية أن تحضر اجتماعات الرجال وعليها وضع خمارها وستر نفسها، أما المرأة القبائلية فهي تجلس حيث تشاء وتشارك في اجتماعات الرجال مكشوفة الوجه، كما أن المرأة العربية متسخة قليلة النظافة على عكس القبائلية ذات الجمال والنظارة والنظافة[1].

ويوافق الجنرال فايدراب ديماس في مناظرة بين الرجل العربي والرجل القبائلي إذ يقترن الرجل القبائلي بامرأة واحدة لضمان قيام أسرة متينة أحسن من تلك الأسرة المتعددة الزوجات، وفي أعراف القبائل تعتبر المرأة حقا أم وربة بيت وليست مجرد شيء أو ذلك الحيوان الذي يحمل الأثقال من منظور الرجل العربي، فالمرأة تقوم بكل أشغال البيت من ترتيب وحياكة ونسيج وفي المقابل مهضومة من أدنى الحقوق[2].

تستنتج من هذه المقارنة العنصرية بين المرأة العربية والقبائلية عند ديماس وفايدراب أنه يسعى إلى توسيع الهوة بين العرب والقبائل(فرق تسد) وتقريب سكان القبائل من الفرنسيين لضمان سيادته.

أما أرنست ميرسي فقد أخلط بين وضع المرأة في الواقع وفي القانون مع الإشارة إلى البطلات اللائي أنتجهن التاريخ، كما قارن باربي بين منزلة المرأة في البلدان العربية وفي بلاد القبائل،كما هم الكاتب فرديناند دشيان في كتابه المكون من8صفحات بالكتابة عن المرأة المسلمة في شمال إفريقيا وعالج لويس ميبو المسألة من وجهة نظر القانون كما تحدث آخرون عن المرأة العربية في الإسلام والحياة اليومية في الحفلات والأعياد، فمعظمهم لم يبرحوا المظاهر وتقاسموا ولو قليلا نفس الرأي أن المرأة تابعة ودونية[3].

---

[1] Dumas : la Kabylie, op,cite, pp 37-39.

[2] Le General Faidherbe :**instructions sur l'anthropologie de l'Algérie considérations générales**, typographie A Hennuyer, paris, 1874, pp24,25.

[3] خلفاوي، المرجع السابق، ص238.

إلا أننا نجد بليسيي في كتاب"**الحوليات**" يؤكد لطافة العرب مع زوجاتهم وأطفالهم، وكرماء مع موظفيهم وخدمهم ومهذبون مع بعضهم البعض، وينفي حالة التعاسة عن المرأة الجزائرية قائلا:" **وضع المرأة أبعد ما يكون تعيسا جدا بين العرب وحتى بين المغاربة، كما يسود الاعتقاد في أوروبا قوانين وأعراف البلد منحتهن حقوقا مستقلة من نزوات أزواجهن والتي يستخدمها على نطاق واسع وعندما يأخذ النزاع بين الزوجين الطابع الخطير إلى حد ما تقوم المرأة بالتهديد بالتدخل القضائي الذي يكون دائما لصالحها**"[1].

ويؤكد أن المرأة هي العضو الأساسي في الأسرة بل هي التي تحكم البيت، ونادرا ما كانت تقاسمها امرأة أخرى حكم بيتها، فالرجال في معظم الأحيان يكتفون بزوجة واحدة وتعدد الزوجات استغله قادة حجوط[2].

ففي رأينا فرنسا لا تريد أن تنشر المدنية الفرنسية بل تسعى إلى تمرد المرأة الجزائرية عن عاداتها وعن نظام بيتها ودينها، فهل يعقل أن الاستعمار عازه معاناة المرأة الجزائرية في ظل سلطة الرجل، وإذا كان هذا صحيح فأين هؤلاء أمام السياسة الاستعمارية الفرنسية والمرأة تنتهك حرماتها وتغتصب وتعذب؟، أما ما يخص خضوع المرأة لسلطة زوجها فنحن لا نرى بأنه الخضوع الذي يقصدونه من تجبر وظلم وتسلط بل هي سلطة رجل على امرأة مهما كانت هي ضعيفة بحاجة إلى الحماية والرعاية والاهتمام من الأب أو الأخ أو الزوج،سلطة رجل على امرأة بناء على تعاليم الإسلام يضمن استمرار الأسرة بمنطق القوامة.

وركز الأنثربوجيون بشكل واسع على تفرقة الأسر الجزائرية بين الذكر والأنثى، فأكد ديماس على الفرحة التي تغمر العائلة والقبيلة بحلول مولود ذكر على الأسرة والاحتفال الذي يصحب ذلك باعتبار رجل مدافع جديد استقبلته القبيلة، أما إن كان المولود أنثى فكأن شيئا لم

---

[1] بليسييه، المصدر السابق، ص ص296، 297.

[2] المصدر نفسه، ص297.

يحدث والنسوة هن من يفرحن فقط[1]، وتطرق ديسبارمي لنفس القضية مؤكدا أن الأب يفرح فرحتين إذا بشر بذكر ويكافئ من بشره مكافئة جيدة، أما إذا بشر ببنت فيكافئ المبشر مكافئة بسيطة.[2]

لفتت ظاهرة منتشرة بشكل واسع في أوساط الجزائريين اهتمام المستشرقون الفرنسيون سواء كانوا عسكريون أو أكاديميون وحتى رحالة وهي كرم الضيافة، فأكدوا بألسنتهم أن صفة فضيلة موروثة عن أجدادهم، فأي أجنبي يقصد بيوتهم يلقى الاستقبال الحسن دون النظر إلى عرقه أو دينه، وقد شهد العديد من الضباط أثار كرم الضيافة التي وجدوا فيها الكثير من الحرص والاهتمام والحنان سواء كانوا مع العرب بصفة رسمية أو غير رسمية[3]، فقد أكد ديماس أن العرب يخصصون خيام خاصة للضيوف ويسهر عليها الأغنياء[4]، وتطرق لنفس القضية بيربروجر في مقال نشره بالمجلة الإفريقية[5]

أما فيما يخص **التويزة** فهي صفة متأصلة في أوساط كل الجزائريين، ولم يغفلها أي أنثربولوجي أو رحالة جاب أرجاء الجزائر، فقد لاحظ شارل فيرو إلى تعاون أصدقاء الشاب الذي يريد الزواج وقبيلته على دفع المهر في حال عجزه، بل ويساعدونه إلى بناء منزل الزوجية[6]، وطرحت السيدة برنارد نفس القضية من خلال عرض المساعدات التي تمنحها العائلات الميسورة الحال للفقراء والمساكين من طعام [7]

---

[1] Dumas :le **Kabylie**, op, cite, p36.

[2] ديسبارمي، المصدر السابق، ص07.

[3] بليسيه، المصدر نفسه، ص297.

[4] Dumas, Mœurs et coutume, op, cite, p85.

[5] **De l'hospitalité chez les arabes**, R.A, V8, 1869, p.145

[6] L. Féraud : Mœurs et coutumes Kabylie, R.A, T16, 1862, pp280, 281

[7], M[me] Bernard ,op, cite, p59.

أما مسألة التعليم فهي الأخرى لفتت أنظار المستشرقون، مؤكدين على حرمان الجزائريين بناتهم من التعليم كونهم لا يسمحون بالاختلاط الذي قد يؤدي إلى ما لاتحمد عقباه [1]، الإ أن هناك البعض من العائلات أخذت على عاتقها تعليمهن بتخصيص بعض الوقت لهن لتحفيظهن القرآن الكريم كالفاتحة والإخلاص وبعض العادات الدينية ككيفية الوضوء والصلاة.[2]

أما فيما يخص تعليم الذكور فيلتحق الطفل ببلوغه6سنوات للتعلم عند شيخ تقي ورع وموضع ثقة وترتكز علومه على الأمور الدينية كتحفيظ القرآن الكريم فيقول ديسبارمي أنه في أول يوم يذهب فيه الولد للمسيد يلبسه والده لباسا نظيفا جميلا ويغطى له وجهه حتى لا يرى الحمار في طريقه، كونه إذا رآه في أول يوم سيصبح مثله[3].

كما اعتكف المستشرقون الانثروبولوجيون على مسألة حساسة ميزت المجتمع الجزائري وهي المكانة التي احتلها المرابطون في المجتمع الجزائري، فيقول بليسييه:" **المرابطين هم من الرجال الذين يكرسون حياتهم تماما لله ويتميزون بالفضائل والأعمال الصالحة...هم قديسون يعيشون بعد أن وضعوا بالرأي بين الرجال والملائكة**"، مؤكدا أنه بمجرد أن يكتسبون المكانة المرموقة ويؤسسون السمعة الطيبة يمارسون على المؤمنين إمبراطورية مطلقة[4].

وعالج ناصر الدين دينييه نفس القضية في لوحته الموسومة ب" **ابن المرابط**"، والتي رسمها سنة1900م، ويترجم دينييه بلغة الريشة الحضوة والمكانة المرموقة التي يتمتع بها المرابطين والزهاد بين الجزائريين، آذ يظهر التفاف الحشد وانكبابهم على تقبيل رجل ابن المرابط

---

[1], M[me] Bernard ,op, cite, p 8.

[2] ديسبارمي، المصدر السابق، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص 30.

[4] نفسه.

ويديه وحتى برنوسه على أمل نيل القليل من بركته[1] ويظهر الرجل الأسود وهو يحاول المرور بين الزحام وعلامات الاستياء بادية عليه[2] أنظر الملحق رقم12

كما شكلت دراسات كل من هانوتو ولترورنو(Hanoteau et Letourneux) حول القبائل والأعراف القبائلية والتي أصبحت كقانون ومرجعية في معرفة دقائق الأمور التي تجري في منطقة القبائل والتي هي جزء من الجزائر فقد أعطت الصورة الواضحة التي حبذ المستعمر أن يراها عن نفسه كما خلصت إلى أن العساكر قد قاموا بمهمتهم على أحسن وجه[3].

ونجد كذلك أعمال ايميل ماسكري بين سنوات1877- 1886م لاسيما عمله المسمى:" **تشكل الحواضر**" والتي ظهرت بعده الكثير من الدراسات التي اعتبرت دراسات أكاديمية علمية كأعمال مونييه(Maunier R) وايفون ثوران ولويس رين والعديد من الأعمال المتأخرة لبعض الباحثين أمثال بورديو، بيرك، جيرمان تيون، فاني كولونا وبعض الأعمال التي أجريت عن المغرب الأقصى والمرتبطة بالجزائر كأعمال روبير مونتاني وأرنست غلنير وكليفورد غيرتز وادموند دوتي[4].

---

[1] Etienne, Dinet et Benberahim,Slimane: **tableau de la vie arabe sonnets**, édition d'art, Alger, 1910, p13

[2]. Brahimi, Denise et Koudir, Bentchikou: **Etienne Dinet** ,ACR édition ,Paris, 1984.p 40.

[3]مرموقة منصور :**الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية**، مجلة التدوين، العدد 4، السنة، ص ص83ـ 84.

[4] مرموقة، المرجع نفسه، ص84.

3ـ علاقة الانثربولوجيا بالاستشراق والاستعمار:

خدمت الدراسات الأنثروبولوجية المخططات الاستعمارية على نطاق واسع.

- **علاقة الانثربولوجيا بالاستعمار:**

بدأت الدراسات الانثربولوجية في الجزائر باعتبارها دراسات وضعية دراسات وصفية أو ما يعرف بالمونوغرافيا أو الاثنوغرافيا والتي قام بها عسكريون وإداريون بغرض معرفة طبيعة الثقافة والتقاليد الجزائرية[1].

فقد تيقن المستعمر أن الاحتلال العسكري يجب أن يصحب بالمعرفة التامة بالخصائص الجغرافية للأرض وكذلك الأنماط الثقافية والاجتماعية والدينية والمهيمنة على الأوساط الشعبية فبدأ الاهتمام بالبحث في الإنسان الجزائري وكان العسكريون الفرنسيون هم الأوائل الذين خاضوا حقل الدراسة الانثربولوجية بالجزائر ولازالت أعمال كوفييه والإخوة مارسيه وباسي وألفرد بال تشهد على ذلك الاهتمام الذي خصته الإدارة الاستعمارية بالمجتمع الجزائري ومكوناته الاثنية والدينية[2].

وبناء على هذا تأسست اللحظة الوجودية بين الاستعمار والأنثربولوجيا حيث نجد أن كلا من أفكار الامبريالية الاستعمارية المعاصرة وأفكار الانثربولوجيا الحديثة متوافقين زمنيا من خلال أنهما تعودان إلى النصف الثاني من القرن19م وإيديولوجيا من خلال النزعة المركزية للدول الأوروبية التي تؤكد على تخلف الشعوب الإفريقية والأسيوية ولاسيما الشعوب المغاربية مما جعل التعامل معها في أدبيات الانثربولوجيا باعتبارها مجتمعات بدائية على عكس المجتمعات الأوروبية المعروفة بالتحضر، وفي هذا الصدد يقول ريفيه(Rivet):" **لا**

---

[1] بركات عمار، المرجع السابق، ص 95.

[2] أوراغي، المرجع السابق، ص 269.

استعمار جيد دون اثنولوجيا محكمة ولا يجوز أن يتم الاستعمار بالتجريب حين تساعده أضواء الملاحظة العلمية سلفا على إتمامه وبمعدل نجاح كبير"[1].

وبناء على هذا لا نجزم أن الانثربولوجيا الاستعمارية كانت بريئة من شطحات كولونيالية بحتة مستخدمة العلم لخدمة الاستعمار الاستيطاني لمعرفة أسرار الشعب والأرض حتى تسهل مهمة السيطرة عليه ووضع حد للمقاومة وإخمادها، إذ اقترن البحث الانثربولوجي في الجزائر بالحركة الاستعمارية في نهاية القرن19م وبداية القرن20م من أجل الاتصال بالبنى العميقة للمجتمع الجزائري والتي من شأنها تمهيد وتهيئة وتسهيل المهمات العسكرية[2].

لقد ارتبطت الانثربولوجيا بالجزائر لدى الكثير من الدارسين بحركة المد الاستعماري الأوروبي خصوصا في النصف الأول من القرن19م حيث كانت الإدارات الأوروبية في حاجة إلى معرفة خصائص الشعوب التي يريدون احتلالها أو احتلوها بالفعل، باعتبار أن الأنثروبولوجيا ليست مجرد نتاج فكري ولا نظريات أو أفكار متداولة عن الإنسان بقدر ما هي رؤية شاملة ودقيقة للواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الإنسان بالإضافة إلى النظرية التي تقدمها عن مجموع القيم والأخلاق التي تسمم أفكاره وسلوكا ته فإن الرؤى التي تقدمها عن الإنسان، والتي هي إلا انعكاس للظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحيط بهذا الإنسان في موقعه داخل المجتمع وداخل الدولة[3].

علما أن المستعمر كان في حاجة ماسة لمعرفة خصائص الشعوب الواقعة تحت سيطرته سواء قبل الشروع العسكري أم أثنائه فكانت تقارير الرحالة والمستكشفين أولى حلقات من مشروع الآخر المحتل كما رافقت الجيوش الغازية بعثات علمية كان الهدف الأساسي منها تسليط ضوء البحث على كل ما هو مجهول في الأنماط الحياتية والفكرية والعقائدية لهذا

---

[1] بركات عمار، المرجع السابق، ص 95.

[2] بركات عمار، المرجع السابق، ص 95.

[3] أوراغي، المرجع السابق، ص 270.

الآخر الذي ربما بدا غريبا في أنماطه المعيشية والثقافية والعقائدية وحتى تشريعاته القانونية والعرقية والاقتصادية وحتى تشريعاته القانونية والعرفية والاقتصادية[1].

وقد ربط أليكس دوتو كفيل(Alescis De Tocqueville) بين السياسة الاستعمارية والمعرفة حول الجزائر من خلال تحليل إحدى المراسلات الاستعمارية التي تطرقت إلى دراسة العادات والتقاليد والأعراف السائدة لدى الجزائريين أهم ما جاء فيها :" **لم تكن لنا أية فكرة واضحة عن مختلف القوميات التي تسكن المنطقة ونواميسها الاجتماعية وقد كنا نجهل أبسط المعاني لأي كلمة من اللغة التي يتحدثونها وحتى جغرافية البلد نفسه** موارده **ومدنه والخصائص المناخية...فعندما نتمكن من اللغة ومعرفة الخلفيات وممارسات العرب وعندما نتمكن من اكتساب نفس الهيمنة التي يكنها هؤلاء الرجال للحكم السابق(أي الحكم العثماني) عندئذ يصبح المجال متاحا لنا لممارسة أساليبنا في الحكم ومن ثم فرنسة البلاد ولفها من حولنا**"[2].

وقد تبين من هذه الرسالة أن الحركة الاستعمارية على الجزائر لم تقتصر على منطقها بالقوة ولكن سمحت لها الدراسة الأولى التي استقتها عن الشعوب الأخرى المسماة بدائية ووحشية ببلورة الفكرة الإيديولوجية للتدخل العسكري المبرر على أساس إيديولوجي مقبول بالنسبة له(أي العرب) وقد تجلى ذلك فيما كتبه أرنست مرسي من حيث أعماله في الفترة 1870ـــ1890م، وفي كتابه سنة1901م تحت عنوان" مسألة أهالي الجزائر في بداية القرن20م "la question indigène en Algérien au commencement de xx siècle"[3].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 269

[2] بوحسون العربي: **الاستشراق والأنثربولوجيا والاستعمار**، مجلة الإنسان والمجتمع ، الجزائر ، العدد 2،ج2،ديسمبر 2011،ص 49.

[3] المرجع نفسه.

أدركت الإدارات الاستعمارية أن الانتصارات العسكرية يجب أن تدعم بالبحث الانثربولوجي لإحكام السيطرة التامة وهو ما أكد الكيس دي توكفيل بتأكيده على ضرورة التوغل في عمق المجتمع الجزائري بدراسة الشعوب البربرية والعربية والتعرف على ماضيها وأثارها ومعتقداتها بل أدق تفاصيلها ثم إيجاد السبل اللازمة لضربها[1]

وهكذا بدأ الأنثربولوجيون بدراسة المجتمع الجزائري والتركيز على طباعه وخصائصه ثم الاستفادة من نتائج هذه الدراسات في إحكام السيطرة الاستعمارية عليها بمعرفة مواطن الضعف في المجتمع ورسم السياسة المناسبة للتعامل معها أو لتعديل بعض الأوضاع لتصبح ملائمة لطبائع الشعوب وبالتالي البقاء والاستمرار في استعمارها والسيطرة عليها.

وعلى هذا أولت الإدارات الاستعمارية عناية كبيرة بالانثربولوجيا وعلمائها فبالإضافة إلى تسخير العلماء والبحاثة لغايات استعمارية فقد خصصت لهذه الأنشطة العلمية الموجهة مراكز للبحث ودراسة ثقافات الشعوب وأوكلت مهمة تنشيطها للانثربولوجيين المنظمين تحت رايتها وتحت لوائها وسلطتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذلك وفق رؤية إيديولوجية استعمارية فكانوا يطعمونها بأبحاثهم وتقاريرهم الميدانية[2].

ولكن ما لا يمكن تجاهله هو الخدمة المتبادلة بين الاستعمار والأنثربولوجيا:" **فكما قدمت الانثربولوجيا خدمات جليلة للحركة الاستعمارية فقد استفادت هي الأخرى من خدمات الإدارة الاستعمارية والتي كان لها الأثر الكبير في تقدم الدراسات والمناهج الأنثربولوجية فمن المعروف أن القرن19م كان قرن التوسعات الاستعمارية بهدف استعمار المجتمعات البدائية من أجل إحكام السيطرة عليها واستغلالها سياسيا واقتصاديا وثقافيا ودينيا، وهنا**

[1] De Tocqueville, op,cite, pp5,6.

[2] بوحسون العربي ، المرجع السابق ، ص49

نشطت الدراسات الأنثروبولوجية بأهدافها النظرية والتطبيقية متخذة من هذه المجتمعات الصغيرة مجالا لدراستها"[1].

وبذلك يمكن القول أن الأنثروبولوجيا كعلم شكلت ردحا من الزمن الموضوع الخصيب للفكر الكولونيالي والذي سخرها تسخيرا استعماريا حيث انتشرت خارج أوروبا الدراسات الفلكلورية المهتمة بقطاع الثقافة أو الحضارة قبل وصول المظاهر الحضارية المقترنة بمرحلة التحديث الأوروبية[2].

وأجمعت الدراسات النظرية التي تناولت الانثربولوجيا كتاريخ علمي أنها نشأت في كنف المنظومة الاستعمارية حيث استثمرت الآلية الكولونيالية هذا العلم بغية إدراك عقلية الشعوب وأنماطها السلوكية والاعتقادية، إذ سخرت المنظومة الكولونيالية الانثربولوجية وعلمائها لأغراض استعمارية حيث تم استغلال واستثمار أبحاثهم من أجل معرفة عقلية الشعوب ومظاهرها الثقافية المادية والمعنوية والسلوكية، لقد تفطنت الفكرية والسياسية الاستعمارية وإيديولوجيتها في وقت مبكر إلى الدور الريادي الذي يمكن أن يقوم به الانثربولوجيين فعملت الإدارات الاستعمارية على إرسالهم ضمن بعثات علمية أو إدارية أو دينية في مناطق مختلفة من العالم يدرسون ويسجلون عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ونظمها المعاشية الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية[3].

فقد برز في المضمار كما أشرنا سابقا ثلة من العسكريين الذين جابوا أرجاء الجزائر ودرسوا أدق تفاصيله واقتراح الحلول المناسبة لتدجين الجزائر وتكريس الوجود الاستعماري كالجنرال ديماس والجنرال تروميلي والجنرال كوبون، ففي هذا الصدد أكد الجنرال تروميلي في كتابه **L'Algérie légendaire ,en Pèlerinage çà là aux tombeaux des principaux**

---

[1] أوراغي أحمد، المرجع السابق ، ص 271.

[2] أوراغي أحمد، المرجع السابق ، ص 271.

[3] بوحسون العربي، المرجع السابق، ص 49.

thaumaturges de l'islam tell et Sahara, على أهمية التعمق في دراسة المجتمع الجزائري ولاسيما ما يتعلق بالتقاليد الإسلامية والتي تعمل على تدعيم متطلباتهم السياسية والتجارية والحضارية من أجل اكتساب قوة للتوغل في منطقة الشمال الإفريقي بدون عوائق، ومركزا على أهمية دراسة أسرار الجماعات والزوايا التي تصادفهم والتدقيق في القدسيين والمرابطين[1].

وبهذا ارتبطت نشأة الانثربولوجيا الثقافية والاجتماعية بالحركات الاستكشافية والاستعمارية وأصبحت دراسة المجتمعات الغربية البدائية والأهلية موضوعها الرئيسي وفي هذا الصدد يذهب جيرارد لوكلارك إلى أن القول:" **الأنثربولوجيون أنفسهم يعترفون اليوم بأن اختصاصهم العلمي هذا يستمد موضوعه الفعلي من النزعة الامبريالية ويستوحي منهجه من النظرة الاستعمارية فأصبح الاهتمام بتلك الشعوب ووصف مؤسساتها الثقافية من أولوياتهم وكذلك بات من المؤكد من الناحية التاريخية أن الأنثروبولوجيا تطورت في الوقت نفسه الذي كانت فيه حركات الاستعمار في أقاصي الكرة الأرضية**"[2].

ومن المؤكد لنا أن هذه الدراسات لم يكن هدفها الرئيسي دراسة تلك الشعوب ووصف نمط حياتها والتعرف على أنساقها الثقافية بل إن هدفها الأسمى السعي لإيجاد السبل لإخضاعها للسيطرة الاستعمارية الأوروبية فاعتبرت الانثربولوجيا إحدى الوسائل المهمة لمساعدة السلطة الاستعمارية على إدارة الأهالي.

وهكذا كانت الانثربولوجيا إحدى استراتيجيات المستعمر لفهم ثقافة وسلوك الشعوب المستعمرة،استخدمه الخبراء الانثربولوجيين وتعيينهم مستشارين في الإدارات الحكومية للبلاد المستعمرة، فتمكنوا من معرفة أحوال تلك الشعوب الاجتماعية والاقتصادية وعكفوا على

---

[1] بريحة شريفة: استغلال الأعمال الأنثربولوجية من طرف العسكريين لصالح الاحتلال – السنوات الأولى من احتلال الجزائر،مجلة أفاق فكرية، العدد1، ديسمبر 2014، ص 145.

[2] أوراغي أحمد، المرجع السابق، ص272.

عقائدهم الدينية وحتى طقوس السحر لديهم وأبدوا اهتماما كبيرا بوصف وتحليل عاداتهم وأعرافهم[1].

ومع بداية تأسيس الدراسات الأنثروبولوجية وجدت نفسها مع الحركة الاستعمارية والتي احتضنتها بالدعم والمساندة فمن الناحية التاريخية وتأكيدا عليها أن الأنثروبولوجيا تطورت في الوقت نفسه الذي كانت فيه حركات الاستعمار تنتشر في أقاصي الكرة الأرضية[2].

غير أن الدراسات الأنثروبولوجية لم تكن محايدة بل نتج عن ذلك التفاعل ما بينهما وبين الاستعمار النظرة الأولى الانقسامية ثم جاءت بعدها نظرية القطيعة ، وتقوم إشكالية القطيعة في الدراسات الإستشراقية على أساس التركيز على الدراسات الأنثروبولوجية وبفعل احتكاك الاستعمار بالانثربولوجيا فقد اختار الاستعمار نموذج ايدولوجي توجهه وتخدمه ألا وهو أنثروبولوجيا الانقسامية أو ما يعرف بأنثروبولوجيا التجزئة [3].[4]

وبقي النموذج الانقسامي ذو طبيعة علمية لكن ما لبث أن استغله الاستعمار إيديولوجيا عن طريق دراسة المجتمع الجزائري وتمت تجزئته حسب المجالات الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية، وبالنسبة للتجزئة الاجتماعية فقد اهتمت بدراسة الدواوير والمداشر باعتبارها وحدات صغيرة أنثروبولوجية والنظرة الأعمق باعتبارها قبائل وعشائر وهذا ما

---

[1] المرجع نفسه.

[2] بركات عمار، المرجع السابق، ص96.

[3] **أنثروبولوجيا التجزئة**: وتعرف أيضا بأنثروبولوجيا الانقسامية نسبة إلى التحليل الانقسامي الذي يتصف بتحليله للمجتمع ويعتبر ايميل دور كايم أول من استعمل مفهوم الانقسامية لدراسة المجتمعات وتطورها في كتابه " تقسيم العمل الاجتماعي " والفكرة الرئيسة للكتاب تتمحور حول أن المجتمعات تنتقل تدريجيا عبر التطور التاريخي من شكل التضامن الآلي إلى أشكال التضامن العضوي بمعنى آخر من تضامن يؤسسه التشابه بين العناصر المكونة للمجتمع إلى تضامن يفرضه الاختلال والتكامل إن أشكال التضامن العضوي هي التي تسود في أوروبا المعاصرة أما مجتمعات التي يسود فيها التضامن الآلي فهي ما يمثله نظريا العشيرة البدائية،(للمزيد أنظر المرجع نفسه، ص97.)

[4] نفسه.

قام به الاستعمار من تجزئة ثقافية تحت قاعدة فرق تسد بخلق التشتت بين القبائل وأمازيغ وطوارق وشاوية وعرب فقالوا أن البربر أصولهم بربرية [1].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الدراسات اعتبرت المجتمعات المغاربية والمجتمع الجزائري خاصة بأنها لا تفكر مما يستدعي الهيمنة عليها من خلال معرفة بطريقة عيشها وجوانب اجتماعية وثقافية ليأت دور الأنثروبولوجيا لتقوم بهذه المهمة لتسهيل العملية الاستعمارية[2].

أما أنثروبولوجيا القطيعة فظهرت كاتجاه ضد الأنثروبولوجيا الانقسامية كونها اكتشفت أن المجتمع الجزائري مجتمع يستحيل تطبيق عليه نظرية الانقسامية القبلية وهو ليس بمعزل عن الحداثة والتفكير، وقد مثله أنثروبولوجيون أمثال جاك بيرك وبياربورديو وجرمين تليون[3].

وتقوم أنثروبولوجيا القطيعة على أساس دراسة المجتمع المغاربي عامة والجزائري خاصة بطريقة حيادية دون الحكم عليه وكذلك في تبعيته للاستعمار حيث يقول جين موزيه(**Mouzet**) في كتابه" **kablisée l'Algérie** " الجزائرية البدوية كانت فيما سبق قوية جدا لم تعد موجودة أو على الأقل لم تعد لها أية أهمية الجزائر الآن حضرية بنسبة95% التصنيف القديم بين البدو والحضر لم يعد لها أية أهمية أيضا تماما قبل تصنيف الجزائر التقليدية بين البدو والحضر لم تعد له أية أهمية تماما التصنيف الجزائر التقليدية والجزائر المتطورة في الواقع من الظاهر أن الجزائر التي يقال عنها تقليدية هي التي تغيرت بها ظروف الحياة وعكس ذلك الجزائر التي يقال عنها متطورة هي التي ينبعث فيها الماضي بكل قوة في بعض الأحيان[4].

---

[1] بركات عمار، المرجع السابق، ص97.

[2] أوراغي، المرجع السابق،ص 272.

[3] بركات عمار، المرجع السابق، ص 99

[4] المرجع نفسه.

ومن هذا القول يتبين أن نظرة المفكرة في أنثروبولوجيا القطيعة ركزت على الازدواجية المتداخلة بين التقاليد والحداثة وأن المجتمع رغم حالة الاستعمار التي يعيشها في حالة من الحداثة وفي كنف التقاليد والتي تظهر من النظرة السابقة أنها ضعيفة إلا أنها قوية[1].

ولعل ما يؤكد وجهة النظر هذه هو محاولة العديد من الدراسات التي أنجزت في الفترة الاستعمارية والتي تناولت سكان الجزائر اثنوغرافيا قسمت السكان إلى بربر أو سكان أصليين لشمال إفريقيا وصفتهم بالتسامح الديني وحب العمل والتفتح الفكري حتى تقربهم أكثر من الفرنسيين والى عرب وصفتهم بالدخلاء الغزاة المتعصبين دينيا والكسلاء والمتأخرين حضاريا[2].

ومن أهم هذه الدراسات كتاب مسائل جزائرية العرب والقبائل حيث أراد مؤلفه الفيكونت أيمور(Caix de sainte Ay Mour) سنة1891م:" أن يطلع أبناء الوطن الأم الذين يجهلون بأن كلمة الأهالي تعني البربر والعرب بأن العرب لا يمكن تغيرهم أو تحويلهم بينما يمكن إدماج القبائل فالعرب كسالى مسترخون بطيؤا الحركة منطوون خياليون ذوو مزاج بارد وشبه حزين ومتعصبون أما البربري فانه عامل مجتهد يتحلى بروح المغامرة وبالحس العملي وهو في علاقته مع الخارج حازم نشيط منبسط وذو حيوية وانشراح(...) وهو اقتصادي نزيه فضولي وفي واقع الأمر سطحي التدين[3].

وذهب ليوريل(j .Liorel) سنة1892م في كتابه:" **قبائل جرجرة**" إلى أبعد من ذلك حيث بلغ به الأمر إلى اقتراح تولي القبائل عملية الاستيطان قائلا:" قد يكون القبائلي العنصر المستوطن الممتاز الذي يمكن أن نسخره لتحويل الجزائر إلى فرنسا حقيقة"[4] أما الدكتور

---

[1] نفسه.

[2] أجيرون، المرجع السابق، ص 49.

[3] المرجع نفسه.

[4] نفسه، ص50 .

باتندي(Battandier) وترابوت (Trabut) فقد بالغا سنة1898م في تشبيه القبائليين بالأوروبيين ولاسيما الفرنسيين وعبروا عن إعجابهما بمؤسساتهم(تجماعت خاصة) التي تجسد الحكم الديمقراطي[1].

والملفت للنظر أن المستعمر الفرنسي في إطار محاولاته الحثيثة لجذب القبائل إليه غالبا ما يقدم نفسه داخل هذه الدراسات الاستشراقية في صورة البطل بل الأخ الرحيم الذي يسعى إلى تحرير إخوته :" **البربر الذين طردهم العرب وحاصروهم في الجبال** واستغلهم الأتراك"[2].

وفي الأخير نستنتج أن الجزائر وضعت تحت مجهر الانثربولوجيين فعكفوا على دراسة المجتمع الجزائري وأنماطه حياته ونظمه وتشريعاته بغية تقديم صورة واضحة المعالم عنه حتى تسهل عملية انقياده وتطويعه ثم كبح جماح مقاومته، وأحيانا أخرى اهتمت الأنثروبولوجيا الاستعمارية بتأجيج كل ما من شأنه زعزعة الوحدة للشعب الجزائري بضربه في أعماق هويته وزرع التفرقة والفتنة حتى تفكك رباطاته الانتمائية التي يستمد منها قوته.

- **علاقة الانثربولوجيا بالاستشراق:**

إن تحليل العلاقة بين الاستشراق والأنثربولوجيا تظهر من خلال العلاقتين السابقتين(أي بين الاستعمار والانثروبولوجيا)، فالربط بين هذه المفاهيم ينطلق على أساس ارتباط الأنثروبولوجيا في بدايتها بالسياسات الاستعمارية للدول الكبرى، ولذلك اعتبرت جزء من البحث الاستشراقي ولهذا السبب وقعت كمتهم من طرف بعض الكتاب الغربيين أنفسهم أمثال جيرار ليكرلك فيقول الباحث صلاح الجابري في كتابه تفكيك الاستشراق أن الأنثروبولوجيا تمت في عصر التوسع الامبريالي الأوروبي فكانت خادمة لأهدافه[3].

---

[1] أوراغي، المرجع السابق، ص272.

[2] المرجع نفسه.

[3] بوحسون، المرجع السابق، ص50

وقد مرت هذه الخدمة بأطوار انتهت إلى نقد الاستعمار ومحاولة إزالته، فالنظريات الأنثروبولوجية تقتضي الكشف عن العلاقة المتبادلة بينهما بينما ظل الاستشراق أميننا لمواضيع الأنثروبولوجيا الغربية في تحليله وتقييمه لشعوب العالم المتخلف ويضيف الكاتب أن الاستشراق و الأنثروبولوجيا:" **مركب ذهني غربي**" ترجم ذلك التناقض الكبير الذي يشعر به الإنسان الأوروبي اتجاه الأخر وهو تناقض أفرزه المحتوى الفكري والقيمي للإنسان الشرقي وبخاصة الإسلامي إن هذا التناقض فرضه واقع معين وهو تضارب المبادئ الفكرية بين الغرب والشرق[1].

والملاحظ أن الكثير من الدراسات الأنثروبولوجية التي اتخذت من الجزائر حقلا دراسيا لها أنها لم تخرج في إطارها العام عن مرجعية استشراقية نظر إليها ـ في معظم الأحيان كتكوين مقدس ومنظومة إيديولوجية وسوسيوثقافية توخت تقديم نماذج ثقافية ومعرفية للأناسة الجزائرية وتقديمها بشكل مشوه[2].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الاستشراق عقلية وليس تخصصا لان المتخصصين هم من صنعوه أو طوروه كون دعموا عن قصد ووعي أو غير وعي سلطان القوي متسترين بقناع البحث الأكاديمي والمعرفة، كما أن التعرف على ديانات ومعتقدات الشعوب كان الهدف الأساسي للحركة الاستشراقية لكن الأطماع حولتها إلى إيديولوجيا في يد المستعمر الغربي[3].

وقد تدعم الاستشراق كالأنثروبولوجيا بروح العنصرية اتجاه الشعوب الأخرى كوجه للهيمنة الغربية تجاه الحضارات العريقة في آسيا وإفريقيا التي اعتبرت حقلا واسعا لدراسات الاستشراق،حيث بين ادوارد سعيد أن معظم هذه الدراسات ولكي تتخلص من الأسلوب

---

[1] بوحسون، المرجع السابق، ص50.

[2] أوراغي، المرجع السابق، ص267.

[3] بوحسون، المرجع السابق، ص 50

المعرفي القائم على المعرفة التي أدركها الغرب من أجل ضمان هيمنته وكل أوروبي كان يمكن أن يقوله عن الشرق عنصريا وامبرياليا لدرجة كلية تقريبا عرقي التمركز[1].

وقد تناول الباحث صلاح الجابري في كتابه الموسوم ب" **تفكيك الاستشراق**" المركب الثلاثي:الاستشراق،ا لاستعمار،الأنثروبولوجيا فأكد أن هذه الأخيرة تطورت في عصر الامبريالية الغربية فكانت خادما مطيعا لها، لكن هذه الخدمة مرت بأطوار انتهت بها إلى نقد الاستعمار ومحاولة إزالته،واعتبر هذا الثلاثي" **مركب ذهني غربي**"يترجم التناقض الكبير الذي شعر به الإنسان الأوروبي اتجاه الأخر هذا التناقض أفرزه المحتوى الفكري والقيمي للإنسان الشرقي الإسلامي منه، ويربط الباحث ادوار سعيد بين الاستشراق و الأنثروبولوجيا ليس في النشأة بل في المادة التي اعتمداها ثم أنهما علمان استعماريان[2].

من خلال ما سبق نستنتج أن كل من الاستشراق والانثروبولوجيا معول من معاول الاستعمار ومن دعائمه وكلها تشترك في تعاملها مع الشعوب المستعمرة، فالاستشراق مهمته تغير صورة الشعوب المستعمرة واتهامه بالتخلف وازدرائها أما مهمة الأنثروبولوجيا فهي دراسة هذه الشعوب والتعرف على مقوماتها كل هذا من أجل نهبه تعبيد الطريق للاستعلال والنهب والتوسع.

إن التحالف بين الفرنسيين السياسيين والعسكريين والمستشرقين والمنصرين تزول معه حواجز التخصص وحدود مجال العمل الوظيفي ليصبح الشخص الواحد يكفي أن يكون فرنسيا فيقوم بكل المهام التنصيرية حسب إمكاناته واختصاصه[3].

---

[1] بوحسون، المرجع السابق، ص 50.

[2] أوراغي، المرجع السابق، ص267

[3]بن إبراهيم، المرجع السابق، ص144.

الخـــــاتمـــة

مثل الاستشراق وجها من أوجه الصراع الحضاري والتاريخي بين الشرق والغرب، وشكلا من أشكال الغزو الذي شنته أوروبا على العالم الإسلامي، بل كان حربا خفية ومعلنة بينهما في ظل اختلاف حضاري وعقائدي واسع.سيما بعد الانتصارات التي حققها العالم الإسلامي على مختلف الأصعدة والتي خلقت مخاوف وهواجس لهم.

إن الأهداف الدينية هي المحرك والمحرض الأساسي للدراسات الاستشراقية، يأتي في مقدمتها تتبع ودراسة كل ما يتعلق بالدين الإسلامي والبحث في المجالات الخلافية والتشهير به للحط والتقليل من شأنه من جهة ومن جهة ثانية السعي لتنصير المسلمين فغالبية المستشرقين منصرين والعمل على إيصال الدين المسيحي للمسلمين وحمل مشعل الهداية ونور الحق إلى(بلاد الكفر)، ومن جهة ثالثة حجب تعاليم الإسلام عن بني جلدتهم وتحصينهم منه فهو حسبهم جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم وجب إيقافه قبل أن يصل إلى ديارهم.

وفي هذا الصدد شغلت سيرة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم جزءا هاما في كتابات المستشرقين بهدف انتقاده ومعارضته والتجريح فيه، فشنوا هجوما عنيفا عليه متهمين إياه باختلاق الوحي وتزوير القرآن الكريم من التوراة والإنجيل بل وصف بأقبح الأوصاف كالمرتد والفاسق وزير النساء وأمير الظلمات .

إلا أننا نجد في الضفة الأخرى منهم مستشرقين اتصفوا إلى حد ما بالاعتدال والإنصاف مثل المستشرق الفرنسي "**إميل درمنغم** "Dermenghem Emile" في كتابه" **حياة محمد** " la vie de Mohammed"، فقد عرض حياة رسولنا الكريم بنوع من الإنصاف معتمدا في دراسته على مصادر هامة كالقرآن الكريم وكتب الحديث ومؤلفات السيرة والمغازي،وقد استشهد به عدد معتبر من الكتاب العرب المسلمين للرد في التشويه والأباطيل والتهم التي أطلقها إخوانه المستشرقون المتطرفون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن حاجة أوروبا للعلوم الإسلامية دفعت مستشرقيها وفي مراحل مبكرة إلى الاتصال بالعالم الإسلامي للاطلاع على مختلف علومه للانتهال منها ولاسيما فرنسا فقد طلبت الثقافة العربية الإسلامية من الأندلس بإرسال البعثات العلمية وتأسيس عدة مدارس استشراقية.

اختل ميزان القوى في القرون الحديثة لصالح الحضارة الغربية وتراجعت فرص الحضارات الأخرى بما فيها الإسلامية، ما ولد للشعوب الأوروبية شعور العظمة والنرجسية وهواجس السيطرة وخلق مجال لانصياع الأخر واستغلاله، وولد للأخرى عقدة النقص والتبعية والضعف في مختلف الجوانب الحضارية والفكرية وحتى الاقتصادية.

ورغم إن الاستشراق الفرنسي جزء لا يتجزأ من الاستشراق الأوروبي إلا أنه يختلف عن نظيره الانكليزي والأمريكي والاسباني، إذ له خصوصيته التاريخية والجغرافية واللغوية والثقافية يختلف فيها عن استشراق بعض الدول الأوروبية الأخرى إذ امتاز الاستشراق الفرنسي عامة بطرحه التاريخي الفيليولوجي(فقه اللغة) وروحه الصليبية التنصيرية وأهدافه الاستعمارية ووصايته وهيمنته الثقافي.

سخر الاستشراق الفرنسي لإيصال أفكاره ومبادئه للشرق مختلف الوسائل والأدوات والطرق بإنشاء المدارس والمعاهد كمعهد الكوليج دي فرانس والمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية وتأسيس الجمعيات وأهمها وأشهرها الجمعية الأسيوية والجمعية الشرقية في البلد الأم أو بعض الجمعيات الخاصة في المستعمرات كالجمعية التاريخية بالجزائر العاصمة والجمعيات الجغرافية لإقليم وهران، وإصدار الدوريات والمجلات كالمجلة الأسيوية والإفريقية.

عرفت فرنسا بكثرة مستشرقيها سواء في مراحل الاستشراق القديم أو الحديث، فكان لها السبق تاريخيا وحتى عدديا، إذ بلغ عدد المستشرقين الفرنسيين في مختلف التخصصات والمجالات أضعاف المستشرقين في دولة أخرى.

مثلت الجزائر بتراثها الحضاري محطة اهتمام الاستشراق الأوروبي عامة والفرنسي خاصة،وازداد اهتمام المستشرقين الفرنسيين بها بعد أن أصبحت تحت أنظار حكوماتهم،فقبيل الاحتلال استعان ساسة فرنسا بالمستشرقين وكتاباتهم عن الجزائر بغية الاطلاع على أوضاعها ووضع الخطط الكفيلة بتنفيذ مشروع الاحتلال بنجاح واستعادة مجد الكنيسة الكاثوليكية الضائعة بزعمهم.

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أو حجبها أن الدراسات الإستشراقية الفرنسية في الجزائر أنتجت كما ضخما من الأبحاث في مختلف المجالات الدينية والأدبية والتاريخية والفنية،لا يمكن الاستهانة بها أو تناسيها أو تجاهل أثارها على ثقافتنا وتراثنا،إذ أصبحت جزءا منه وحلقة هامة من حلقاته.

أدى الاستشراق الفرنسي دورا بارزا في التمكين للقوى الاستعمارية لفرض سيطرتها على الجزائر فقدم عدة مستشرقين خدماتهم بطرق مباشرة لحكوماتهم، فإنبثوا في مختلف ربوع الوطن يستطلعون وضع الشعب الجزائري ويجمعون ما أمكنهم من مخطوطات ووثائق،فالاستشراق وجه الاستعمار الفكري، وبعد أن بسط هيمنته وتمكن من الشعب كرسوا أنفسهم لإيجاد السبل اللازمة للقضاء على المقاومات الشعبية الواقفة في وجه الإدارة الاستعمارية إذ برزت أسماء لامعة وظفت بشكل مباشر لهذه المهمة أهمهم ليون روش ودوره في إفشال مقاومة الأمير عبد القادر.

وقد أجزل الاستعمار الفرنسي على مستشرقيه-عرفانا بالجميل وتشجيعا إلى المضي قدما- العطايا وأغدق عليهم الأموال، بل عبد طريق أبحاثهم ودراساتهم بتسليمهم المخطوطات ورفعت عنهم الحواجز وقدمت لهم الأوسمة السياسية والعسكرية والجوائز العلمية الثمينة،فعاش المستشرقون في كنف الاستعمار وحمايته.

رافق الزحف الاستعماري الفرنسي على الجزائر عدد هائل من المنصرين،بعد اقتناع زعمائه ومنظريه بأن المسيحية هي المنطلق والقاعدة الأساسية لفرض هيمنته، وبناء على هذا أمن الاستعمار الحماية والأمان للمنصرين ومنهم المستشرقين.

تكامل الاستشراق والتنصير في الجزائر خاصة والبلاد الإسلامية عامة،فإذا كانت مهمة الاستشراق معرفة لغة الخصم وعاداته وتقاليده وثقافته فتتجسد مهمة التنصير في نشرها في المعاهد والجامعات والى اكتشاف نقاط القوة لدى المسلمين للعمل إلى ضربها وثارة الشبهات والتشكيك في القيم الإسلامية في مشتبهات الأمور،فالاستشراق وسيلة والتنصير غاية والكل في خدمة الاستعمار، أو بالأحرى الاستشراق المصنع والتبشير هو الموزع أو المصدر. وقد اشتهر مبشرون مستشرقون في الجزائر أهم الأب شارل دي فوكو.

خصص المستشرقون الفرنسيون مساحة واسعة من دراساتهم للمواضيع ذات النزعة العرقية إذ عملت على إذكائها وتغذيتها ثقافيا.سعيا لتفكيك الوحدة الوطنية والثقافية والاجتماعية والجغرافية بالجزائر وإشعال نيران الفتنة والتفرقة،مثل الاختلافات بين البربر والعرب والتوارق وغيرهم.

والحقيقة يعود الفضل للاستشراق الفرنسي في إعادة إحياء بعض أمهات الكتب في التاريخ الإسلامي والتي كانت نسيا منسية مهملة في رفوف المكتاب العائلية، كما أثار بعض القضايا المتعلقة باللهجات والمحلية لاسيما اللغة العربية والبربرية وحتى الترقية فساهموا ولو لنوايا استعمارية محضة في إعادة بعثها وتجديدها بتسليط الضوء عليها في مختلف الكتب والمقالات في ثنايا المجلات والدوريات .

عرفت الدراسات الاستشراقية الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر تجاذبات سواء من حيث نشأتها أو تطورها والمواضيع المعالجة، إذ تولاها بادئ الأمر العسكريون الضباط معتمدين على الوصف الدقيق لمختلف جوانب الحياة اليومية للإنسان الجزائري.

حظيت المرأة الجزائرية باهتمام المستشرقين الفرنسيين بهدف تفكيك البنية الاجتماعية للجزائر ووحدته خدمة للأهداف الاستعمارية، إذ تميزت هذه الدراسات بالمغالطات والتزييف فيما يخص مكانتها في المجتمع إذ أكدوا تبعيتها للرجل بل تعيش حياة العبودية في كنف أسرتها، كما صورها عدة رسامين فرنسيين في مواقف ووضعيات لا تمت بصلة للمرأة الجزائرية المحصنة والرصينة ،فقد صورهن أوجين دي لاكروا في مضجعهن تمسك إحداهن بالنارجيلة ؟!.

إن على المسلمين اليوم مهمة شاقة وإجبارية، وهي التخلص من عقدة الانهزامية والتبعية للثقافة الغربية وتقليدها، حتى يتبوأ المكانة التي يستحقها، إذ عليه مراجعة مكتسباته الحضارية وبحث السبل الكفيلة بإخراجه من شبح التخلف ونتائج التبعية.

في الأخير نرجو أن يكون عملنا هذا مساهمة في الأبحاث الخاصة بالاستشراق الفرنسي بالجزائر، وأرضية لأبحاث أخرى أكثر عمقا وتخصصا تمتد بالموضوع في إطاره الزماني والمكاني.

الملاحق

ملحق الوثائق

ملحق الصور

ملحق الخرائط

ملحق الجداول

الملحق رقم 01 :بيان فرنسا إلى الجزائريين سنة 1830[1]

* هذه مناداة من سارعسكر امير الجيوش الفرانساوية *

الى سكّان الجزآئر واهالى القبائل

بسم الله المبدئ المعيد وبه نستعين

يا ايّها ساداتى القضاة والاشراف والعلمآء واكابر المشايخ والاختيارية اقبلوا منّى اكمل السلام واشمل اشواف قلبى بمزيد العزّ والاكرام اما بعد اعلموا هداكم الله الى الرشد والصواب ان سعادة سلطان فرانسه مخدومى وعزّة جنابه لاعلى عزّ نصره قد انعم علىّ بتوليته ايّاى منصب سارعسكر ويا اعزّا اصدقائنا وحبّبينا سكّان الجزآئر ومن ينتمى اليكم من شعب الغاربة إن الباشا حاكمكم من حيث انه تجرّء على بهدلة بيرق فرانسه المستحق كل الاعتبار وافدم على اهانته فقد سبّب بجهله هذا كل ما هو عتيد ان يحلّ بكم من الكوارث والمضرّات لكونه دعى عليكم

[1] **RA**,T 3,1862,p-p153-157.

الحرب من قبلنا فان عزة افتدار سلطان فرانسه دام ملكه نزع الله من قلبه مرحمته المعهودة ورابطته المعروفة المشهورة فلا بد ان هذا الباشا حاكمكم من قلة بصيرته وعماوة قلبه قد جذت على نفسه كالانتقام المهول وقد دنا منه القدر المقدر عليه وعن قريب يحل به ما استحقه من العذاب اليهين اما انتم يا شعب المغاربة اعلموا وتأكدوا يقينا اني لست آتيا لاجل محاربتكم بعليكم ان لا تزالوا آمنين ومطمئنين في اماكنكم وتعملوا اشغالكم وكل ما لكم من الصنائع والحرف براحة سرتم اني احقق لكم انه ليس بيننا من يريد يضركم لا في مالكم ولا في اعيالكم وسفنا اضمن لكم ان بلادكم واراضيكم وبساتينكم وحوانيتكم وكل ما هو لكم صغيرا كان او كبيرا فيبقى على ما هو عليه ولا يتعرض لشيء من ذلك جميعه احد من قومنا بل يكون في ايديكم دائما وآمنوا بصدق كلامي ثم اننا نضمن لكم ايضا وتعدكم وعدا حقيقا موكدا غير متغير ولا متناول ان جوامعكم ومساجدكم لا تزال معهودة معمورة على ما هي الآن عليه واكثر وانه لا يتعرض لكم احد في امور دينكم وعبادتكم بان حضورنا عندكم ليس هو لاجل محاربتكم وانما قصدنا محاربة باشتكم الذي بدأ واظهر علينا العداوة والبغضاء ومما لا يخفى عليكم غاية تحكمه وقبح طبعه الهشم ولا ينبغي لنا ان نطاوعكم على اخلاقه الذميمة واعماله الرذيلة فانه واضح لديكم انه لا يسعى الا على خراب بلادكم ودمارها وتضييع اموالكم واعماركم

ومن المعلوم انه انما يريد ان يجعلكم من البقرآء المنحوسين المبهدلين الخاسرين اكثر من المسخط عليهم فمن اعجب الامور كيف يُغبّى عنكم ان باشتكم لا يقصد الخير الّا لذاته والدليل كون احسن العمارات والاراضى والخيل والسلاح واللبس والحلىّ وما اشبه ذلك كله من شانه وحده فيا ايها احبابنا سكّان المغرب انه عزّ وجلّ ما سمح بان يصدر من باشتكم الظالم ما فعله من اعمال الخبث والردى الا انعاما منه سبحانه وتعالى عليكم حتى تحصلوا بهلاكه وبزوال سلطنته على كل خير ويفرج عنكم ما انتم فيه من الغمّ والشدّة واذ والحال هذه اسرعوا واغتنموا الفرصة ولا تعمى ابصاركم عمّا اشرقه الله عليكم من نور اليسر والخلاص ولا تغفلوا عما فيه مصلحتكم بل استيقظوا لكى تتركوا باشتكم هذا وتتبعوا شورنا الذى يؤول الى خيركم وصلاحكم وتحققوا انه تعالى لا يبغى فط ضرر خليفته بل يريد ان كل واحد من برایاه يحوز ما يخصّه من وافر نعمه التى اسبغها على سكّان ارضه يا ايها اهل الاسلام ان كلامنا هذا صادر عن الحبّ الكامل وانه مشتمل على الصلح والهوّة وانتم اذا شيعتم مراسيلكم الى اورديتنا حينئذ نتكلم واياهم والمرجو من الله تعالى ان محادثتنا مع بعضنا بعض يؤول الى ما فيه منافعكم وصلاحكم وعشنا بالله انكم بعد ما تحققتم ان مقاصدنا وغايتنا البريدة ليست هى سوى خيركم ومنفعتكم تشيعوا لنا صحبة مراسيلكم كل ما يحتاج اليه عسكرنا المنصور من

الملحق رقم:02: مقتطف من رسالة ليون روش إلى أحد أصدقائه يصف فيها الأمير عبد القادر سنة1837[1]

Mon cher ami,

Enfin j'ai vu Abd el Kader, et je t'écris sous le charme inexprimable qu'a exercé sur moi ce champion de l'islamisme.

Au milieu du camp s'élève une tente immense. Une foule épaisse en obstrue toujours l'entrée malgré les coups de bâton distribués avec largesse sur les Arabes trop rapprochés: c'est la tente du sultan. J'y arrivai avec Sidi Mohammed ben Alli oul'd Sidi Embarek, khalifa de Milianah, auquel m'a présenté Berrouila, et qui m'a donné l'hospitalité. Grâce aux chaouchs qui nous précédaient et à la dignité de mon introducteur, un passage nous fut ouvert au milieu de la foule, nous pénétrâmes dans la tente. Je ne pourrais t'en faire la description, car je n'ai vu et n'ai voulu voir qu'Abd el Kader.

Ainsi qu'on m'en avait prévenu, il occupait seul le fond de la tente en face de l'entrée; je m'avançai lentement vers lui, les yeux baissés, je m agenouillai et lui pris la main pour la baiser, ainsi que c'est l'usage; il me l'abandonna et après cette formalité qui, je l'avoue, me répugnait d'autant plus que c'était mon premier acte de soumission vis-à-vis d'un musulman, je levai mes regards sur lui. Je crus rêver quand je vis fixés sur moi ses beaux yeux bleus, bordés de longs cils noirs, brillant de cette humidité qui donne en même temps au regard tant d'éclat et de douceur. Il remarqua l'impression qu'il venait de produire sur moi; il en parut flatté et me fit signe de m'accroupir devant lui. Je l'examinai avec attention.

Son teint blanc a une pâleur mate; son front est large et élevé. Des sourcils noirs, fins et bien arqués surmontent les grands yeux bleus qui m'ont fasciné. Son nez est fin et légèrement aquilin, ses lèvres minces sans être pincées; sa barbe noire et soyeuse encadre légèrement l'ovale de sa figure expressive. Un petit *mecheme*[1] entre les deux sourcils fait ressortir la pureté du front. Sa main, maigre et petite, est remarquablement blanche, des veines bleues la sillonnent; ses doigts longs et effilés sont terminés par des ongles roses parfaitement taillés; son pied, sur lequel il appuie presque toujours une de ses mains, ne leur cède ni en blancheur ni en distinction.

Sa taille n'excède pas cinq pieds et quelques lignes, mais son système musculaire indique une grande vigueur. Quelques tours d'une petite corde en poils de chameau fixent autour de sa tête un kaïk de laine fine et blanche; une chemise en coton et par-dessus une chemise en laine de même couleur, le kaïk, qui après avoir fait le tour de la tête enveloppe le corps, et un burnous blanc recouvert d'un burnous brun, voilà tout son costume. Il tient toujours un petit chapelet noir dans sa main

[1] Léon Roche, dix ans, op, cite, p-p65-69.

droite. Il l'égrène avec rapidité et lorsqu'il écoute, sa bouche prononce encore les paroles consacrées à ce genre de prière.

Si un artiste voulait peindre un de ces moines inspirés du moyen âge que leur ferveur entraînait sous l'étendard de la croix, il ne pourrait, il me semble, choisir un plus beau modèle qu'Abd el Kader.

Un mélange d'énergie guerrière et d'ascétisme répand sur sa physionomie un charme indéfinissable[1].

« Sois le bienvenu, me dit-il, sois le bienvenu, car tout bon musulman doit se réjouir de voir augmenter le nombre des vrais croyants. Notre saint prophète a dit :

« Il vous sera plus profitable au grand jour du jugement « de vous vanter d'avoir acquis un chrétien à l'islamisme « que d'en avoir tué mille dans les combats. » Dieu t'envoie à nous, c'est à nous de te conserver, de t'instruire et de t'aimer plus que nos autres frères. » Je fus surpris de sa voix saccadée et pour ainsi dire sépulcrale. Elle sied mal à sa figure ; sa parole est brève et rapide ; il conserve l'accent et emploie l'idiome des provinces de l'ouest.

الملحق رقم03: مقتطف من رسالة الجنرال بيجو إلى فرقة الترابيست بالجزائر سنة1843م.

Monsieur l'abbé

Vous avez raison de compter sur l'appui que je me fais un vrai bonheur d'accorder à l'établissement de vos Frères en Algérie. Mon opinion est que la colonisation ne peut réussir que par des populations organisées militairement. Or réienne se rapproche plus de l'organisation militaire que l'organisation religieuse. Le moine et le soldat ont de grands rapports l'un et l'autre; ils sont soumis à une discipline sévère, accoutumés à supporter les privations et à obéir passivement

Ils travaillent l'un et l'autre pour la communauté, et ils sont dirigés par une seule volonté. Aussi suis-je persuadé que votre établissement prospérera

L'exemple de vos vertus, l'exercice de vos bonnes œuvres, et surtout votre charité tolérante, s'étendant à tous sans distinction de classe ni de religion, servira, j'en suis certain, à nous gagner le cœur des Arabes que nous avons soumis par la force des armes. J'ai donné des ordres pour que l'on mît à la disposition Devos Frères 50 condamnés militaires habitués au travail et quelques officiers du génie capables de diriger les travaux d'installation. Quoique ce secours n'aitpas été stipulé dansles conditions, il ne laisse pas d'être égal au moins à la subvention de 62,000 fr. demandée par vous et accordée parle Gouvernement. Je l'ai cru nécessaire pour aider à vaincre les premières difficultés et pour attendre l'arrivée de vos Frères en nombre suffisant pour trouver en eux-mêmes les moyens de faire prospérer cet intéressant

établissement. Mon concours et ma protection ne vous manqueront jamais. Recevez, etc.

Signé: BUGEAUD

الملحق رقم 04: مقتطف من تقرير أليكس دي توكفيل أمام البرلمان الفرنسي سنة 1847[1].

Messieurs, contrairement à ses usages, la Chambre a composé, cette année, la commission des crédits extraordinaires d'Afrique de dix-huit membres au lieu de neuf. En prenant une mesure aussi exceptionnelle, elle a, sans doute, voulu manifester une pensée dont votre commission a dû rechercher avec empressement le vrai sens. Jamais notre domination en Afrique n'a semblé menacée de moins de dangers qu'en ce moment. La soumission dans la plus grande partie du pays, succédant à une guerre habilement et glorieusement conduite ; des relations amicales ou paisibles avec les princes musulmans nos voisins ; Abd-el-Kader réduit à se livrer à des actes de barbarie, qui attestent de son impuissance plus encore que de sa cruauté ; la Kabylie disposée à reconnaître notre empire ; l'instigateur de la dernière insurrection réduit à se remettre entre nos mains, et venant faire appel à notre générosité, après avoir vainement essayé de résister à notre force, tel est le spectacle qu'offrent aujourd'hui nosaffaires.

Ce n'est donc pas dans la vue de conjurer des périls que la Chambre a voulu provoquer, cette année, un examen plus solennel de la question d'Afrique. On peut dire, au contraire, que c'est le succès de nos armes et la paix qui en a été la suite, qui créent aujourd'hui à ses yeux un état nouveau et appellent des résolutions nouvelles....

Voyons si l'on peut également dire que dans ces limites les forces que nous possé-dons aujourd'hui seront désormais suffisantes.

L'expérience ne nous a pas seulement montré où était le théâtre naturel de la guerre ; elle nous a appris à la faire. Elle nous a découvert le fort et le faible de nos adversaires. Elle nous a fait connaître les moyens de les vaincre et, après les avoir vaincus, d'en rester les maîtres. Aujourd'hui on peut dire que la guerre d'Afrique est une science dont tout le monde connaît les lois, et dont chacun peut faire l'application presque à coup sûr. Un des plus grands services que M. le maréchal Bugeaud ait rendus à son pays, c'est d'avoir étendu, perfectionné et rendu sensible à tous cette science nouvelle.

[1] De Tocqueville, op, cite, p-p4-20

Nous avons d'abord reconnu que nous n'avions pas en face de nous une véritable armée, mais la population elle-même. La vue de cette première vérité nous a bientôt conduits à la connaissance de cette autre, à savoir que, tant que cette population nous serait aussi hostile qu'aujourd'hui, il faudrait, pour se maintenir dans un pareil pays, que nos troupes y restassent presque aussi nombreuses en temps de paix qu'en temps de guerre, car il s'agissait moins de vaincre un gouvernement que de comprimer un peuple.

L'expérience a aussi fini par nous apprendre de quels moyens il fallait se servir pour comprimer le peuple arabe. Ainsi, nous n'avons pas tardé à découvrir que les populations qui repoussaient notre empire n'étaient point nomades, comme on l'avait cru longtemps, mais seulement beaucoup plus mobiles que celles d'Europe. Chacune avait son territoire bien délimité dont elle ne s'éloignait pas sans peine, et où elle était toujours obligée de revenir. Si on ne pouvait occuper les maisons des habitants, on pouvait donc s'emparer des récoltes, prendre les troupeaux et arrêter les personnes. Dès lors, les véritables conditions de la guerre d'Afrique sont apparues. Il ne s'agissait plus, comme en Europe, de rassembler de grandes armées destinées à opérer en masses contre des armées semblables, mais de couvrir le pays de petits corps légers qui pussent atteindre les populations à la course, ou qui, placés près de leur territoire, les forçassent d'y rester et d'y vivre en paix. Rendre les troupes aussi mobiles que possible et les tenir toujours à portée des populations suspectes, telles furent les deux conditions du problème. On renonça d'abord à presque tout ce qui encombre la marche des soldats en Europe. On supprima presque entièrement le canon ; à la voiture on substitua le chameau ou le mulet. Des postes-magasins, placés de loin en loin, permirent de n'emporter avec soi que peu ou point de vivres. Nos officiers apprirent l'arabe, étudièrent le pays et y guidèrent les colonnes sans hésitation et sans détour. Comme la rapidité faisait bien plus que le nombre, on ne composa les colonnes elles-mêmes que de soldats choisis et déjà faits à la fatigue. On obtint ainsi une rapidité de mouvement presque incroyable. Aujourd'hui nos troupes, aussi mobiles que l'Arabe armé, vont plus vite que la tribu en marche. En même temps qu'on rendait les troupes si mobiles, on recherchait et on trouvait

les lieux où il était le plus utile de les cantonner. La guerre nous faisait démêler quelles étaient les populations les plus énergiques, les mieux organisées, les plus ennemies. C'est à côté ou au milieu de celles-là que nous nous établissions pour empêcher ou pour réprimer leurs révoltes.

الملحق رقم 05:مقتطف من البارون دي سلان إلى وزير التعليم العمومي سنة 1847م[1].

Monsieur le Ministre,

Ayant enfin terminé mon exploration des bibliothèques de l'Algérie, je m'empresse de vous transmettre les résultats de mes investigations.

La bibliothèque d'Alger renferme près de sept cents manuscrits arabes, recueillis, presque tous, par M. Berbrugger, bibliothécaire de cet établissement. La collection qu'il est parvenu à former offre un grand intérêt, tant par le nombre que par le carac-

La bibliothèque d'Alger renferme près de sept cents manuscrits arabes, recueillis, presque tous, par M. Berbrugger, bibliothécaire de cet établissement. La collection qu'il est parvenu à former offre un grand intérêt, tant par le nombre que par le caractère des ouvrages dont elle se compose. Formée, en grande partie, de débris des bibliothèques publiques attachées aux mosquées de Constantine et dispersées lors de la prise de cette ville par nos compatriotes, la bibliothèque d'Alger devait nécessairement renfermer un grand nombre de traités sur la religion et le droit mu-

1846

sulmans; et, en effet, j'y ai trouvé les principaux commentaires du Coran, plusieurs ouvrages sur les traditions de Mahomet, l'une des quatre bases de la jurisprudence musulmane, et beaucoup de traités sur le droit *hanefite* et le droit *malikite*. On y remarque surtout plusieurs exemplaires du *Mokhtasir* de Sidi Khalil, *abrégé* de jurisprudence qui fait autorité dans toute l'Afrique septentrionale, le grand et le petit commentaire d'el-Kharchi sur ce même ouvrage, le commentaire d'Abd el-Baki, etc. Les ouvrages historiques, scientifiques et littéraires y sont rares, mais ils offrent, en général, une haute importance; tels sont le fragment des Annales de Taberi, l'histoire anonyme des Abbasides, la vie des *Soufis*, par el-Menawi, les trois volumes dépareillés du précieux recueil historique intitulé *Kitab el-Aghani*. Je citerai encore un recueil de traités sur les ouvrages des mathématiciens grecs, l'explication des termes du droit musulman, par en-Néséfi, le dictionnaire renfermant l'explication des mots et des expres-

[1] De Slan :rapport, op, cite, pp1-3

du précieux recueil historique intitulé *Kitab el-Aghani*. Je citerai encore un recueil de traités sur les ouvrages des mathématiciens grecs, l'explication des termes du droit musulman, par en-Néséfi, le dictionnaire renfermant l'explication des mots et des expressions obscurs qui se rencontrent dans les traditions, un autre dictionnaire, par le célèbre Zamakhcheri, renfermant l'explication des mots obscurs et peu usités de la langue arabe, et un excellent traité de Soyouti dans lequel ce polygraphe donne des notices biographiques sur les principaux grammairiens et philologues arabes.

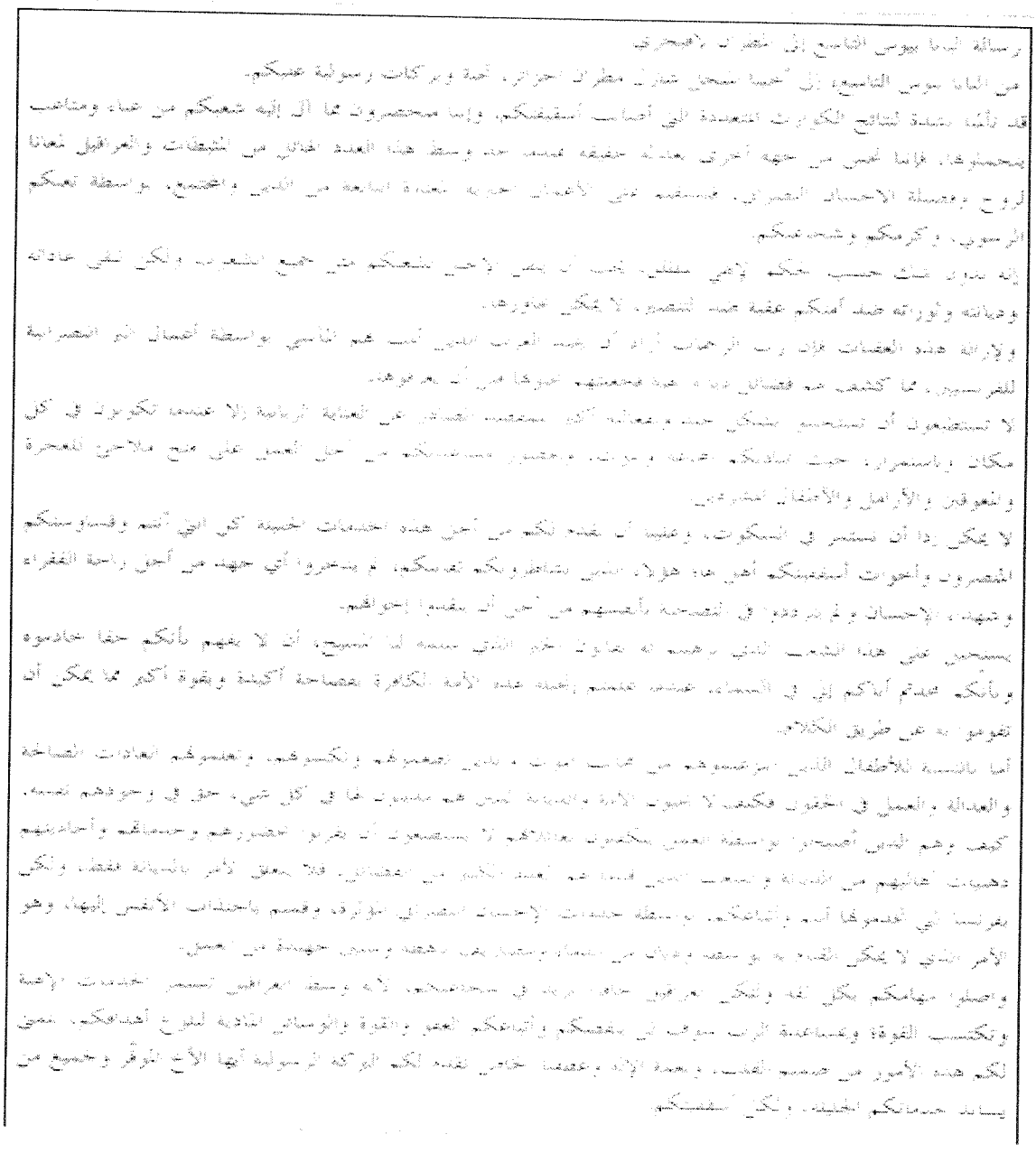
Après avoir examiné les manuscrits de cette bibliothèque, et surtout les livres historiques, j'ai rédigé une série de courtes notices, dans lesquelles j'indique le sujet, le titre et le numéro de chaque volume qui me paraissait offrir un intérêt réel.

M'étant ensuite rendu à Constantine, afin d'examiner les manuscrits qui pourraient se trouver dans cette ville, j'appris qu'à

Après avoir examiné les manuscrits de cette bibliothèque, et surtout les livres historiques, j'ai rédigé une série de courtes notices, dans lesquelles j'indique le sujet, le titre et le numéro de chaque volume qui me paraissait offrir un intérêt réel.

M'étant ensuite rendu à Constantine, afin d'examiner les manuscrits qui pourraient se trouver dans cette ville, j'appris qu'à l'époque de la conquête, les bibliothèques des mosquées furent entièrement dispersées, et qu'elles ne se sont pas reformées depuis; mais j'eus aussi le plaisir d'apprendre qu'il s'y trouvait encore deux belles collections de manuscrits échappées heureusement à la destruction générale. L'une appartient au cid Hammouda, personnage d'une grande considération, fondée sur son mérite personnel et sur le caractère de sainteté que lui ont transmis ses aïeux. L'autre collection appartient au *cheikh* Mohammad el-Bacheterzi, vieillard fort respecté pour sa piété et pour sa position comme chef des confréries religieuses de la province.

الملحق رقم06: رسالة البابا بيوس إلى المطران لافيجري سنة1868م[1]



[1] الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص117.

الملحق رقم07:مقتف من رسالة توضح الدعم المطلق من الأميرال غاندون إلى المطران لافيجري[1]

Le soutien absolu de l'Amiral de Gueydon à Mgr. Lavigerie.

..... le Cardinal expose ensuite comment l'Amiral sut arrêter, écraser la révolte (1871) et le parti qu'il tira de la victoire pour reprendre et assurer l'œuvre de la civilisation ; puis ajoute :

"Il n'a pas moins encouragé l'assimilation des indigènes ; je me rappelle non sans émotion que dès le début de son gouvernement, il a voulu venir un jour voir lui-même nos missionnaires de Maison-Carrée ; la démarche était délicate mais elle n'en montre que mieux son caractère et ses idées".

"Messieurs leur dit-il en quelques mots exquis de la simplicité, de vaillance et de sagesse ; il en est qui vous combattent ; mais moi en qualité de vieux marin français, je vous approuve et je vous loue à la condition que vous suivez les règles de réserve et de prudence que votre chef vous impose. Je vous approuve parce qu'en cherchant à rapprocher ces indigènes de nous par l'instruction des enfants, par la charité envers tous ; vous faites l'œuvre de la France ; vous le faites sans froisser les préjugés ; sans exciter les passions du fanatisme ; et en préparant l'avenir de la colonie ; la France ne fait plus assez d'hommes pour peupler l'Algérie ; il faut y supléer en francisant nos deux millions de berbères arabisés ; je le répète, si vous y mettez toujours la même prudence ; vous pouvez compter sur moi".

---

[1] بقطاش، المرجع السابق، ص189 نقلا عن

Grussemmeyer (Mgr. A. C) : **vingt-cinq années d'épiscopat en France et en Afrique** ; documents **biographiques sur le cardinal Lavigerie** , archevêque de Carthage et d'Alger ;primat d'Afrique à l'Occasion de son jubilé épiscopal . Alger , Jourdan , 1880, t 1, p17

المحلق رقم08: مقتطف من خطاب جول فيري أمام مجلس النواب 28جويلية 1885م[1]

On peut rattacher l'expansion colonial à trois ordres d'idées à des idées économique, à des idées de civilisation, à des idées d'ordre politique et patriotique .... Ce qui manque à notre grande industrie, ce qui lui manque de plus en plus, ce sont des débouchés, or ce programme est intimement lie à la politique coloniale, il faut chercher des débouchés....

Il y a un second point que je dois aborder, c'est le coté humanitaire et civilisateur de question, les races supérieures ont un droit vis-à-vis des race inferieurs, je dis qu'il y à pour elles un droit parce qu'il y a un devoir pour elles , elles ont le devoir de civiliser les races inferieurs, ces devoirs ont cuvent été méconnus dans les siècles précédents et certainement quand les soldats et les explorateur espagnols introduisaient l'esclavage dans l'Amérique centrale, ils n'accomplissaient pas leur devoir d'hommes de race supérieur mais de nos jours, je soutiens que le nations européennes s'acquattent avec largeur , avec grandeur et honnêteté de ce devoir supérieur de la civilisation.

Est-ce que recueillement qui s'impose aus ration éprouvées par de grands malheurs doit se résoudre en abdication, Est que les gouvernements laisseront d'autres se disputer les régions d'Afrique équatoriale,

C'est aussi pour notre marine que les colonnes sont taties, une marine comme la notre ne peut pas se passer, sur la surface des mers, d'abris solides, de défenses de centres de ravitaillement.

[1]Anne Hugon : **introduction à l'histoire de l'Afrique contemporaine**, Armand Colin, Paris, 1998, P13

Rayonner sans agir, sans se mètre aux affaires du monde, en regardant comme un piège toute scansion vers l'Afrique eu vers l'orient vivre de cette sorte pour une grande nation, c'est abdique c'est descendre du premier rang au troisième et au quatrième.

الملحق رقم09:فتوى الهجرة سنة 1894م[1]

Ces décisions s'appellent Fataoua. Il y en a qui forment de véritables recueils de jurisprudence, établis par demandes et par réponses. Nous croyons devoir en reproduire un spécimen traitant d'une question qui intéresse à un haut degré nos indigènes algériens. Elle a été prononcée par les muphtis de la Mecque, à la demande de M. Jules Cambon, Gouverneur Général de l'Algérie, à la suite du mouvement de migration en Syrie qui s'était dessiné, en 1893, parmi nos sujets musulmans, particulièrement parmi ceux du département de Constantine. On y verra, avec l'élasticité des textes coraniques, combien il est facile aux musulmans qui savent les manier, d'en tirer des conclusions qui concilient les intérêts de chacun.

Les questions posées étaient au nombre de trois et concernaient « des musulmans établis dans une localité dont les infidèles ont fait la conquête, mais qui les administrent sans faire le moindre obstacle à l'exercice de la religion musulmane ; qui vont même jusqu'à encourager les musulmans à pratiquer leurs devoirs religieux et leur donnent, pour exercer les fonctions de cadi, un de leurs coreligionnaires musulmans, chargé de faire exécuter les prescriptions de la loi musulmane, et assurent, à ce fonctionnaire, des émoluments convenables, qu'il perçoit régulièrement au commencement de chaque mois ».

Dans ces conditions, les musulmans doivent-ils : 1° migrer ou non ; — 2° Entrer en lutte avec les infidèles et chercher à leur enlever l'autorité, même s'ils ne sont pas assurés d'avoir le pouvoir nécessaire pour le faire ? — 3° La localité dont les infidèles ont fait la conquête doit-elle être considérée comme terre d'Islam, ou comme territoire en état de guerre ?

Voici la réponse du grand muphti de la Mecque : « Notre savant maître (Dieu lui fasse miséricorde) nous a déjà fait connaître son opinion en répondant à la

[1] Depont et Coppolani, op, cite, pp137-133

question suivante qui lui avait été posée : « Un musulman est-il tenu d'émigrer d'une localité dans laquelle, pour un motif quelconque, il ne peut accomplir tous les devoirs que sa religion lui impose ? » Sa réponse était conçue en ces termes: « Celui qui ne peut s'acquitter des prescriptions dont la religion lui fait un devoir, doit émigrer de la localité dans laquelle il se trouve, s'il est en état de le faire, c'est-à-dire s'il a une fortune suffisante lui permettant de changer de résidence. En parlant des gens qui avaient embrassé l'islamisme et qui n'avaient point émigré alors qu'ils en avaient les moyens, Dieu a dit : « Les anges, en ôtant la vie à ceux qui avaient agi uniquement envers eux-mêmes, leur demandèrent : Qu'avez-mous fait ? ils répondirent : Nous étions les faibles de la terre. Les anges leur dirent : La Terre de Dieu n'est elle pas assez vaste. Ne pourriez-vous pas, en abandonnant votre pays, chercher un asile quelque part chapitre du Coran ? » (Coran, verset 99). — Ainsi Dieu n'a pas excusé ces gens-là, et, cependant, ils étaient faibles et incapables d'émigrer vers une autre localité. Toutefois, il a fait ensuite une exception dans le verset suivant : « Sauf les faibles parmi les hommes, les femmes et les enfants. Ce qui revient à dire que l'enfer sera la demeure de tous

ceux qui ont refusé d'émigrer, à moins qu'ils ne soient au nombre des faibles parmi les hommes, les femmes et les enfants, car, alors, ils sont incapables de trouver une combinaison qui leur permette de fuir, c'est-à-dire que par suite de leur faiblesse physique ou de leur extrême misère, ils ne sont point en état de se diriger dans leur route, ou, en d'autres termes, de reconnaître la voie qu'ils devraient suivre. C'est à ceux là que Dieu pardonnera s'ils n'émigrent pas. Ici se termine la réponse de notre savant maître.

« Les plus éminents commentateurs du Coran ont exprimé la même opinion, et le Prophète (que Dieu répande sur lui les bénédictions et lui accorde le salut !) a dit : Celui qui, à cause de sa religion, quitte un pays pour se rendre dans un autre, même s'il n'avait à parcourir pour cela que la distance d'un empan, aura mérité le Paradis et il sera le compagnon de son ancêtre Abraham et des descendants de celui-ci parmi lesquels figure Mohammed (que Dieu répande sur lui toutes ses bénédictions !)

« Dans le Miradj-ed-dirâqa, d'après le Mebrout, on trouve ce qui suit : Les pays entre les mains des infidèles restent terres d'islam et ne deviennent pas territoires en état de guerre, quand ceux-ci n'y font point régner leurs lois et qu'au contraire, ils y ont institué des cadis et des fonctionnaires musulmans qui leur sont soumis volontairement ou non. En effet, dans toute ville où il y a un chef musulman, il lui est permis de faire l'office du vendredi, de célébrer les fêtes religieuses et d'appliquer les pénalités de la loi musulmane. Si les fonctionnaires sont des infidèles, les musulmans pourraient encore avoir la liberté de célébrer l'office du vendredi et de choisir parmi eux un cadi agréé par tous les fidèles, mais ils devront alors demander qu'on leur donne un chef musulman.

« Dans le Tenouïr-el-Abçar et dans son commentaire intitulé : Eddorr-el-Mokhtar, il est dit : « Une des trois conditions suivantes est nécessaire pour qu'une terre d'islam devienne un territoire en état de guerre ; ainsi il faut : 1° ou que la loi des infidèles y soit appliquée ; 2° ou que le pays soit annexé à un territoire en état de guerre ; 3° ou qu'il n'y reste plus un seul musulman ou un seul tributaire qui jouisse de la première sécurité, celle qui lui garantit son existence.
« Le célèbre Et-Thahthaouï a donné une glose de ce passage, et il semble en résulter que toutes les fois que les lois musulmanes sont appliquées en même temps que les lois des infidèles, le pays n'est pas dit territoire en état de guerre.

Par tout ce que nous venons de dire, on voit que du moment qu'il y a un cadi, fût-il nommé par les infidèles, et que les lois musulmanes sont appliquées comme il a été dit ci-dessus, un pays ne cesse pas d'être pays d'islam. Dieu sait mieux que personne ce qu'il en est de tout cela« Les présentes lignes ont été tracées par ordre du serviteur de la loi musulmane, muphti de la glorieuse ville de la Mecque ».
Voici la réponse du muphti chafaïte, beaucoup plus explicite que la première :
« Louange à Dieu unique. Que Dieu répande ses bénédictions sur notre seigneur Mohammed, sur sa famille, sur ses compagnons, sur tous ceux

qui, après lui, marchent dans le bon chemin. Oh mon Dieu, sois notre guide dans la recherche de la vérité !

« Dans les fataoua du savant cheikh Mohammed ben Seliman-el-Kurdi, l'auteur d'une glose remarquable sur le commentaire d'Ibn Hadjar, on trouve ceci : « Le séjour des musulmans sur un territoire appartenant aux infidèles peut être rangé dans une des quatre catégories suivantes : 1° où il est obligatoire, c'est-à-dire que les musulmans peuvent bien se soustraire à l'adoption de la religion des infidèles et vivre à l'écart, mais qu'ils n'ont plus à espérer aucun secours des musulmans. Ce pays reste terre d'Islam tant que les musulmans n'en ont point émigré; dans ce cas, seulement, il deviendrait un territoire en état de guerre ; 2° où il est toléré, par exemple quand les musulmans peuvent professer ouvertement leur religion, et qu'ils ont l'espoir de voir ce pays revenir un jour à leurs coreligionnaires ; 3° où il est répréhensible, c'est dans le cas où pouvant exercer le culte, ils n'ont plus aucun espoir de voir le pays revenir aux mains des musulmans ; 4° où enfin il est absolument interdit, c'est quand les musulmans ne peuvent plus professer ouvertement leur religion ». En conséquence, si l'exercice de la religion musulmane et l'application de la loi islamique, dans toutes ses parties, doivent être une cause de ruine ou de mort pour les musulmans parce que les fonctionnaires choisis parmi les infidèles exercent seuls l'autorité sans tenir compte des injonctions de la loi musulmane, il est interdit aux musulmans de demeurer dans un tel pays ; et tous devront le quitter, sauf ceux qui seront dans l'impossibilité matérielle de le faire ; et ces derniers, seuls, seront excusables

« Dans le commentaire de El-Djemâl-El-Remli, sur le Minhadj-elAoudjah, il est dit : « sera terre d'Islam tout pays dont les infidèles auront fait ainsi la conquête, c'est-à-dire qu'il y aura lieu de distinguer les catégories énoncées ci-dessus ». Ceci répond donc à la première partie de la question qui a été posée. Pour la deuxième partie, on doit répondre qu'il n'est pas obligatoire d'entrer en lutte avec les infidèles puisqu'on n'est pas capable de le faire avec succès. Enfin, pour la troisième partie, la réponse à faire est que la terre d'Islam ne devient pas territoire en état de guerre par le seul fait de la conquête des infidèles. Dieu sait mieux que personne si ceci est exact.

« crit par celui qui, espère tout du seigneur, Mohammed Saki ben Mohammed, muphti des chafaïtes à La Mecque ».

Quant au muphti des malékites de La Mecque, Mohammed A'bed, fils du défunt cheikh Hossein, il confirme les réponses faites par ses collègues hanafites et chafaïtes, qu'il appelle ses maîtres.

Il serait évidemment malaisé de tirer de ces citations sacrées et écrites, comme tous les documents de cette nature, dans un style plein de détours, des conclusions fermes, mais telle qu'elle est, cette fetoua n'en est pas moins fort intéressante et très-précieuse.

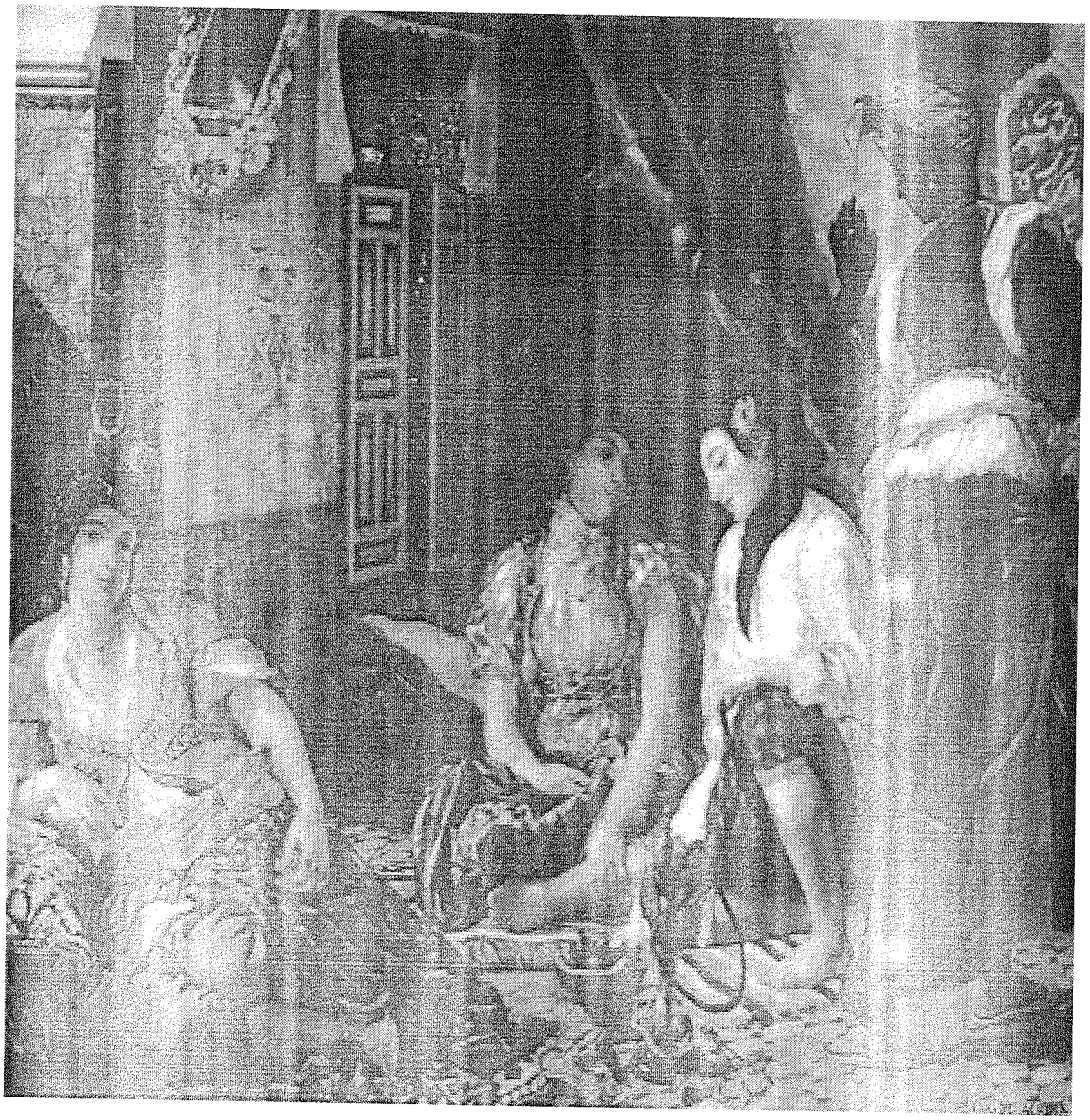
Elle ménage, pour employer une expression vulgaire, « la chèvre et le chou », et, à travers l'élasticité des textes, nous pouvons y trouver des arguments en notre faveur.

Quant aux indigènes, leur façon de parler, enveloppée et discrète, leur permet encore mieux qu'à nous, d'en comprendre toute la portée et de se mettre, selon le cas, en parfait accord avec leur conscience.

A la prière du maréchal Bugeaud, une fetoua, analogue à celle qui précède, avait été remise, à La Mecque, au savant interprète Léon Roches, et ce document rendit, en son temps, les plus grands services à l'établissement de notre domination en Algérie.

La fetoua obtenue par M. Jules Cambon ne sera pas moins utile, dégagée qu'elle est de tout esprit sectaire, à notre expansion saharienne, puisque le fait de la conquête armée, ou pacifique, permet de conserver au pays conquis sa qualification de « terre d'Islam ».

الملحق رقم 10: لوحة نساء الجزائر ل دي لاكروا[1]



[1] Dossier de presse , Eugenne DE Lacroix , op, cite, p5.

الملحق رقم11: لوحة أوجين فلوندين ميناء الجزائر، المساجد وباب البحر[1]



رسمها سنة 1837 على قطعة قماش: 133 × 90سم

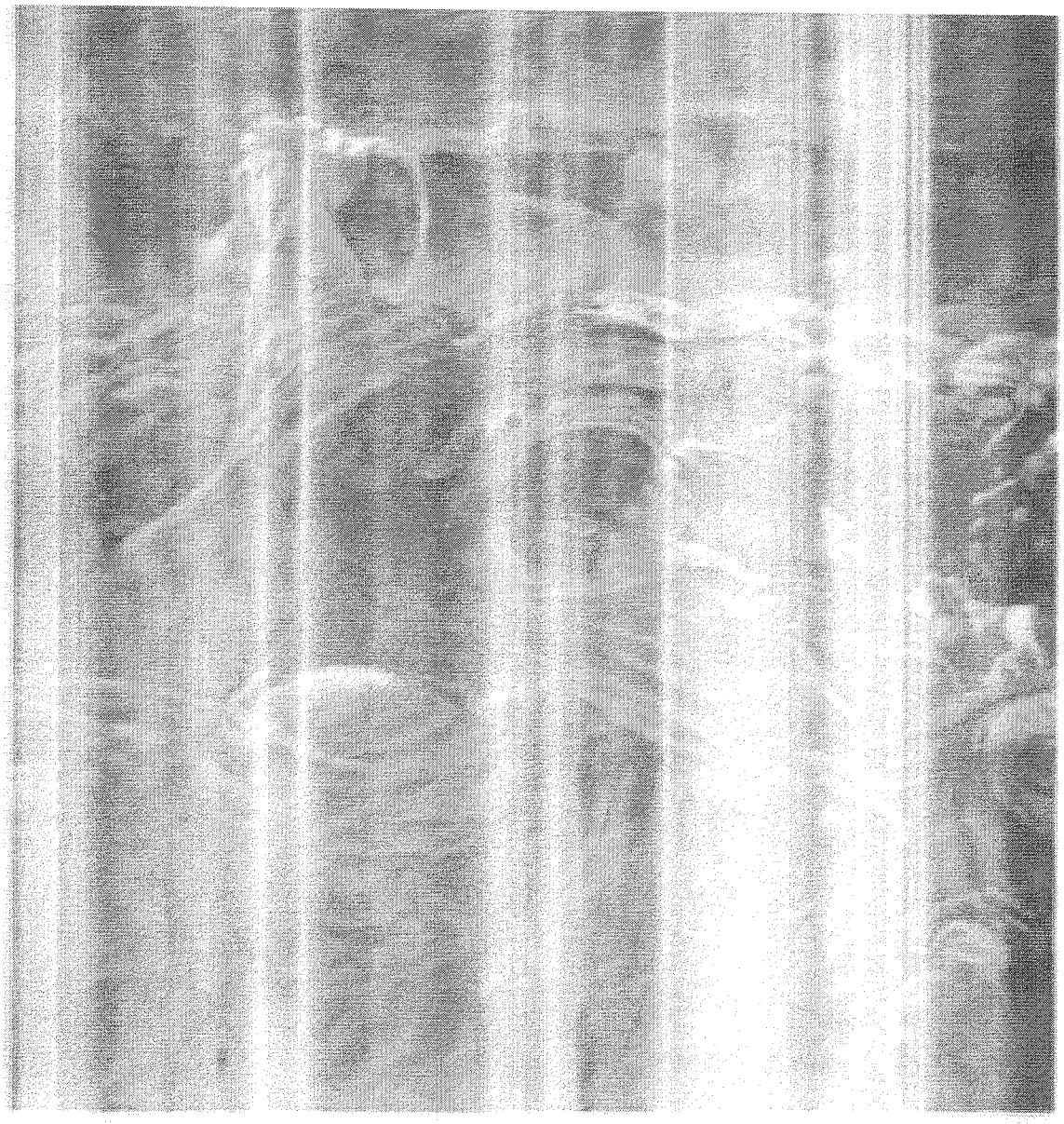
[1] **قجال**، توثيق التراث المعماري الجزائري، المرجع السابق، ص155.

الملحق رقم12: لوحة فاليي femme du harim du pey [1]



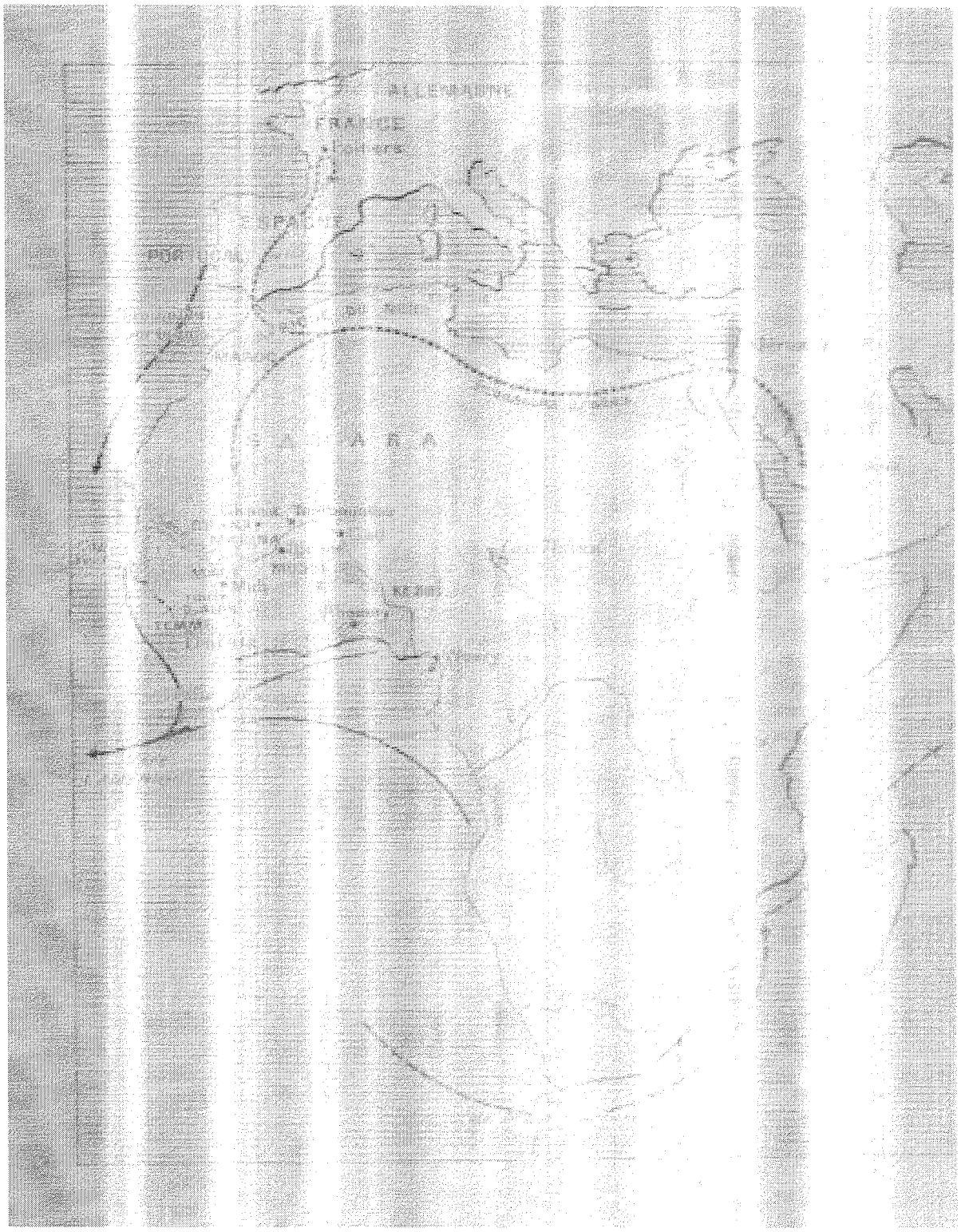
[1] M. Charles Féraud : **visite** au palais de **Constantine**, **interprète principal** de l'armée d'Afrique, Alger, 1877,p253

الملحق 13: لوحة ابن المرابط[1]



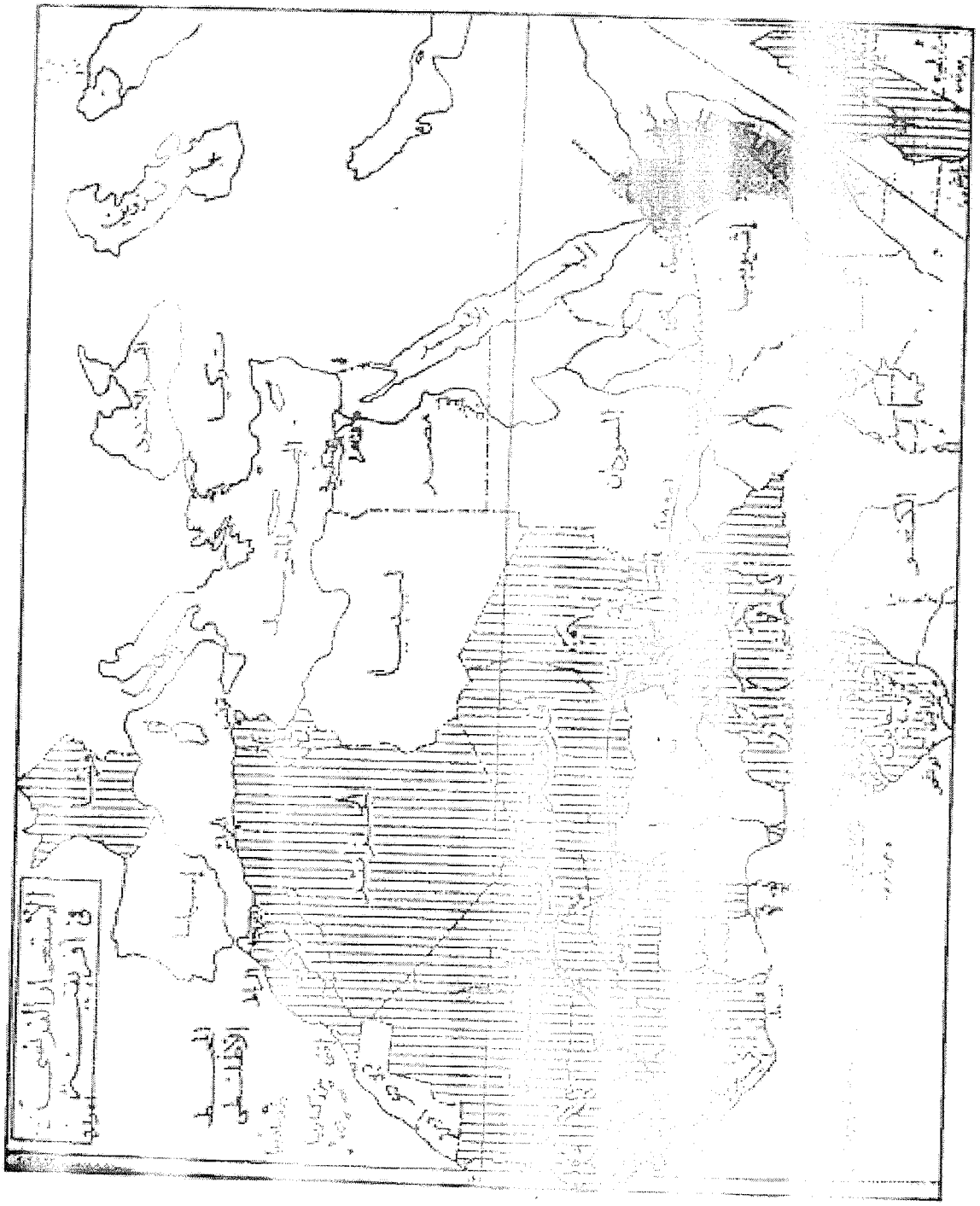
[1] قجال : الرسم الاستشراقي في رحلات ناصر الدين دينييه ، المرجع السابق ، ص272

الملحق رقم4 طرق المواصلات التجارية [1]



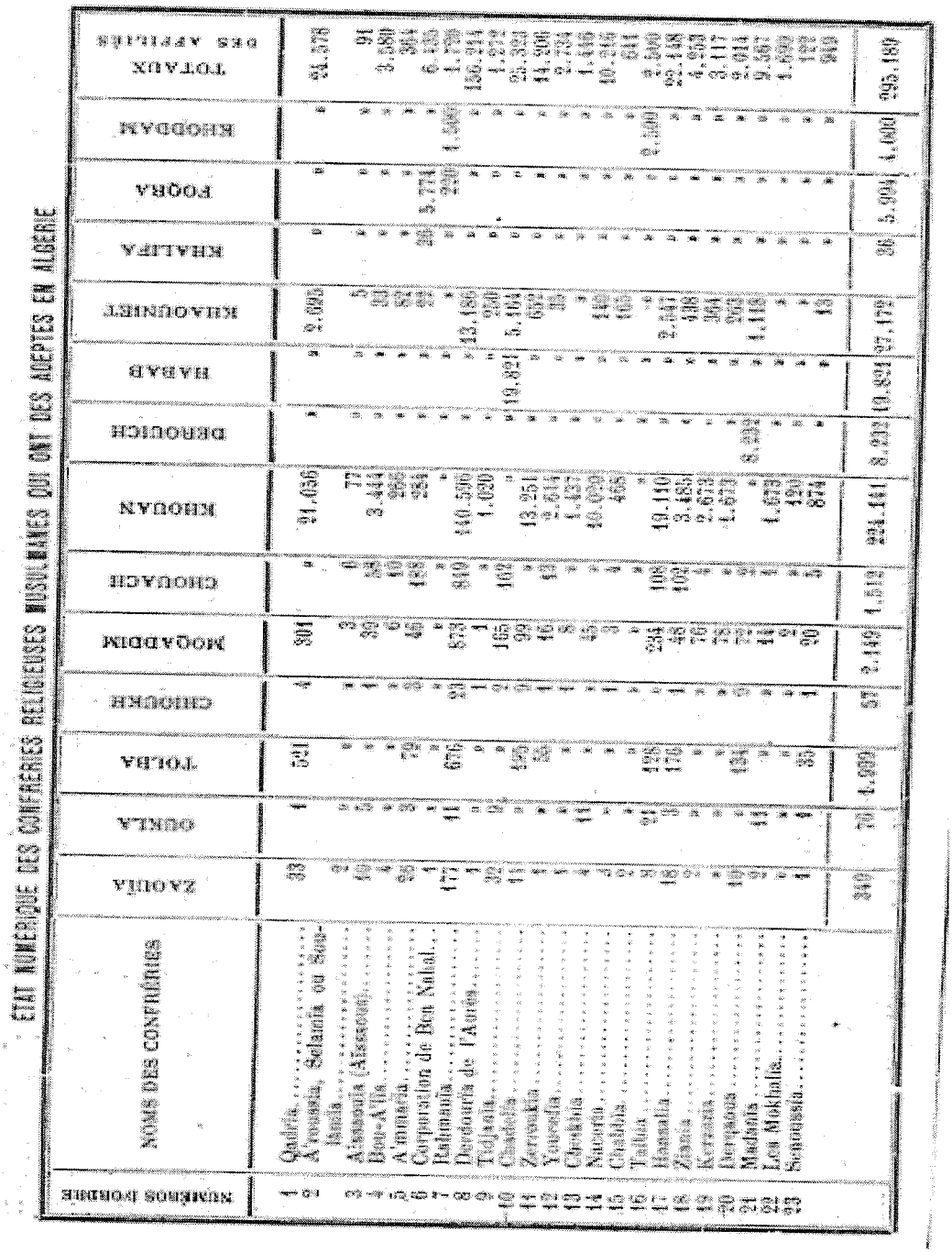
[1] Anne Hugon : **introduction à l'histoire de l'Afrique** contemporaine, Armand Colin , Paris, 1993, P3.

الملحق رقم 3: الاستعمار الفرنسي في إفريقيا[1]



[1] شوقي الجمل ، عبد الرزاق [illegible] المرجع السابق ، ص 20.

الملحق رقم16: الهيكل العام للزاوية في الجزائر[1].



ÉTAT NUMÉRIQUE DES CONFRÉRIES RELIGIEUSES MUSULMANES QUI ONT DES ADEPTES EN ALGÉRIE

NUMÉROS D'ORDRE	NOMS DES CONFRÉRIES	ZAOUIA	OGHLA	TOLBA	CHOUCHE	MOQADDIM	CHOUAGH	KHOUAN	BERROUCH	HABAB	KHAOUNET	KHALIFA	FOGRA	KHODDAN	TOTAUX DES AFFILIÉS
1	Qadria	33	1	521	4	801	"	31.036	"	"	2.095	"	"	"	34.476
2	Aïssaoua, Selamia ou Sas-lania	"	"	"	"	"	"	77	"	"	"	"	"	"	91
3	Aïssaoua (Aïssaoua)	7	2	"	"	3	"	3.444	"	"	20	"	"	"	3.480
4	Beni-Aïsa	2	4	29	1	39	50	266	"	"	5	"	"	"	364
5	Aïssaoua	89	89	"	"	6	488	284	"	"	6	"	"	"	6.283
6	Carpentaïen de Beni Naïad	1	11	676	"	878	849	140.590	"	"	13.186	"	3.774	"	158.244
7	Rahmania	177	"	"	"	1	"	1.050	"	"	250	"	290	1.400	1.878
8	Derdeuria de l'Aurès	1	"	"	"	165	102	13.251	"	19.891	5.164	"	"	"	25.823
9	Tidjania	30	"	450	1	99	63	3.611	"	"	657	"	"	"	44.906
10	Chadelia	15	"	"	"	46	"	1.457	"	"	80	"	"	"	1.734
11	Zerroukia	"	"	"	"	"	"	40.070	"	"	240	"	"	"	1.440
12	Youcefia	"	"	"	"	45	"	466	"	"	60	"	"	"	60.316
13	Cherkia	"	"	"	"	"	"	19.110	"	"	2.611	"	"	"	641
14	Naceria	"	"	"	"	234	108	3.165	"	"	436	"	"	"	3.340
15	Chadelia	"	"	"	"	48	101	2.673	"	"	364	"	"	"	92.148
16	Taïba	"	"	496	"	78	"	1.873	"	"	953	"	"	"	4.653
17	Kasmia	"	"	170	"	20	"	"	6.000	"	1.118	"	"	6.300	6.117
18	Zaïria	"	"	"	"	14	"	4.479	"	"	"	"	"	"	6.014
19	Kerzazia	"	"	451	"	20	"	190	"	"	"	"	"	"	9.567
20	Derkaoua	"	"	"	"	14	5	874	"	"	15	"	"	"	1.402
21	Madania	4	"	83	"	20	"	"	"	"	"	"	"	"	849
22	Les Mokhalfa	"	70	1.000	67	2.119	1.519	224.141	8.200	19.891	57.179	36	5.994	1.400	295.189
23	Senoussia	310	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"

[1] Depont , Copplani, op, cite, p215

الملحق رقم17: مؤتمرات المستشرقين الدولية[1]

الرقم	مكانها	تاريخها	أعمالها
01	باريس	1873	مجلدان في 3 أجزاء باريس 1876 ــ 1879
02	لندن	1874	مجلدان (لندن 1876
03	بطرسبورغ	1876	مجلدان بريل ليدن 1879 ــ 1880
04	فلورنسا	1878	مجلدان فلورنسا 1880ــ1881
05	برلين	1881	مجلدان في 3 أجزاء 1881ــ 1882
06	ليدن	1883	أربع مجلدات بريل وليدن 1884ــ 1885
07	فيينا	1886	5مجلدات 1880ــ1889
08	ستوكهولم	1889	3مجلدات في 5 أجزاء بريل ــ ليدن 1892ــ1893
09	لندن	1892	
10	جنيف	1894	مجلدان 1893

[1] العقيقي، ج3، الم جع السابق، ص ص 1101ــ 1002

11	باريس	1897	4مجلدات بريل ــ ليدن 1890 ــ1897
12	روما	1899	3 مجلدات في 5 أجزاء1898ــ 1899
13	هامبورغ	1902	3 مجلدات في 4 أجزاء فلورنسا 1901
14	الجزائر	1905	مجلد أبريل ليدن 1904
15	كوبنهاجن	1908	3 مجلدات في 4أجزاء ليرو ــ باريس 1906ــ 1907
16	أثينة	1911	مجلد جريب ــ كوبنهاجن 1909
17	أكسفورد	1928	
18	ليدن	1931	
19	روما	1935	
20	بروكسل	1938	
21	باريس	1948	
22	كامبريدج	1901	
23	استانبول	1904	
24	ميونيخ	1907	
25	موسكو	1960	
26	نيودلهي	1964	

قائمة الببليوغرافيا

أولا: بالعربية:

ـ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

01ـ المصادر:

01ـ بن أبي صالح الجيلاني(الشيخ عبد القادر): **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية** ،ج1،،ط1 منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.

02ـ بن إسحاق المالكي(الشيخ خليل): **مختصر العلامة خليل**، تع: الشيخ أحمد نصر، الطبعة الأخيرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع،سوريا،1981

03ـ بن الناصر المعسكري(محمد أبو راس بن أحمد): **الإصابة في من غزا المغرب من الصحابة**،تح:أحمد الطويلي، دط، المطبعة العصرية، تونس، 2010

04ـ بن حماد(أبي عبد الله محمد بن علي):**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**،تج: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دط، دار الصحوة للنشر،القاهرة، دت

05ـ بن زكريا(يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون): **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، م1، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903

06ـ درويش(أحمد):**الاستشراق الفرنسي والأدب العربي**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،ذ ط،1997.

07ـــ دوتـــي(ادمونـــد): **الصـــلحاء، مـــدونات عـــن الإســـلام المغـــاربي خـــلال القـــرن 19م**،دط، تـــر: محمـــد نـــاجي بـــن عمـــر، دط، افريقيـــا الشـــرق، المغـــرب، 2014

08ـــ ديســـبارمي(جوزيـــف):**كتـــاب الفوايـــد فـــي العوايـــد والقواعـــد والعقايد**،مطبعة السيد موفان البليدة،1905.

09ـ الســكندري(ابــن عطــاء الله): **الحكــم العطائيــة**، شــرح ابــن عبــاد النفــزي الرنــدي، إعــداد ودراســة محمــد بــن عبــد المقصــود هيكــل،ط1،مركــز الأهــرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988 .

10ـــ السنوســـي التلمســـاني (الإمـــام أبـــي عبـــد الله محمـــد بـــن يوســـف):**ثـــلاث عقائـــد أشـــعرية**، تـــح: خالـــد زهـــر، ط1، الرابطـــة المحمديـــة للعلمـــاء، المملكـــة المغربية،2012

11ـــ هورخرونييـــه (ســـنوك):صـــفحات مـــن تـــاريخ مكـــة المكرمـــة، تـــر:علـــى عـــودة الشـــيوخ، تـــع:محمـــد محمـــود الســـرياني،ج1، ط2،دار الملـــك عبـــد العزيـــز، المملكة العربية السعودية، 1419ه.

ـ2ـ المراجع:

01ـ الأشـــرف(مصـــطفى): الجزائـــر الأمـــة والمجتمـــع، تـــر: حنفـــي بـــن عيســـى، د ط، دار القصبة للنشر،الجزائر،2007.

02ـــ الأمـــين النعـــيم(عبـــد الله محمـــد):الاستشـــراق فـــي الســـيرة النبوية،دراســـة تاريخيـــة لأراء (واتـــ بروكلمـــان قلهـــاوزن)مقارنـــة بالرؤيـــة الإســـلامية، ط 1،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،.1997

03ـ أوجيه(مارك)، بول كولاية(جان): **الأنثروبولوجيا**،تر:جورج كتورة، ط1 دار الكتاب الجديدة المتحدة،لبنان، 2008.

04ـ باعلي(سيد أحمد): **الفنان المبدع في الرسم الجزائري**، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

05ـ برون (جفري):**تاريخ أوروبا الحديث**،تر:علي المرزوقي،دط،دار الأهلية للنشر،الأردن،دت.

06ـ بقطاش(خديجة):**الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830ـ1870**،دط، دار دحلب،دت.

07ـ بن إبراهيم(الطيب):**الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه(خاصة في الجزائر)**، د ط،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2009.

08ـ بن الشافعي(يوسف الهذاني): **ترجمة معاني القران من قبل بعض الفرق الضالة.**

09ـ البنداق(محمد صالح): **المستشرقون وترجمة القران الكريم**، ط1، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1980.

10ـ بيطار(زينات): **الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي**،عالم المعرفة،الكويت،د ط،1922.

11ـ الجندي(أنور): **التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة**،مج5،دط،دار الأنصار،القاهرة،دت.

12ـــ حبنكة الميداني(عبد الرحمن حسن):**أجنحة المكر الثلاث وخوافيها،التبشير، الاستشراق،الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه**، ط1، دار القلم، دمشق، دت.

13ـــ حمدان(جمال):**إستراتيجية الاستعمار والتحرر**، ط1، دار الشروق،لبنان،1983

14ـــ الخربوطلي(علي حسن): **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1988.

15ـــ خليفة حسن(محمد):**آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**،ط 1،عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، مصر،1997.

16ـــ دواود عبد الله العاني(عبد القهار):**الاستشراق والدراسات الإسلامية**،ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن،2001.

17ـــ دياب(أحمد إبراهيم): **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، ط1، دار المريخ للنشر،1981.

18ـــ رمزي(أحمد):**الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا**، دط، لجنة شباب العربي،المطبعة النموذجية، مصر، د ت.

19ـــ رمضان(عبد العظيم):**تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، دط الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر،1996.

20ـ زروقة(عبد الرشيد): جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

21ـــ زقـــزوق(محمـــود حمـــدي):**الاستشـــراق والخلفيـــة الفكريـــة للصـــراع الحضاري**، د ط، دار المعارف،مصر،1997.

22ـــ الزيـــات(أحمـــد حســـن):**تـــاريخ الأدب العربـــي للمـــدارس الثانويـــة والعليـــا**، دط دار نهضة مصر للطبع والنشر،القاهرة.

23ـــ ســـاردار(ضـــياء الـــدين): **الاستشـــراق صـــورة الشـــرق فـــي الآداب والمعـــارف الغربيـــة**،تـــر:فخـــري صـــالح، ط 1، هيئـــة أبـــو ضـــبي للســـياحة والثقافة، 2012.

24ـــ ساســـي(ســـالم الحـــاج): **نقـــد الخطـــاب الاستشـــراقي الظـــاهرة الاستشـــراقية وأثرهـــا فـــي الدراســـات الإســـلامية**،ج 1، ط 1، دار المـــدار الإسلامي،ليبيا، 2001.

24ـــ الســـاموك(ســـعدون): **الاستشـــراق ومناهجـــه فـــي الدراســـات الإسلامية**،دار المناهج للنشر والتوزيع،الأردن،2010،ط 1

25ـــ ســـري(طـــارق): **المستشـــرقون ومـــنهج التزويـــر والتلفيـــق فـــي التـــراث الإسلامي**،مكتبة النافذة،مصر،2006،ط 1.

26ـــ ســـعد الله(أبـــو القاســـم): **تـــاريخ الجزائـــر الثقـــافي**،ج6، ط1، دار الغـــرب الإسلامي، لبنان، 1998.

27ـــ ســـعد الله(أبـــو القاســـم): **محاضـــرات فـــي تـــاريخ الجزائـــر الحـــديث(بدايـــة الاحتلال)**، ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

28ـــ ســـعد الله: (أبـــو القاســـم): **تـــاريخ الجزائـــر الثقـــافي**،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998

29ـــ سعدي عبد الله (إيناس): الحرب الباردة دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفياتية، ط1،أشوربانيبال، العراق، 2015.

30ـــ سلامة(سلمان): **أضواء على التبشير والمبشرين**، ط1، مطبعة الأمانة،مصر، 1994.

31ـــ سلامة(سلمان): **أضواء على التبشير والمبشرين**، ط1، مطبعة الأمانة،مصر، .1994

32ـــ سلسلة المشاريع الوطنية للبحث:أثار السياسة الاستعمارية والاستيطان في المجتمع الجزائري(1830-1954) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة الجزائر.

33ـــ سليمان(عبد العزيز)،جمال الدين (محمود محمد): **تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى**، ب ط، دار الفكر العربي، مصر، 1999 .

34ـــ سمايلوفتش(أحمد): **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة،1998م.

35ـــ السيد حجاج (محمد) :**صفحات من تاريخ الصومال**، دط، دار المعارف،القاهرة، دت

36ـــ السيد(رضوان): **الصراع على الإسلام الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية**، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، .2004

37ـــ شـــاتليه.(ل): **الغـــارة علـــى العـــالم الإســـلامي**، تـــر: مســـاعد اليـــافي، محـــب الدين الخطيب، ط2،منشورات العصر الحديث، جدة،1387 هـــــــ.

38ـــ الشـــرقاوي(محمـــد عبـــد الله):**الاستشـــراق والغـــارة علـــى الفكـــر الإســـلامي**، د ط،دار الهداية،القاهرة،د ت.

39ـــ شـــهبي(عبـــد العزيـــز): **الزوايـــا والصـــوفية والعزابـــة والاحـــتلال الفرنســـي في الجزائر**، د ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2007.

40ـــ الصـــلابي(محمـــد علـــي): **كفـــاح الشـــعب الجزائـــري ضـــد الاحـــتلال الفرنسي وسيرة الأميـــر عبـــد القـــادر**، تـــاريخ الجزائـــر مـــا قبـــل الحـــرب العالميـــة الأولى،دار المعرفة، لبنان.

41ـــ عبـــد الـــرزاق(عبـــد الله) ، الجمـــل (شـــوقي): **تـــاريخ إفريقيـــا الحـــديث والمعاصر**،ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع،2002.

42ـــ عبـــده شـــلبي(عبـــد الجليـــل): **صـــور استشـــراقية**، د ط، **مجمـــع البحـــوث الإسلامية**،مصر،1978.

43ـــ علـــي الميليبـــاري(محمـــد أشـــرف): **أهـــداف الترجمـــات الاستشـــراقية لمعاني القرآن الكريم ودوافعها**، ص34 موقع الكتروني

44ـ علي قطـب(محمـد):**عبـد الـرحمن الغـافقي شـهيد بـلاط الشـهداء**،المكتـب الإسلامي،لبنان،1981،ط1

45ـــ علـــي محمـــد (إســـماعيل): **الاستشـــراق بـــين الحقيقـــة والتضـــليل،مدخل علمـــي لدراســـة الاستشـــراق**، ط 3، الكلمـــة للنشـــر والتوزيـــع، القـــاهرة، 2000.

46ـــ علي محمد (إسماعيل):**الاستشراق بين الحقيقة والتضليل،مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، ط 3، الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

47ـــ عمر فوزي(فاروق):**الاستشراق والتاريخ الإسلامي**، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، .1998

48عناية(عز الدين):**نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم**،ط1،دار توبقال للنشر، المغرب الأقصى، 2010،

49عودة الغامدي(علي بن محمد):**يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام**"ط1،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،2010

51الغنيمي (عبد الفتاح مقلد):**معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي**،ط1،عالم الكتب للنشر والتوزيع،مصر،1996

52غنيمي الشيخ (رأفت): **أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر،2006

53فليحة(أحمد نجم الدين):**افريقيا دراسة عامة وإقليمية**، دط، مؤسسة شباب الجامعة، العراق، دت

54 فهيم(حسين): **قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان**، د ط، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت،.1989

55قاسم أبو هاشم(أميرة):**الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية**، ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2016.

56قميحة(جابر): **أعداء الإسلام ووسائل التضليل**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،2001.

57الكحلوت(عبد العزيز): **التنصر والاستعمار في افريقيا السوداء**،منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، طرابلس، .1992

58لوبون(غوستاف): **حضارة العرب**، تر:عادل زعيتر، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر،2013.

59لوكمان(زكاري): **تاريخ الاستشراق وسياساته . الصراع على تفسير الشرق الأوسط**، ط1، دار الشروق، مصر،2007.

60ليفي ستروس(كلود كلود): **الأنثروبولوجيا البنيوية**،تر:مصطفى صالح، د ط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،1977.

61محمد الجبري(عبد المتعال): **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، ط مكتبة وهبة، القاهرة، 1995.

62-محمد عوض (محمد): **الاستعمار والمذاهب الاستعمارية**، ط 4، دار المعارف،مصر،1957.

63محمد موسى(فيصل): **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، مراجعة ميلاد المقرحي،ط1،منشورات الجامعة المفتوحة ، ليبيا ،1997.

64محمد وزان(عدنان): **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر**، دط مطبعة العالم الإسلامي،مكة المكرمة،د ت.

65ـــ محمـــود باشـــا(محمـــد): **ذريعـــة المروحـــة ســـنة1827م أو الاســـتيلاء علـــى ايالـــة الجزائـــر**،تـــر:عزيـــز نعمـــان، ط1، دار الأمـــل للطباعـــة والنشـــر، تيزي وزو،الجزائر،2010.

66محمـــــود(عبـــــد الـــــرحمن): **التنصـــــير والاســـــتغلال السياســـــي**، ط1، دار النفائس،القدس، 2009

67المطـــوي (محمـــد العروســـي): الحـــروب الصـــليبية فـــي المشـــرق والمغـــرب، طبعة جديدة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982

68المطـــوي(محمـــد العروســـي): **الحـــروب الصـــليبية فـــي المشـــرق والمغـــرب**، طبعة جديدة، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1982.

69مقلـــد الغنيمـــي(عبـــد الفتـــاح):**معركـــة بـــلاط الشـــهداء فـــي التـــاريخ الإســـلامي والأوروبي**،ط1،عالم الكتب للنشر والتوزيع،مصر،1996

70مناصـــرية(يوســـف): **دور المتـــرجمين العســـكريين فـــي الجـــيش الفرنســـي في الجزائر**،مجلة التاريخ،1982.

71نصـــري(أحمـــد): **أراء المستشـــرقين الفرنســـيين فـــي القـــرآن الكريم،دراســـة نقدية**، ط 1، دار القلم للطباعة والنشر،الرباط،2009.

72النملـــة(علـــي إبـــراهيم): **التنصـــير مفهومـــه وأهدافـــه ووســـائله وســـبل مواجهته**،دط، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر، 1993،ص11.

73وســـتاد(أود آرن):**الحـــرب البـــاردة الكونيـــة**، تـــر:مـــي مقلـــد، ط1،المركـــز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

74الـــوهيبي(عبـــد الله بـــن عبـــد الـــرحمن): **حـــول الاستشـــراق الجديـــد. مقـــدمات أولية**، ط1، مجلة البيان،الرياض، 1435 هـــ.

75ياســـين الهاشـــمي(إيـــاد علـــى): **تـــاريخ أوروبـــا الحـــديث والمعاصـــر**، ط 1،دار الفكر، عمان،2009.

76يحـــي(جـــلال): **تـــاريخ إفريقيـــا الحـــديث والمعاصـــر**، د ط ، المكتـــب الجـــامعي الحديث، الإسكندرية،1999.

04ـ **الرسائل والبحوث الأكاديمية :**

01- بلحـــارث(بلقاســـم): **جماليـــات المكـــان فـــي رحلـــة الحـــج إلـــى بيـــت الله الحـــرام للحـــاج ناصـــر الـــدين دينيـــه والحـــاج ســـليمان بـــن إبـــراهيم)**، مـــذكرة ماجستير)،جامعة العقيد أكلي محند أولحاج،الجزائر، 2014

02ـــــبليل(رحمونـــــة): **القناصـــــل والقنصـــــليات الأجنبيـــــة بـــــالجزائر العثمانيـــــة مـــــن 1564 إلـــــى 1830**،أطروحـــــة لنيـــــل شـــــهادة الـــــدكتوراه فـــــي تـــــاريخ الحـــــديث والمعاصر، جامعة وهران،2011.

03ـــــشاعو (كمـــــال): **أثـــــر فـــــن الاستشـــــراق فـــــي تكـــــريس الفكـــــر الاســـــتعماري الفرنســـــي فـــــي الجـــــزار 1830- 1930**، أطروحـــــة دكتوراه،جامعـــــة الجزائر2، 2012

04ـــــالشيخ (مليكـــــه): **العلاقـــــات السياســـــية والاقتصـــــادية بـــــين تـــــونس والجزائـــــر خـــــلال القـــــرن18م**، مـــــذكرة لنيـــــل شـــــهادة الماجســـــتير، المركـــــز الجامعي،غرداية 2012.

05ـــ قجال (نادية): **الفنون الشعبية في لوحات الرسام ناصر الدين دينيه**،أطروحة دكتوراه ،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،.2012

06ـــ مخلوف(ساجية):**التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله**، أطروحة دكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر2،الجزائر،2014.

3ـ المقالات:

01ـــ بابا(جمال الدين): الاستشراق الفرنسي والتكلمات اللهجية الجزائرية – قراءة تحليلية،مجلة **الإنسان والمجتمع**، العدد7، جوان2007، تلمسان.

02ـــ بريحة (شريفة): استغلال الأعمال الأنثربولوجية من طرف العسكريين لصالح الاحتلال – السنوات الأولى من احتلال الجزائر، مجلة **أفاق فكرية**،العدد1، ديسمبر 2014

03ـــ بكوش (محمد الصالح): دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر مجلة **أول نوفمبر**،العدد170، سنة2007.

04ـــبلبراوت(عتو): *اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري*، مجلة **الحوار المتوسطي**، العدد3، 4، 2012، جامعة الجيلالي اليابس.

05ـ بن الأحرش (عبد العزيز): بداية البحث الأثري في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية(نظرة تقيمية فترة ما قبل التاريخ نموذجا)، **مجلة أثار**، العدد 5، الجزائر، 1999

06ـ بن بوزيد(لخضر): التنصير والاستعمار رفي إفريقيا بين القرن19 و القرن20م، مجلة **العلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد10، جوان 2016،الجزائر.

07ـــ بوحسون (العربي): الاستشراق والأنثربولوجيا والاستعمار، مجلة **الإنسان والمجتمع** ، العدد 2، الجزء الثاني، ديمسبر 2011، الجزائر.

08ـــ بوحلوفة (جمال الدين): الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر(1856- 1960) قراءة من خلال المجلة الإفريقية، مجلة العلوم **الإنسانية والحضارة**، العدد 5، مارس2017، الجزائر.

09ـــ بوسعيد(أحمد):التنصير وأساليبه بالجنوب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية من خلال المصادر المحلية.

10ـــ التميمي (عبد الجليل): التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسئولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19، **المجلة التاريخية المغربية**،العدد ،تونس، جانفي.1974

11ـــ جعيجع(محمد): دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر،مجلة **المعيار**، الرقم 10، العدد 5، ماي2016.

12ـــ حباسي(شاوش): من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830- 1962،مجلة **الدراسات التاريخية**، العدد10، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،.1997

13ـــ حميش(سالم): الاستشراق والعقد الاستعماري، **مجلة الاجتهاد**، العدد 23،السنة 6،1994، لبنان.

14ـــ خالدي(محمد): المستشرقون وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة **الأثر**،العدد 13، مارس 2012، الجزائر.

15ـــ خضير (صلاح الدين حسين): **الاستشراق وشبهة الدافع الاقتصادي للأراضي المفتوحة(نقد وتحليل)**، مجلة **الدراسات التاريخية والحضارية**، مج 3،ع 10،تشرين الثاني2011، جامعة تكريت.

16ـــ خلفاوي (عزيزة): السوسيولوجيا الاستعمارية في الجزائر ومخلفاتها،نماذج من مواضيع السوسولوجيا الكولونيالية الفرنسية في الجزائر، مجلة **دراسات وأبحاث**، العدد 6.

17ـــ الرحيم (أحمد حسن): المستشرق الفرنسي أرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة، **مجلة الاستشراق**، العدد 2، شياط الثاني 1987، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.

18ـــ ريوقي (عبد الحليم): ماهية الاستشراق(النشأة،المناهج والأهداف،الأصناف والوسائل)، مجلة **العلوم الإنسانية**، العدد 2 ديسمبر 2011.

19ـــ سعد الله(أبو القاسم): **منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر**، مجلة **الأصالة**، العدد14،15، الجزائر.

20ـــ الشاهد(السيد محمد): الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين،**الاجتهاد**، العدد 22، السنة،1994م.

21ـــ صحراوي(عبد القادر): تاريخ الجزائر من خلال كتابات ستيفان غزال،مجلة **الحوار المتوسطي**، العدد 2.

22ـــ عبد الله (عبد الرزاق إبراهيم)، المسلمون والاستعمار لإفريقيا، حولية **كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية**، العدد 4، 1981

23ـــ عمر فوزي (ساجدة): حول طبيعة الاستشراق، مجلة **المؤرخ العربي**،العدد 14،السنة1980.

24ـــ فروخ (عمر): **المستشرقون** ما لهم وما عليهم، **مجلة الاستشراق**،العدد1 كانون 2 1987، دار الشؤون الإسلامية، العراق.

25ـــ قجال (نادية): الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبان الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، مجلة **إنسانيات**، العدد 46،أكتوبر،ديسمبر2009 .

26ـ قميحة (جابر): أثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة **دعوة الحق**، العدد 116، 1991.

27ـــ لوح (أحمد أنداك): الاحتلال البرتغالي في افريقيا وآثاره، مجلة **قراءات افريقية**، العدد 37،يوليو 2018

28ـــ مسعود بودربالة: **الاستشراق الفرنسي وتوظيفه الاثنوغرافي في احتلال الجزائر**، مجلة دراسات،العدد 05، ديسمبر2016

29ـــ منصوري (خديجة): البحث الأثري في الجزائر أثناء الاحتلال، **مجلة أثار**،العدد5، الجزائر، 1999.

30ـــ نايلي (عبد القادر): التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية – المجلة الإفريقية نموذجا- مجلة **دراسات وأبحاث**، المجلد 3، العدد3، مارس2011

31ـــ هلايلي(حنيفي): المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها 1830- 1962، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 154، 155، السنة 41، فيفري2014، تونس.

32ـــ هويسنطن(وليام): الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال توكيس1936- 1943، تر:إبراهيم أبو طالب، منشورات كلية الآداب بالرباط، المغرب الأقصى، ط.2002،1

05ـ الموسوعات والقواميس:

01ـــ الكيالي (عبد الوهاب): **الموسوعة السياسة**، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، دت.

02ـــ الزركلي (خير الدين): **الأعلام**، ج2، ط15، دار العلم للملايين،2002.

03بدوي(عبد الرحمن): **موسوعة المستشرقين**، ط، دار العلم للملايين،.2001

04ـ يحي (مراد):**معجم المستشرقين**، ط1، دار الكتب العلمية، 2004.

ـ- الملتقيات الوطنية والدولية:

01ـــ بركات(عمار): **سؤال الايدولوجيا والدراسات الإستشراقية الأنثروبولوجية في الجزائر أنموذجان ألفرد بل وبيار بورديو**، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من7الى10 ديسمبر2014، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية،الجزائر،2015.

02ـــ بوالشعير (عبد العزيز)**جدلية الاستشراق والاستغراب في الفكر المعاصر من تماثل الأشكال إلى تضاد المضامين**، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن أبي شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من7إلى10ديسمبر2014، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية،الجزائر.

03ـــ وزين (عبد الرحيم): **الاستعمار الفرنسي وعدوان تنصير مسلمي الجزائر والمغرب**،أشغال الملتقى الوطني الثالث المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة في 10ـــ11ماي 2016 بعنوان التنصير في الجزائر سياقه التاريخي وأبعاده وأساليب مواجهته الحضارية، دار تديكلت، 2016

ثانيا: بالأجنبية:

01ـ الوثائق والمخطوطات:

01- Annuaire du collège de France, 11 année, Ernest Leroux éditeur , Paris, 1911

02- Bresnier (L.J): **Notice sur les successions musulmanes**, imprimerie du gouvernent , Alger,1846

02-De Tocqueville (Alexie): **Premier rapport sur l'Algérie ,Extrait du: Premier rapport des travaux parlementaires de Tocqueville en1847,p 6,7** ,http//pages infinité .net/socio mt. اطلع عليه يوم 2018/11/16

03-Gouvernement général de l'Algérie ,**direction de l'agriculteur du commerce et de la colonisation en Algérie 1830-1921**, imprimerie administrative émile pfister, 1922

04- la décade égyptienne journal littéraire et d'économie politique au général Bonaparte, ,V1, Kaire de l'imprimerie national France

05-Napoléon Bonaparte: **mémoire de la Napoléon Bonaparte manuscrit venu de Sainte-Hélène**, baudouis fils, imprimeur, libraire, Paris, 1821

2ـ المصادر:

06-Anonyrne :**Quelques pages sur Léon Roches**, imprimerie Allier Frères, Grenoble,1898

07-Ballesteros(Louis):**l'Emir abd el Kader et l'Algérie**, retaux frères libraires éditeur, Paris, 1865

08-Barger(J): **histoire des Béni Zeiyan, rois de Tlemcen, par l'Imam Cidi Abou Abdallah Moh'ammed Iben el Djelyl et Tenessy**,Benjamine Dupart libraire , Pari, 1852

09-Baurand (Louis:) **Le Cardinal Lavigerie** , t1, Librairie Ch. Poussie Flgue, paris, 1869.

10-Beauclerc(Guglagrillière) :**mission au Sénégal et au Soudan, voyage de M. André Lebon ministre des colonies** librairie ch. .taillandier, Paris

11-Berthier (Le général de Division) :**relation des campagnes du général Bonaparte en Egypte et en Syrie**, de l'imprimerie de Didot l'Aine, Paris,

12-Berthier(Le général de Division) :**relation des campagnes du général Bonaparte en**

13-Blanchérie (M.R):**Musées de la l'Algérie de la Tunis**, Ernest Leroux éditeur ; Paris, 1885

14-Bresnier (M): **chrestomathie arabe , lettres , actes, pièces, diverse**, édition rêve corrigée et Augmentée, Paris,1857.

15-Brosselard(M. Charles):**les Khouan de la constitution des ordres religieux musulmanes en Algérie** ,imprimerie de A. Bourget, Alger,1850.

16-Brown (Philip Marshall):**foreigners in Turkey their juridical status** , Princeton university Press, London, 1914 ,

17- capitaine J.Pichon :**Abd el Kader, sa jeunesse son role politique et religieux son role militaire ,sa captivité, sa mort(1807-1883)**,Henri Charles-lavauzelle, Paris,

18-causeries Populaires **l'Emir Abd el Kader**, chez les libraires, Paris, 1866

19-Darcy (Jean): **France et Angleterre, cent années de rivalité colonial**, l'Afrique1903

20-De Breves : **relation des voyages de Breves, trant en Grèce, terre, saincte Egypt, royaumes de Tunis et Alger**, chez Nicolas Gasse au mont fainet Hilaire, Paris

21-de Sacy (Silvestre): **chrestomathie arabe ou esctraits de divers écrivains arabe, tant en prose qu'en vers l'usage des lèves de l'école spécial des langue orientales vivantes**, t1, de l'imprimerie impérial, Paris

22-De Slane (Mac.Guckin): **description de l'Afrique septentrionale per El Bekri**, imprimerie impériale , Paris, 1852 .

23-De Testa (Le Baron):**Recueil des traites de la porte Ottoman**, T1 , Amyot, éditeur de archives diplomatiques , Paris .

24-Delamaire(AD.H): **exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840,1841,1842,1843,18944et1845**, imprimerie national, Paris

25-Démontes (Victor) :**la colonisation militaires sous le général Bugeaud** ,1917, p445

26- Depint(octave),Coppolani(Xavier) : **les confréries religieuses musulmanes** , publie sous le patronage de Mjules Cambon , gouverneur général de l'Algérie , imprimeur libraire , éditeur , Alger , 1897

27-Dinet (Etienne), et Benberahim(Slimane) : **tableau de la vie arabe –sonnets**, édition d'art ,Alger, 1910

28-Dinet (E):**Antar poème héroïque arabe d'après la traduction de Marcel devic,, illustration en couleurs de E.Dinet**, l'édition D'art , Paris.

29-Dinet(E):**les fléaux de la peinture moyens de les combatre** ,édition Henri Laurens , Paris,1926.

30-Dumas(Le General):**le Kabylie**, libraire de l'Hachette et Cie, Paris ,1857,

31-Dumas(Le General)l: **Mœurs et coutumes de l'Algérie ,tell, Kabylie, sahra**, 2 série, , libraire de l'Hachette et Cie, Paris, 1853

32-Dumesnil (E. d'Ault) : **de l'expédition d'Afrique en 1830**, imprimerie de paussirlgue, Paris, .

33-Mœurs(Villot):**coutumes et instituions des indigènes de l'Algérie** , Jourdain ,Edition Adolphe , 1880 , p 455

34-Dumesnil(Ault): **de l'escpédition d'Afrique en 1830** , imprimerie de paussirlgue , paris, 1832

35-Faidherbe (Le General) :**instructions sur l'anthropologie de l'Algérie considérations générales**, typographie A Hennuyer, paris, 1874

36-Faucon (Narcisse) :**le livre d'or de l'Algérie**, T1, Challamel et Cie édition, Paris,1889

37-Féraud (M. Charle) : **visite au palais de Constantine**, extrait de l'ouvrage "le tour du monde, Paris, 1877

38-Fromentin Eugène : **un été Sahara**, Alphonse Lemerre éditeur, Paris, XXIV.

39-Gafferel(Paul): **la conquête de l'Afrique** , imprimerie Lahure, Paris, 1892

40-Garnier (Jean) :**Charles x le roi le proscrit** , paris ,1967

41-Gasell(Stéphane) : **histoire ancienne de l'Afrique du nord**, librairie Hachette et Cie, Paris, 1912

42-Gastineau Benjamine : **les femmes et les moteur de l'Algérie**, Paris, 1861.

43- Georges (Yve) : **correspondance du capitaine Dumas consul à Mascara (1837 - 1839)** , collection de document inédits sur l'histoire de l'Algérie après 1830 ,2eme série, imprimeur libraire de l'université place du gouvernent , 1912

44-Grammont (H.D) :**histoire d'Alger sous la domination Turque** ,Paris ,E Pérouse , 1887

45-Grussnmeyer(Mgr):**vingt cinq années d'escpiscopat en France et Afrique** ,documents biographique sur son éminence le cardinal Lavigerie note n 2 , t1,Alger ,1882

46-Habert (Michel) : **histoire d'un parjure**, les édition de minuit , paris ,1960

47-Hanotaux(A), Letourneau(A) : **la Kabylie et les coutumes Kabylie** , seconde édition , T3,Augustine Challamel, éditeur, Paris,1893.

48-Henri (brun huig) : **le partage de l'Afrique noire** ,imprimerie eliewe , France , 1975,

Herbillon (le général): **relation du siège de Zaatcha**,J Dumaine libertaire éditeur de l'empereur, Paris,1863.

49-Ibos (Le général): **le général Cavaignac** , librairie Hachette, Paris, 1930

50-Ideville (Henri) **:le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des document inédits (1784- 1849)** , T2,libraire de Firmin Didot et Cie, Paris,1882.

51-Ideville (Henri) **:le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des document inédits (1784- 1849)** , T3,libraire de Firmin Didot et Cie, Paris,1882.

52-Lavigerie (Charle:) **Lettre à un séminariste de Belgique sur La Société des Missionnaires d'Afrique**, Bureau de l'Ouvre des Ecoles d'Orient, paris,1880

53-Louis-Eugène (Louvet) :**Les Missions Catholiques au 19e siècle**, Société de Saint Augustin, Paris, .

54-M.Dopigez : **Souvenir de l'Algérie et de la France méridional**, V.ADAM imprimeur-éditeur, Doui,1840

55-Mansart(Galerie):**donation Jean Matisse Henri Matisse** , spadem , Paris,1981.

M^me^ P. Bernard : **Ali et Aicha**, Dessips de V .Fulconis, Oran, 1904

56-Notice historique sur école spéciale des langues orientales vivantes.

57-Oppelt (Gustave): **Léopold II, roi des Belges chef de l'état indépendant du Congo**, imprimeur de l'Académie royal de Belgique, Bruscelles, 1885,

58-Paul Flat **:journal de Eugène Delacroix, T1,1823-1850**,librairie Plon, Paris,1893

59-Pélissier(E De Reyaud) : **Annales Algériennes**, T1, J.Dumaine libraire éditeur de l'emperur, Paris, 1854,

60-Ponu (Mgr A): **la nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie ,e, Tunis et au Maroc depuis 1830**, librairie Louis Namura, Tunis, 1930

61-Pichon (capitaine J):**Abd el Kader, sa jeunesse son role politique et religieux son role militaire ,sa captivité, sa mort(1807-1883)**,Henri Charles-lavauzelle, Paris

62-Pons(A Mgr :) **la nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie en Tunisie et au Maroc depuis 1830** , librairie Louis N'amura , Tunis , 1930

63-Renies(Léon): **inscriptions romaines de l'Algérie**(1855-1858),gallica

64-Rinn (Louis) :**marabouts et khouan , étude sur l'islam en Algérie**, a Dolphn Jourdan libraire éditeur, Algérie, 1894.

65-Robaut (Alfred): **l'œuvre complet de Eugène Delacroix, peintures , dessins, gravures ; lithographies1813-1863**, Charavay frères éditeur, Paris, 1885,p129.

66-Roche(Léon) :**32ans trente deux Ans a travers l'Islam (1832 -1864)** ,T1, paris , 1884.

67-Roche(Léon): **dix ans à travers l'islam 1834-1844**, nouvelle édition, libertaire académique éditeur, Paris, 1904

68-Salone (Email): **La colonisation de la nouvelle France**, librairie oriental et Américain, Paris.

69-Sybel (H. de);**histoire de l'Europe pendant la révolution Française**, traduit de l'Allemand :Marie Bosquet, édition revue par l'auteur, T1, germer Bailliere libraire éditeur, Paris,1869.

70-Trumelet(Corneille): **L'Algérie légendaire ,en Pèlerinage çà là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam tell et Sahara**, éditeur Augustine Challamel, libertaire Adelphe Jourdan, Paris, 1892 .

71-verge (Gabriel) :**la monographie de domaine de la trappe de staouli** ,1930.

72-Volney(M.C.F): **voyage en Syrie et en gypt pendant les années 1783,1784et1785**, T1, Volland libraire quai des Augustins, Paris.

73-Worms(M): **sur la constitution de la propriété territoriale dans les pays musulmans et subsidiairement en Algérie** , A. Franck libraire éditeur , Paris, 1846

74-Wouwerman(Lieutenant-Généra :**Henri le navigateur et l'académie Portugaise de Sages, introduction à l'étude de l'école anversoise de géographie du XVI siècle**, imprimerie veuve de Backer, Bruxelles, 1890.

75-Yve (George): **correspondance du capitaine Dumas, consul à Mascara(1837-1839)**, Typographie Adolphe Jourdan, Algérie, 1912

76-Zay (E): **histoire monétaire des colonise Français d'après les documents officiels avec 278 figures**, typographie de J montorie , Paris,1892

77-Ziegle (**Jean**): **décolonisation instabilité et famines en Afrique de Berlin , solidarité , socialiste**

03ـ المقالات في المجلات الفرنسية:

04ـ المراجع:

100-_Clément (Tonnerre) :**Rapport au roi sur Alger**, R.A,V70, 1929

101-Delpech (Adrien): **résume historique sur le soulèvement des derkaoua de la province d'Oran , R , A**, v 18 , année 1874

102-Delpech (Adrien):**résumé du Bostane ,le Jardin ou dictionnaire Biographique des savants de Tilimsane**,R.A,V28, 1884,

103-Delpech : **le zaouïa de sidi Ali ben Moussa ou n'foumas** ,R.A,V18 ,1874

104-Dogat(G): **sidi Ahmed Ben Mohamed Ben Mokkri , R A**, V 5, 1861

105-Esquer (G):**Edmond Fagnan, nécrologie**,R.A,V72,1931

105Féraud(Charles): **conquêt de Bougie par les Espagnols d'après un manuxrit arabe , R A**, V 12, 1868

106-Féraud (L): **MŒURS ET COUTUMES KABILES**, R.A, V 16, 1862,

107-Féraud(Ch): **notes historique sur la Provence de Constantine, les Ben Djellab sultans de Touggourt** , R.A ,1882,

108-Féraud(Charles):**Ferdjioua et Zouar 'a , notes histoires sur la province de Constantine, R A** , V 22, 1878

109-Rinn (L): **essai d'études linguistique et ethnologique sur les origines berbères** , R .A, V 29,30,32, 32,33,1885 ,1886 , 1887,1888, 1889.

110-Rinn (Louis) :**notice sur le général Boissonnet, nécrologie**, R.A, V46,1902

111-Robin(N): **histoire de chérif Bou Barla**(1851-1855), R .A ,t25(,1881,p442), T26(1882,474), T27(1883,p416), T28(1884,p172).

112- Watbled(E): **Cirta .Constantine, escpédition et prise de Constantine1836-1870, R**.A, N83,1870.

78-Masselot : **résumé historique su Bougie**, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine ,1865

79-Mélis : **note sur les vestiges de l'Aqueduc romain venant de Toudja a Bougie**, recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine ,1856

80-De Salan ,**Autobiographie d'Iben Khaldoun**, J.A, 4eme série, t13,1842

81-De Salan :**histoire de la province d'Afrique**, JA,4eme série, T13,1842

82-De Slan(M le Baron Mac Gucscin) : **histoire de la province d'Afrique et de Maghreb , traduite de l'arabe d'en Noweiri , J A**, 3 série , t 13, 1842,

83-Delaporte: **Fils Vocabulaire berbère** , j A, , série4 ,T8,1846

84-Henri Aucapitaine(M. le Baron):**étude sur l'origine et l'historique des tribus berbères de la haut Kabylie,** J.A,5emme série, T14,1859

85-Reinaud :**vers arabes sur Paris** , J .A,4eme séries, t5, 1845,

86-Saulcy (F De): **observation sur l'alphabet tifinag** , J .A, série4,T13, 1849

87-Arnaud (L): **histoire de l'ouali sidi-Ahmed el-tedjani extraite du Kaannache , R A** , v5,1861

88-Arnaud :**voyages extraordinaires et nouvelles agréable par Mohammed Abou Ras Ben Ahmed abd El Kader En Nasri , histoire de l'Afrique septentrional** , R A, V22,1878

89-Arnaud :**voyages extraordinaires et nouvelles agréable par** Mohammed Abou Ras Ben Ahmed abd El Kader En Nasri , histoire de l'Afrique septentrional , R A, V22,1878

90-Berbrugger : **les roumains dans le sud de l'Algérie**, R .A,V2,1857

91-Berbrugger : **antiquités du cercle de Ténès**, R.A, V2,1857,

92-Berbrugger :**Algérie Romain subdivision de Tlemcen**, R .A,V1,1856.

93-Berbrugger(A) : **ruines du marabout de sidi abd el Kader sous Miliana** , R A, V 8, 1864

94-Berbrugger(A) **De l'hospitalité chez les arabes**, R.A, V8, 1869

95-Berbrugger(A): **ruines du marabout de sidi abd el Kader sous Miliana** , **R A**, v8, 1864

96-Berbrugger: **les Algérien demandent un roi Français en 1572**, R A , v5,1861

97-Bertherand :**Mosaïque romaine d'Ain Témouchent** , R .A,V1,1856

98-Charbonneau : **deux pierres romains du musée de Constantine**, R.A, V4,1860.

99-Cherbonneau: **épitaphe de sidi Makhloof à Constantine** , R A, v13 , 1869

1-Antohi (Sorin),Trismanenu (Vladimir): **Betwen past and future the revolutions of 1989 and their aftermatb**,CEUpress ,New York,2000

2-Baugh(Daniel): **the global seven year war 1754-1763**,1st edition, imprimt rout ledge, London,2011

3-Beaulieu(Paul Leroy):**économiste et publicistes contemporains de la colonisation chez les Peuples modernes** ,Guillaumin et Cie libraires, Paris

4-Bluche(François) : **Louis XVI** , librairie Arthéme Fayard, Paris,1986.

5-Bruneteaux (Patrick) : **le colonialisme oublié ,de la zone grise plantationnaire aux élites mulâtres à la Martinique**, éditions du croquant ,Paris, 2013

6-Clutru(P): **histoire du Sénégal du XV siècle à1870** , Emil Larose libertaire éditeur, Paris, 1910

7-Cordier(Henri):**un interprète du général Brune et la fin de l'école des jeunes de langues**, imprimerie national, Paris,

8-Decraene(Philip): **l'Afrique noire depuis la conférence de Berline1885-1985**, Cheam, Paris.

9-Denise(Brahimi) et, Bentchiko (Koudir): **Etienne Dinet** ,ACR édition, Paris, 1984

10-Easterly (De William): **le fardeau de l'homme blanc l'échec des politiques occidentales l'aidausc pays pauvres**, traduit de l'anglais :Patrick Hersant et Sylvie kleiman lafon, éditions Markus Haller, new York, 2006

11-Guglagrillière(Beauclerc):**mission au Sénégal et au Soudan, voyage de M. André Lebon ministre des colonies** librairie ch. taillandier, Paris

12-Hugon(Anne) : **introduction à l'histoire de l'Afrique contemporaine**, Armand Colin, Paris, 1998

13-lean (sir de loinville) :**histoire de S.Lovys IX du non Roy de France** ; Sébastien Mabre Gramoisy imprimeur, Paris, LXIII.

14-Jussieu(Cajier): **le mal voire(ethnologie et orientalisme, politique et épistémologies, critique et autocritique)**, N2, université de Paris7,1974

15-La lutte contre la discrimination et le racisme, acte des ateliers de l'intégration locale,6et 7mai 1998,Toulouse, agence pour le développement des relations interculturelles

16-Lacey (James) :**Great Strategic Rivalries, from the classical world to the cold war**, edited by James Oxford

17-le Colon (el ch. Maumeme) et le comte d'Harcourt(Louis) : **iconographie des roi de France**, premier partie, de Louis IX- Louis XIII, librairie Armand Colin, Paris ,1928

18-Mordechai (Feingold) : **history of universities** , V31, Oxford, 2018,

19-Pouillon (François): **les deux vies d'Etienne Dinet** ,édition Ballond , paris, 1997.
quelque données sur son histoire et son caractère propre, L'annuaire du collège de France, mis en ligne le 22novembre 2013, consulté le7Janvier 2020

20-Salmon (Eorges): **Silvestre de Sacy(1758-1838)**, T1,le Caire imprimerie de l'institut Français d'archéologie oriental, France

21-Zagladine (V Daline).Skazkine(S Pavilova):**histoire de la France des origines à 1789**,édition du progrès ,moxou,1978,p239

05ـ الرسائل الجامعية:

01-Marie Autran (Jean): **Truman ,faith based diplomatie et ambigüités du plan Marshall, thèse de doctorat en** études anglophones, université Michel de Montaigne Bordeaux3,2015, Bulletin des rois de la République française France .

06ـ المقالات:

01-Ferhati (Barkahoum): La **danseuse prostituée dite « Ouled Naïl », entre mythe et réalité (1830-1962). Des rapports sociaux et des pratiques concrètes** , Clio. Femmes, Genre, Histoire, N17 ,2003,

02-Goudal(Emile) :**Les Femmes d'Alger d'Eugène Delacroix à Djamel Tatah: déconstruction de la représentation picturale européenne de l'Algérie ?**", in Maghreb & Sciences Sociales 2010-2011, Paris : L'Harmattan, 2011.

03-Lafi (Nora): **Laurent Charles Féraud le renseignement militaire et l'histoire**, annales tripolitaines, édition Boucheni,2005,p11, archive ouvert HAL, Fr.

04-Osterhammel(Jürgen) : **Colonialisme et Empires coloniaux**, Labyrinthe, N35,2010,p60

05-Pouda (Etemad): **pour une approche démographique de l'expansion coloniale de l'Europe**, annales de démographie historique, N113, 2007.

06-Rahouie (Houcine): **les orientalistes en Algérie de l'Anthropologie à l'orientalisme entre émerveillement et contribution multiples**, revue d'Arthrologie des religions, v8, N2 , 6 /2012.

07-Saidi (Benyahia): **les Orientalism et les liens hors marriage en droit musulman**, Journal of Legal and Political Research, v1,2013

07ـ الموسوعات والقواميس:

01ـBox(Ernest) :**dictionnaire d'orientalisme d'occultisme et de psychologie ou dictionnaire de la science occulte**, T1, Chamuel éditeur, Nice.

02ـCharles (le Brun) : **Dictionnaire encyclopédique de l'histoire de France**, Maxi livres, Paris, 2002

03_Cherbonneau(Auge): **dictionnaire arabe Français(langue écrite)**, tome premier, a l'imprimerie national, Paris, LXXVI,

04_Kazimirsk (A. De Bibersteim): **dictionnaire arabe-Français toutes les racines de la langue arabe** , T1, éditeur G.P Maisonneuve, Paris.

05_Pouillon (François): **dictionnaire des orientalistes de langue Français**, Isma .Karthala, Paris.

08_ المقالات الالكترونية:

01_Catherine Rigollet : **Georges-Antoine Rochegrosse. Les fastes de la décadence**, Une sélection des meilleures expositions à voir actuellement à Paris et en Ile de France, l'agora des arts, www.mab allier.fr

02_Jeune file de Bou Saâda, Etienne Dinet , L'Orientalisme et les influences coloniales dans l'art et la littérature, https://djazair-france-docs.blogspot.com/2018/3 /12 أطلع عليه يوم

Laurent Charles Féraud, légion d'Honneur, Archives national, France, dossier L.H955 /62,p7.

فهرس الأعلام

(أ)

ابن الأثير: 32، 210، 296، 297.

ألفونس السادس: 34، 41.

ألفونس: 32.

أنتوني: 29.

أوربان الثاني: 35.

(ب)

باسييه رينييه: 300، 301.

برينييه لويس: 263، 264، 269.

بطرس البكتافيسي: 43.

بطرس التولوني: 43.

بطرس المحترم: 33، 42، 79.

بلاشير ريجي: 53.

بواسواني البارون: 277، 278.

بوكون: 48.

بيربروجر: 145، 196، 209، 214، 253، 257، 258، 259، 260، 261، 338، 349.

(ت)

ثورنتون المستر: 29.

(ج)

جليني: 31.

(د)

الدالماتي هيرمان: 42.

الدمشقي يوحنا: 31، 32، 75، 77.

دوبراف سافاري: 38، 79.

دي أورلياك جربرت: 41.

دي ساسي سلفستر: 47، 51، 52، 81، 87، 88، 96، 97، 105، 106، 134، 143، 148، 174، 175، 202، 252، 253، 255، 260، 263، 281، 283، 322.

دي سلان: 209، 210، 211، 212، 249،214، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 257، 292، 385.

دي لابوره جلبر: 41.

دينييه ايتان: 18، 249، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290.

(ر)

رودنوسون مكسيم: 25، 53، 82.

رودي بارت: 33، 80، 92، 105، 301.

روش ليون: 104، 196، 199،273، 275، 277، 299، 371.

ريمون لل: 41، 81، 85، 105.

رين لويس: 17، 233، 355.

(ز)

زويمر: 162.

زيجريد هونكه: 24.

(س)

السالزبوري جان: 41.

سترابو: 40.

سترابون: 31.

سلفستر الثاني: 41.

سليمان القانوني: 46.

سيمون أوكلي: 44.

(ش)

شامبليون: 52، 87، 172.

شربونو أوغست: 138، 144، 293، 292، 291.

(غ)

الغافقي عبد الرحمن: 34.

غوته: 28.

(ف)

فانيان: 141، 142، 143، 295.

فرنسوا الأول: 45، 46، 90، 91، 134.

فريدريك الثاني: 32.

فليشر: 52.

فيرو شارل: 216، 270، 271، 272، 249.

(ل)

لافيجري شارل: 165، 284، 310، 311، 312، 318، 320، 321، 387، 388.

لوشاتلييه: 279، 280.

لويس التاسع: 36، 37، 43، 119.

ليكليرك: 43، 145.

(م)

مارتل شارل: 34، 35.

ماسكراي ايميل: 281، 282، 283، 240.

ماسينيون لويس: 53، 81، 87، 105، 151.

ماسيه هنري: 53.

ماليت: 179.

مرسييه أرنست: 256، 265، **267**.

منتران روبير: 46، 50، 52.

مونج: 38.

(ن)

نابليون بونابرت: 37، 38، 50، 51، 52، 84، 88، 137، 175، 312.

نكروما كوامي: 55، 69.

هولنبوي: 52.

هيلاري:43.

فهرس البلدان والأماكن

البلقان 37 ، 38.

أمريكا الجنوبية : 40، 44

أمريكا الوسطى : 40 ، 82

الأناضول: 37.

باريس: 121

بالدولة العثمانية : 38، 39.

البرتغال 39، 41،

تونس : 27،2838،

جزر الهند الشرقية: 39.

جزيرة سانت هيلانة: 30.

الدولة العثمانية: 127.

رأس الرجاء الصالح: 39.

روسيا: 30

زيلندا الجديدة: 35.

سان ترويز: 12

السويد ، 140، 121

الشام : 27، 36،

شبه الجزيرة الإيبرية : 35،

شمال الهند: 37، 39.

طرابلس: 38.

العالم الإسلامي : 36، 38

العالم المسيحي : 36، 39.

فلسطين ، 124، 121

فيينا:38.

القبائل: 254، 259،255، 260، 266، 267، 283،276، 286، 289.

كليرمون: 13، 15.

لندن:123، 121.

المغرب الأوسط : 38.

المغرب العربي: 38، 39.

المكسيك : 40.

نيس :13

أستراليا: 35

الأورال: 12

النرويج ، 140، 121

الولايات المتحدة الأمريكية : 30، 34.

شمال إفريقيا: 1، 13، 30، 72،85،89،101، 102، 108، 109، 121، 133،143،167،179،206،209، 225، 226، 238، 241، 244، 259،260، 276،284.

الأندلس: 10، 36، 39،40.

لبروفانس: 12 ،13.

سويسرا :13، 14.

سان ترونير13 ،15، 17.

في القسطنطينية: 15 ،21.

اسبانيا :18، 39، 41.

مصر :1، 5، 8، 10، 13،14،15، 16، 20، 25،27،28، 29، 32،38.

فهرس المحتويات

الإهداء

كلمة شكر وعرفان

قائمة المختصرات.....01

مقدمة 03

الباب الأول :

الاستشراق والاستعمار :دراسة في المفهوم والتوصيف والتطور

الفصل الأول: الاستشراق والاستعمار: دراسة اصطلاحية

أولا: مفهوم الاستشراق.....11

1ـــ مصطلح الاستشراق..... 11

- التعريف اللغوي 11
- التعريف الاصطلاحي (المفهوم العلمي) 14
- تعريف المستشرق ..... 18....
- الاستشراق الجديد..... 20

2- بداية الاستشراق 21

3-تطوره.....30

ثانيا ـــ مفهوم الاستعمار

1ـــ تعريف مصطلح الاستعمار..... 44

- التعريف اللغوي..... 44

- التعريف الاصطلاحي..... 45
- تعريف المستعمر..... 49

2ـــ ظهور الاستعمار وتطوره..... 49

الفصل الثاني: المدارس والاتجاهات في تصنيف الاستشراق والاستعمار(الأهداف والخصائص).....66

أولاـــ في الاستشراق..... 66

1ـــ أهداف الاستشراق..... 66

- الأهداف الدينية..... 66
- الأهداف الاستعمارية 74
- الأهداف العلمية 79
- الأهداف الاقتصادية..... 83

ـــ 2ـــ خصائص الاستشراق..... 85

- الاهتمام باللغة العربية وتكريس العامية.....87
- الارتكاز على محاور دينية سياسية واستعمارية 90
- الاهتمام بدارسة الشمال الإفريقي..... 91.
- دراسة الشرق بأكمله. ..... 92.
- الاهتمام بالتاريخ الروحي للشرق الإسلامي.....93
- السبق واحتلال الريادية في الدراسات الإستشراقية..... 94
- ضمه للكثير من العسكريين في صفوفه :أي ارتباطه الوثيق بالاستعمار..... 98
- ارتباطه الوثيق بالتنصير 96

ـــ ثانيا : في الاستعمار..... 97

ـــ 1ـــ أهداف الاستعمار..... 98

- الأهداف الاقتصادية 98
- . الأهداف السياسية..... 103
- الأهداف الإستراتيجية..... 103
- الأهداف البشرية 106
- الأهداف الإنسانية :(رسالة الرجل الأبيض)..... 107
- الأهداف الدينية (دعوى نشر المسيحية والقضاء على الإسلام)..... 109

ـ 2ـ خصائص الاستعمار..... 112

- اختلاف الأساليب والوسائل المنتهجة..... 112
- الأطماع الاقتصادية 115
- نظرة الاستعمار لشعوب المستعمرات..... 117
- دور الشخصيات الاستعمارية..... 117
- قراءة في المقاومة وردود الفعل الوطنية..... 119
- التخفي وراء الإنسانية والتنصير..... 120
- اشتداد التنافس الاستعماري..... 122

الفصل الثالث: وسائل وآثار الاستشراق والاستعمار..... 124

أولا: وسائل الاستشراق وآثاره..... 125

01 ـ وسائل الاستشراق

- مدارس وكراسي اللغات الشرقية..... 125
- الجمعيات الإستشراقية 135
- المجلات والدوريات 140
- تأليف الكتب..... 142
- الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم الإسلامي 144
- دور النشر الاستشراقية 145

- استخدام تلاميذ المستشرقين و المنصرين من السكا..... 145
- ــ المؤتمرات الدولية. 146

2ــ آثار الاستشراق..... 147

- الآثار العقائدية 147
- الآثار الفكرية والثقافية..... 149
- الآثار الاجتماعية..... 150
- الآثار الاقتصادية..... 151
- الآثار السياسية..... 151

ثانيا وسائل الاستعمار وآثاره..... 152

1ــ وسائل الاستعمار 153

- الاستيطان 153
- الحماية 153
- التستر وراء الانتداب..... 154
- ادعاء الوصاية 155
- التنصير 156
- الشركات التجارية 161
- الاستشراق 165
- الاتفاقيات والمعاهدات 169
- المؤتمرات..... 173
- الامتيازات..... 175
- إقامة القواعد العسكرية..... 178
- التمييز العنصري في جنوب إفريقيا..... 179

2ــ آثار الاستعمار..... 180

- مشكلة الحدود بين الدول.....180
- مشكلة التخلف الاقتصادي.....181
- مشكلة التخلف الاجتماعي.....181
- مشكلة تدهور المستوى الصحي.....182
- مشكلة انخفاض المستوى الثقافي وانتشار الأمية.....182
- مشكلة التمييز والتفرقة العنصرية.....183

الباب الثاني:

الاستشراق الفرنسي وعلاقته بالاستعمار في الجزائر.....185

الفصل الأول: اهتمامات الاستشراق الفرنسي في الجزائر.....186

أولا :المجالات التي عالجها الاستشراق 186

01ـ في المجال الديني.....186

2ـ في مجال الأدب 194

03ـ في مجال التاريخ 201

04ـ في المجال الفن 218

ثانيا ـ نظرة نقدية 224

01ـ في المجال الديني 224

02ـ في مجال الأدب 229

03ـ في مجال التاريخ 235

04ـ في مجال الفن 239

الفصل الثاني: أبرز المستشرقين الفرنسيين في الجزائر وإسهاماتهم.....245

أولا : المستشرقون العسكريون 246

01ـ البارون دي سلان (1801ـ 1878)..... 246

2ـ أدريان بربروجر (1801ـ 1869)..... 251

03ـ لويس برينييه (1814ـ1869)..... 257

4- أرنست مرسييه(1840ـ1907) 259

5- لويس رين (1838ـ1905)..... 261

06ـ أدريان دالباش(1848ـ1894)..... 263

07ـ **لوران شارل فيرو** (1829ـ1888م)..... 265

08ـ ليون روش (1809ـ1902)..... 267

09ـ البارون بواسواني(1811ـ1902) 272

10ـ لوشاتلييه(1855-1929) 273

ثانيا ـ المستشرقون الأكاديميون 276

1 ـ البارون دي ساسي (1758م-1838م):..... 276

2 ـ ايميل ماسكري (1843ـ1894م)..... 278

3 ـ إيتان (ناصر الدين)دينيه (1861ـ1929)..... 281

4ـ أوغست شربونو (1812ـ 1882) 285

05 فانيان(1846-1931)..... 289

6 ــ أوكتاف هوداس(1840ــ1916) 292

7 رينيه باسيه(1855ــ1924 .)..... 294

الفصل الثالث: وظيفية العلاقة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي في الجزائر..... 297

أولا : العلاقة بين الاستشراق والاستعمار والتنصير 298

1ــ التنصير الفرنسي بالجزائر: مفهومه وأساليبه 298

- تعريف التنصير 298
- تعريف المنصر..... 300
- النشاط التنصيري بالجزائر 1830 ــ 1892 300
  - المرحلة الأولى 1830 ــ 1869 300
  - المرحلة الثانية 1866 ــ 1892 303
- أساليب تنصير الجزائريين 305

3ــ علاقة التنصير بالاستشراق والاستعمار 311

- علاقة التنصير بالاستشراق 311
- علاقة التنصير بالاستعمار..... 315

ثانيا ــ وظيفية العلاقة بين الانثربولوجيا والاستشراق والاستعمار 323

1ــ مفهوم الانثربولوجيا 323

2ــ الدراسات الانثربولوجية الفرنسية في الجزائر 325

3ــ علاقة الانثربولوجيا بالاستشراق والاستعمار 339

- علاقة الانثربولوجيا بالاستعمار 339
- علاقة الانثربولوجيا بالاستشراق 348

خاتمـــــــــــــــــــة 352

قائمة الملاحق 358

قائمة الببليوغرافيا 389

فهرس الأعلام 41

فهرس الأماكن والبلدان..... 424

فهرس المحتويات..... 429